المقاومة العربية الإسلامية للغزو الصليبي
حتى معركة حطيـن

أطروحة تقدم بها

محمود فياض حمادي حسن الزوبعي

إلى مجلس كلية التربية / ابن رشد-جامعة بغداد
وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه-
فلسفة في التاريخ الإسلامي

بإشراف الأستاذ الدكتور
عجمـي محمود حطاب الجنابـي

ربيع الثاني/ ١٤٢٣هـ تموز/ ٢٠٠٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

((قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ))

صدق الله العظيم

التوبة : ١٤

((إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ))

صدق الله العظيم

الانفال: ١٢

((عن أبي هريرة قال ثم قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ما يعدل الجهاد في سبيل الله عز وجل قال لا تستطيعوه قال فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثا كل ذلك يقول لا تستطيعونه وقال في الثالثة مثل المجاهد في سبيل الله كمثل القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله تعالى))

صدق رسول الله

صحيح مسلم: ٣/١٤٩٨

الاهداء

الى . . من أرسله الله رحمة للعالمين ونرجو شفاعته يوم الدين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

الى . . مَن هي أحق الناس بصحبتي التي كانت خير عون في رحلتي . . والدتي العزيزة .

الى . . من أرشدني طريق الفضيلة . . والدي الكريم .

الى . . روح المرحوم الشيخ عمي العزيز روكان فليح حسن . . تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته .

أهدي هذا البحث

الباحث

شكر ودعاء

من باب الاعتراف بالفضل لأهله والثناء لذويه ، أتقدم بأسمى آيات الشكر والدعاء الى جميع أفراد عائلتي الذين ذللوا اليّ الكثير من الصعاب .

كما وأتقدم بالشكر الجزيل الى كل من مدّ يد العون لانجاز هذه الاطروحة واخص منهم بالذكر . . الاستاذ الدكتور محمود تركي اللهيبي والاخ العزيز عبد الباسط عبد الرزاق الالوسي ، والى جميع موظفي المكتبات الذين ساهموا في توفير مصادر الرسالة ،لاسيما مكتبة التأريخ في كلية التربية ، والمكتبة المركزية الثانية في جامعة بغداد ، والشكر العميق الى مكتب المصطفى للحاسبات الذين تحملوا عناء طبع هذه الاطروحة.

الى جميع هؤلاء اقدم خالص دعائي وبالغ ثنائي سائلا الله العلي القدير ان يحسن عاقبتهم في جميع الامور

الباحث

اقرار المشرف

أشهد بأن اعداد هذه الاطروحة جرى تحت اشرافي في جامعة بغداد – كلية التربية (ابن رشد) وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في التاريخ الاسلامي .

التوقيع :

الاسم : أ.د . عجمي محمود حطاب الجنابي

(المشرف)

التاريخ / ٧ / ٢٠٠٣

بناء على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الاطروحة للمناقشة

التوقيع :

الاسم : أ.د . عبد الحسين مهدي الرحيم

رئيس قسم التاريخ

التاريخ / ٧ / ٢٠٠٣

المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آلهِ وصحبهِ أجمعين وبعد .

السيد رئيس وأعضاء لجنة المناقشة المحترمون السادة الحضور أُحيكم بتحية الإسلام الخالدة السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد .

يُشكل الغزو الصليبي لبلادنا العربية الإسلامية من تاريخنا النضالي المجيد سواء كان في الشرق أو الغرب ، وإن هذهِ التجربة ليست من التجارب العابرة المحدودة الأثر والنتائج وإنما كانت مليئة بالدروس والعبر والعضات ، مما يتطلب منا أن نتأملها ونبحثها في كل وقت – الآن وفي المستقبل – لنستفيد من أخطاء الماضي ونتجنبها ، ونواجه أخطار الحاضر ونتقلب عليها ن وبذلك نحفظ للإسلام هيبته وللعروبة كيانها ، إنما ترتب من تلك
الغزوات الشريرة من نتائج كانت في غاية الغرابة ، إذ إنها انتهت بتدهور وركود وانحلال استمر طويلاً عقبها في البلدان العربية في حين صحبت هذهِ الحروب وعقبتها مباشرةً نهضة شاملة في الغرب الأوربي ، وهي أساس النهضة الحديثة .

الواقع إن هذه الظاهرة تسترعي الانتباه وتستحق منا التفكير العميق ، فقد تكون هذهِ الغزوات في حد ذاتها مسؤلة عن الانهيار الذي تعرضت له البلدان العربية في أواخر العصور الوسطى بعد أن استنفذت جهود هذه البلدان في الدفاع عن كيانها ، وكرست وارداتها للقضاء على الأخطبوط الصليبي الذي ثبت أقدامه في بقعة هامة من الوطن العربي ، واخذ يسعى من ذلك المركز المتوسط الى تهديد بقية الشام والعراق ومصر والحُجاز فضلاً عن المغرب والأندلس فمن الصعب على العرب وسط ذلك الخطر المحدق بهم في صميم بلادهم أن يعملوا بالإنشاء والتعمير والنشاط الحضاري ، على أن ثمة حقيقة يجب أن نذكرها من باب الأمانة التاريخية ، وهي مظاهر الضعف والانحلال السياسي والتأخر الحضاري بدت في بعض أجزاء الوطن العربي قبل وصول الحملة الصليبية الأولى إلى الشرق وان من يتأمل أحوال المشرق العربي منذ القرنين التاسع والعاشر يسترعي انتباههُ الانقسامات التي تعرضت لها الخلافة العباسية وقيام الدويلات المستقلة على حسابها في المشرق والشام ومصر

ولاشك وقوع الخلفاء العباسيين أنفسهم تحت سيطرة البويهيين ثم السلاجقة ، إنما هو دليل على ضعف الخلافة وانحلال المشرق العربي بأمد طويل ، فجذور الضعف امتدت في الوطن العربي إلى ما قبل الحروب الصليبية .

سواء كان التاريخ يُعيد نفسه أو لا يُعيد ، فمن الواضح أن الأوضاع التي تُحيط بالعالم العربي اليوم تجعلنا نشعر بأننا في وضع اقرب ما يكون إلى الوضع الذي عاش فيه أجدادنا العرب منذ ثمانية قرون الأمر الذي يتطلب منا دراسة دور المقاومة دراسة علمية دقيقة ، فإذا كانت الولايات العربية قد أُبتليت ببعض الحكام الرجعيين دفعهم الحرص على مصالحهم الخاصة إلى الاعتراف بالإمارات الصليبية في ذلك الوقت فأننا نجد اليوم من بعض البلدان العربية نفس ذلك الموقف المخزي الذي عرى الإنسان عن دينه ووطنه بل زاد الآمر بهم إلى أن زاروا الصليبيين في مدنهم ومستعمراتهم ليباركوا لهم جرائمهم ضد أبناء امتنا ، وأذاكان الصليبيون في العصور الوسطى قد استماتوا في منع تحقيق وحدة
الصف العربي وقاوموا حركة الوحدة العربية بين بلاد الشام والعراق ، حتى اذا ما فشلوا في ذلك ورأوا البلاد الإسلامية تجتمع تحت قيادة موحدة لا سيما في عهد نور الدين
محمود ،استدار الصليبيون إلى مصر وحاولوا بمختلف الوسائل والطرق منع الوحدة بين مصر وبلاد الشام والعراق .

وهكذا يبدو التجارب التي تمر بها الأمة اليوم ليست جديدة عليها ، وقد سبق أن تعرضت إلى أساليب نفسها من الخيانات والألاعيب والدسائس والمؤامرات في عصر الحروب الصليبية .

فما أن استيقضت الأمة من هول الصدمة الأولى حتى أخذ رد الفعل عندها على شكل مقاومة عاتية ضد هذا العدو المغتصب حيث كانت حركة المقاومة التي تهاوت أمامها جميع الزعامات الكاذبة ورفع لواء الجهاد قادة مخلصون وحدوا البلاد وتمسكوا بدينهم ووقفوا بحزم ضد الغزاة الطامعين حتى تمكنوا من تحقيق النصر لمعركة الفصل حطين على يد القائد البطل صلاح الدين الأيوبي .

ومن ثم تحرير القدس الشريف وطرد الغزاة من الأراضي الإسلامية ، فكان تمسك المسلمين بدينهم العلاج الوحيد الذي أستأصل التجزئة والاستسلام والتي لا يمكن التخلص

منها اليوم إلا بالتمسك بذلك العلاج نفسه ، ومن هنا كان هذا الامر سبباً في اختيارنا هذا الموضوع .

كما وأقتضت طبيعة الدراسة على تقسيمها إلى تمهيد وأربعة فصول وخاتمة واختص كل فصل منها بجانب مهم من تاريخ المقاومة وبالشكل الآتي:

تناولت في التمهيد عوامل قيام الحروب الصليبية وبينا فيها أن الدعوة اليها جاءت تحت غطاء ديني مظلل خفي وراء أطماع استعمارية للغزو والسلب وحل المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي عانى منها المجتمع الأوربي منذ أواخر القرن العاشر الميلادي، و أوضحنا أوضاع العالم الإسلامي عشية تلك الحروب وما لها من ارتباط وثيق في النجاح الذي حققه الصليبيون في المنطقة الإسلامية.

أما الفصل الأول: فسلطنا الضوء على المحاولات الإسلامية الأولى للتصدي للغزو الصليبي وأوضحنا كيف كانت المقاومة في آسيا الصغرى والرها وانطاكية.

وكان الفصل الثاني مكملاً لما جاء في الفصل الأول، إذ تناول هذا الفصل المقاومة في بيت المقدس وطرابلس، ضم مقاومة المدن الواقعة على طريق الزحف الصليبي،وما رافق ذلك من جرائم بشعة ارتكبها الصليبيون بحق أهالي هذه المدن وصولاً إلى بيت المقدس ومحاولة الدفاع عنه، والمجزرة البشعة التي أحدثها الصليبيون فيه، ثم أشرنا فيه إلى ما أحدثه سقوط بيت المقدس من صدى كبير في العالم الإسلامي، وما أعقبه من محاولات لتحرير، ثم ضم الفصل المقاومة في طرابلس.

وجاء الفصل الثالث: ليكون بداية التوحد السياسي للجبهة الإسلامية ومقاومة الصليبيين وأوضحنا دور عدد من الأمراء الذين كان لهم دور فعال في بناء الوحدة الإسلامية حتى آل المطاف الى عماد الدين زنكي وجهوده الفعالة في هذا المجال وتحرير مدينة الرها.

وتناولت في الفصل الرابع: تكوين الجبهة الإسلامية المتحدة ضد الصليبيين، اذ تم خلاله إظهار لدور الريادي الكبير الذي قام به كلٌ من نور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي في نهضة الأمة وتوحدها ومقاومة الصليبيين.

ولابد لي في إطار هذه المقدمة من ذكر شيء عن المصاعب التي واجهت إعداد هذا البحث ولا أقول ذلك التماساً للأعذار لكنها الحقيقة التي تمت بصلة وثيقة الى طبيعة هذا البحث،

فإن دراسة مثل هذا الموضوع يحتاج إلى صبر كبير وجهداً واسع ذلك بسبب تداخل الأحداث في هذه الحقبة وتشابكها، كما أن هذه الدراسة تتناول جانبيين إسلامي وصليبي فلابد للباحث من النظر فيما كتبه الجانبين، وان يتوخا الدقة والحذر فيما يأخذ لاسيما فيما كتبه المؤرخون الغربيون لأن دراستهم مهما اتصفت بالموضوعية والتجرد فإنها تنطلق من احتساب الحروب الصليبية جزءاً مهماً من التاريخ القومي الأوربي. ومما زاد في الأمر صعوبة أن الكثير من المصادر الغربية غير معربة، فضلاً عما تقدم فإن الحصار المفروض على قطرنا الحبيب بما فيه الجانب الثقافي حرم مكتبتنا الوطنية من العديد من الدراسات الحديثة، وقد كان للجهود الخيرة التي بذلها من اتصلنا به من أساتذتنا الأعزاء الأثر الواضح في تذليل عدد كبير من هذه الصعاب، وإغناء البحث بما لديهم من مصادر وبحوث، ومن هنا فلا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل وعرفان بالجميل إلى جميع هؤلاء وأخص منهم بالذكر استاذي الفاضل الدكتور عجمي محمود حطاب الذي أشرف على هذا البحث و أولاه مزيدا من الرعاية حتى أصبح بهذا الشكل، كما وأتقدم بالشكر والعرفان إلى استاذي الفاضل الدكتور عبد الأمير دكسن الذي ساعدني في ترجمة العديد من المصادرالاجنبية، واتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الدكتور خالد جاسم الجنابي وإلى الأستاذ الفاضل حمدان عبد المجيد الكبيسي وإلى الأستاذ الفاضل صبري احمد لافي وإلى الأستاذ الفاضل فاروق عبد الرزاق الألوسي أستاذي الفاضل حسين علي الداقوقي الذي رفد هذا البحث بعدد من مصادره الخاصة، واتوجه بالشكر والعرفان إلى استاذي الفاضل الدكتور خاشع المعاضيدي والأستاذ الدكتور عبد الحسين مهدي الرحيم، إذ كان لتوجيهاته أثر كبير في اخراج هذا البحث بهذه الصورة.وفي الختام أسأل الباري عز وجل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم،وأن ينفعنا به يوم العرض عليه...آمين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الباحـث

المقدمة

تعرضت البلاد العربية الاسلامية في اواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي لغزوة صليبية شرسة، مكنت الصليبيين من احتلال أغلب المدن العربية في بلاد الشام والجزيرة الفراتية، ويعد اجتياحهم بيت المقدس عام ٤٩٢هـ/١٠٩٩م، أعظم كارثة تحل بالبلاد الاسلامية، فقد كانت الظروف ملائمة والطرق ممهدة فشقوا طريقهم عبر الانقسامات التي كانت موجودة في المنطقة العربية الاسلامية، ومهما يقال في ملاءمة الظروف التي ساعدت الصليبيين على تكوين اربع امارات هي إمارة الرها وأنطاكية وطرابلس وبيت المقدس، فالذي لا شك فيه ان المسلمين في ذلك الوقت لم يكونوا بوضع يسمح لهم بأن يكونوا على درجة من الحيطة والاقتدار، لاسيما وانهم كانوا منقسمين في الولاء مابين الخلافة العباسية والدولة الفاطمية اللتين كانتا على درجة كبيرة من الخلاف. اما الاولى فقد ضعفت هيبتها ولم يعد للخليفة من الامر شيء وكانت السلطة الحقيقية بيد السلاطين السلاجقة، اما الدولة الفاطمية فكانت تعاني من تسلط الوزراء الذين لم يكفوا عن القتال والنزاع فيما بينهم، ومما زاد في محنة لبلاد الاسلامية أنها انقسمت على دويلات، أخذ أمراؤها التماس المساعدة من الصليبيين ضد بعضهم البعض، فساعد ذلك في ارساء قواعد الامارات اللاتينية بشيء كبير من الجسارة، حتى تضاءلت امامه جهود بعض الوحدات الاسلامية في المقاومة والتصدي لهذه الحركة مبكراً، فجاءت مقاومتها قليلة الاثر باهتة المفعول لم تحل دون وصول الغزات الى غايتهم. وان ما قام به الصليبيون من مذابح رهيبة وتنكيل بالمسلمين في جميع الجهات التي نزلوا بها، أثر كبير في إفاقة المسلمين من هول الصدمة الاولى، فكان رد الفعل عندهم على شكل مقاومة عاتية تنديداً لهذا الاستقرار، وجاداً ضد هذا العدو المغتصب. فكانت حركة المقاومة تهاونت امامها جميع الزعامات الكاذبة ورفع لواء الجهاد قادة مخلصون وحدوا البلاد وتمسكوا بدينهم ووقفوا بحزم ضد الغزاة الطامعين حتى تمكنوا من تحقيق النصر في معركة الفصل حطين على يد القائد صلاح الدين الأيوبي، ومن ثم تحرير القدس الشريف وطرد الغزاة من الاراضي العربية الاسلامية،

فكانت وحدة المسلمين وتمسكهم بدينهم العلاج الوحيد الذي استأصل التجزئة والخيانة والاستسلام، والتي لا يمكن التخلص منها اليوم إلا بالتمسك بذلك العلاج نفسه. من هنا كان هذا الامر سبباً في اختيارنا لهذا الموضوع فضلاً عن وجود عدة امور اخرى هي:

١-الحاجة المتزايدة الى وجود بحث بذاته يسلط الضوء على مرحلة مهمة من تاريخ المقاومة العربية الاسلامية.

٢-تشابه الاحداث التي عاشتها الامة العربية الاسلامية اثناء الحروب الصليبية مع الاوضاع التي تعيشها امتنا اليوم من تمزق وعدو دخيل يحتل أرضنا وحق سيادتنا.

٣-دعم الروح النضالية العربية التي هزته الاحداث، وفتت عضده الاوضاع السياسية العربية المتردية وذلك بالكشف عن العوامل التي جعلت المسلمين قادرين على طرد الغزاة الصليبيين من الارض العربية.

٤-شعوري بوصفي مواطنا عربيا مسلما محباً لدينه وامته في تقديم ولو شيئا بسيطا من تاريخ النضال العربي الاسلامي ضد الاعداء الطامعين الى ابناء هذه الامة العريقة.

لذا فقد تم تقسم هذه الدراسة على تمهيد وأربعة فصول وخاتمة واختص كل فصل منها بجانب مهم من تاريخ المقاومة وبالشكل الاتي:

تناولت في التمهيد عوامل قيام الحروب الصليبية وبينا فيها أن الدعوة اليها جاءت تحت غطاء ديني مظلل خفي وراء أطماع استعمارية للغزو والسلب وحل المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي عانى منها المجتمع الاوربي منذ اواخر القرن العاشر الميلادي، واوضحنا أوضاع العالم الاسلامي عشية تلك الحروب وما لها من ارتباط وثيق في النجاح الذي حققه الصليبيون في المنطقة الاسلامية.

اما الفصل الاول: فسلطنا الضوء على المحاولات الاسلامية الاولى للتصدي للغزو الصليبي واوضحنا كيف كانت المقاومة في آسيا الصغرى والرها وانطاكية.

وكان الفصل الثاني مكملاً لما جاء في الفصل الاول، اذ تناول هذا الفصل المقاومة في بيت المقدس وطرابلس، ضم مقاومة المدن الواقعة على طريق الزحف

الصليبي،وما رافق ذلك من جرائم بشعة ارتكبها الصلبيبيون بحق أهالي هذه المدن وصولاً الى بيت المقدس ومحاولة الدفاع عنه، والمجزرة البشعة التي احدثها الصليبيون فيه، ثم اشرنا فيه الى ما أحدثه سقوط بيت المقدس من صدى كبير في العالم الاسلامي، وما أعقبه من محاولات لتحرير، ثم ضم الفصل المقاومة في طرابلس.

وجاء الفصل الثالث: ليكون بداية التوحد السياسي للجبهة الاسلامية ومقاومة الصليبيين واوضحنا دور عدد من الامراء الذين كان لهم دور فعال في بناء الوحدة الاسلامية حتى آل المطاف الى عماد الدين زنكي وجهوده الفعالة في هذا المجال وتحرير مدينة الرها.

وتناولت في الفصل الرابع: تكوين الجبهة الاسلامية المتحدة ضد الصليبيين، اذ تم خلاله إظهار لدور الريادي الكبير الذي قام به كلٌ من نور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي في نهضة الأمة وتوحدها ومقاومة الصليبيين.

ولابد لي في إطار هذه المقدمة من ذكر شيء عن المصاعب التي واجهت إعداد هذا البحث ولا أقول ذلك التماساً للأعذار لكنها الحقيقة التي تمت بصلة وثيقة الى طبيعة هذا البحث، فإن دراسة مثل هذا الموضوع يحتاج الى صبر كبير وجهداً واسع ذلك بسبب تداخل الاحداث في هذه الحقبة وتشابكها، كما ان هذه الدراسة تتناول جانبين اسلامي وصليبي فلابد للباحث من النظر فيما كتبه الجانبين، وان يتوخا الدقة والحذر فيما يأخذ لاسيما فيما كتبه المؤرخون الغربيون لأن دراستهم مهما اتصفت بالموضوعية والتجرد فإنها تنطلق من احتساب الحروب الصليبية جزءاً مهماً من التاريخ القومي الاوربي. ومما زاد في الامر صعوبة ان الكثير من المصادر الغربية غير معربة، فضلاً عما تقدم فإن الحصار المفروض على قطرنا الحبيب بما فيه الجانب الثقافي حرم مكتبتنا الوطنية من العديد من الدراسات الحديثة، وقد كان للجهود الخيرة التي بذلها من اتصلنا به من اساتذتنا الأعزاء الأثر الواضح في تذليل عدد كبير من هذه الصعاب، واغناء البحث بما لديهم من مصادر وبحوث، ومن هنا فلا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل وعرفان بالجميل الى جميع هؤلاء واخص منهم بالذكر استاذي الفاضل الدكتور عجمي محمود حطاب الذي أشرف على هذ

البحث واولاه مزيدا من الرعاية حتى أصبح بهذا الشكل، كما وأتقدم بالشكر والعرفان الى استاذي الفاضل الدكتور عبد الامير دكسن الذي ساعدني في ترجمة العديد من المصادرالاجنبية، واتقدم بالشكر الجزيل الى استاذي الفاضل علي حسين الداقوقي الذي رفد هذا البحث بعدد من مصادره الخاصة، واتوجه بالشكر والعرفان الى استاذي الفاضل الدكتور خاشع المعاضيدي والاستاذ الدكتور عبد الحسين مهدي الرحيم، والاستاذ الدكتور خالد جاسم الجنابي اذ كان لتوجيهاته أثر كبير في اخراج هذا البحث بهذه الصورة.وفي الختام أسأل الباري عز وجل ان يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم،وأن ينفعنا به يوم العرض عليه...آمين.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

الباحث

تحليل المصادر

لقد المصادر العربية من بين اهم المصادر التاريخية في موضوع الحروب الصليبية لاسيما فيما يتعلق بالمقاومة العربية الاسلامية لحسابات نابعة من شعور المؤرخ العربي الاسلامي، وما يجب ان يقدمة لأمته في تلك الظروف العصيبة هذا من جهة، ومن جهة اخرى فإن الوعي العربي التاريخي لدى العرب المسلمين قد بلغ اوج عظمته في التطور والرقي.

أ)المصادر العربية:

ويأتي في مقدمة المصادر العربية ابن القلانسي(ت٥٥٥هت/١١٦٦م) في كتابه ذيل تاريخ دمشق. وتكمن أهمية هذا الكتاب بتسجيله للأحداث منذ بداية الغزو الصليبي لبلاد الشام الى آخر أيام حياته. وبهذه الخاصية يتفرد ابن القلانسي عن غيره من المؤرخين العرب . وقد أفاد البحث كثيرا اذ عالج دور المقاومة منذ البداية وحتى سنة وفاته. امتاز مؤلفه بالدقة والوضوح، واعتمد عليه أغلب المؤرخين الذين جاءوا بعده.

ويعد كتاب (الاعتبار) لأسامة بن منقذ (ت٥٨٤هـ/١١٧٨م) من المصادر المهمة لاعتماده على مشاهداته وملاحظاته ووتعرفه الجاد للرواية التاريخية ذات الطابع السياسي والحربي. وقد أفاد البحث من خلال ذكره للمعارك التي دارت بين الطرفين الاسلامي والصليبي.

أما كتاب العماد الاصفهاني(٥٩٧ه/١٢٠٠م) الفتح القسي بالفتح القدسي، فيعد من الوثائق المهمة في تاريخ الجهاد الاسلامي على الرغم من ان المؤلف اقتصر على سيرة صلاح الدين وفتوحاته إلا أن اسلوبه في عرضه للأحداث التاريخية يشوبها بعض الغموض وذلك لصياغتها بأسلوب أدبي وكثرة المحسنات الفقهية والصياغة الأدبية.

ويمثل ابن الاثير: في كتابيه (الكامل في التاريخ) و(الباهر في تأريخ الدولة الاتابكية) من بين اهم المصادر التاريخية التي تم الاعتماد عليها في جميع فصول الرسالة، واما كتاب (الكامل في التاريخ) فقد أمدنا بمعلومات غزيرة عن المقاومة

الاسلامية في بلاد الشام وغيرها، تكاد تكون فائدته في جميع فصول البحث، كما انه يتفرد في بعض الروايات التاريخية وذلك لاعتماده على روايات شفوية التي سمعها عن ابيه، أما كتاب الباهر فإنه مخصص لتدوين تاريخ الاسرة الاتابكية وما قامت به من دور كبير في أحداث التاريخ الاسلامي لاسيما فيما يخص وجهود هذه الاسرة في مقاومة الغزاة الصليبيين وإقامة الوحدة الاسلامية.

ويعد كتاب المؤلف ابن شداد (٦٣٢هـ/١٢٣٩م) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية وثيقة مهمة من وثائق المقاومة الاسلامية للغزو الصليبي لأن المؤلف سجل الاحداث عن طريقق مشاهداته ومشاركته فيها. لاسيما جهاد صلاح الدين.

ومن بين مؤرخي هذه الفترة ابو شامة (٦٦٥هـ/١٢٦٧) في كتابه (الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية) شمل الجزء الأعظم من هذا المؤلف لذكر أخبار وجهاد كل من نور الدين وصلاح الدين، واستوفى مادته التاريخية من ابن القلانسي والعماد الكاتب وابن الاثير، وغيرهم . من مزايا هذا المؤلف أنه يقدم المادة التأريخية بإسلوب سهل وواضح.

وبين المصادر المهمة (زبدة الحلب من تأريخ حلب) لابن العديم (ت٦٦٠هـ/١٢٩٢م) يمثل هذا الكتاب حوليات لمدينة حلب في حقبة الحروب الصليبية حتى سنة ٦٤١هـ لتوقفه عن الكتابة، سجل تأريخ بلاد الشام قبل الغزو الصليبي وأثناءه بوضوح، لذلك كان هذا المؤلف من بين المؤلفات المهمة الذي واكب موضوع البحث من البداية وحتى النهاية.

اما ابن واصل (ت٦٩٧هـ/١٢٩٨م) فقد كان مؤلفه (مفرج الكروب في أخبار بني أيوب) له أهمية كبيرة، وذلك لغزارة مادته العلمية ووضوح اسلوبه، كان لمجلديه الأول والثاني دور كبير في إغناء البحث لاسيما في الفصلين الأخيرين، كما اخذ عنه كثيرٌ أمثال: اليونيبي والذهبي وابي الفداء وغيرهم.

كما أغنت البحث عدد من الكتب البلدانية والرحالة العرب المسلمين لاسيما فيما يخص المواقع الجغرافية من بينها: الاصطخري: المسالك والممالك. والمقدسي: أحسن التقاسيم. وياقوت الحموي: معجم البلدان، وغيرها.

اما كتب الرحلات: رحلة ابن بطوطة، ورحلة ابن جبير، ورحلة بنيامين التطيلي.

ب)المصادر الاجنبية:

كانت المصادر العربية على اختلاف أصنافها قد قدمت معلومات مهمة واساسية عن اجتياح الغزاة الصليبيين للأراضي العربية وما رافق ذلك من ردود افعال عنيفة كانت نتيجتها إجلاء الصليبيين الغزاة عن الاراضي العربية، فإن المصادر الاجنبية لم تدخر جهداً في مواكبة الحملات الصليبية ضد الاراضي العربية الاسلامية، ففي مثل هذه الدراسة لابد من النظر فيما كتبه هؤلاء فإن كتاباتهم لاتخلوا من موضوعية مع مراعاة الحيطة والحذر.

يأتي في طليعة هؤلاء المؤلف المجهول صاحب كتاب (أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس) فيعد هذا المؤلف من المؤلفات المهمة، فإن صاحبه يعد شاهد عيان في الحملة الصليبية الأولى فهو يذكر ما لاقاه الصليبيون من مقاومة غنيفة خلال رحلة مرورهم عبر الأراضي الاسلامية وصولاً الى بيت المقدس. وقد اعتمدت الرسالة على النسخة التي ترجمها د. حسن حبشي.

اما المؤرخ الآخر: هو فوشيه دي شارتر في كتابه (تأريخ الحملة الى القدس) انظم فوشيه مع بلدوين عندما سار الى الرها، ثم انتقل معه الى بيت المقدس فأمدّنا هذا المؤرخ بمعلومات مهمة في الفترة الصليبية الاولى، ينقسم هذا الكتاب على ثلاث أقسام، يبدأ القسم الاول (١٠٩٥م) وهو تاريخ المجلس الذي عقد في مجمع كليرمونت، اذ كان فوشيه حاضراً فيه، وينتهي هذا القسم عند وفاة جودفري ملك بيت المقدس (١١٠٠م) أما القسم الثاني فيبدأ من سنة (١١٠٠م) حضور بلدوين لحكم القدس، وينتهي ١١١٨م بوفاة الملك بلدوين. اما القسم الثالث فيبدا من سنة ١١١٨م، تتويج بلدوين الثاني ملكاً على القدس وينتهي ١١٢٧م. وقد ترجم هذا الكتاب الى العربية د. زياد العسلي.

ومن المؤلفات المهمة ما كتبه وليم الصوري Wiliam of tyre، إذ يعد كتابه موسوعة في الحروب الصليبية، سكن في بيت المقدس وتقلد عدة مناصب وانه كان مستشاراً

ثم مربياً للملك بلدوين الرابع، فهو لا يقل شأناً عن من سبقه أمثال المؤرخ المجهول، وفوشيه، على الرغم من أنه أخذ منهم الكثير، فأفاد البحث كثيراً في مواطن متعددة ولاسيما في المواطن التي تتعلق بالمقاومة الاسلامية .

كما أفاد البحث من كتابات الاميرة (آنة) ابنة الامبراطور كومونين في كتابها (الاليكسياد) الذي هو عبارة عن مذكرات أغنت الحملة الصليبية الاولى لاسيما علاقة الامبراطور مع الامراء الصليبيين وقد أفاد الكتاب لدراسة في عدد من المواقع المتعلقة بالعلاقات الصليبية والاسلامية واعتمدنا في هذا البحث على النسخة المترجمة الى الانكليزية .

كما استفاد البحث من المراجع الثانوية من كتب حديثة سواء كانت عربية ام أجنبية، أغنت البحث في كثير من مفرداته ويأتي في مقدمتها: سعيد عبد الفتاح عاشور في كتابه (الحركة الصليبية) اذ اشتملت أجزاء الكتاب على معلومات مفصلة عن فترة الحروب الصليبية فلا سبيل في الاستغناء عنه، وكذلك الشرق الاوسط والحروب الصليبية للسيد الباز العريني، وأفاد البحث مما كتبه قاسم عبدة قاسم، وجوزيف نسيم، ومؤلفات د. رشيد الجميلي، ومؤلفات د. خاشع المعاضيدي وغيرهم.

أما ما كتبه الباحثون الاجانب فيأتي في مقدمتهم ستيفن رنسيمان في مؤلفه تأريخ الحروب الصليبية الذي يعد من أغنى المؤلفات في هذا المجال، والمؤلف آرنست باركر الحروب الصليبية، حيث قدم دراسة جادة في هذا المجال، وهاملتون جب في كتابه صلاح الدين الايوبي دراسات في التاريخ الاسلامي، وغيرها من المؤلفات .

الفصل الاول

المحاولات الاسلامية الاولى للتصدي للغزو الصليبي

١ـ المقاومة في آسيا الصغرى

أـالمقاومة للحملة الصليبية العامة

بـ المقاومة للحملة النظامية (الامراء)

جـ موقف بيزنطة المبكر من افراد هذه الحملة .

٢ـ المقاومة في الرها.

٣ـالمقاومة في انطاكية .

أـ دور الفاطميين في الدفاع عن انطاكية.

بـ دور الخلافة العباسية في مواجهة الغزو الصليبي.

الفصل الثاني

المقاومة في بيت المقدس وطرابلس

١ - المقاومة في بيت المقدس

أ-مقاومة المدن الواقعة على طريق الزحف الصليبي الى القدس.

ب-المقاومة في بيت المقدس.

أولاً: اجراءات الوالي الفاطمي للدفاع عن القدس.

ثانياً:اجتياح القوات الصليبية للقدس وما ارتكبوه من جرائم.

ج-المحاولات الاسلامية الاولى لتحرير بيت المقدس

أولاً: موقف العلماء من دخول القوات الصليبية الى القدس .

ثانياً: موقف الفاطميين من الاحتلال الصليبي للقدس .

١ - الحملة الفاطمية الاولى

٢-الحملة الفاطمية الثانية

٣-الحملة الفاطمية الثالثة

ثانياً : المقاومة في طرابلس

الفصل الثالث

بادية التوحد السياسي للجبهة الاسلامية

١-دور مودود بن التونتكين في المقاومة .
ب- حملة مودود الاولى في عام (٥٥٣هـ/ ١١٠٩م) .
ب-حملة مودود الثانية (٥٠٤هـ/١١١٠-١١١١م) .
ج- حملة مودود الثالثة ٥٠٦هـ .
٢-حملة أق سنقر البرسقي على الرها .
٣-حملة برسق بن برسق .
٤-دور أق سنقر البرسقي الجهادي ضد الصليبيين (٥١٨-٥٢٠هـ/ ١١٢٤-١١٢٦م)
٥- جهود عماد الدين زنكي في تكوين الجبهة الاسلامية المتحدة ومقاومة الصليبيين (٥٢١هـ-٥٤١هـ/ ١١٢٧-١١٤٦م)
أ- التحالف الصليبي البيزنطي .
ب- الاستيلاء على الرها .

الفصل الرابع

وحدة بلاد الشام والعراق ومصر والحجاز في المقاومة العربية

١- دور نور الدين في بناء الوحدة الاسلامية ومقاومة الصليبيين .

أ-دور نور الدين في مقاومة الحملة الصليبية الثانية .

ب- ضم دمشق الى الوحدة الاسلامية .

ج- معركة حارم .

د - ضم مصر الى الوحدة الاسلامية .

أولاً : الحملة النورية الاولى على مصر .

ثانياً: الحملة النورية الثانية .

ثالثاً: الحملة النورية الثالثة .

رابعاً : اسقاط الحكم الفاطمي .

٢- دور صلاح الدين في استكمال الوحدة الاسلامية ومحاربة الصليبيين .

أ- معركة حطين .

الخاتمة

المصادر
والمراجع

تمهيد

١- عوامل قيام الحروب الصليبية
أ- العامل الديني :

مع مطلع القرن الخامس الهجري أخذت تنتشر في الغرب اساطير كان فحواها قرب نهاية العالم وما أكد هذه الأفكار لدى العامة ظهور بعض الظواهر الطبيعية مثل ثوران بركان فيروز في ايطاليا وانتشار الامراض التي أودت بحياة الكثير من الناس.[١] وقد عملت البابوية على تاكيد هذه الاعتقادات في نفوس العامة الذين أخذهم الرعب الى الاندفاع والتقرب الى الله بما لديهم من أموال الى الكنيسة[٢] وهذا ما أدى بطبيعة الحال الى زيادة أموال الكنيسة بشكل ملحوظ هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ازدياد مكانتها في قلوب الناس اذ انقضى ذلك اليوم الموعود بدون كارثة فقالوا (ان ذلك بفضل ادعية الرهبان وتضرعاتهم للخالق).[٣]

وقد استطاعت الكنيسة كذلك استغلال هذا الموقف لصالحها اذ قامت بتحويل هذا الجو النفسي والفكري الى غاية خاصة فان (من يموت في سبيل الكنيسة سوف ينال ثوابا من السماء)[٤] ، ومن هنا أخذت توجه الناس الى مسألة تكفير الذنوب التي تتم عن طريق الذهاب الى الاماكن المقدسة [٥].

ومن المعلوم أن سيل الحجاج الاوربيين الى القدس لم ينقطع منذ الازمنة القديمة الى يومنا هذا ولكن هذه المرة تختلف عن غيرها وهو ما اصطلح عليه

---

[١] قاسم عبيدة قاسم : ماهية الحروب الصليبية، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٠، ص ١٧، جوزيف نسيم يوسف: العرب والروم واللاتين في الحروب الصليبية الاولى، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨١، ص ٦٤ .

[٢] أحمد رضا بك : الحيثية الادبية للسياسة الغربية في الشرق، ترجمة محمد ابو رقيبة، ومحمد صادق الزلمي، تقديم محمد العروس المطوي، دار بو سلامة للطباعة – تونس، الطبعة الثانية، ١٩٧٧، ص ٦٨ .

[٣] م. ن، ص ٦٨ .

[٤] قاسم عبد قاسم، ماهية الحروب الصليبية، ص ١٧ .

[٥] ستيفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، نقله الى العربية السيد الباز العريني، دار الثقافة – بيروت – لبنان، الطبعة الاولى، سنة ١٩٦٧، ج١، ص ١٧٢ .

بالحروب المقدسة[1]، اذ اخذت الكنيسة تكشف عن سياستها الخارجية في توجيه حرب صليبية ضد المسلمين . اذ قامت بترويج حملة دعائية واسعة كان فحواها تخليص القبر المقدس من أيدي المسلمين[2] ، على اعتبار أن الحجاج المسيحيين كانوا يواجهون المتاعب والاهوال من قبل الحكام المسلمين ، وعادوا (الحجاج الذين نجحوا في التغلب على كل هذه المتاعب الى الغرب وقد استبد بهم التعب وازداد عوزهم وفقرهم ، وادخروا قصة مروعة ليرووها في بلادهم[3]) وهذا ما حاول تأكيده المؤرخون الاوربيون . فمن الواضح لدينا ان هذا الادعاء غير صائب ولا يمكن الاتفات اليه بدليل أن المسيحيين قد عاشوا في كنف الدولة العربية الاسلامية عيشة عز واحترام طبقا لتعاليم القرآن الكريم اذ قال ((**فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**))[4] . والشواهد التاريخية التي تدل على حسن المعاملة هذه كثيرة منها تحرير القدس الشريف على

---

[1] ارنست باركر، الحروب الصليبية، نقله الى العربية السيد الباز العريني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٢٤ .

[2] رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص ١٦١، عاشور : سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية صفحة مشرفة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى، مكتبة الانجلو – مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٧٥، ج١، ص٣١.

[3] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص ١٢١، باركر: الحروب الصليبية، ص١٣-١٤، مؤرخ مجهول : اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة حسن حبشي دار الفكر العربي – مصر، القاهرة، ١٩٨٥، ص ١٣، ر.س .سميل: الحروب الصليبية : ترجمة سامي دهان، المؤسسة الدينية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الاولى، ١٩٨٢، ص ١٠٠ فوشية الشارتري : تاريخ الحملة الى القدس، ترجمة د. زياد العسلي، دار المشرق للنشر والتوزيع ، عمان، الاردن، الطبعة الاولى، ١٩٩٠، ص ٣١ .

[4] سورة ال عمران : آية ٢٠ .

يد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكيفية تعامله معهم[١] وتحريره على يد صلاح الدين الايوبي سنة ٥٨٣هجرية وما حظي به المسيحيون من حسن المعاملة[٢].

نحن نسوق هذه الادلة مقارنة مع مافعله الصليبيون عند غزو بيت المقدس سنة ٤٩٢ هجرية ، وما ارتكبوه من نهب وقتل فلم يسلم من سيوفهم حتى ابناء جنسهم ، وهذا ما سنبينه لاحقا .

وعلى أي حال فان الكنيسة استخدمت كل وسائل الاغراء مثل اعفاء المشاركين في الحملة المسلحة الى الشرق من جميع الضرائب والتبعات لمدنه الحديثة [٣] وكذلك حماية اقطاعاتهم مع موافقتها على منحهم الاراضي التي يستولون عليها في المشرق [٤].

وعلى هذا الاساس وجد الصليبيون في هذه الامتيازات البغية المطلوبة والمنقذ الوحيد من حياة الفقر والبؤس التي كانوا يعانون منها ، أما من الناحية الدينية فان

---

[١] البلاذري : ابو الحسن أحمد بن يحيى (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م) فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الطباع : مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٨٧، ص ١٤٤، الطبري : ابو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٦٢، ص ٦٠٨-٦٠٩ .

[٢] العماد الاصفهاني : محمد بن محمد بن حامد الكاتب (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م) الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمد محمود صبيح، الدار القومية للطباعة والنشر . القاهرة ١٩٦٥، ص ٤٣، ابن شداد ابو المحاسن بهاء الدين يوسف بن رافع الاسدي (ت٦٣٢هـ/١٢٣٤م) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق : جمال الدين الشبال، الدار المصرية للتأليف والترجمة، الطبعة الاولى ، ١٩٦٤، ص ٨٢ . المقريزي : تقي الدين أحمد بن أحمد بن علي (٨٤٥هـ/١٤٤٦م) المواعض والاعتبار بذكر الخطط والاثار (الخطط المقريزية) ، مكتبة الثقافة العربية، القاهرة، د. ط، د. ت ، ج٢، ص ٦١ .

[٣] المطوي : محمد العروسي : الحروب الصليبية في الشرق والغرب، دار الكتب الشرقية – تونس، الطبعة الاولى، ١٩٥٤، ص ١٧ .

[٤] جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين في الحروب الصليبية، ص ٧٢ .

البابا أصدر قانونا وعد المشاركين في هذه الحروب بغفران الذنوب[١] ، الذي تبلور بشكله النهائي ببذل صكوك الغفران[٢]. [٣]

ب- العامل الاجتماعي والسياسي

من المعروف لدينا أن الظروف الاجتماعية لها دور كبير في تغيير مسار تاريخ العديد من الشعوب ، اذ تكون مهيئة لاعتناق فكرة او تلبية دعوة . وهذا ما نلمسه فعلا في المجتمع الاوربي لاسيما في العصور الوسطى ، فقد كان هذا المجتمع مؤلفا من ثلاث طبقات رئيسة هي : طبقة رجال الدين – من الكنيسيين والديريين– ، وطبقة النبلاء –من المحاربين والفرسان– ، وطبقة الفلاحين – من الاقنان ورقيق الارض . اذ لم تكن هذه الطبقات متساوية في حقوقها وامتيازاتها ولا في الواجبات المفروضة عليها ، بل كان هناك تفاوت كبير فيما بينها بحيث كانت الطبقة الثالثة أكثر معاناة من غيرها ، وذلك لما يقع على عاتقها من العمل الشاق ، بغية سد حاجات الطبقتين الاوليتين .[٤]

فعند تسليط الضوء على طبيعة حياة هذه الطبقة الكادحة يفسر لنا بشكل كبير سبب دخول هذه للطبقة وباعداد كبيرة في الحروب الصليبية. فقد كانت حياتها شبه معدومة نتيجة للقلق والخوف والفقر والممارسات اللاانسانية من قبل الاقطاعيين ، مما أدى الى انتشار ظاهرة هروب الفلاحين من مزارعهم ولاسيما في القرن الحادي

---

(١) رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص ١٦٣ .

(٢) العريني : السيد الباز، الشرق الاوسط والحروب الصليبية، مطبعة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٣، ج١، ص ١٥٧.

(٣) هذا هو أحد الاغطية التي وضعها الاوربيون لغزوهم للشرق على أن محركها الاساس هو العامل الديني.

(٤) فليد مارشال مونتجمري : الحرب عبر التاريخ ، تعريب فتحي عبد الله النمر، القاهرة، ج٣، ص ٢٤٨، انتوني وست : الحروب الصليبية – ترجمة شكري محمد نديم ، شركة البنراس وفرانكلين، بغداد – ١٩٦٧، ص ٢٣، ابراهيم شوقي : تاريخ القرون الوسطى في الشرق والغرب، نشر المعهد التربوي الوطني – الجزائر، ١٩٦٨، ص ٢٤٢. سعيد عبد الفتاح عاشور : حضارة ونظم اوربا في العصور الوسطى، دار النهضة – بيروت ١٩٧٦، ص ٤٠١ .

عشر [١]، أما مساكنهم فلا تتعدى جذوع النخل واغصان الاشجار متقين بها حرارة الشمس وبرد الشتار ، مستعينين ببعض الأواني الفخارية وصندوق صغير تلبية لسد حاجاتهم [٢]، ناهيك عن الجهل والتخلف الذي كان منتشرا وبشكل كبير بين أفراد هذه الطبقة [٣] هذا اذا ما علمنا بأن الاقنان والعبيد كانوا يشكلون الغالبية العظمى من اصحابها [٤] ، الذين ارتبطوا بالارض ارتباطا وثيقا بحيث انهم يباعون ويشترون معها استنادا الى قانون الارض الذي كان سائدا في العصور الوسطى[٥] فكان هؤلاء الاقنان مسلوبي الحرية الشخصية ، حتى أن جميع ممتلكاتهم كانت ملكا لسيدهم الاقطاعي[٦] بالمقارنة مع مايؤدونه من أعمال شاقة ، من حفر الخنادق وبناء الحصون وانشاء الطرقات والجسور وصيانة السدود والقنوات ورعاية الاغنام ، وجز الاصواف وزراعة ارض الاقطاعي الخاصة به ، ليس هذا فحسب بل (حتى نساء الفلاحين كن يشتغلن وكن اقنانا فقد كانت النساء المستعبدات مجبرات على حياكة قطع من القماش أو عمل رداء)[٧] . أضف الى ذلك ما تقدمه هذه الطبقة من

---

[١] زابوروف : الصليبيون في الشرق، ترجمة : الياس شاهين ، منشورات دار التقدم ، موسكو – ١٩٨٦، ص ١٦ .

[٢] عاشور: تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٢، ص ٢٨.

[٣] ل– ج – شيني : تاريخ العالم العربي، ترجمة : مجد الدين حقي ناصف، دار النهضة المصرية، القاهرة – (د.ط) ، (د . ت)، ص ١٦٢ .

[٤] ايلن بور : نماذج بشرية من العصور الوسطى : ترجمة محمد توفيق حسين، منشورات دار الثقافة – بيروت، ١٩٥٧، ص ٢٠ . العريني : السيد الباز، الحضارة والنظم الاوربية في العصور الوسطى، دار النهضة العربية – بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٦٨، ق١، ص ٦٤.

[٥] كوبلاند ح – و– : الاقطاع والعصور الوسطى بغرب أوربا، ترجمة محمد مصطفى زياده، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٥٨، ص ٣٩ : قاسم عبد قاسم ، ماهية الحروب الصليبية، ص ٦٥، العريني : الحضارة والنظم الاوربية في العصور الوسطى، ق١، ص ٦٦.

[٦] العدوي : ابراهيم احمد، المجتمع الاوربي في العصور الوسطى، دار المعرفة القاهرة، (د.ط) (د.ت) ، ص ١١٧ . عاشور : العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ص ٢٨ .

[٧] ايلن بور : نماذج بشرية من العصور الوسطى، ص ٢٢ .

ضرائب مثل ضريبة الرأس المفروضة على القن سنويا تعبيرا عن عبوديته[١] فضلا عن الضريبة المفروضة على ما تخرجه الارض من زرع وعلى ما في حوزتهم من المواشي المعروفة بضريبة العشر التي كانت شائعة في أغلب البلدان المسيحية [٢] ونتيجة لهذه الظروف العصيبة التي مرت بها هذه الطبقة فقد أخذوا يرحبون بفكرة تعدهم بالخلاص من هذا الواقع الأليم أو تحسينه ، ومن جهة أخرى سيطر عليهم شعور مفاده أن كل ما يلاقونه من عذاب انما هو بسبب المعاصي والذنوب التي ارتكبوها فلا (يمكن التخلص من العذاب الدائم الا بطلب الرحمة من الرب عن طريق اجتراء مآثر بطولية بالمعنى الديني ، للتكفير عن الذنوب لأجل غفران الخطايا من نوع الاستشهاد باسم الايمان)[٣] وهنا يمكننا القول بأن هذا الشعور هو من ترويج الكنيسة وحملتها الدعائية من أجل حمل الناس على مساندتها فيما تصبو اليه من حرب صليبية ضد الاسلام ، ودليل ذلك اشتراك الاعداد الغفيرة من افراد هذه الطبقة المعدومة ، اضف الى ذلك كله ما وصفته الكنيسة من خيرات تلك البلاد المقدسة ، فقد صوروها بأنها البلاد التي تنضح لبناً وعسلا[٤] وعلى هذا الاساس نستطيع أن نقرر أن سبب دخول هذه الطبقة وبأعداد كبيرة في الحروب الصليبية انما كان نتيجة لما كانوا يلاقونه من ضغوط اجتماعية واقتصادية فلو تيسر لهم العيش بحرية في بلادهم لما غامروا بأرواحهم الى مصير مجهول.

أما طبقة النبلاء – فلا يمكن اغفال دوافعها ، فانها لم تكن اقل طمعا من غيرها. وذلك سبب ما تمخض عن النظام الاقطاعي من قوانين ارثية ، تفضي بأن

---

(١) كوبلاند : الاقطاع والعصور الوسطى، ص ٣٩ .

(٢) كوبلاند : الاقطاع والعصور الوسطى، ص ٤٩ . عاشور : الحركة الصليبية، ج١، ص ٣٨ .

(٣) زابوروف : الصليبيون في الشرق، ص ١٧ . رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص ١٦١ . باركر : الحروب الصليبية، ص ١٦ . العريني : الشرق الاوسط والحروب الصليبية ج١، ص ١٥٣-١٥٤ . جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين في الحروب الصليبية، ص ٧١ . الحميدة : سالم محمد : الحروب الصليبية (عهد الانقسامات الداخلية) ، دار الشؤون الثقافية – بغداد – الطبقة الاولى – ١٩٩٠، ج١، ص ٤١ .

(٤) انطوني وست : الحروب الصليبية، ص ٣٨ .

يرث الابن الاكبر الاقطاع عن ابيه ، في حين يبقى بقية الابناء بدون ارض[1] وهذا بطبيعته يؤدي بهم الى ايجاد سبل كفيلة من بينها قيامهم بعمليات السلب والنهب والحروب مع ابناء جنسهم لذلك ارتأت الكنيسة خير وسيلة للتخلص من هذه الحروب بايجاد حروب يوجه نطاقها خارج اوربا ، اذ يتضح ذلك جليا من خلال الخطاب الذي ألقاه البابا في مجمع كلرمونت قائلا : (من الصعب عليكم أن تعيلوا السكان في هذه البلاد وهذا ما يدفعكم لشن الحروب الكثيرة على بعضكم) [2] وقال ايضا ان (هذه الارض التي تعيشون عليها محاطة بالبحر من كل جانب تحوطها سلاسل الجبال وتضيق باعدادكم الكبيرة ، وهي لا تفيض بالثروات الكبيرة ، انما تكاد تعجز عن توفير الطعام لمن يقوم بزراعتها ، وهذا هو السبب في انكم تشنون الحروب ضد بعضكم البعض وتقتلون بعضكم بعضا)[3] أما عن ملوك اوربا فان دخولهم في الحرب كان اضطراراً وذلك بسبب ما لاقوه من ضغوط من جانب امراء الاقطاع والكنيسة ، فمن جانب امراء الاقطاع فان هذا النظام كان هو السائد في اوربا كما هو معروف ، بحيث أن ملوك اوربا كانوا معتمدين في قوتهم وبشكل كبير على هذا النظام ، فكان افراد هذا النظام في الغالب يقفون أمام رغبات الملوك ، الامر الذي ادى الى حدوث صراع سياسي بين الملوك ورجال الاقطاع.[4]

أما من جانب الكنيسة – فان هذا يتضح جليا من خلال المراسلات التي كانت تقوم بها الكنيسة الى ملوك اوربا لحثهم في الخروج على رأس جيوشهم الى الشرق لمحاربة المسلمين [5] وقد استخدمت الكنيسة سطوتها ونفوذها

---

[1] رنسيمان : المدينة البيزنطية، ترجمة : صالح أحمد العلي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٦، ص ١٩٦ المدينة البيزنطية، ص ١٩٦ . عبد القادر احمد اليوسف : العصور الوسطى الاوربية، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ١٩٦٧م، ص ١٢٧ .

[2] رنسيمان : المدينة البيزنطية، ص ١٩٣ .

[3] قاسم عبد قاسم : ماهية الحروب الصليبية، ص ٧٥.

[4] سالم محمد الحميده : الحروب الصليبية، ج١، ص ٤٥ .

[5] عاشور : العلاقات بين الشرق والغرب، ص ٣٠ . سالم حمد لحميدة، الحروب الصليبية، ج١، ص ٤٥ .

السياسي في اجبار الملوك على الاشتراك في هذه الحروب، يتضح ذلك من خلال اصدار قرار الحرمان بحق كل من لم يخرج ، وخير مثال على ذلك الامبراطور فردريك[١]. [٢]ومن خلال ما تقدم يمكننا القول أن الحروب الصليبية كانت العلاج الوحيد لجميع الطبقات في المجتمع الاوربي ، ذلك لما تعانيه من اضطرابات سواء كان ذلك على الصعيد السياسي ام الاجتماعي ام الاقتصادي ، فكل طبقة وجدت ضالتها في تلك الحروب .

ج- العامل الاقتصادي :

يعد العامل الاقتصادي من بين أهم العوامل التي دفعت الاروبيين الى القيام بهذه الحروب ضد المسلمين استناداً الى ما اتصفت به حياة المجتمع الاروبي في العصور الوسطى من ضنك العيش والبؤس والفقر ، اذ يذكر رنسيمان واصفا حالهم (فالحياة هنا اصبحت تعسه ، كثيرة الشرور ، بعد أن افنى الناس أنفسهم في تدمير أجسادهم وارواحهم واستبد بهم هنا الفقر والبؤس. .)[٣] ، وكان أكثر ما تكون هذه الحالة في فرنسا التي كانت تعاني من ازمة اقتصادية حادة اجتاحت البلاد بأسرها ، من غلاء في الاسعار وشحة في الخبر [٤] وعلى هذا الاساس نستطيع القول بأن سبب دخول الفرنسيين وبأعداد كبيرة في الحملة الاولى انما كانت بسب ما تعانيه البلاد من تخلف اقتصادي كبير. أضف الى ذلك ما كانت تعانيه اوربا من

---

(١) الامبراطور فردريك : وهو فردريك الثاني امبراطور المانيا وقائد الحملة الصليبية الخامسة على بلاد الشام . أرنست باركر : الحروب الصليبية، ص ١٤٢-١٤٣.

(٢) انطوني وست : الحروب الصليبية، ص ٢٤ . خاشع المعاضيدي، وآخرون، تاريخ الوطن العربي والحروب الصليبية، دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٨١، ص ٢٤.

(٣) رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١، ض ١٦١ . عاشور : الحركة الصليبية، ج١، ص ٣٥ . قاسم عبده قاسم : ما هية الحروب، ص ٦٢ .

(٤) عاشور : الحركة الصليبية، ج١، ص ٣٥ . د. نعيم فروخ : الحضارة الاوربية في العصور الوسطى، منشورات جامعة دمشق، ١٩٩٤، ص ٨٤ . حسن حبشي : الحرب الصليبية الاولى، دار الفكر العربي – القاهرة – الطبعة الاولى، ١٩٧٤، ص٣١ . ارنست باركر : الحروب الصليبية، ص ٢٥ .

صراعات داخلية نتيجة لتردي الاوضاع الاقتصادية التي دفعت كثيرين الى القيام بأعمال اللصوصية وقطع الطريق [١] فضلا عن الصراعات التي كانت قائمة بين كبار الاقطاعيين من أجل توسيع اقطاعاتهم [٢]وما يترتب على هذه الاعمال من التبعات الاقتصادية مثل تدمير الحقول وافساد المحاصيل الامر الذي يؤدي الى ارتفاع الاسعار وشحة الاقوات . ومن جهة أخرى فان الكنيسة اثبتت فشلها في ايقاف هذه الحروب المدمرة ، لذلك رأت الكنيسة أن الحل الوحيد في التخلص من هذه الحروب ايجاد حرب يكون نطاقها خارج اوربا . وقد استخدمت الكنيسة لانجاز هذا المشروع الترغيب والترهيب ، اذ وعدت الناس بالنعيم والسعادة وكثرة ثروات الشرق ، كما أنهم سيحظون بالرعاية الالهية وغفران الذنوب والخطايا[٣]، ومن جهة أخرى اصدرت قرار الحرمان لكل من يعارض هذا المشروع او من لم يشارك به من الملوك والامراء[٤] . كما يجب علينا عدم اغفال دور الطامعين من المغامرين والامراء ، الذين حرصوا على اقامة اقطاعاتهم في الشرق[٥] من اولئك الذين حرموا من ارث الاباء طبقا لما يقتضيه النظام الاقطاعي في العصور الوسطى[٦] ، فلو سلطنا الضوء على خط سير الحملة الصليبية لاتضح ذلك جليا من خلال ما اقترفوه من عمليات السلب والنهب المعارضة لكل القيم الدينية والاخلاقية . اضف الى ذلك ما حصل من منازعات بين القادة الصليبيين انفسهم بعد وصولهم الى بلاد الشام حول تكوين المستعمرات واستغلال مواردها للحصول على أكبر قدر ممكن من ثرواتها . ومما يؤكد الدافع الاقتصادي ايضا ماقامت به المدن التجارية في اوربا

---

(١) رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص ١٦١ . قاسم عبد قاسم : ماهية الحروب الصليبية، ص ٧٣ .

(٢) قاسم عبد قاسم : ماهية الحروب الصليبية، ص ٧٣ . عبد القادر اليوسف : العصور الوسطى الاوربية، ص ١٣٨.

(٣) رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص ١٦١ . ارنست باركر : الحروب الصليبية، ص ١٦ . انطوني وست : الحروب الصليبية، ص ٣٨ .

(٤) انطوني وست : الحروب الصليبية، ص٣٨.

(٥) ارنست باركر : الحروب الصليبية، ص ٢١ . ر. سي .سميل : الحروب الصليبية، ص ٢٦ .

(٦) عبد القادر يوسف : العصور الوسطى الاوربية، ص ١٢٧ .

امثال جنوه والبندقية وبيزا من دور كبير في مساعدة الصليبيين ، ذلك بتقديم كل مستلزمات النقل والتموين للصليبيين [١] وذلك بغية الحصول على منتجات الشرق باسعار زهيدة[٢] ، وايجاد طرق جديدة تجعلها اكثر اتصالا بالشرق[٣] .

ومن خلال ما تقدم يمكننا القول بأن هذه المدن لم تكن مخلصة في مساعيها بل كانت مصلحتها التجارية فوق أي امر آخر ، حتى لو كان على حساب الصليب نفسه . بدليل ما قامت به البندقية في تحويل الحملة الصليبية التي كان من المقرر لها أن تتجه نحو مصر ، اذ لم تتورع ان وجهتها نحو القسطنطينية البلد المسيحي الآمن .[٤] ونحن نرى أن هذا العامل هو العامل المتغلب على بقية العوامل الاخرى لأهميته ولانطباقه على الأقوال والافعال التي رافقت الغزو الاوربي للمشرق الاسلامي.

---

[١] عاشور : العصور الوسطى، ص ٣٣٢ – ٣٣٣ . حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، القاهرة، ط١، ١٩٦٧،، ج٤، ص ٢٤٢، قاسم عبدة قاسم: ما هية الحروب الصليبية، ص ٧٧ .

[٢] ارنست باركر : الحروب الصليبية، ص ٢١ . عاشور : الحركة الصليبية، جص، ص ٣٥ . العريني : الشرق الاوسط والحروب الصليبية، ج١، ص ١٤٠ –١٤١ .

[٣] ارنست باركر : الحروب الصليبية، ص ١٢٦ . عاشور : تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص ٩٣٣ .

[٤] ارنست باركر: الحروب الصليبية، ص ١٢٦ . عاشور : تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص ٩٣٣ .

٢- أوضاع العالم الاسلامي عشية الحروب الصليبية :

اضحى العالم الاسلامي في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي موزعا في ولائه السياسي بين محورين : الخلافة العباسية والدولة الفاطمية ، بحيث كان النزاع والخصام السمة البارزة في تحديد طبيعة العلاقة بينهما ، فضلا عن سوء احوالهما الداخلية المرتبكة بالقدر الذي جعل بلاد الشام المجال الحيوي الذي تنازعت هاتان القوتان السيادة عليه ، موزعا بين عدة امارات صغيرة،فكانت كل مدينة كبيرة في بلاد الشام ، امارة مستقلة تحت حكم عربي أو من الاتراك السلاجقة [١].

أ- الخلافة العباسية :

وقعت الخلافة العباسية تحت نير التسلط الاجنبي ردحاً من الزمن ، الامر الذي أدى الى انتشار الفوضى والاضطرابات ، فكانت النتيجة المترتبة على ذلك انفصال الولايات عن مركز الخلافة . ويتضح ذلك جليا في عهد التسلط البويهي (٣٣٤-٤٤٧هـ) [٢] اذ عامل البويهيون الخلفاء معاملة سيئة للغاية ، فضلا عن استحواذهم على كل مقدرات الخلاقة ، فلم يكن وجود الخليفة العباسي الا اسما، بحيث انهم كانوا يعزلون ويولون من شاءوا [٣] فباتت الخلافة تعيش حالة من الضعف والتدهور حتى وصلت الحال بالخليفة العباسي المطيع لله (٣٣٤هـ-٣٦٣م) أن عمد الى بيع اثاث بيته ورخامه من أجل سد النفقات المطالب بها من قبل

---

[١] قاسم عبد قاسم : ماهية الحروب الصليبية، ص ٩٤ .

[٢] البويهيون : سمو بهذا الاسم نسبة الى جدهم بويه بن فنا خسروه، سكنوا بلاد فارس، وكان اشهرهم احمد وعلي والحسن ابناء بويه ، الذين تمكنوا من تأسيس دولة لهم، ودخلوا العراق سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م . الاصطخري : ابراهيم بن محمد (عاش في القرن الرابع الهجري) مسالك الممالك، تحقيق : محمد صابر، مطبعة ح – ع – م، ١٩٦١، ص ٢١ . مسكويه : أحمد بن محمد (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م) تجارب الامم،، باعتناء هـ- ف، امدروز، مطبعة شركة التمدن الصناعية، د – ط، ١٩١٤، ج١، ص ٢٧٧ .

[٣] مسكويه : تجارب الامم، ج٢، ٢٦ . ابن العبري: غريغوريوس بن هارون (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م) تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثولوكية، بيروت، ١٨٩٠م، ص ٢٩ .

الامير البويهي بختيار بن معز الدولة [١] كما وقد ازدادت الاوضاع سوءاً بعد أن حصلت النزاعات بين الامراء البويهيين أنفسهم والتي ادت بدورها الى استنفاذ كثير من موارد الخلافة من جهة واضعافهم من جهة اخرى [٢] مما أدى بدوره الى زيادة نفوذ الجند الاتراك ، الذين كانوا يشكلون جزءا مهما من الجيش البويهي ، حتى اصبحوا يتدخلون في تولية وعزل الامراء البويهيين[٣] ومن بين ابرز الشخصيات التركية التي ادت دورا بارزاً في هذا المجال ابو الحارث البساسري[٤] الذي تمكن من الاستيلاء على الانبار وطرد العقيليين منها في سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م[٥] . وقد ازداد نفوذ البساسري واستبد بالسلطة حتى اصبح الخليفة القائم بأمر الله لايقطع بقولٍ او فعلٍ دون ارادته او علمه ، فضلا عن مشاركته للخليفة في مراسيمه الدينية [٦] ، ليس هذا فحسب بل أخذ به الامر الى مكاتبة الفاطميين وعزمه على نهب دار الخلافة والقبض على الخليفة [٧] ونتيجة لهذه الظروف السيئة التي تمر بها الخلافة

---

[١] مسكويه : تجارب الامم، ج٢، ص ٣٠٨.

[٢] الخالدي : فاضل عبد الطيف : الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق خلال القرن الخامس الهجري، مطبعة الامام الاعظم ، بغداد، الطبعة الاولى، ١٩٦٩، ص ٣٧ .

[٣] ابن الاثير : علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) الكامل في التاريخ ، مطبعة دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان ، الطبعة الرابعة، ١٩٦٧ م، ج٨، ص ٥٣ .

[٤] البساسري : هو أبو الحارث أرسلان بن عبد الله التركي أحد مماليك بهاء الدولة البويهي كان مقدم الاتراك إلا أنه استأثر بالسلطة وانحاز الى الفاطميين . ابن خلكان : ابو العباس شهاب الدين (٦٨١هـ) وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان، تحقيق : احسان عباس، دار صادر، بيروت، ج١، ص٧٦.

[٥] ابن الاثير :الكامل في التاريخ، ج٨، ص ٥٣ . ابن العبري : تاريخ مختصر الدول، ص ٣٢١ .

[٦] الخطيب البغدادي : احمد بن علي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) تاريخ بغداد مدينة السلام، دار الكتاب العربي – بيروت (لا –مط)، ج٩، ص ٤٠٠ . ابن العميد : جرجس ابق الياسر (ت ٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م) تاريخ المسلمين ، ليدن ، ١٦٢٥ م، ص ٢٧١ . النويري : أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م) نهاية الارب في فنون الادب، تحقيق: محمد فوزي ومحمد طه ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥، ج٢٦، ص ٢٨٨ .

[٧] الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد، ج٩، ص ٤٠٠ . ابن الجوزي : عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) المنتظم في تاريخ الملوك والامم، حيدر اباد الدكن، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الاولى، ١٣٥٩هـ، ج٨، ص ١٦٣ .

العباسية ، اضطر الخليفة القائم بأمر الله الى استدعاء السلاجقة ، بقيادة طغرلبك ، يتضح ذلك من خلال الرسالة التي ارسلت اليهم [١] وفي حدود سنة ٤٤٧هـ دخل طغرلبك بغداد ، استجابة لطلب الخليفة وخطب لـه على منابرها الى جانب اسم الخليفة ولقب بالسلطان ركن الدولة ويمين أمير المؤمنين[٢] وبدخول السلاجقة بغداد اخذ نفوذهم يزداد ، اذ استأثروا بالسلطة من دون الخلفاء بحيث اصبح السلطان السلجوقي هو صاحب الحل والعقد، مفوضة الامور اليه برأيه وتدبيره [٣] كما أنهم شاركوا الخلفاء بالمراسيم الدينية والسياسية ، اذ خطب لهم على المنابر كما فعل بنو بويه من قبل ونقشت اسماؤهم والقابهم على السكة الى جنب اسماء الخلفاء [٤] ، ومع هذا كله فان السلاجقة لم يتدخلوا في سلطة الخلفاء الدينية وظلوا يبدون لهم شيئا من الاحترام[٥] وخاصة في الفترة التي حكم فيها الب ارسلان[٦] (٤٥٥-٤٦٥هـ) اذ حرص هذا السلطان بأن تكون علاقته مع الخليفة علاقة ودٍّ واحترام ، فكان مطيعا لرغبات الخليفة ، يتبين ذلك من خلال الرسالة التي نفذت اليه من

---

[١] ابن العديم : عمر بن أحمد (ت ٦٦٠هـ/١٢٦٢م) بغية الطلب في تاريخ حلب، نشره علي سويم / انقرة – ١٩٧٦، ص ١ . ابن طباطبا : محمد بن علي بن الطقطقى (ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م) الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦، ص ٣٩٤ .

[٢] ابن الجوزي : المنتظم ، ج٨، ص ١٦٤ . البنداري : الفتح بن علي الاصفهاني (ت٦٤٣هـ / ١٢٤٥م) دولة ال سلجوق، شركة طبع الكتب العربية، مصر، ١٩٠٠، ص ١٠ . ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م) العبر وديوان المبتدي والخبر في ايام العرب والعجم والبربر من عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، دار الكتاب اللبناني – بيروت، (لا، ت) ج٣، ص ٤٥٩.

[٣] ابن الجوزي : المنتظم ، ج٨، ص ١٨١ . ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠، ص ٣ .

[٤] ابن الجوزي : المنتظم ، ج٨، ص ٢٣٤ . ابن الاثير . الكامل في التاريخ ، ج٩، ص ٢٥٤ الراوندي : محمد بن علي بن سليمان (٥٩٩هـ/١٠١٩م) . راحة الصدور واية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، ترجمة : ابراهيم أمين الشواربي وآخرون، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٠، ص ١٦٩.

[٥] بارتولد : تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة أحمد سعيد سليمان، مراجعة ابراهيم صيري، مكتبة الانجلو المصرية – القاهرة، ١٩٥٨م، ص ١٠٨.

[٦] ألب ارسلان : هو ابو شجاع بن حضري بن داود بن ميكايل بن سلجوق، ثاني ملوك بني سلجوق، توفي سنة (٤٦٥هـ/١٠٧٢م) . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، ج٥، ص ٩٢ .

الامبراطور البيزنطي راجيا توسطه في عقد الصلح مع السلطان الب ارسلان ، وقد تم ذلك بعد توسط الخليفة [١] وعلى الرغم من مظاهر الحب والاحترام المتبادل بين السلطان والخليفة الا ان ذلك لم يدم طويلا ، اذ حاول السلطان الب ارسلان سنة ٤٦٤هـ ان يتدخل في تعيين أحد وزراء الخليفة[٢] ، مما ادى بدوره الى تدهور العلاقة بينهما ، فقد عُد الخليفة هذا الفعل تدخلاً في شؤون الخلافة فرفض استقبال الوزير[٣] وعلى أي حال فان السلطان الب ارسلان وافاه الاجل في سنة ٤٦٥هـ ، فخلفه في حكم البلاد ابنه ملكشاه [٤] الذي يعد عهده عهد قوة وازدهار اذ اتسع سلطان السلاجقة ليشمل البلاد المحصورة بين كشفر شرقا الى انطاكيه غربا ومن بحر خوارزم شمالا الى حدود اليمن جنوبا ، فشملت بذلك ايران وبلاد ما وراء النهر واسيا الصغرى والفرات وبلاد الشام بحيث اصبحت هذه الدولة مصدر رعب يهدد العالم المسيحي ويخيفه[٥] ، ولكن هذه السعة والنفوذ لم تدم طويلا ، اذ أصاب هذه الدولة التصدع والانقسام على اثر وفاة ملكشاه سنة ٤٨٥هـ ، فاحتدم الصراع بين ابنائه حول السلطة ، ويقول ابن خلدون واصفا حالهم (وكان بركياروق بالري والخطبة له بها وبالجبل وطبرستان وخورستان وفارس وديار بكر والجزيرة والحرمين ، وكان السلطان محمد بأذربيجان والخطبة له بها وببلاد الران وارمينية واصبهان والعراق جميعه إلا تكريت ، واما البطائح فبعضها لهذا وبعضها

---

[١] ابن الجوزي : المنتظم، ج٨، ص ٢٦٠ – ٢٦٣.

[٢] وهو ابو العلاء محمد بن الحسين، خلع عليه ولقبه بوزير الوزراء، وارسله الى بغداد وزيرا للخليفة، بدلا من الوزير فخر الدولة . البنداري : الفتح بن علي بن محمد الاصفهاني (ت٦٤٢هـ/١٢٤٥م)، تاريخ دولة ال سلجوق، مطبعة الموسوعات، مصر، ١٩٠٠م، ص ٤٤ .

[٣] البنداري : دولة ال سلجوق، ص ٤٣ .

[٤] الراوندي : راحة الصدور، ص ١٩١ . البنداري : دولة ال سلجوق، ص ٤٤ .

[٥] الذهبي : ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان (٧٤٨هـ/١٣٤٨م) دول الاسلام، تحقيق فيهم محمد شلتوت و محمد مصطفى ابراهيم، الهيئة المصرية ١٩٧٤، ج٢، ص ١٠-١١ . حيدر آباد، الدكن ، ١٣٣٧هـ، ج١، ص ١٠ . كمال الدين حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضارة، الكويت، ١٩٧٥م، ص ٤٠ . الجنابي : طلب صبار محل : امارة انطاكيه دراسة في علاقتها السياسية بالقوى الاسلامية (٤٩١ –٦٦٦هـ / ١٠٩٨ –١٢٦٨م) رسالة دكتوراه ، كلية التربية – جامعة بغداد، ١٩٩٦، ص ٨٣

لهذا . . . وأما خراسان من جرجان الى ما وراء النهر ، فكان يخطب فيها لسنجر بعد اخيه السلطان محمد).[1] من الطبيعي أن تؤدي هذه الحرب والنزاعات بين افراد البيت السلجوقي الى خسائر جسيمة في الارواح والممتلكات ، فضلا عن ما يصيبها من ضعف وانقسام .

ومن خلال ما تقدم يمكننا القول أن السلاجقة الذين فرضوا حمايتهم على الخلافة العباسية اسهموا بشكل كبير في اضعافها ، الامر الذي حجب كثيرا من قدراتها وما تمثله من سلطة روحية ودينية بالنسبة لجميع المسلمين .

ب- اوضاع الدولة الفاطمية :

لم تكن الدولة الفاطمية بأفضل حال من سابقتها (الخلافة العباسية) وذلك بسبب ما كانت تعانيه من ظروف سياسية واقتصادية ادت الى ارباك الوضع الداخلي في مصر عشية الغزو الصليبي ، فقد عاشت ظروفا سياسية عصيبة ، نتيجة تدخل الشخصيات المتنفذة في القصر الفاطمي ، لا سيما بعد وفاة الظاهر الذي ترك ابنه المستنصر وريثا للعرش وهو لا يزال صغيرا ، غير قادر على تدبير شؤون البلاد ، فاصبحت مقاليد الحكم بيد أمه [2] التي لم تكن على معرفة بأمور السياسة وضروبها ، اذ ظهر في عصرها التمييز العنصري بين الجنود الاتراك والجنود العبيد ، وذلك سبب تقريبها للوزير ابي سعيد التستري أكثر من غيره ، الامر الذي أثار نقمة الوزير صدقة بن يوسف الغلامي ، فعمل على قتل التستري عن طريق اثارة الجنود الاتراك ضده[3] فغضبت لذلك وبدأت بتقريب الجنود العبيد اليها

---

[1] ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (٨٠٨هـ/١٤٠٦م) تاريخ ابن خلدون، مؤسسة الاعلمي، بيروت – لبنان، ١٩٧١، ج٥، ص ١٤٧ .

[2] ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج٨، ص ١١٥.

[3] ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج٨، ص ١١٥ . المقريزي : اتعاظ الحنفاء بذكر الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق : جمال الدين الشيال، مؤسسة دار البحرين للنشر، القاهرة (د. ط) ، ١٩٦٧، ج٢، ص ١٩٥ . علما أن أم المستنصر كانت جارية عند الوزير ابو سعيد قبل أن يتزوجها الظاهر، فقدمها ابو سعيد هدية للظاهر، ولذلك اصبح ابو سعيد من المقربين الى امر المستنصر، وعندما حصل النزاع بين التستري وصدقة، تخوف الاخير من أم المستنصر، فلجأ الى تقريب الجنود الاتراك واصطناعهم . ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج٨، ص ١١٥ .

وتحريضهم على الجنود الاتراك [١] مما نتج عنه حصول المنازعات الكثيرة بين الطرفين[٢] ، أدت بطبيعتها الى اضعاف الجيش الفاطمي من جهة واستنزاف موارد البلاد من جهة أخرى . وهناك من المؤرخين من يعتبر ان المستنصر الفاطمي كان سبباً بحدوث هذه الفتن ، اذ جرى اول تصادم بين العنصرين في احدى النزهات التي كان خارجا بها المستنصر الفاطمي ، حيث قتل أحد الجنود الاتراك بعد أن شهر سيفه على جماعة من العبيد ، مما دفع بالاتراك الى مهاجمة العبيد[٣] .

ويورد المقريزي رواية غريبة بهذا الخصوص اذ يقول : (انه كان يخرج كل عام بنزهة مشابهة في غير موسم الحج على سبيل الهزل والضحك ، ويلبس لباس الحجاج وكأنه يريد الحج ، ويحمل معه الخمور عوضا عن الماء والطبول والالات الطرب والمغنين والراقصين ، وفي احدى هذه الجولات كانت الشرارة التي اشعلت هذه الفتن و الحروب) .[٤]

نحن لا نعتقد حصول مثل هذه الامور ، ولكن الذي يمكن أن نستنتجه من هذه الرواية ان الروح العنصرية كانت متأججة وبشكل كبير في البلاد بين الترك والعبيد من جهة وعدم قدرة الحكام الفاطميين على ضبطها من جهة اخرى. بدليل ما قام به المستنصر الفاطمي من محاولة لايقاف النزاع القائم بين الجانبين عندما كلف وزيره ابو الفرج بن المغربي ، الذي تردد في الصلح بين الطرفين ، ولكن دون جدوى[٥] وقد عدّ الجند الاتراك المستنصر بالله الفاطمي منحازا الى الجند العبيد ، اتهموه بالتعاون معهم وذلك بامدادهم بالاموال

---

[١] المقريزي : اتعاظ الحنفاء، ج٢، ص ١٩١ .

[٢] الذهبي : دول الاسلام ، ج١، ص ٢٧٥ .

[٣] ابن ميسر : محمد بن علي بن يوسف (ت٦٧٣هـ) أخبار مصر، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، مصر، ١٩١٩م، ص ١٣ .

[٤] اتعاظ الحنفاء، ج٢، ص ٢٦٥ .

[٥] المقريزي : اتعاظ الحنفاء، ج٢، ص ٢٢٦ . يذكر ابن الاثير أن امه كانت تفسد عليه ذلك . الكامل في التاريخ، ج٨، ص ١١٥ .

والاسلحة ، فهجموا عليه وحصروه في قصره، واضطروه الى دفع اموالٍ طائلة[1]، الامر الذي انعكس على حالة البلاد الاقتصادية والسياسية ، اذ انعدمت الثقة بين المستنصر الفاطمي ووزرائه ، فكانت عملية تعيين الوزير واعفائه من المسائل الشائعة في تلك الفترة . فقد اشار المقريزي الى تلك الحالة بقوله (فكان الواحد منهم لا يلبث أن يأتيه كتاب تعيينه في منصب الوزارة حتى يأتيه كتاب عزله عنها)[2]. ويذكر أحد المؤرخين أنه تم تعيين عشرين وزيرا في غضون اربع سنوات [3]، ويشير حسن ابراهيم حسن الى تلك الاوضاع المتردية حول تعيين الوزراء أنه تم تعيين اربعون وزيرا في غضون تسع سنوات وذلك بعد وزارة البازوري سنة ٤٥٩ هجرية. الامر الذي أجج الروح العنصرية بين الجنود المرتزقة من اتراك وسودان وجعلها اكثر خطورة في ظل هذا الحكم الضعيف [4] كما وقد تزامن مع هذه الاوضاع السياسية المتردية أزمة اقتصادية اجتاحت جميع بلاد مصر ، والتي امتدت الى أكثر من سبع سنين تقريبا [5] ادت الى انزال الكوارث الاقتصادية المدمرة ، نتيجة انخفاض مناسيب المياه في نهر النيل وسوء الحكم واضطرابات الامور [6] ، وبالغ عدد من المؤرخين في ذكر احوال تلك الازمة وما نتج عنها من افعال وتصرفات قد تكون في غاية الغرابة ، من الامثلة على ذلك ما ذكره ابن خلكان اذ يقول (حدث في ايام المستنصر بالله الغلاء العظيم الذي ما عهد مثله منذ

---

[1] ابن القلانسي : ابو يعلى حمزة بن أسد بن علي بن محمد (ت٥٥٥هـ/١١٦٠م)،ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الاباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨، ص ٩٥ .

[2] اتعاض الحنفاء، ج٢، ص ٢٧١.

[3] عبد المنعم ماجد، ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر، دار المعارف، الاسكندرية، ١٩٦٨، ص٧٨.

[4] تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثالثة، ١٩٦٤، ص ١٧٩-١٨٠ .

[5] ابن خلكان : أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق د. احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٢، ج٥، ص ٢٣٠ .

[6] المقريزي : اغاثة الامة بكشف الغمة، دار الهلال، ص ١٨ .

زمان يوسف عليه السلام حتى قيل أنه بيع رغيف واحد بخمسين ديناراً)[١] وذكر ابن تغري بردي في احداث ٤٥٩هـ نحو ذلك قائلا (وفيها كان بمصر الغلاء والقحط المتواتر الذي خرج عن الحد ولا زال في هذه السنة والتي قبلها الى أن أخذ أمره في نقص في سنة ٤٦١ هـ وبيع القمح في هذه السنة بثمانين ديناراً) .[٢] وذكر بعض المؤرخين في حوادث سنة ٤٦٢هـ ما عمَّ مصر من الغلاء الشديد حتى وصل الحال بالناس ان أكلوا الميتات والجيف والكلاب[٣] . ويتحدث المقريزي عنها فيقول : (واشتد الغلاء بمصر وقلت الاقوات في الاعمال وعظم الفساد والضرر والجوع حتى أكل الناس الجيف والميتات ووقفوا في الطرقات يخطفون من يمر من الناس فيسلبونه ما عليه[٤] ، ونتيجة لهذه الاعمال المروعة اصبح الناس يخافون على انفسهم من الخروج ليلا، حتى أن الامر تعد أكثر من ذلك ليشمل موتى المسلمين وما يقوم به اللصوص من نبش القبور ليلا ، فاصبح الناس لا يستطيعون دفن موتاهم في النهار بل ينتظرون حتى يجن الليل [٥] . وكان من شدة هذه الازمة أن أخذ عدد من الناس بالمتاجرة بالحيوانات المحرمة شرعا ، بل اصبحت من المسائل الشائعة بغية توفير الطعام ، فيقال ان سعر القط وصل الى ثلاثة دنانير وسعر الكلب خمسة دنانير[٦]، فنحن نستبعد حصول مثل هذه الاعمال بل نجد فيها كثيرا

---

[١] وفيات الاعيان، ج٥، ص ٢٣ .

[٢] ابن تغري بردي،جمال الدين ابو المحاسن يوسف (٨٧٤هـ/١٤٦٩م) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية للطباعة، مصر، (د. ت)، ج٥، ص ٨٠ .

[٣] ابن كثير : ابو الفداء الحافظ الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) البداية والنهاية، تحقيق : أحمد ابو مسلم وآخرون ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٨٧، ج١٢، ص ١٠٥ . ابن ياس : محمد بن أحمد الحنفي (ت ٩٣٠هـ/١٥٢٣م) بدائع الزهور في وقائع الدهور، مكتبة الشرق الجديدة، بغداد، ١٩٨٤، ج١، ص ٦٠ . السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) تاريخ الخلفاء، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر ، ١٩٥٢ م ، ص ٤٢١ .

[٤]

[٥] اتعاظ الحنفاء، ج٢، ص ٢٧٩ .

[٦] ابن الجوزي : المنتظم ، ج١٦، ص ١١٨ . المقريزي : اتعاظ، ج٢، ص ٢٩٧ . السيوطي : تاريخ الخلفاء، ص ٤٢١ .

من المبالغة، ولكنها تشير بشكل أو بآخر على عظم الفاقة التي اجتاحت مصر في تلك الفترة من جهة ، وسوء تدبير النظام القائم من جهة أخرى .

وهناك نجد من يشير الى أن هذه الازمة اصابت جميع مؤسسات الدولة ورجالها بما فيهم الوالي الفاطمي ، اذ يذكر أن المستنصر الفاطمي ، اصبح يجلس على حصيرة حتى أنه لا يستطيع أن يوفر الطعام لنساءه[١]. كما يجب عدم اغفال دور التجار في هذا المجال وما قاموا به من احتكارات لاسيما في السلع الضرورية التي كان الناس بأمس الحاجة اليها مثل المواد الغذائية بغية ارتفاع اثمانها [٢] وهنا يمكننا القول بأن المواد الغذائية باتت موجودة في السوق ولكن بأيدي المحتكرين ، ولو كانت هناك سلطة رشيدة لقامت بأعمال من شأنها تقليل شدة هذه الازمة . الامر الذي دفع العامة الى مهاجمة الوالي الفاطمي وحاشيته وتهديدهم بالقتل اذا لم يضعوا حلا لهذه الظروف العصيبة، ولاسيما فيما يحتاجونه من مواد غذائية [٣] ، ونتيجة لهذه الضغوط التي تعرض لها المستنصر الفاطمي قام باستدعاء الامير بدر الجمالي[٤] والي عكا محاولة منه في ايجاد حل مناسب لما تعرضت له مصر من

---

[١] ابن خلكان : وفيات الاعيان، ج٥، ص ٢٣٠ . المقريزي : اتعاظ الحنفاء، ج٢، ص ٢٩٨ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، ج٥، ص ١٩.

[٢] سبط ابن الجوزي : شمس الدين ابو المظفر يوسف (٦٥٤هـ/ ١٢٦٢م) مرآة الزمان في تاريخ الاعيان ، دار المعارف العثمانية – حيدر أباد الدكن، الهند، الطبعة الاولى، ١٩٥١ م، ج ، ص . المقريزي : اتعاظ الحنفاء، ج٢، ص ٢٩٧ .

[٣] المقريزي : اغاثة الامة بكشف الغمة، ص ٥٧ .

[٤] هو الامير بدر بن عبد الله الجمالي، ارمني الاصل، وكان مملوكا لجمال الدين بن عمار، احد ولاة الشام . الصيرفي : ابن منجب (ت) الاشارة الى من نال الوزارة، تحقيق عبد الله مخلص، القاهرة، ١٩٢٤، ص ٣٥ . المقريزي : المقفى الكبير، تحقيق : محمد البعلاوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت – لبنان – الطبعة الاولى، ١٩٩١م، ج٢، ص ٣٩٤ . السيوطي : حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة، مطبعة الموسوعات، مصر (د.ت) ، ج٢، ص ٢٠٤ . ابن العماد : ابو الفلاح عبد الحي (ت١٠٨٩هـ) شذرات الذهب في اخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، بيروت ، (د. ت) ، ج٣، ص ٣٨٣.

ازمة اقتصادية [١] فتوجه الامير بدر الجمالي الى مصر وحال وصوله قلده المستنصر بالله الوزارة [٢] وورد في أمر توليته ما نصه (وقد قلدك امير المؤمنين جميع جوانب تدبيره وناط بك النظر في كل ما وراء سريره) [٣] يتبين من خلال هذا النص أن بدر الجمالي اطلقت يده في جميع الامور . فكان اول عمل قام به هو التخلص من جميع المناوئين له في الحكم [٤] . وهذا يعني ايذانا للبدء بالدخول في سلسلة جديدة من الصراعات الداخلية حول سلطة الوزارة . وعلى الرغم مما قام به بدر الجمالي من الاعمال في مواجهة الازمة الاقتصادية ، إلا أن ذلك لم يحد من حجم الانقسامات الداخلية التي تعرضت لها مصر ، ولاسيما بعد وفاة المستنصر بالله الفاطمي سنة ٤٨٧هـ[٥] اذ تولي الافضل بن بدر الجمالي الوزارة بعد ابيه وعمد على اقصاء ابن المستنصر نزار وتولية أخوه الاصغر أحمد في حكم البلاد ولقبه بالمستعلي[٦] الامر الذي نتج عنه صراعات داخلية بين الافضل وبين نزار الذي انحاز اليه أهل الاسكندرية وبايعوه بالخلافة ولقب بالمصطفى [٧] وعلى الرغم من ان الافضل تمكن من اخماد الفتنة الا انه ألحق الضرر البالغ بالاسكندرية وأهلها

---

[١] المقريزي : اتعاظ الحنفاء، ج٢، ص ١١٣ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، ج٥، ص ٢٤-٢٥ .

[٢] ابن خلكان : وفيات الاعيان، ج٥، ص ٢٣٠ . الذهبي : تاريخ الاسلام ، حوادث، ج١، ص ٢٦-٢٧ . المقريزي : المقفى الكبير، ج٢، ص ٣٩٦ . ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص ٢٥-٢٦ .

[٣] المقريزي : الخطط، ج٢، ص ٣٠٤ .

[٤] المقريزي : اتعاظ الحنفاء، ج٢، ص ٢١٢-٢١٣ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، ج٥، ص ٢٥ .

[٥] الفارقي : أحمد يوسف بن علي الازرق (ت ٥٧٢هـ) تاريخ الفارقي، تحقيق د. بدري عبد اللطيف عوض، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، الطبعة الثانية، ١٩٧٤، ص ٦٧-٦٨. الذهبي : دول الاسلام ، ج٢، ص ١٥ .

[٦] ابن خلدون : تاريخ ، ج٤، ص ٦٦ . المقريزي : اتعاظ الحنفاء، ج٣، ص ٤ . ابن ياس : تاريخ مصر، ج٢، ص ٦٢ .

[٧] ابن ميسر : تاريخ مصر، ص ٣٦-٣٧ . د. صابر محمد ذياب : سياسة الدولة الاسلامية في حوض البحر المتوسط من اوائل القرن الثاني الهجري حتى نهاية العصر الفاطمي، ص ٢٤٩ .

[1] كما وان هذه الحروب استنزفت كثيراً من موارد البلاد وطاقاتها . وهذا ما اشار اليه ابن تغري بردي اثناء حديثه عن الدولة الفاطمية ووضعها المتردي بقوله (ووهنت دولتهم وانقطعت دعوتهم . . ولم يكن للمستعلي مع الافضل بن أمير الجيوش حكم)[2] ومن خلال ما تقدم يمكننا القول ان الدولة الفاطمية اصبحت على شفا جرفٍ هارٍ نتيجة ما كانت تعانيه من صراعات داخلية من جهة ، وما تعرضت له من ازمة اقتصادية من جهة أخرى ، فضلا عن عجز الوالي الفاطمي عن القبض على زمام الامور وتداركها.

ج- أوضاع بلاد الشام :

بعد أن تمكن السلاجقة من فرض نفوذهم على الخلافة العباسية على اثر دخول سلطانهم طغرلبك الى بغداد سنة ٤٤٧هـ، فقد رأى هؤلاء السلاجقة أنهم حماة للخلافة، فوجهوا اهتماماتهم الى استعادة ما فقدته من املاك ونفوذ، لذلك قرر سلاطينهم التوجه الى بلاد الشام، لا سيما بعد المراسلة التي قام بها امير حلب الامير محمود بن نصر بن مرداس مع السلطان السلجوقي الب ارسلان [3] ويبدو أن قدوم امير حلب على هذه الخطوة كان نتيجة لما رآه من قوة السلاجقة من جهة، وضعف الفاطميين من جهة أخرى، بدليل ما قاله أمير حلب للحلبيين (لقد ذهبت دولة المصريين، وهذه دولة جديدة، مملكة سديدة ونحن تحت الخوف منهم، وهم يستحلون دمائكم لأجل مذهبكم، والرأي ان نقيم الخطبة، خوفا من أن يجيئنا وقت لا ينفع فيه قول ولا بذل)[4] .

---

[1] سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، ج٦، ص ٢٠ . المقريزي : اتعاظ الحنفاء، ج٢، ص ٢٨٢ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، ج٥، ص ١٤٢-١٤٣ .

[2] النجوم الزاهرة، ج٥، ص ١٤٢ .

[3] ابن العديم : كمال الدين ابو القاسم عمر بن أحمد (ت ٦٦٠هـ/١٢٦٢م) زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق : سامي الدهان، المعهد العربي، دمشق، ١٩٥٤ . ج٢، ص ١٦-١٧ .

[4] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص ٩٨ .

وعلى هذا الاساس اجتمع رأي أهل البلد على اقامة الخطبة العباسية بحلب[١] ولكن في حقيقة الامر كان السلاجقة يتطلعون الى اخضاع بلاد الشام من جهة، ثم الاستيلاء على مصر من جهة اخرى . هذا اذا ماعلمنا بالمراسلة التي بعث بها مقدم الاتراك بمصر ناصر الدولة بن حمدان الى السلطان السلجوقي الب ارسلان مطمعا وشارحا ما آلت اليه الاوضاع في مصر [٢] وبدأ فعلا نفوذ السلاجقة يتزايد في بلاد الشام، لاسيما بعد الحملة التي وجهها السلطان ملكشاه اسندت قيادتها الى اتسز بن ابق التركماني في سنة ٤٦٥، اذ تمكن اتسز من فتح مدينة الرملة ثم اتجه الى بيت المقدس محاصرا للقوات الفاطمية حتى تمكن من فتحه، ثم تسنى له فتح جميع بلاد فلسطين ما عدا ارسوف [٣] ومن هنا تشهد بلاد الشام مرحلة جديدة من مراحل الصراع بين الفاطميين والسلاجقة من أجل السيادة عليه مستنفذين مالديه من طاقات أدت الى ضعف المنطقة و تجزئتها . وعلى أي حال فان اتسز اتخذ مدينة القدس قاعدة له للتوسع في بلاد الشام على حساب الفاطميين، حيث هاجم دمشق وحاصرها حصارا شديداً حتى قلت الاقوات، فتسلم البلد بالامان، بعد هروب واليها الفاطمي معلى بن حيدرة سنة ٤٦٨ هـ [٤] . وكان لهذا الانتصار اثر بعيد المدى على السياسة السلجوقية في بلاد الشام اذ شجع السلاجقة على التطلع الى محاولة غزو مصر وهذا ما حدث فعلا، فقد توجه اتسز بقواته نحو مصر طمعا في الاستيلاء عليها[٥] وبعد وصوله الى الدلتا عسكر بها قرابة خمسين يوما، فقد عاثت قواته بتلك

---

[١] ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص ٦٣، القلقشندي : ابو العباس احمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م) صبح الاعشى في صناعة الانشاء، المطبعة الاميرية بالقاهرة، ١٩٦٣، ج٤، ص ٢٧٠ .

[٢] ابن الاثير :الكامل في التاريخ، ج١٠، ص ٢٤ . البنداري : تاريخ دول آل سلجوق، ٣٦ – ٣٧ .

[٣] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص ٩٨-٩٩ . الفارقي : تاريخ، ص ١٩٤ . سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج٦، ص ١٦٩ . ابن شداد : عز الدين محمد بن علي بن ابراهيم (ت٦٨٤هـ/١٢٨٥م) الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة، تحقيق . سامي الدهان، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٦٢ م، ق٢، ج٢، ص ١٩٩.

[٤] ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج٨، ص ٤١ . ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص ١١٢. المقريزي : اتعاظ الخلفاء، ج٢، ص ٣١٥ .

[٥] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص ٩٩ . ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢، ص ١١٢ .

النواحي الفساد وذلك بمهاجمتها للقرى المجاورة ونهبها[١]، ونرى أن اتسز قد أخطأ كثيرا في مقامه هذا، فلو تابع السير لتمكن من دخول القاهرة، لأن مدبر القوات المصرية بدر الجمالي لم يكن موجودا في القاهرة، اذ انه كان منشغلا باخماد الفتن بالصعيد، فبعد أن علم بقدوم اتسز رجع الى القاهرة واخذ بجمع القوات اللازمة من أجل مواجهة الخطر الداهم [٢]، حتى أنه اضطر الى تجنيد الحجاج المتأهبين لاداء الفريضة .[٣]

وعلى أي حال استطاع بدر الجمالي من الحاق الهزيمة باتسز بعد أن استطاع من استمالة عدد كبير من قوات اتسز الى جانبه، فلاذ اتسز بالفرار هو ومن بقي من عسكره الى دمشق في حدود سنة ٤٦٩ هـ[٤]، وكان لهذه المعركة تأثيراً كبيراً على التوسع السلجوقي في بلاد الشام اذ اعلنت عدد من المدن الشامية ولاءها للفاطميين، ما عدا القدس التي اعلنت عصيانها، اذ شرع أهلها بأخذ ما كان لأتسز من أموال بعد طرد نوابه منها[٥] مما دفع به الى القيام بحملة جديدة على القدس من أجل ارجاعها، وتمكن فعلا من دخولها بعد الحصار الذي ضربه عليها[٦] وما نتج عن حملة اتسز الفاشلة على مصر القيام بهجوم مضاد من قبل بدر الجمالي على بلاد الشام بغية ارجاع النفوذ الفاطمي فيه . ففي سنة ٤٧٠هـ انفذ الوزير بدر الجمالي حملة عسكرية اسندت قيادتها الى نصر الدولة الجيوشي، وتمكن من محاصرة دمشق حتى اضطر اتسز الى طلب المساعدة من تاج الدولة تنتش الذي

---

[١] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص ١٠٩ . محمد جمال الدين سرور، سياسة الفاطمين الخارجية، دار الفكر العربي – القاهرة، ١٩٧٦ . ص ١٥٣ .

[٢] ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج٨، ص ٤١٣ . سبط بن الجوزي : مرآة الزمان، ج٦، ص ١٨٢.

[٣] المعاضيدي : د. خاشع عيادة، الحياة السياسية في بلاد الشام في العصر الفاطمي، ص ٩١ .

[٤] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص ١١٠-١١١ . سبط بن الجوزي : مرآة الزمان، ج٦، ص ١٨١ .

[٥] ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج٨، ص ٤١٢. سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج٦، ص ١٨٤-١٨٥.

[٦] ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج٨، ص ٤١٢ . الذهبي : دول الاسلام، ج٢، ص ٤ .

كان محاصرا لحلب وقت اذ [١]، ويعلل أحد الباحثين سبب قدوم تتتش الى بلاد الشام بقوله ان (الفشل الذي لحق بأتسز، هو الذي دفع ملك شاه الى أن ينفذ أخاه تتش سنة (٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م) على رأس جيش ضخم الى بلاد الشام)[٢] وعلى أي حال فان اتسز وعد تتش بتسليم دمشق اليه وانه يكون تحت امرته، فتوجه تتش اليه فما كاد ان يصل حتى رفعت القوات الفاطمية الحصار عنها مضطرة [٣].

في الحقيقة أن تتش اضطر الى رفع الحصار عن حلب بسبب تخلي مسلم بن قريش العقيلي عن مساندته في استمرارية الحصار عليها [٤] ومن جهة أخرى وجد في دمشق عوضا عنها . وعلى أي حال فان تتش قد انفرد في حكم دمشق وذلك بعد أن تسنى له اعتقال أميرها أتسز بحجة تأخره عن استقباله [٥]. ويبدو أن دافع الطمع ورغبة الانفراد بالحكم كان هو السبب الرئيسي في قتل اتسز . وبهذا الانتصار اصبح تتش يسيطر على الاقاليم الوسطى لبلاد الشام[٦] كما اسند اليه حكم بيت المقدس والرملة وذلك بحكم تبعيتها السابقة لأتسز، فأناب عنه في بيت المقدس الامير ارتق التركماني[٧] .

وكما بدأ تتش يشن الهجمات العسكرية بغية توسيع نفوذه على حساب الامراء المحليين من جهة والفاطميين من جهة اخرى . وكان من بين أهم المناوئين له هو

---

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج ٨، ص٤١٨ . ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص ٦٥.

(٢) العريني : الشرق الاوسط والحروب الصليبية، ج١، ص ١٧ .

(٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص ١١٢ . ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج٨، ص ٤١٨. ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص ١١٧ .

(٤) ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص ٥٧ .

(٥) ابن خلكان : وفيات الاعيان، ج١، ص ٢٩٥. اليافعي : ابو محمد عبد الله بن سعد (ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٩٧٠، ج٣، ص ١٠٠.

(٦) عاشورة : الحركة الصليبية، ج١، ص ١٠٢ .

(٧) الحنبلي : ابو اليمين القاضي مجير الدين (٩٢٨هـ) الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، قدمه محمد بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الاشرف، ١٩٦٨، ج١، ص ٣٠٥ .

الأمير شرف الدولة مسلم العقيلي الذي تمكن من انتزاع حلب من المرداسين[١]،[٢] والذي قام بتوسيع رقعة نفوذه على حساب لأمراء السلاجقة لاسيما بعد توجهه لحصار دمشق، مما جعل الحرب بينه وبين تتش أمرا لا مفر منه، غير أن تتش استطاع أن يهزمه.

فرجع مسلم الى مقر ولايته الموصل بعد هذه الهزيمة [٣]، وفي الحقيقة ان اطماع مسلم بن قريش العقيلي في حلب سبقت دخوله لها اذ ترجع الى فترة حصار تتش لها، حيث كان يقدم المؤن بغية صمودها امام ضربات تتش [٤] ومهما يكن من أمر فان الانتصار الذي حققه تتش ادى الى توسيع سلطانه وانفراده بالحكم من جهة، واثار طمع السلاطين السلاجقة الآخرين من جهة اخرى . اذ حفّز سليمان بن قتلمش سلطان اسيا الصغرى على الاستيلاء على انطاكية سنة (٤٧٧ هـ/)[٥] .

ويبدو أن سياسة سليمان التوسعية اثارت شرف الدولة مسلم العقيلي لاسيما بعد امتناع سليمان عن دفع الاموال التي كان البيزنطيون يدفعونها رمزا لتبعيتهم له [٦] ونتيجة لذلك اصبح وقوع القتال بين الطرفين امرا لا مفر منه، اذ توجه مسلم العقيلي

---

[١] بني مراس : قبيلة عربية من بني كلاب بن عامر بن صعصعة، انتقلوا من المدينة المنورة الى بلاد الشام فملكوا حلب ونواحيها وكثير من مدن الشام، فكان أول ملوكهم هو صالح بن مرداس الذي انتزع حلب من مرتضى الدولة ابن الجراهي سنة (٤١٧هـ/١٠٢٦م)، توفي سنة (٤١٩هـ/١٠٢٨ م . ينظر : الصدفي : صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٤٦هـ/١٣٤٥م)، الوافي بالوفيات، تحقيق احسان عباس، ط٢، بيروت، ١٩٨٣، ج١٦، ص ٢٧٢، القلقشندي : ابو العباس أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م) . نهاية الارب في معرفة أنساب العرب، تحقيق : علي الخاقاني، دار البيان، بغداد، ١٩٥٨، ص ٣٧٢-٣٧٣.

[٢] ابن الجوزي : المنتظم، ج٨، ص ٣٢٣ . ابن خلدون، تاريخ، ج٤، ص ٥٧٢ .

[٣] ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص ١٢٢ . سبط بن الجوزي : مرآة الزمان، ج٦، ص ٢١٩ . ابن العديم : زبد الحلب، ج٢، ص ٨١ .

[٤] ابن العديم : زبد الحلب، ج٢، ص ٥٧-٥٨ .

[٥] ابن القلانس : ذيل تاريخ دمشق، ص ١١٧ . ابن العديم : زبد الحلب، ج٢، ص ٨٦-٨٧، الذهبي : دول الاسلام، ج٢، ص ٧ .

[٦] سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان، ج٦، ص ٢٢٩ . ابن العديم : زبد الحلب، ج٢، ص ٨٨ .

على رأس جيش كبير لمقاتلة سليمان بن قتلمش وعلى مقربة من انطاكية دارت رحى معركة عنيفة سقط خلالها مسلم بن قريش العقيلي قتيلا مع عدد غير قليل من اصحابه[1] وعلى اثر هذا الانتصار سار سليمان بقواته من أجل الاستيلاء على حلب ولكنه لم يتمكن من ذلك لدفاع اهلها عنها من جهة، ولوصول تتش اليها على اثر المكاتبة التي بلغته من أهلها [2]، فما ان علم سليمان بقدوم تتش حتى فك الحصار مغادرا لها خشية الاصطدام مع قوات تتش، غير أنه لم يبرح حتى وقعت الحرب بينهما، فدارت رحى معركة عنيفة بين الجانبين، اسفرت عن هزيمة سليمان وقتله[3] . ومن اثار هذه المعركة السلبية خسارة سلاجقة اسيا الصغرى زعيم قوي مثل سليمان بن قتلمش الأمر الذي قد يكون له دور فعال في الاحداث القادمة لو لم يقتل . وعلى أي حال فان تتش لم يتمكن من دخول قلعة حلب بسبب قدوم السلطان ملكشاه من اصبهان اليها على اثر مكاتبة ابن الحثيثي له، اذ دخلها واقر قسيم الدولة اق سنقر عليها[4] كما أقر ياغي سيان على انطاكية بعد عزل وزير سليمان

---

(1) ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص ١٣٨ . ابو الفداء : عماد الدين اسماعيل (٧٣٢هـ/١٣٣١م) المختصر في اخبار البشر، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ج٢، ص١٩٥ . ابن خلدون : تاريخ، ج٥، ص ٣٤٥ .

(2) ابن القلانس : ذيل تاريخ دمشق، ص ١١٩ . ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص ٩١-٩٢ . ابو الفداء : المختصر في اخبار البشر، ج٢، ص ١٩٧ . ابن كثير : البداية والنهاية :، ج١٢، ص ١٣٠ .

(3) ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص ٩٧ . ابو شامة : شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل (٦٦٥هـ-١٢٦٧م) الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق : محمد حلمي محمد أحمد، مراجعة محمد مصطفى زيادة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٢، ج١، ق١، ص ٦٠ . الذهبي : دول الاسلام، ج٢، ص ٩ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، ج٥، ص ١٢٤ .

(4) ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص ١٤٧ . ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص ١٠٠ . ابو شامة : الروضتين، ج١، ق١، ص ٦٠ . الذهبي : دول الاسلام، ج٢، ص ٩ .

بن قتلمش الحسن بن طاهر[١] وجعل بوازن على الرها[٢] وسارع في الدخول بطاعته نصر بن علي بن منقذ صاحب شيزر فاقره السلطان على ما في حوزته[٣] ان مما يسترعي الانتباه هو ان السلطان ملكشاه اكتفى بهذه التدابير وانصرف عن بلاد الشام، فلم يحاول مواصلة جهوده لاستعادة جميع مدن الشام تحت قبضته على الرغم مما يمتلكه من قوة ونفوذ . ومن هنا يمكننا القول أن حملة السلطان ملكشاه على بلاد الشام جاءت نتيجة لتخوفه من اتساع نفوذ تتش فيها، وما يشكله من خطر عليه في المستقبل، فكانت هذه الحملة بمثابة تحديداً لاملاكه وتقليصا لنفوذه، وهذا ما أدى بدوره الى ضعف المنطقة وتجزئتها الى دويلات مستقلة عن بعضها بحكم تبعيتها الى السلطان السلجوقي .

تبلورت هذه التكنات في تجزئتها بالشكل النهائي بعد وفاة السلطان ملكشاه، اذ حاول تتش انتزاع السلطة من يد ابن اخيه بركياروق اذ قامت في سبيل ذلك حروب، استنزفت كثيراً من موارد البلاد وطاقاتها، اسفرت عن هزيمة تتش وقتله[٤]، وبعد مقتل تتش تبددت السلطة السلجوقية في بلاد الشام اذ استولى على املاك تتش ولديه دقاق ورضوان، حيث أخذ الاول دمشق، واستقل الثاني بحلب[٥] كما أن هذين الاخوين لم يكونا على توافق بل دأب كل واحد منهما أن ينفرد بملك ابيه فانقسم بلاد الشام بين مؤيد لهذا او ذاك، اذ انحازت قبيلة كلاب العربية وسقمان بن ارتق

---

[١] ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص ١٠٢ . ابو شامة : الروضتين، ج١، ق١، ص ٦١ . ابن واصل : جمال الدين محمد بن سالم (٦٩٧هـ/١٢٩٨م) مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، تحقيق جمال الدين الشيال، دار الثقافة العامة – مصر، ١٩٥٣ م، ج١، ص ١٩ .

[٢] ابن الاثير : الباهر في الدولة الاتابكية (بالموصل)، تحقيق عبد القادر احمد طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٣، ص ٨ . ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص ١٩ .

[٣] ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص ١٤٨. ابن خلدون : تاريخ، ج٤، ص ٥٨٩.

[٤] الفارقي : تاريخ، ص ٢٤٣ . الراوندي : راحة الصدور، ص ٢٠٠ . ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص ٢٣٢–٢٣٧ . ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص ١١٩ . ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج١، ص ٢٩٥ . ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢، ص ١٤٨ .

[٥] ابن القلانس : ذيل تاريخ دمشق، ص ١٣٠ – ١٣١ . الفارقي : تاريخ، ص ٢٤٤ – ٢٤٥ . ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص ٢٤٧–٢٤٨ .

صاحب سروج الى رضوان، بينما انحاز الى دقاق ياغي سيان وايلغازي الارتقي [١] وقد حاول رضوان من ضم دمشق الى ملكه وذلك بمساعدة أمير انطاكية ياغي سيان والامير جناح الدولة بن ملاعب صاحب طرابلس، الا انه لم يوفق في مسعاه، فرجع مضطرا الى حلب بعد أن اشرفت قواته على الهلاك بسبب مضايقة دقاق واتابك طغتكين وانصراف حليفه ياغي سيان الى دقاق [٢] كان لهذه الحملة التي قام بها رضوان على دمشق اثر بعيد المدى على مصير العلاقات في بلاد الشام، لا سيما العلاقات بين رضوان وياغي سيان من جهة وبين حلب ودمشق من جهة أخرى، يتضح بشكل كبير عند دخول الصليبيين في بلاد الشام . وعلى اثر هذه الحملة قام دقاق بمهاجمة حلب ردا على ما قام به رضوان الا انه تعرض لهزيمة قاسية كان من نتائجها اعتراف دقاق بتبعيته الى رضوان[٣] أما من جهة الفاطميين فعلى الرغم مما كانت تعانيه هذه الدولة من متاعب الا ان ممتلكاتها في بلاد الشام لم تغب عن انظارها، لاسيما بعد ما آلت اليه الاحداث التي لم تكن خافية عليهم . اذ تمكن الافضل من الاستيلاء على صور بعد محاصرتها سنة ٤٨٩هـ [٤] ثم تابع السير الى بيت المقدس فحاصره مما دفع بواليه الامير سقمان والامير ايلغازي ابناء ارتق الى طلب الامان، فأمنهما فسار ايلغازي الى بغداد وذهب سقمان الى الرها[٥].

وخلاصة القول أن بلاد الشام عانت الويلات عشية الحروب الصليبية لاسيما بعد مقتل السلطان تتش وما تمخض من صراعات داخلية بين ابنائه ادت الى

---

[١] ابن القلانس : ذيل تاريخ دمشق، ص ١٣١-١٣٢ . ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص ٢٦٩. فهمي توفيق مقبل : الفاطميون والصليبيون، دار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠، ص ٣٨ .

[٢] ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص ١٢٦ . ابو الفداء : المختصر في اخبار البشر، ج٢، ص ٢٠٩ . اليافعي : مرآة الزمان، ج٣، ص ١٥٢ .

[٣] ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص ٢٦٩ . ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص ١٢٧-١٢٦ . ابو الفداء : المختصر في اخبار البشر، ج٢، ص ٢٠٩ .

[٤] ابن القلانس : ذيل تاريخ دمشق، ص ١٣٣-١٣٤ .

[٥] ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج٩، ص ١٩ . ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص ٣٤٢. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، ج٥، ص ١٥٩ .

ضعفهم وتحكم الاتابكية في امورهم، فضلا عن استمرار النزاع بينهم وبين الفاطميين وما نتج عن ذلك من ارباك الوضع في البلاد . الامر الذي ادى الى ضعف المقاومة اتجاه الصليبيين .

الفصل الاول
المحاولات الاسلامية الاولـى للتصدي للغزو الصليبي

١- المقاومة في اسيا الصغرى
أ-المقاومة للحملة العامة :

على اثر الخطاب الذي القاه البابا في مجمع كليرمونت جنوب فرنسا، ظهرت طائفة من الوعاظ الذين قاموا بمجهود كبير لدعوة الناس الى حرب صليبية كان من ابـرزهم ولتـر المفلـس وبطـرس الناسـك، اذ اسـتطاع هـؤلاء مـن تكـوين حشـود كبيـرة والسير بهم الى الشرق [١] . ويبدو أن الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية لهذه الجموع لعبت دورا كبيرا في استجابتهم للمواعظ الدينية التي دعى بها بطرس الناسك وغيره من الدعاة . اذ استجابت خمسة حشود من الفقراء في السير الى الشرق قبل الوقت المحدد لها باربعة اشهر [٢] . ونظرا لسوء تنظيم الجيوش وتصرفاتهم السيئة لم يصل منهـا الـى القسـطنطينية سـوى اثـنين، اذ أبيـد اثـنين منهـا اثنـاء عبـورهم هنكاريـا، امـا الثالث فتم القضاء عليه بعد دخوله مدن وادي الراين علىاثر المذبحة التي قام بها هذا الجـيش، اذ قتـل عشـرة الاف مـن اليهـود بـدافع الحمـاس الاهـوج ونتيجـة لـذلك تـم الاجهاض عليه من قبل الهنكاريين[٣] أما ما يخص الحشدان اللذان بقيا . فقد كان احدهما بزعامة ولتر المفلس الذي استطاع من الولوج الى القسطنطينية في شوال سنة ٤٩٠هـ منتظرا فيها حتى منتصف تموز[٤] .

أما الحشد الثاني فكان تحت راية بطرس الناسك الذي تمكن من عبور هنكاريا، بعد المشاكل التي راح ضحيتها الالاف من السكان[٥] وحال وصول هذان الحشدان

---

[١] العريني : الشرق الاوسط والحروب الصليبية، ج١، ص ١٦٤ . عاشور : تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، ص ٨٩-٩٠ .

[٢] باركر : الحروب الصليبية، ص ٢٧-٢٨ .

[٣] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص ١٩٥-٢٠٥ . باركر : الحروب الصليبية، ص ٢٨ .

[٤] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص ١٨٢ . باركر : الحروب الصليبية، ص ٢٨ .

[٥] انتوني وست : الحروب الصليبية، ص ٤٤ . العريني : الشرق الاوسط والحروب الصلية، ج١، ص ١٧٠ .

Keer , Anthony J.C : the crusades (great Britain in ١٩٦٦) pp.٢١-٢٢.

الى القسطنطينية، عاملهم الامبراطور معاملة حسنة وأسدا لهم نصائحه بالتريث وعدم العبور الى الضفة الشرقية لحين وصول الحملة النظامية[١]. وعلى الرغم من المعاملة الحسنة التي ابداها الامبراطور لهم الا انهم ارتكبوا ابشع الجرائم والفساد، فلم يعيروا أهمية لحرمة الكنائس لما قاموا به من اعمال النهب والسلب فيها [٢]، فقد وصفتهم ابنـــــــــــة الامبراطـــــــــــــور انـــــــــــــاكوفين بقولهـــــــــــــــا (لم يكونوا . . الا برابرة اجلافا وطغاما جائعا لم يحملوا اشارة الصليب الا طمعا في الغنيمـة)[٣] ونتيجـة لهذه الاعمـال التخريبيـة التـي قامـت بهـا هـذه الحشـود الهوجـاء اضطر الامبراطور البيزنطي الى تبديل سياسته اتجاههم وذلك بنقلهم الى الضفة الشرقية من البسفور مقدما نصيحته لهم بعدم التقدم شرقا[٤] إلا أن هذه الحشود الهائجة لم تلتزم بتلك النصائح وسارت مندفعة نحو الشرق غرتها بعض الانتصارات البسيطة التي تحققت لها على طلائع الجيش الاسلامي[٥] ثم تابعوا خط سيرهم متجهين نحو مدينة نيقيا عاصمة قلج ارسلان السلجوقي بجيش تعداده اكثر من عشرين الف من بينهم خمسمائة فارس [٦].

---

[١] مؤرخ مجهول : اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص ٢١. عاشور : الحركة الصليبية، ج١، ص ١٣٥، العريني : الشرق الاوسط والحروب الصليبية، ج١، ص ١٧٦ .

[٢] مؤرخ مجهول : أعمال الفرنجة، ص ١٩، رينسمان : تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص ١٨٨، باركر : الحروب الصليبية، ص ٢٨ .

[٣] نقلا عن حسين مؤنس : نور الدين زنكي سيره مجاهد صادق، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الاولى، ١٩٥٩، ص ٦٩ .

[٤] أعمال الفرنجة، ص ٢٠، العريني : الشرق الاوسط والحروب الصليبية، ج١، ص ١٧٧ . المطوعي : الحروب الصليبية، ص ٢٩ .

[٥] رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص١٩٠، عاشور : الحركة الصليبية، ج١، ص ١٣٦ .

[٦] انطوني وست : الحروب الصليبية، ص ٤٢ .

ومن الجدير بالذكر ان قلج ارسلان لم يكن موجودا في عاصمته اذ كان منشغلا في صراعه مع الداشمنديين في الركن الشمالي الشرقي من آسيا الصغرى[١]، فعاد مسرعا بعد أن توالت عليه الاخبار لانقاذ عاصمته [٢] . أما القوات الصليبية فبدلا من أن تسير مجتمعة موحدة الى نيقيا انشقت على نفسها، اذ سار رينالد أحد قوادهم بستة الاف مقاتل بدافع الطمع نحو مدينة اكسريجوردون الخالية من المدافعين فاستولى عليها[٣] وبعد رجوع قلج ارسلان الى نيقية ارسل احد قواده لاسترجاع المدينة وتمكن من ذلك بعد ضرب الحصار عليها مدة ثمانية ايام عانى الصليبيون خلالها الويلات مما اضطرهم الى فتح ابواب المدينة فلم ينج من القتل الا من أعلن اسلامه وثم ارسل من اسر منهم الى حلب وانطاكية[٤] وحاول قلج ارسلان كتم مصير حملة رينالد وصحبه بدليل ما اشاعه جاسوسان تركيان بأن قوات رينالد قد استولت على نيقيا واخذت باقتسام الغنائم، الامر الذي عجل مسير القوات الصليبية الاخرى الى مدينة نيقيا، لتلقى مصيرها على ايدي كمائن القوات الاسلامية التي اعدت على جانبي الطريق، فلم ينجو منهم سوى ثلاثة الاف بعد أن تمكنوا من الهرب[٥] وقد حاول الامبراطور الكيسيوس من انقاذ القوات الصليبية وذلك بتجهيز عدد من السفن الا انها وصلت متأخرة بعد فوات الاوان، فاقلت من تمكن من الهرب

---

[١] ويشير ابن القلانسي الى ذلك قائلا عند (تواصل الاخبار بظهور عساكر الافرنج من بحر القسطنطينية في عالم لايحصى عدده وتتابع الانباء بذلك فقلق الناس لسماعها وانزعجوا لاشتهارها وصحت الاخبار عن الملك (الب ارسلان) وكان أقرب الناس اليهم دارا فشرع في الجمع والاحتشاد واقامة مفروض الجهاد واستدعى من امكنه، فزحف الى معابرهم ومسالكهم وسلبهم، فاوقع بكل من ظفر به منهم بحيث قتل خلقا كثيرا . .) . ذيل تاريخ دمشق، ص ١٣٤ .

[٢] عاشور : العلاقات بين الشرق والغرب، ص ٧٦ .

[٣] مجهول : أعمال الفرنجة، ص ٢٠ .

[٤] مجهول : أعمال الفرنجة، ص ٢٠-٢١ . رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص ١٩٠-١٩١ .

Runciman , the first crusades , contontinpole to antioch , in setton : hstory of the crusades , Vol ١,١p.٢٨١ .

[٥] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص ١٩١ . العريني : الشرق الاوسط والحروب الصليبية، ج١، ص ١٧٨.

الى القسطنطينية [١] ومن خلال ما تقدم يمكننا القول بأن المقاومة الاسلامية في آسيا الصغرى لم تكن متأهبة لدرء الاخطار الخارجية، بل يلاحظ أنها منشغلة بالفتن الداخلية . فعلى الرغم من هزيمة القوات الصليبية إلا أن هذا النصر لم يعبر عن قوة المقاومة في تلك المناطق بقدر ما كان ناتجا عن سوء تنظيم الحملة الصليبية.

ب- المقاومة للحملة النظامية (الامراء)

في الوقت الذي ابيدت فيه حملة العامة في اسيا الصغرى على أيدي القوات الاسلامية، كان التجهيز للحملة النظامية قائماً على قدم وساق في فرنسا وايطاليا من جانب الاقطاعيين والنبلاء[٢]، الملاحظ على هذه الحملة منذ بدايتها انها اتسمت بالطابع الاقطاعي، يتبين ذلك من خلال التعرف على قواد هذه الحملة ومقدميها. اذ كان لكل واحد منهم سياسته الخاصة، التي غالبا ما تكون متعارضة مع غيره، الامر الذي انعكس على دوره في الشرق[٣] .

وعلى العموم فإن هذه الحملة تكونت من عدة جيوش اسندت قيادة الاولى منها الى جودفري أمير لوثرنجيا بصحبة أخيه الامير بلدوين وعددٍ من الامراء وقد تم جمع هذه الجيوش من اللورين وشمال فرنسا والمانيا[٤] أما الجيش الثاني فقد تولى زعامته دوق نورماندي روبرت قائد الفرسان من غرب فرنسا ومن اتباع اخيه الملك الانكليزي وليم رنوس[٥] وتولى قيادة الجيش الثالث ريموند الصنجيلي كونت تولوز، يرافقه المندوب البابوي ادهمار وجيوش البروفنسال وفرنسان جنوب فرنسا [٦]، أما الجيش

---

(١) رنسيمان : تأريخ الحروب الصليبية، ج١، ص ١٩٣ . عاشور : الحركة الصليبية، ج١، ص ١٣٦.
Crousset : Historic des croisades et du royame France de jerusalem (paris , ١٩٣٤) . ١ . p.٥.

(٢) العمروس المطوى : الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، ص ٣٠ .

(٣) عاشور : الحركة الصليبية، ج١، ص ١٤٠ . حسن حبشي : الحرب الصليبية الاولى، ص ٩٥ .

(٤) رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص ٢١٠–٢١٢ .
Willam of ture - a history deeds done beyond the sea , ltraus . by babcock krey (New York, ١٩٤٣). Vol ١ , pp. ١١٦-١٢٠.

(٥) قاسم عبد قاسم : ما هية الحروب الصليبية، ص ١٢٠ .

(٦) رنسيمان : تاريخ الحركة الصليبية، ج١، ص ٢٢٩–٢٣٠ .

الرابع فكان تحت قيادة بوهمند النورماني متزعما جيوش جنوب ايطاليا ومن النورمان[١] . ومن الجدير بالذكر ان هناك جيشا خامسا تحت زعامة هيو شقيق الملك الفرنسي الاول لويس فيليب . وقد وصل أول هذه الجيوش الى القسطنطينية. [٢]

أولا- موقف بيزنطة المبكر من أفراد هذه الحملة :

بعد وصول القوات الصليبية الى القسطنطينية فوجيء الامبراطور البيزنطي بكثرة عددها وعدتها[٣]لعله كان يتوقع وصول امدادات عسكرية او جنود مرتزقة تكون تحت امرته . لذلك نلاحظ أن الامبراطور البيزنطي اتخذ سياسة جديدة من شأنها تحديد طبيعة العلاقة بينه وبين هذه الجموع وفقا لما ينسجم مع الامن الداخلي البيزنطي من جهة وما تؤول اليه ممتلكاتها في الخارج من جهة اخرى . اذ استطاع الامبراطور من اجبار الامراء الصليبيين على تقديم يمين الولاء رمزا لتبعيتهم له[٤]، والذي يتم بموجبه اعادة جميع الاراضي التي استولت عليها القوات الاسلامية [٥]،

---

[١] مجهول : أعمال الفرنجة، ص ٢٣ . ارنست باركر : الحروب الصليبية، ص ٢٩ .

[٢] قاسم عبد قاسم : ماهية الحروب الصليبية، ص ١٢١ .

[٣] العريني : الشرق الاوسط والحروب الصليبية، ج١، ص ٢٠٣ . علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر، عبد القادر اليوسف : المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٩، ص ٥٩ .

Duncaf .F. the pobe's plan for the first crusade (the crusades other historical essays presented to dana munro) New York ١٩٦٨ . p.٢٢٩.

[٤]William of tyer . vol ,١.pp.٨١-٨٢.

حسن حبشي : الحرب الصليبية الاولى، ص ٣٦ . المطوي العروسي : الحروب الصليبية، ص ٣١ . عبد القادر يوسف : علاقات بين الشرق والغرب، ص ٦٢.

[٥] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص ١٣٥ . حسن حبشي : الحروب الصليبية الاولى، ص ٣٦ . جوزيف نسيم : العرب والروم، ص ٢٢٢.

Crousset : His , does . Croisades , ١ . p. ٢٧ .

أي اعادة جميع الاراضي التي كانت في حوزة الامبراطور قبل موقعة مانزكرت[١]، ومعنى هذا أنها لاتشمل الاراضي الواقعة في آسيا الصغرى فحسب بل تشمل الاراضي الواقعة في اطراف الشام والعراق مثل انطاكية والرها[٢] ومن هنا يمكن ملاحظة بوادر النفور بين الامبراطور والامراء الصليبيين الذين عدّوا يمين الولاء ضربا من ضروب الاذلال وانعدام الثقة من جهة [٣]ومن جهة أخرى فان هذه الاتفاقية لا تنسجم مع مطامعهم الشخصية والروح الاستعمارية التي كانت شعارا ودافعا لكل واحد منهم . وعلى أي حال أخذت القوات الصليبية بعبور البسفور وشرعوا بالزحف الى نيقية بعد استكمال تجمعهم [٤] ومن المسائل التي تثير الانتباه ان قلج ارسلان لم يكن موجودا في عاصمته نيقية، اذ كان منشغلا في صراعه مع الداشمندين [٥] وهذا ما يفسر لنا بأنه لم يعِ حجم الاخطار الخارجية المحدقة به من جهة، ومدى استفحال الصراعات الداخلية التي شغلته عن تلك الاخطار من جهه أخرى . مما ادى الى ضعف المقاومة في تلك الجهات وبشكل كبير ووفقا لسير الاحداث فان القوات الصليبية شرعت بتشديد الحصار حول المدينة بعد وصولهم اليها فلما ضاق الامر بحاميتها ارسلوا الى الامبراطور البيزنطي سرا يدعونه لاستلام المدينة، شريطة تأمينهم على ارواحهم واهليهم، فأجابهم الامبراطور الى ذلك وتسلم المدينة سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٧م[٦]، إلا أنّ تسليم المدينة ليس بالامر الهين بل وجد

---

[١] ملازكرد : هي المعركة التي حدثت بين القوات الاسلامية بقيادة الب ارسلان وبين القوات البيزنطية عند مدخل آسيا الصغرى، انتهت بانتصار القوات الاسلامية . ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص ٩٦.

[٢] عاشور : الحركة الصليبية، ج١، ص ١٤٦ .

[٣] العريني : الشرق الاوسط والحروب الصليبية، ج١، ص ٢٠٤ .

[٤] ابن الجوزي : المنتظم، ج٩، ص ١٠٥ . ابن العماد : شذرات الذهب، ج٣، ص ٣٩٦. باركر : الحروب الصليبية، ص ٢٦ . جوزيف نسيم : العرب والروم، ص ٢٢٨ .

Crosset : op, cit , vol , ١ .p.١٩.

[٥] رنسيمان : تأريخ الحروب الصليبية، ج١، ص ٢٥٠ .

[٦] مجهول : أعمال الفرنجة، ص ٣٧ . فوشيه الشارتري: تاريخ الحملة الى القدس، ص ٤٧ .

Fulcher of chartres . history of the expeditions to Jerusalem (trans . by Frances rita ryan ١٩٦٩). Pp.٨١-٨٢.

الصليبيون مقاومة عنيفة من قبل حاميتها ومواطنيها حيث استبسلوا في الدفاع عنها اذ وصف فوشيه الشارتري ما لاقاه الصليبيون بقوله : (الحق أقول ان الحزن كان سيملأ نفسك والدموع كانت ستهطل من عينيك لو أنك شاهدت (المسلمين) يقتلون أي نفر من رجالنا يقترب من السور، اذ أنهم كانوا ينزلون الخطافات الحديدية ويختطفون)[(١)] . أما القوات الاسلامية بقيادة قلج ارسلان فلم تصل طلائعها لانقاذ المدينة الا بعد فوات الاوان [(٢)] . وعلى ما يبدو لو تسنى للقوات الاسلامية القدوم قبل محاصرة المدينة لتغيرت الاوضاع بشكل كبير. إلا أن السلطان قلج ارسلان لم يحاول الرجوع الى عاصمته من أجل انقاذها بانيا تقديراته العسكرية وفقا لأنباء كاذبة وصلته من بعض جواسيس الامبراطور البيزنطي مفادها استحكام الخلافات بين الامبراطور والامراء الصليبيين فمن غير الممكن شخوصهم الى نيقية[(٣)] .

نحن نعتقد غير جازمين بأن السلطان قلج ارسلان قد غلب عليه الظن بأن هذه الحملة كسابقتها يمكن القضاء عليها بسهولة ويسر لذلك لم يجد في السير من أجل انقاذ عاصمته، بدليل أن عائلته وأمواله داخل المدينة[(٤)] مما لايخفى أثره أن سقوط المدينة بيد الامبراطور البيزنطي والامراء الصليبيين له أثر كبير على مصير المقاومة الاسلامية في هذا الاقليم من ناحيتين : الاولى : معنوية بوصفها عاصمة القوات الاسلامية وهذا مما له تأثير كبير في الروح المعنوية للقوات الاسلامية بالمقارنة مع عدوهم . أما من الناحية الثانية فان سقوط المدينة مكّن الصليبيين من الانسياب داخل الاقليم في الطريق المناسب، ذلك لما تمتاز به هذه المدينة من موقع ستراتيجي اذ انها ترتبط بجميع الطرق التي تسلك هذا الاقليم[(٥)] كما أن سقوط المدينة شجع

---

(١) تاريخ الحملة الى القدس، ص ٤٧ .

(٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص ١٣٤. ابو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص ٢٠٩-٢١٠ . رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص ٢٥٠ – ٢٥١ . باركر : الحروب الصليبية، ص ٣٣ .

(٣) رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص ٢٥٠ .

(٤) رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص ٢٥٠ .

(٥) العريني : الشرق الاوسط والحروب الصليبية، ج١، ص ٢٠٦. قاسم عبد قاسم : ماهية الحروب الصليبية، ص ١٢٣.

المدن التجارية الايطالية على القيام بدور فعال في مساعدة الصليبيين وذلك بتقديم خدماتهم لهم [١] .

ومن الجدير بالذكر أن الامبراطور البيزنطي لم يمكن الصليبيين من دخول المدينة، الامر الذي أثار استيائهم وغضبهم عليه الا انه استطاع اطفاء نوازعهم الاستعمارية ببعض الهدايا التي اغدقها عليهم[٢] .

وبعد أن تسلم الامبراطور البيزنطي المدينة وفقا للمعاهدة السابقة تابعت قواتهم خط سيرها ، إلا أنهم اضطروا الى تقسيم جيشهم الى قسمين وذلك من أجل حل مشكلة المؤن من جهة والقضاء على المقاومة الاسلامية في أكبر بقعة من جهة أخرى [٣] اسند قيادة القسم الاول الى بوهمند وتنكرد بصحبة نورمان فرنسا، أما القسم الثاني فكان تحت قيادة رموند تولوز جودفروي والمندوب البابوي ادهمار [٤] سلكت قوات بوهمند الطريق نحو دور ليوم[٥]، أما القوات الاسلامية بقيادة قلج ارسلان فبعد فشله في معركة نيقية اتجه نحو الشرق ليحشد قواته وليعقد محالفة مع الداشمندين[٦] لاسيما بعد أن اطلع وبشكل وافي على حجم القوات الصليبية اذ تمكن فعلا من اعداد جيش كبير بالتعاون مع محالفه غازي الداشمند وتوجه نحو ضورليوم (اسكي شهر الحالية) محاولة منه للايقاع بالقوات الصليبية هناك [٧] وقد تسنى ذلك له فعلا اذ تمكنت القوات الاسلامية من محاصرة الصليبين والنيل منهم بالقرب من ضورليوم. [٨]

---

[١] عبد القادر اليوسف : علاقات بين الشرق والغرب، ص ٦٤ .

[٢] مجهول : أعمال الفرنجة، ص ٤١ . فوشيه : تاريخ الحملة الى القدس، ص ٤٧ .

crouset op. Cit .١. ٣٠-٣١ .

[٣] عاشور : الحركة الصليبية ، ج١ ، ص ١٥٩ .

[٤] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١، ص ٢٦١ ، حسن حبش : الحرب الصليبية الاولى ، ص ٤١ ، العريني : الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٢١٠ .

[٥] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٢٦١ .

Albert Daix christianae expeditions pro eycption emundationc Et restitutione sonctae hierosoly mitanae ECC – lesae-p.٣٢٩.

[٦] رنسيمان : الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٢٦٢ . عاشور : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ١٦٠ ، العريني : الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٢١١ .

[٧] عاشور : تاريخ الحركة الصليبية ، ج١ ، ص ١٦٠ . قاسم عبد قاسم : ماهية الحروب الصليبية ، ص ١٢٤ . العريني : الشرق الاوسط والحروب الصليبية ج١ ، ص ٢١١ .

[٨] william of tyer op. Cit vol, ١ . p. ١٦٩-١٧٠ .

ويذكر فوشيه واصفاً حالهم وما اصابهم بقوله (كنا نواجه الموت ، وحيث أن كثير من رجالنا اصيبوا بجراح فقد اركنا الى الفرار، وليس بعجب اذ أن اساليب الحرب هذه لم تكن معروفة لدينا)[١]، ويسترسل فوشيه بقوله (ماذا أقول بعد ذلك ؟ كنا تجمعنا مع بعضنا كما تتجمع الاغنام ، ترتعد فرائصنا ويملأنا الخوف ويحيطنا العدو من جميع النواحي حتى اننا لم نقدر على التحرك في أي اتجاه)[٢] إلا أن القوات الاسلامية لم تستغل هذه الفرصة بالهجوم على القوات الصليبية وسحقها منفردة واحدة بعد الاخرى . مما مكن يوهمند من الاستنجاد بجودفري الذي تمكن من الوصول في الوقت المناسب ليحسم المعركة لصالح القوات الصليبية [٣] .

ومن خلال ما تقدم يمكننا القول أن القوات الاسلامية لم تكن جادة في مسعاها تجاه القوات الصليبية نتيجة لما شهدته المنطقة من صراعات داخلية اورثت الشك والريبة بين حكامها، مما حال دون تكاتفهم للوقوف بوجه القوات الغازية . ويعلل رنسيمان سبب خسارة القوات الاسلامية بقوله (والراجح ان مؤنهم أخذت في النفاذ) [٤]، وعلى أي حال فانه تمخض عن هذه المعركة آثار بعيدة المدى ، اذ جاءت بمثابة اعلان عن ظهور قوى جديدة حلت محل القوة الاسلامية في المنطقة التي قدر لها أن تؤدي دورا كبيرا على الصعيد السياسي والعسكري [٥] فضلا عن اضعاف المقاومة الاسلامية وعدم قدرتها على المواجهة . ويتضح ذلك جليا من خلال قول القائد قلج ارسلان بعد التقائه بمجموعة جاءت لنصرته من بلاد الشام قائلا (لو تكونوا حاضرين لشاهدتم جموعهم تغطي كافة الجبال والتلول والوديان والسهول) [٦]. لذلك أخذت القوات الاسلامية شكلا آخر في المجابهة وهو ما اصطلح على تسميته

---

[١] تاريخ الحملة الى القدس ، ص ٤٨ .

[٢] تاريخ الحملة الى القدس ، ص ٤٩ .

[٣] Mayer (H.E) : the crusades : (trans by jone cillinghum , oxford – university ١٩٧٢) P.٥

[٤] رنسيمان : الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٢٦٣ .

[٥] Crousset. Op . cit . ١ . p. ٣٥.

[٦] مجهول: أعمال الفرنجة ، ص ٤٢ – ٤٣ . رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٢٦٦.

بسياسة الاخلاء او الارض المحترقة [١]، اذ عمدت القوات الاسلامية على اتلاف المحاصيل واخلاء القرى التي تقع على خط سير القوات الصليبية بغية عدم انتفاعها من تلك المدن او القرى وعرقلة خط سيرها . كان بالامكان أن تكون هذه الخطة ناجحة لو أن قلج ارسلان استطاع تنظيم قواته وتكوين جبهة متحدة.وعلى كلٍ فان القوات الصليبية تابعت سيرها بعد استراحتها لمدة يومين سالكةً الطريق الجنوبي الشرقي الذي يعدّ أكثر الطرق طولاً[٢]،ومن الملاحظ أن الصليبين لم يسلكوا الطريق الحربي الذي يعتبر من أقصر الطرق المؤدية الى الشرق[٣]، على ما يبدو أن الصليبيين أرادوا بذلك تجنب الاصطدام بالمقاومة الاسلامية المتمثلة بالداشمنديين المسيطرين على هذا الطريق من جهة ، وصعوبة اختراق الصحراء بهذه الاعداد من جهة أخرى . لذلك سلكت القوات الصليبية هذا الطريق لتصادف شتى أنواع العذاب المتمثلة بوعورة الطريق وحرارة الجو وقلة المؤن [٤]، فضلا عن حرب العصابات والهجمات الفجائية التي شنتها القوات الاسلامية على طول الطريق التي كبدتهم كثيرا من الخسائر في الارواح والمعدات [٥].

وفي أغسطس ٤٩١هـ/ ١٠٩٧ م وصل الصليبيون مدينة قونيه ليجدوها خالية من أهلها[٦] . أن سياسة الاخلاء التي اتبعتها القوات الاسلامية قد فشلت لأنهم لم يحاولوا الدفاع عن المدينة على الرغم مما كانت تعانيه القوات الصليبية من تعب وقلة مؤن . فعلى الرغم من سياسة الاخلاء التي طبقت على هذه المدينة الا ان

---

[١] مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٤٣ . المطوي العروسي : الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ، ص ٣٢ .

[٢] عاشور : تاريخ الحركة الصليبية ، ج١ ، ص ١٦٠ . العريني : المشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٢١٤.

[٣] رنسيمان : الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٢٦٦.

[٤] فوشيه : تاريخ الحملة الى القدس ، ص ٥٠ . مؤرخ مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٤٣-٤٤ .
Boxon : the story of the crusades , p .٨٢ .

[٥] قاسم عبد قاسم : ماهية الحروب الصليبية،ص١٢٤،جوزيف نسيم: العرب والروم ، ص ٢٣٥ .

[٦] فوشيه : تاريخ الحملة الى القدس ، ص٥٠، مؤرخ مجهول : اعمال الفرنجة، ص ٤٤، المطوي ، الحروب الصليبية ، ص٣٣.

الصليبيين تمكنوا من اجتياز الصحراء الفاصلة بين قونية وهرقلة وذلك بمساعدة الأرمن الذين أمدوهم بالمؤن التي يحتاجونها[١] وحاولت القوات الاسلامية المتحالفة من صد الصليبيين عن هرقلة الا ان هذه المحاولة باءت بالفشل اذ استطاع الامير بوهمند من تبديد هذا التحالف على اثر اتصاله بالامير الداشمندي الامر الذي أدى الى انسحاب القوات الاسلامية ممكنةً الصليبيين من دخول المدينة[٢]، ونستنتج من ذلك بأن المصالح الخاصة كان لها أثر كبير في تفتيت عرى المقاومة الاسلامية في هذا الاقليم، اذ سعى كل أمير من الايقاع بخصمه ، مما أمكن القوات الصليبية من الاجتياح في هذه الجهات بسهولة ويسر دون أن تصادف مقاومة بالمستوى المطلوب توقفهم عن متابعة سيرهم الى بلاد الشام . وبعد هذا الانتصار الذي تحقق للصليبيين انفصلت قواتهم مرة أخرى مختلفين كل يجري وراء اطماعه ، اذ توجه بلدوين وتنكرد نحو قلقيلية بينما اتجهت القوات الصليبية الاخرى بزعامة جودفري وبوهمند وريموند والمندوب البابوي الى قيصرية ، فلم يجدوا ما يشير الى وجود مقاومة تذكر فاستولوا عليها سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٥م [٣] . ثم تابعوا خط سيرهم الى قلعة بلاكتينيا الارمنية والتي كانت محاصرة من قبل الداشمنديين الذين اضطروا الى رفع الحصار حال وصول الصليبيين اليها فتسلمها البيزنطيون وفقا للمعاهدة المبرمة سابقا دليلا على التزامهم[٤] ثم توجهوا بعد ذلك نحو مدينة كوكس فأقاموا بها ثلاثة أيام ثم تابعوا سيرهم نحو مدينة مرعش بعد تزويدهم بالمؤن الكافية من قبل الارمن مما مكنهم من الوصول اليها ما كثين فيها عدة ايام تحفهم رعاية الحاكم الارمني الى ان غادروا متوجهين الى انطاكية فوصلوا الجسر الحديدي على نهر العاصي في تشرين اول

---

[١] مؤرخ مجهول : أعمال ، ص ٤٤، د. رشيد الجميلي : امارة الموصل في العهد السلجوقي (٤٨٩هـ-٥٢١هـ) طبعة الاوفسيت ، طبعة الاولى ، ١٩٨٠، ص٢٠٣.

[٢] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٢٦٩ .

[٣] مؤرخ مجهول : اعمال الفرنجة ، ص ٤٤ – ٤٥ ، بدر الدين ابو محمد محمود بن أحمد بن موسى (ت٨٥٥هـ- ١٤٥١م) منتخبات من عقد الجمان في تاريخ أهل الرمان ، مجموع مؤرخي الحروب الصليبية ، ج١٥ ، ص ٥٠١ . باركر : الحروب الصليبية ، ص ٣٨ – ٣٩ .

Boxton : the story of the crusades . P. ٨٢.

[٤]Crousset : Hist . des croisades . vol , ١ . p.٣٨ .

سنة ٤٩١هـ/ ١٠٩٧ م [١] . أما الشق الاول من القوات الصليبية بزعامة تنكرد وبلدوين فقد توجها الى قلقيلة سعيا وراء مطامعهما الشخصية ، علما أن كلاهما لم يكن له نصيب في بلاده بحكم انتمائهما الى فرعين صغيرين من الاسر الحاكمة ، لذلك حرص كل واحد منهما على اقامة امارة له في الشرق[٢]، يبدو أن تنكرد تمكن من الوصول الى طرطوس قبل بلدوين وذلك بحكم اتخاذه الطريق المباشر المؤدي الى هذه المدينة[٣] إلا أنه لم يتمكن من دخول المدينة مباشرة وذلك لما لاقاه من مقاومة عنيفة من قبل الحامية الاسلامية التي بادرته بالهجوم ولكن هذه المقاومة لم تستمر طويلا ذلك لوصول قوات بلدوين البولوني من جهة [٤] وولاء سكان المدينة الارمن للصليبيين من جهة أخرى[٥]. فلما تيقنت الحامية الاسلامية من عدم قدرتها على مجابهة الاعداء اضطرت الى الخروج من المدينة ليلا ، وفي اليوم الثاني شرع المسيحيون الموجودون داخلها بفتح الابواب لقوات تنكرد فدخلوها[٦] وقد اغتاض بلدوين كثيرا عندما شاهد اعلام تنكرد ترفرف فوقها لطمعه بها. لذلك اضطر تنكرد الى تسليم المدينة لبلدوين عندما شاهد أنه غير قادر على مواجهته انسحب بعساكره الى ادنة[٧] وبعد أن تسنى لبلدوين الاستيلاء على المدينة ، وصل في تلك الاثناء ثلاثمائة من النورمان لمساندة تنكرد إلا أن بلدوين لم يسمح لهم بدخول المدينة

---

[١] ابن العريم : زيد ، الحلب ، ج٢ ، ص ١٣١ ، رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٢٧١ –٢٧٣ .

[٢] فليب حتى: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ترجمة : كمال البازجي ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ج٢ ، ص ٢٢٥ .

[٣] William of tyer : op.Cit, vol, ١ p. ١٩٩ .

[٤] عاشور : الحركة الصليبية ، ج١ ، ص ١٦٨ . العريني : الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٢٢٣–٢٢٤ .

[٥] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٢٨١ .

[٦] مؤرخ مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٤٥ . رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٢٨١ .

[٧] مؤرخ مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٤٥ ، فوشيه : تاريخ الحملة الى القدس ، ص ٥١–٥٢ .

Zoe : Olden bourg the crusades (New york) ١٩٦٥ , p. ١٣٨ .

ارسنت باركر : الحروب الصليبية ، ص ٣٩ .

فعسكروا خارج اسوارها فتعرضوا الى ابادة شاملة اثناء الليل من قبل القوات الاسلامية التي كانت تتحين الفرص للانقضاض على عدوهم[١] من الملاحظ أن المقاومة الاسلامية كانت متعقبة للصليبيين إلا أنها لم تكن على درجة كبيرة من التنظيم وذلك لافتقارها الى القيادة الموحدة في هذا الاقليم .

أما تنكرد فحال وصوله الى ادنه انسحبت الحامية الاسلامية من المدينة فدخلها دون مقاومة تذكر ، إلا أنه لم يستقر بها طويلا ، اذ ترك فيها حامية وانصرف الى المصيصة حيث دخلها دون عناء [٢] في تلك الاثناء وصلت قوات بلدوين بعد أن أيقن أن قلقيلة لا تصلح بها امارة بسبب مناخها الوخم من جهة وقربها من الامبراطور البيزنطي صاحب النفوذ المتزايد من جهة أخرى [٣]. غير أن وقوع القتال بين الجانبين أصبح أمرا محتما ، اذ ان تنكرد لم يسمح لبلدوين دخول المدينة كما أنه حاول الايقاع بقواته ردا على ما اقترفه في طرسوس، ولكنها لم تكن حركة موفقة يقودها تنكرد اذ تعرضت قواته الى هزيمة نكراء [٤].

لقد افصحت هذه المواقف وبشكل كبير عن الدوافع الاستعمارية بين القادة الصليبيين في الفترة المبكرة من الغزو الصليبي من جهة [٥] وادارك المسيحيين الوطنيين بأن القادة الفرنج لم يأتوا الى هذه البلاد من اجل انقاذهم بل حركتهم اطماعهم من جهة أخرى . كما انهم ايقنوا (أن مصلحتهم العليا ، تقتضي بأن يعملوا على الايقاع بين الفرنج بعضهم ببعض) .[٦]

---

[١] العريني : الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٢٢٤ .

[٢] عاشور : الحركة الصليبية ، ج١ ، ص ١٦٩ .

[٣] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٢٨٣-٢٨٤ .

[٤] عاشور : الحركة الصليبية ، ج١ ، ص ١٦٩ .

stevenson : the crusaders in the East Cambridge university (London ١٩٥٨) , p. ٢٨ . Yedale (R.B.) – Bohemond (١) prince of Antioch (princeton ١٩٢٤). ١ .p.٤٩.

[٥]Hussein : the imperiolistic elements of the crusades , p. ٤٨٩.

[٦] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٢٨٤ . العريني: الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٢٢٥ .

ومما يمكن قوله هنا هل أن القوات الاسلامية لم تكن على علم بما يجري من احداث في ساحة عدوهم ؟ نحن لا نعتقد ذلك ولكن ما يمكن استنتاجه بأن القوات الاسلامية لم تكن بأحسن حالا من عدوهم وذلك لما شهدته المنطقة من صراعات داخلية اسهمت وبشكل كبير في اضعافهم وعدم قدرتهم على المواجهة . وعلى أي حال فقد تم الوفاق بين بلدوين وتنكرد وعلى اثر ذلك توجه بلدوين ملتحقا بالجيش الرئيسي بعد أن وافته انباء احتضار زوجته[١]. ويذهب بعض الباحثين ان بلدوين بعد أن تحقق فشله في امكانية انشاء امارة له في قلقيلية التحق بالجيش الرئيسي من اجل التشاور مع أخيه جودفري حول امكانية انشاء امارة له في البلاد الارمنية ، لا سيما بعد استدعاء ثوروس امير الرها بدليل أن بلدوين لم يلبث مع الجيش الرئيسي سوى يومين ثم انصرف الى تحقيق هدفه[٢] أما تنكرد فانه لم يمكث كثيرا في المصيصة حيث غادرها متوجها جنوبا نحو مدينة الاسكندرية ، وفي هذه المدينة واجهته مقاومة عنيفة من قبل حاميتها الاسلامية فلم يتمكن من دخولها الا بعد وصول الامدادات التي ارسل في طلبها من طرسوس[٣] وبدخول الصليبيين المدينة ضمنوا لأنفسهم موقعا استراتيجيا كان له بالغ الاثر في نجاح هذه الحملة وذلك لما قدمه هذا الميناء من امدادات وتموين يسر عمليات الزحف داخل بلاد الشام [٤]، وقام تنكرد بمغادرتها بعد أن ترك حامية فيها ملتحقا بالقوات الصليبية في انطاكية [٥] .

ومن خلال ما تقدم يمكننا القول ان تفرق الحاميات الاسلامية وبعثرتها حال وبشكل كبير دون قدرتها في مواجهة القوات الصليبية التي استطاعت من هزيمتها واحدة بعد الاخرى . كما أن القوات الاسلامية حرمت من اتخاذ هذا الاقليم قاعدة لضرب القوات الصليبية في انطاكية بسبب وجود الحاميات الصليبية فيه .

---

[١] باركر : الحروب الصليبية ، ص ٣٩ .

Crousset : Hist . des, v.١ . p. ٤٩ .

[٢] عاشور : الحركة الصليبية ، ج١ ، ص ١٧٠ . رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٢٨٧.

[٣] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٢٨٥-٢٨٦ .

[٤] م. ن / ج١ ، ص ٢٨٦ .

[٥] م. ن ج١، ص ٢٨٦.

٢- المقاومة في الرها :

بعد أن انفصل بلدوين من الجيش الصليبي سلك طريقا شرقيا موازيا للقوات الصليبية الرئيسية بحجة حماية جناحها الايسر من أي محاولة اسلامية مباغتة ، وعند عين تاب توجه بلدوين مباشرة الى الشرق [١] سعيا وراء اطماعه في امكانية اقامة امارة له على نهر الفرات لاسيما بعد المراسلات التي وافته وهو في قلقلية[٢] في الحقيقة أن بلدوين لم يصادف مقاومة اسلامية اثناء مروره الى الرها ، اذ أن الحاميات الاسلامية اقتصرت على وضع الكمائن في الطريق المتوقع أن تسلكه القوات الصليبية [٣] باستثناء الحامية الاسلامية في سيموساط بقيادة بلق بن الدشمندي الذي حاول تنظيم مقاومة ضد القوات الصليبية، إلا أنه لم يتمكن من ذلك لوجود فارق في العدد والعدة[٤] . وواصل بلدوين تقدمه في تلك الجهات حتى تمكن في اوائل شتاء ٤٩٠هـ/١٠٩٧ م من الاستيلاء على أهم حصنين في تلك المنطقة هما رواندان وتل باشر حيث أن رواندان يتحكم بالطريق المؤدي الى انطاكية بينما تكمن أهمية الاخر بوقوعه بالقرب من مخاضة قرميش على نهر الفرات .[٥]

ونستنتج من ذلك أن بلدوين قد أحكم سيطرته على هذه المنطقة وفقا للمواقع الاستراتيجية التي اصبحت تحت نفوذه . وفي تل باشر وافته سفارة الامير الارمني ثوروس داعيا له الى الرها[٦] يبدو أن موقف ثوروس الارمني اصبح حرجا وذلك بسبب الاضطرابات الداخلية التي كان يعاني منها داخل امارته بسبب اعتناقه المذهب الارثوذكسي من جهة، وتوجه القوات الاسلامية بقيادة كربوقا لنجدة انطاكية وقدرته على أن يمحو في سهولة ويسر الرها وسائر الامارات الارمنية الواقعة في

---

[١] العريني : الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٢٢٧ .

[٢] ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠ ، ص ٣٢٤ .

[٣] فوشيه : تاريخ الحملة الى القدس ، ص ٥٢ .

[٤] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٢٨٨ .

[٥] العريني : الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٢٢٧ .

Setton : A history of the crusades (London ١٩٦٩) . vol .١ . p .٣٠٢.

[٦] عاشور : الحركة الصليبية،ج١ ،ص ١٧٤ . حسن حبشي : الحرب الصليبية الاولى ، ص ٤٥.

طريقه من جهة أخرى [١] ومن غير المستبعد أن ثوروس كان يأمل من دعوى بلدوين بأن يعامله كأحد الجنود المرتزقة إلا أن بلدوين لم يقنع بذلك فاضطره الى أن يتخذه وريثا له ليس هذا فحسب بل حاك ضده مؤامرة اسفرت عن قتله وتسنى بذلك لبلدوين من الانفراد بحكم الرها [٢]، أما القوات الاسلامية بقيادة بلك فقد واصلت غاراتها على امارة الرها الصليبية وافساد حقولها ونهب قطعانها ، الامر الذي دفع بلدوين بمهاجمة سيمساط ومحاصرتها [٣] ، إلا أن المدينة تمكنت من مقاومة الحصار ببسالة منقطعة النظير وقيامها بهجوم مباغت استطاعت من خلاله الحاق الهزيمة بالقوات الصليبية وقتل الفين من رجالها[٤] وكان من بين هؤلاء القتلى ستة من فرسان بلدوين الاشداء مما أثر في نفسه كثيرا وساد الحزن والعويل في كافة انحاء المدينة [٥] وعلى اثر هذه الهزيمة التي ألمت بالقوات الصليبية قام بلدوين بتحصين قرية على مقربة من سميساط جعل فيها عددا كبيرا من قواته للحد من هجمات القوات الاسلامية على مركز قيادته الرها [٦] إلا أن زعيم القوات الاسلامية في سميساط لم يكن جادا في مسعاه الجهادي فما كان همه إلا المحافظة على ممتلكاته الشخصية، فما أن سمع باستعدادات بلدوين في شن هجوم على امارته حتى بادر بارسال الرسل اليه عارضا له سميساط بعشرة الاف دينار ، فقبل بلدوين هذا العرض لمعرفته الكاملة بقوة

---

[١] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٢٨٩ . العريني : الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٢٢٩ . عبد القادر اليوسف : علاقات بين الشرق والغرب ، ص ٦٦ .

[٢] فوشيه : تاريخ الحملة الى القدس ، ص ٥٣ . باركر : الحروب الصليبية ، ص ٣٩ . العريني : الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٢٢٨-٢٢٩ .

[٣] William of tyer : op , cit, vol.١.p.١٩٢ .

[٤] عاشور : الحركة الصليبية ، ج١ ، ص ١٧٦ .

Crousset : Hist . des . croisades . vol. ١.p.٥٥.

[٥] الجنزوري : علية عبد السميع ، امارة الرها الصليبية ، مطابع سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص ٧٤ .

[٦] William of tyer . op. Cit . vol.١ p. ١٩٤.

رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٢٩٠-٢٩٢. العريني : الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٢٣٠ .

المدينة وتحصيناتها المتينة[١]، وعلى اثر ذلك دعى بلدوين بلك الداشمندي الى المقام في الرها على أن يكون ضمن الجنود المرتزقة [٢]، وقام قسم من زعماء المسلمين بالاستنجاد بالصليبيين من أجل ارجاع بعض الحصون التي خرجت عن قبضته كما فعل بلك بن بهرام الارتقي اذ استنجد ببلدوين من أجل اعادة سروج الى دائرة نفوذه بعد أن استقلت منه، وبذلك تمكن بلدوين من اغتنام الفرصة وضم البلد الى ممتلكاته [٣] كما أن بلدوين تمكن بعد ذلك من احتلال البيره وتطهير جميع الطرق المؤدية بين الرها وحصني تل باشر وراوندان على أثر ذلك تسنى لبلدوين امكانية الاتصال مع القوات الصليبية الاخرى، لاسيما مع انطاكية [٤] ومن الجدير بالذكر أن نجاح الصليبيين في فرض سيطرتهم على هذا الاقليم يعود بالدرجة الاولى الى ما قدمه الارمن من مساعدات اليهم سواء كانت تلك

---

[١] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٢٩١-٢٩٢ . عاشور : الحركة الصليبية ، ج١ ، ص ١٧٩ .

[٢] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٢٩٥ .

[٣] عاشور : الحركة الصليبية ، ج١ ، ص ١٨٠ .

Crossest : Hist . des crois . vol.١.p٦٢.

[٤] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٢٩٨-٢٩٩ .

المساعدات أدلاء ام جنود مرتزقة [١]، ومن هنا يمكننا القول بأن المصالح الخاصة التي كانت موجودة بين زعماء المقاومة قد لعبت دورا كبيرا في اضعافها ، فضلا عن مواقف الشك والريبة التي حالت من وقوفهم صفا واحدا ، مما أتاح الفرصة لعدوهم القضاء عليهم واحدا بعد الآخر . وعلى أي حال استطاع بلدوين البولوني من تحقيق طموحه في انشاء امارة له في الرها التي عدّت أول امارة صليبية أقيمت في الشرق قدر لها ان تلعب دورا كبيرا في الصراع بين المسلمين والصليبيين اذ وقفت دون امكانية توحيد الجهود بين الموصل وبلاد الشام ، الى أن تم زوالها على يد عماد الدين زنكي . وقد ادركت القوات الاسلامية خطورة هذه الامارة ، يتضح ذلك من توقف كربوقا أمام اسوارها محاصرا لها لمدة ثلاثة اسابيع فلم يتمكن من دخولها فانكفأ عنها الى انطاكية.[٢]

٣-المقاومة في انطاكيه :

ذكرنا سابقا أن سليمان بن قتلمش استولى على انطاكية سنة ٤٧٧هـ/١٠٨٥م [٣] . وبعد مقتله انتقلت الى حوزة السلطان ملك شاه الذي عين ياغي سيان حاكما عليها لمدة عشرة اعوام [٤]، وعلى اثر وفاة ملكشاه اصبح ياغي سيان تابعا لتتش[٥]، وبعد مقتله انتقلت تبعيته الى رضوان ، إلا أنه لم يكن مخلصا له بل حاول

---

[١] Crousset : Hist . des crois , vol ١.p.٤٧.

[٢] سيتم تبيان ذلك لاحقا.

[٣] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١١ . ابن العديم : زبده الحلب ، ج٢ ، ص ٨٦ . الذهبي، دولة الاسلام ، ج٢ ، ص ٥ . اليافعي : مرآة الجنان ، ج٣ ، ص ١٢٠.

Croususset , op cit. p.٤٤.

[٤] ابن العديم : : زبدة الحلب، ج٢ ، ص ١٠٢ . أبو شامة : الروضتين في اخبار الدولتين ، ج١ ، ق١ ، ص٦١.

[٥] الحسيني، علي بن ناصر (٦٢٢هـ/١٢٢٥م) أخبار الدولة السلجوقية ، اعتنى بتصحيحه: محمد اقبال ، لاهور ، ١٩٣٣، ص ٧٥ ، ابن الاثير : لباهر ، ص ١٢ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٢ ، ص ١٠٦-١٠٧ . ابو شامة : الروضتين ، ج١ ، ق١ ، ص ٦٥ ، ابن شداد : العلائق الخطيرة ، ج٣ ، ق٢ ، ص ٦٠٢ ، ابو الفداء : المختصر في اخبار البشر ، ج٢ ، ص ٢٠٣ . الذهبي : دول الاسلام ، ج٢ ، ص ١٠ .

الاستقلال عنه لذلك اتبع سياسة متأرجحة في علاقته معه لا سيما في الصراع الذي شب بين رضوان وأخيه دقاق صاحب دمشق [١] ونتيجة لذلك حرم ياغي سيان نجدة أقرب القوى الاسلامية عندما توجه الصليبيون الى انطاكية ومحاصرتها ، ومن الجدير بالذكر أن ياغي سيان لم يكن موجودا في انطاكيه عندما شرع الصليبيون في الزحف عليها اذ انه كان مشغولا في الخلافات التي كانت موجودة بين أبناء تتش حول ملك الشام ، فما ان علم بمقدم القوات الصليبية الى انطاكية حتى انفصل عن اصحابه وذهب للدفاع عنها [٢] مما يسترعي الانتباه أن أمراء الشام لم يحاولوا تسوية خلافاتهم والذهاب مع ياغي سيان لدرء الخطر المحدق بهم بل تركوه يذهب وحده للدفاع عن انطاكية ، وكأنما الامر لا يعنيهم ، وفي ظل هذا الموقف الحرج شرع ياغي سيان لتدارك الامر والعمل على مواجهة القوى الصليبية منها ما هو خاص بانطاكية حيث عمل على زيادة تحصيناتها وحشد كل ما لديه من قوات داخلها ، وشرع بتوفير المؤن اللازمة استعداداً لحصار قد يطول امده [٣] كما عمل على اخراج المسيحيين خوفا من تآمرهم مع القوات الصليبية بحجة حفر خندق ، وبين ابن الاثير كيفية اخراجهم بقوله (فأخرج المسلمين من أهلها ليس معهم غيرهم وأمرهم بحفر خندق ، ثم أخرج النصارى لعمل الخندق ايضا ليس معهم مسلم، فعملوا فيه الى العصر ولما ارادوا دخول بلدهم منعهم)[٤] على الرغم ما لهذه الخطوة من ايجابية ، إلا أنها لا تخلوا من نقاط سلبية إذ كان لها بالغ الاثر في دخول القوات

---

[١] ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٢ ، ص ١٢٦ . ابو الفداء : المختصر في اخبار البشر ، ج٢ ، ص ٢٠٩ . اليافعي : مرآة الجنان ، ج٣ ، ص ١٥٢ .

[٢] ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٢ ، ص ١٢٩ . عاشور : الحركة الصليبية ، ج١ ، ص ١٨٣ . باركر : الحروب الصليبية ، ص ٣٦ . ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٤ .

[٣] ابن القلانس : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٤ . رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٣٠٥ . العريني : الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٢٣٣.

[٤] الكامل في التاريخ ، ج١٠ ، ص ١٩١ ، ابو الفداء : المختصر في اخبار البشر : ج٢ ، ص ٢١٠ .

الصليبية الى داخل انطاكية [١]. كما أن باغي سيان حاول الاتصال بالقوات الاسلامية اذ ارسل ابنه شمس الدولة الى دقاق صاحب دمشق فأجابه على طلبه والى جناح الدولة صاحب حمص [٢]، أما رضوان صاحب حلب فانه لم يحرك ساكنا نظرا لموقفه السابق معه [٣]، كما أرسل الى الخليفة العباسي والى السلطان السلجوقي والى (سائر البلاد والاطراف بالاستصراخ والاستنجاد الى الجهاد) [٤] وفي الحادي والعشرين من اكتوبر سنة ٤٩١هـ/ ١٠٩٧م وصل يوهمند في طلائع الجيش الصليبي الى انطاكية ثم تتابعت قواتهم الباقية على اثره لمحاصرتها الا انهم دهشوا كثيرا عندما شاهدوا منعة المدينة وحصانة اسوارها، فلا سبيل الى اقتحامها الا عن طريقين وهما التجوع او الخيانة ، فلم يدخروا جهداً في تطبيق هذين الاسلوبين [٥] كما بات من العسير تطويقها بشكل نهائي ، لاسيما في المنطقة الجنوبية منها وذلك لشدة انحدارها [٦] وعلى أي حال فان القوات الصليبية قد اتخذت مواقعها أمام اسوار المدينة حيث نزل يوهمند بقواته في الجبهة الشمالية الشرقية من المدينة قبالة باب بولص[٧] واتخذه ريموند ومعه المندوب البابوي موقعه في الجبهة الغربية من باب الكلب ، أما قوات جودفري فرابطت في الجبهة الشمالية الغربية مقابل باب الجنينة،

---

[١] يشير رنسيمان الى ذلك بقوله : (فاللاجئون والمبعدون المسيحيون عن المدينة لا زالوا على اتصال وثيق بأقاربهم بداخل المدينة ، بفضل ما تخلل صفوف المحاصرين والمدافعين من ثغرات وقف الصليبيون على كل ما يقع داخل انطاكية . .) تاريخ الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٣١٠.

[٢] ابن القلانس : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٤ . ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٢ ، ص ١٣٠ .

[٣] ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠ ، ص ١٩١ . ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٢ ، ص ١٣٣ . ابو الفداء : المختصر في اخبار البشر ، ج٢ ، ص ٢١٠ . ابن الوردي : تتمة المختصر ، ج٢ ، ص ١٩٢ . عاشور : الحركة الصليبية ، ج١ ، ص ١٨٦ .

[٤] ابن القلانس : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٤ . ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٢ ،ص ١٣٠ .

[٥] Yewdale : Bohamond , ١ .p.٥٤ .

[٦] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٣٠٧ . عاشور : الحركة الصليبية ، ج١ ، ص ١٨٤ .

[٧] مؤرخ مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٤٩ .

William of tyer : op. cit . vol , ١ . p.٢٠٧ .

حسن حبشي : الحروب الصليبية الاولى ، ص ٤٩ .

أما بقية القوات الصليبية بزعامة أمير فرماندو واستيفن امير بلو وروبرت امير نورمندية وربرت امير فلاندر فقد اتخذت اماكنها في المنطقة المواجهة للاسوار بين باب بولص وباب الكلب[1]، أما بوابة جورج والجسر ، فلم يتمكن الصليبيون من فرض الحصار عليها في بادئ الامر [2]، وكان ذلك على ما يبدو خشية تقسيم قواتهم في فترة مبكرة من الحصار .

ومن خلال ذلك يتبين لنا أن القوات الصليبية لم تتمكن من ضرب الحصار على جميع المدينة اذ تركوا الجبهة الجنوبية لوجود الجبال العالية وكذلك الجانب الغربي الذي يحميه النهر [3] مما أعطى القوات الاسلامية المحاصرة امكانية الاتصال والحصول على المؤن او طلب النجدة . غير أن الصليبيين أقاموا جسرا من السفن عبر النهر من معسكر جودفري الى قرية تالنكي حيث تقع مقبرة المسلمين ، ومن خلال هذا الجسر بلغوا الطريق المؤدي الى الاسكندرونة والسويدية ، ثم جرت المبادرة في اقامة معسكر شمال النهر [4].

---

[1] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٣٠٨ .

Yewdale : Bobamond . ١.p.٤٥.

العريني : الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٢٣٥ .

[2] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٣٠٨ .

[3] تمثل انطاكية رقعة مستقلة ، مطلة على البحر المتوسط ، يحيط بها من الجنوب والشرق جبل اللكام موفرا لها حماية طبيعية ، ويحف بها من الغرب الشاطئ الايسر لنهر العاصي ، اضف الى ذلك ما كانت تتمتع به من اسوار كبيرة ، جعلتها أكثر حصانة . ينظر : المسعودي : ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ، ٩٥٧م) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تدقيق : يوسف اسعد داغر ، دار الاندلس ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ج١ ، ص ٣٣٥ . ياقوت الحموي : شهاب الدين بن عبد الله البغدادي (٦٢٦هـ/١٢٢٨م) معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت، ١٩٥٥، ج١ ، ص ٢٦٧ . القفطي : جمال الدين علي بن يوسف (ت٦٤٦هـ) تاريخ الحكماء ، مختصر الزوزئي المسمى بالمنتخبات والملتقطات من كتاب (اخبار العلماء باخبار الحكماء) برلين ، ١٩٠٣ ، ص ٢٩٦ . البغدادي : صفي الدين (ت: ٧٣٩هـ) مراصد الاطلاع ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ، بيروت ، ط١ ، ١٩٥٤ ، ج١ ، ص ١٢٤-١٢٥ .

[4] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٣٠٨ . حسن حبش : الحروب الصليبية الاولى ، ص ٥٠ . العريني : الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٢٣٥-٢٣٦.

أما القوات الاسلامية بقيادة باغي سيان فانها لم تقف مكتوفة اليد بل بادرت بشن هجمات متلاحقة اوقعت خسائر كبيرة بجيش العدو لاسيما في تلك القوات الخارجة للنهب بالقرى المجاورة[١] ويشير الى ذلك ابن العديم قائلا: (ولا يكاد يخرج عسكر انطاكية ويعود الا ظافراً) [٢] كما أن باغي سيان استطاع الاتصال بحاميته المرابطة على الطريق المؤدي الى حلب عند حارم، حيث قامت هذه الحامية بدور فعال من الايقاع بمؤخرة القوات الصليبية، مما اثار الارباك والاضطراب بين صفوفه [٣] . ويذكر المؤرخ المجهول ما قامت به المقاومة الاسلامية من جهود في الدفاع عن انطاكية قائلا (ومضوا يحدقون بحجاجنا، ولم يكونوا يتربصون لنا في ناحية واحدة بل كنا نجدهم في كل الجهات ، فآونة نلقاهم في طريقنا الى البحر ، وآونة أخرى نصادفهم في طريقنا الى الجبل)[٤] . يبدو أن أعمال النهب والسلب التي قامت بها القوات الصليبية في أثناء زحفها الى انطاكية لم تجد نفعا فما لبثت ان واجهت مشكلة في غاية الاهمية وهي مشكلة المؤن اذ اشتدت المجاعة بين صفوفها حتى اضطر عدد كبير من رجالهم الى الهرب كان من بينهم بطرس الناسك وليم النجار [٥] لذلك تحتم على القوات الصليبية القيام بدوريات لجلب المؤن من القرى المجاوره مما سهل على القوات الاسلامية المتربصة الانقضاض عليهم وقتل اعداد كبيرة منهم [٦] وبعد ان تحقق فشل هذه الدوريات في جلب المؤن عقدوا مجلسا استشاريا قرروا فيه ارسال بوهمند وروبرت فلاندر مع عدد كبير من قواته بلغ تعدادها عشرين الفا الى حماة وما يجاورها من القرى الا ان خبر هذه الحملة قد وصل الى الجيش الخارج

---

[١] مؤرخ مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٥٠ . عاشور : الحركة الصليبية ، ج١ ، ص ١٨٧ .

[٢] زبدة الحلب ، ج٢ ، ص ١٣٢-١٣٣ .

[٣] مؤرخ مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٥٠ . رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٣١٠
Crousset . op, ١.p.٧٢ .

[٤] أعمال الفرنجة ، ص ٥٠ . فوشيه : تاريخ الحملة الى القدس ، ص ٥٥ .

[٥] اعمال الفرنجة ، ص . ٥ . رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ح١ ، ص ٣١٦ . حسن حبشي: الحروب الصليبية الاولى ، ص ٥١ – ٥٢ .

[٦] فوشيه : تاريخ الحملة الى القدس ، ص٥٥ . عاشور : الحركة الصليبية ، ح١ ، ص١٨٧ عبد القادر اليوسف : علاقات بين الشرق والغرب ، ص ٦٧ .

لنجدة انطاكية بقيادة دقاق واتابك طغتكين وصحبه شمس الدولة ياغي سيان وعند وصولهم الى حماة انحاز اميرها إليهم وما ان وصلت القوات الاسلامية المتحالفة الى شيزر حتى اصبحوا على مقربة من الصليبين، وعند الباره جرت معركة كبيرة تمكنت القوات الاسلامية من الانقضاض على الصليبين وقتل اعداد كبيرة منهم [1] ويشير ابن القلانسي الى هذه الحادثة قائلا، (نهض من عسكر الافرنج فريق وآخر يناهز ثلاثين الفا فعاثو في الاطراف ووصلوا الى الى البارة وفتكوا فيها .... وكان عسكر دمشق وصل الى ناحية شيزر لانجاد ياغي سيان فلما نزلت هذه الفرقة المذكورة على البارة نهضوا وتطاردوا وقتل منهم جماعة وعاد الافرنج الى الروج وتوجهوا الى انطاكيه)[2] اضف الى ذلك فان القوات الاسلامية منعت الصليبين من جلب المؤن اللازمة لقواتها المحاصره، واجبرتهم على عدم الابتعاد عن مراكزهم جنوبا مكتفين بالاغارة شرقا حتى معره مصرين [3] [4]، أما قوات ياغي سيان فإنها اغتنمت فرصة خروج يوهمند وحميه فشنت هجوما عنيفا على الصليبيين المحاصرين للمدينة وكبدتهم خسائر جسيمة، ثم تظاهرت بالانسحاب حتى تبعتها القوات الصليبية، وعند جسر السفن المقام على نهر العاصي دارت معركة عنيفة خسر فيها الصليبيون خسارة كبيرة، كان من بين قتلاهم أدهمير حامل اللواء [5] ويذكر المؤرخ المجهول هول هذه الحادثة وما حل بالقوات الصليبية من الدمار بقوله (وانقضوا

---

[1] ابن العديم : زيد الحلب ، ح٢ ، ص ١٣١ . عاشور : الحركة الصليبية ، ح١ ، ص ١٨٧ .

[2] ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق ، ص١٣٤ . باركر : الحروب الصليبية / ٣٩ . حسن حبشي : الحروب الصليبية الاولى ، ص ٥١ .

[3] ابن العديم : زبدة الحلب ، ح٢ ، ص ١٣١ – ١٣٢ .

[4] تذكر المصادر الصليبيه ان المعركة حسمت لصالح القوات الصليبية ، مشيرة ان النصر الذي تحقق للقوات الاسلامية ، كان على طلائع قواتهم بقيادة روبرت فلاندر ، غير ان بلدوين استطاع من قلب الهزيمة الى نصر . ينظر : فوشيه : تاريخ الحملة الى القدس ، ص ٥٥ . مؤرخ مجهول : اعمال الفرنجة ، ص ٥٢ – ٥٣ . باركر : الحروب الصليبيه ، ص ٣٩ . رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ح١ ، ص٣١٣ .

[5] مؤرخ مجهول : اعمال الفرنجة ، ص ٥٣-٥٤ . رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ح١ ، ص ٣١٢ – ٣١٤ .

علينا بقسوة وفتكوا بعدد كبير من فرساننا ومشاتنا الذين تراخت في حماية انفسهم ...... ولو لم يكن النهر فاصلا بيننا وبينهم لتعددت هجماتهم علينا ولنكبو جماعتنا بنكبات جسيمة)[١] الا ان الحامية الاسلامية في انطاكيه هبطت معنوياتها كثيرا بعد تراجع قوات دقاق وحلفاءه لذلك اضطر ياغي سيان ان يطلب النجدة من رضوان صاحب حلب الذي قام بنجدته على شرط ان يعلن ياغي سيان تبعيته له [٢] .

وما يمكن قوله هنا ان رضوان لم يكن يعنيه امر المسلمين المحاصرين في انطاكيه بقدر ما كان حريصا على مصالحه الخاصة الامر الذي جعل موقفه سلبيا وغير جادا تجاه القوات الصليبية المحاصرة لانطاكيه .

وعلى أي حال فان ياغي سيان قد اذعن لطلب رضوان لذلك قام الاخير بتحشيد قواته لنجدة انطاكية بصحبة كل من سقمان بن ارتق امير ديار بكر وامير حماة واتخذت هذه القوات حارم قاعدة لضرب القوات الصليبيه المحاصرة لانطاكية[٣] وفقا للخطة التي وضعت وخلاصتها بان تقوم القوات المتحالفة بمهاجمة انطاكية في حين تقوم حامية انطاكيه بهجوم مباغت من الجهة المقابلة[٤]. الا ان تفاصيل هذه الخطة قد عرفت من قبل القوات الصليبية عن طريق الارمن الموجودين في حلب الذين بادروا بالارسال سرا الى الصليبيين واعلامهم بما عزمت عليه القوات الاسلامية[٥] .

---

[١] اعمال الفرنجة ، ص ٥٣-٥٤ .

[٢] ابن العديم : زبدة الحلب ، ح٢ ، ص ١٣٢ – رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ح١ ، ص ٣٢٠ .

[٣] ابن العديم : زبدة الحلب ، ح٢ ، ص ١٣٢ .١- william of tyre, vol . p.p ٢٢٣-٢٢٤

[٤] عاشور : الحركة الصليبية ، ح١ ، ص ١٩٤ .. crovsset: hist , des croisades, ١.p. ٨٦

[٥] حسن حبشي : الحروب الصليبية الاولى ، ص ٥٤-٥٥ .

واستنادا الى ذلك شرع الصليبيون بتقسيم قواتهم اذ بقي شطرا من قواتهم متأهبة لأي هجوم تشنه الحامية الاسلامية ، بينما توجهت قوات أخرى بصحبة سبعمائة فارس لصد القوات الاسلامية المتحالفة عن انطاكية وتسنى لها ذلك فعلا عل اثر المعركة التي دارت بينها وبين التحالف الاسلامي عند الجسر الحديدي على اثرها انسحب رضوان الى حلب [١].

أما الحامية الاسلامية فقد أدت مهمتها على أكمل وجه اذ باغتت الصليبيين بهجوم شامل كبدتهم خسائر كبيرة واوشكت المعركة أن تحسم لصالح القوات الاسلامية إلا أنهم اضطروا الى الانساحب بعد مشاهدة طلائع الصليبين اذ أدركوا أن الهزيمة قد حلت بالتحالف الاسلامي[٢] .

وما يمكن ان نستنتجه من هذه الواقعة أن القوات الاسلامية ليس بامكانها أن تقف بوجه المد الصليبي وهي مبعثرة ، كما أنها برهنت على عدم قدرتها من الوقوف صفا واحدا نتيجة التنافر والتحاسد الذي كان بينهم مما حال دون توحدهم اتجاه عدوهم. كما أن هذه الانتصارات التي تحققت للقوات الصليبية في أكثر من واقعة اسهمت بشكل كبير في رفع معنوياتهم والاستمرار في تشديد حصارهم على المدينة.

وعلى الرغم من شدة الحصار المضروب على المدينة إلا أن حاميتها الاسلامية استمرت في مقاومتهم وشن الهجومات عليهم وعلى طريق امداداتهم[٣]. لذلك شرع الصليبيون بتأمين هذا الطريق من خلال بناء برج مراقبة على الضفة الشمالية منه على اثر مقدم الاسطول الانكليزي المحمل بمواد البناء والصناع الى ميناء السويدية فبادر كل من بوهمند وريموند لحمياته حتى يصل سلام الى المعسكر الصليبي [٤]. فما أن توالت الانباء الى مسامع الحامية الاسلامية حتى بادرت بارسال

---

[١] ابن العديم : زبدة الحلب ، ص ١٣٢ . رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٣٢٠ . العريني الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٢٤١ .

[٢] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٣٢١ . عاشور : الحركة الصليبية ، ج١ ، ص ١٩٥ . حسن حبشي : الحروب الصليبية الاولى ، ص ٥٥ .

[٣] مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٦٠ . رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٣٢١ .

[٤] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٣٢٢ .

سرية من قواتها لقطع طريق الرجعة على الصليبيين وفعلا استطاعت السرية الاسلامية من الانقضاض على عسكر الصليبيين المثقلين بالاحمال قتلا واسرا ، وقد أشار الى ذلك المؤرخ المجهول بقوله (فلما ابصروا الكونت بوهمند عل رأس هذه القوة صروا على اسنانهم . . ثم احدقوا برجال ينضحونهم بالنبال فجرحوهم وقتلوهم بقسوة ، وهجموا على رجالنا هجوما اضطرهم للفرار الى الجبل الشاهق والى كل ناحية حسبوها تعصمهم منهم ولم تتفيض الحياة الا لمن تهيأ له الاختفاء بالهرب السريع، أما من عجز عن الفرار فقد لاقى حتفه وقتل في هذه الواقعة أكثر من الف من فرساننا ومشاتنا) [١] ومن ناحية أخرى قامت حامية المدينة بشن هجوم مفاجئ على عساكر الصليبيين بغية حماية سرية الكمين ملحقة بالقوات الصليبية خسائر كبيرة الا انها اضطرت الى التراجع بعد وصول بوهمند وريموند بمن تبقى من عساكرهم بعد الهزيمة التي تلقوها من القوة الاسلامية [٢] غير أن سرية الكمين لم تتمكن من الانسحاب على وفق الخطة المرسومة بسبب انشغالها بكثرة الغنائم مما اتاح ذلك للصليبين من اعادة تنظيم قواتهم وشن هجوم مضاد عليها واسترجاع ما فقدوه ليتسنى لهم بذلك تشييد برج المراقبة[٣] وبهذا البرج تمكن الصليبيون من حماية طريق امداداتهم من الهجمات المفاجئة التي كانت تقوم بها الحاميات الاسلامية ، فضلا عن احكام الحصار على المدينة[٤]. كما قام الصليبيون بتشييد قلعة على التل المقابل لباب القديس جورج اوكل مسؤلياتها الى القائد تانكرد [٥] وبهذه الاجراءات استطاع الصليبيون منع قوافل المؤن من الوصول الى المدينة التي كانت تدخل عن

---

[١] أعمال الفرنجة ، ص ٦١ .

[٢] مؤرخ مجهول : ص ٦١-٦٢ . رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٣٢٢-٣٢٣ .

[٣] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٣٢٣-٣٢٤ . العريني : الشرق الاوسط و الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٢٤٢ ..

[٤] يذكر ابن القلانسي ان الصليبيون جعلوا بينهم وبين انطاكية خندقا لكثرة الغارات عليهم من عسكر انطاكية . ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٤-١٣٥. العديم : زبدة الحلب ، ج٢ ، هامش ص ١٣٣.

[٥] ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٢ ، ص ١٣٦ . رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٣٢٤ . عاشور : تاريخ الحركة الصليبية ، ج١ ، ص ١٩٦ . العريني : الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٢٤٢ .

طريق هذا الباب ، كما منعت القوات الاسلامية المحاصرة من أي هجوم منظم قد تقوم به ضد الصليبيين ، باستثناء العمليات الفدائية التي ينهض بها البعض .

أما من ناحية القوات الصليبية فان مشكلة المؤن باتت في غاية السهولة لاسيما بعد التدابير التي اتخذت اتجاه القوات الاسلامية كما ذكرنا . وبحلول فصل الربيع الذي يسر العديد من المعوقات الامر الذي رفع كثيرا من معنويات القوات الصليبية بالمقارنة مع حامية المدينة [١].

أ- دور الفاطميين في الدفاع عن انطاكية :

وفي ظل هذه الاوقات الحرجة وصلت سفارة مصرية مفاوضة مع القوات الصليبية ، تطرح فيه مشروعا يتضمن امكانية تقسيم بلاد الشام مناصفة بين الصليبيين وبين الفاطميين بحيث تكون انطاكية وشمال الشام للقوات الصليبية بينما تأخذ الدولة الفاطمية فلسطين وجنوب الشام[٢] . تشير بعض المراجع الى أن الامبراطور البيزنطي قد نصح القوات الصليبية بأن يتوصلوا مع الفاطميين الى اتفاق ليكونوا عضدا لهم ضد القوى الاسلامية الاخرى في شمال بلاد الشام والعراق [٣] . ويبدو أن الصليبيين أخذوا بهذه النصيحة وارسلوا من نيقية سفارة الى مصر [٤]، غير أننا لم نقف على طبيعة الاتفاق الذي تم بين الصليبيين والفاطميين في تلك الفترة ، ونعتقد أن السفارة المصرية عند انطاكية جاءت تأكيدا لبنود الاتفاق المبرم بين الجانبين مسبقا . لعل الفاطميون أدركوا أن القوات الصليبية خير عون في استعادة

---

[١] مؤرخ مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٦٤ – ٦٥ . رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٣٢٤ . العريني : الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٢٤٢ .

[٢] عاشور : الحركة الصليبية ، ج١ ، ص ١٩١ . العريني : الشرق الاوسط والحروب الصلية ، ج١ ، ص ٢٤٣ ، جمال الدين سرور : سياسة الفاطمين الخارجية ، ص ١٥٧ . المعاضيدي : الحياة السياسية في بلاد الشام ، ص ١٢٠ .

[٣] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٣٢٥ . فهمي توفيق مقبل : الفاطميون والصليبيون ، ص ٥٥ .

[٤] عاشور : الحركة الصليبية ، ج١ ، ص ١٩٢ . سالم محمد حميدة : الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ١٣٧ .

أملاكها المفقودة في بلاد الشام ودفع خطر القوات الاسلامية عنها . ويشير بعض المؤرخين المسلمين من القدماء والمحدثين ان سبب قدوم الصليبيين الى بلاد الشام كان بدعاء من الفاطميين الراغبين في استعادة نفوذهم في بلاد الشام والتعاون معهم في مجابهة القوات الاسلامية الاخرى التي باتت تشكل خطرا كبيرا على الدولة الفاطمية[١]، [٢] وقد استفاد الفاطميون فعلا من دخول القوات الصليبية الى بلاد الشام حيث تمكنوا من اعادة سيطرتهم على بيت المقدس وانتزاعها من ايدي الاراتقة سنة٤٩٢هـ/ ١٠٩٨م [٣]، غير أن هذه الاحداث برهنت وبشكل كبير للصليبين على ما تعانيه المنطقة العربية من انقسامات داخلية ، فعملوا جهد امكانهم على عدم توحد ولا تها ليتسنى ضربهم واحدا بعد الاخر . ولتنفيذ هذا المشروع بادروا بالاتصال مع أمراء دمشق وحلب موضحين لهم أنهم غير عازمين على مهاجمة بلادهم ويطلبون منهم الحياد لأنهم لايقصدون (غير البلاد التي كانت بيد الروم لانطلب سواها مكرا منهم وخديعة حتى لا يساعدوا صاحب انطاكيه)[٤] ولكنهم لم يفلحوا في مسعاهم مع دقاق الا أن خططهم نجحت مع والي حلب الامير رضوان [٥].

أما حامية المدينة فقد بقيت صامدة رغم الضغط الشديد الذي تتعرض له من جانب القوات الصليبية لذلك اصبح موقف الصليبين بالغ الحرج لاسيما بعد سماعهم بمقدم العساكر الاسلامية القادمة من العراق لنجدة انطاكية [٦] لذلك تأكد الصليبيون

---

[١] ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠ ، ص ٢٧٣ . السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٤٢٧ .

[٢] يذكر ابن الاثير ما نصه (ان اصحاب مصر من العلويين لما رأوا قوة الدولة السلجوقية وتمكنها واستيلائها على بلاد الشام الى غزة ولم يبق بينهم وبين مصر ولاية أخرى تمنعهم ، ودخول الاقسيس الى مصر وحصرها ، خافوا وارسلوا الى الفرنج يدعونهم الى الخروج الى الشام ويكونوا بينهم وبين المسلمين) . الكامل في التاريخ ، ج١٠ ، ص ٢٧٣ .

[٣] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٥ . ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠ ، ص ٢٨٣ .

[٤] ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠ ، ص٢٧٥. الغارقي : تاريخ ، ص ٢٦٨.

[٥] ابن العديم زبدة الحلب ، ج٢ ، ص ١٣٣ . عاشور : الحركة الصليبية ، ج١ ، ص ١٩٣.

[٦] ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج١ ، ص ٢٧٦ . العريني : الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٢٤٥ . الجميلي : امارة الموصل في العصر السلجوقي ، ص ٢١٠ –٢١١ .

أن لاسبيل لهم في اقتحام المدينة الا عن طريق الخيانة، وفي هذا الجانب أخذ بوهمند الطامع يعمل حتى تمكن أخيرا من الاتصال بأحد قادة الابراج واسمه فيروز الارمني[١]، اذي مكنه من دخول المدينة مقابل مبلغ معلوم من المال[٢] .

ومما تجدر الاشارة اليه هنا هو كيفية اتصال بوهمند بفيروز الارمني . لقد ذكرنا سابقا أن ياغي سيان أخرج المسيحيين من انطاكية عندما شرع الصليبيون بالزحف عليها فعلى الرغم مما كان لهذه الخطوة من أهمية في سياسته الدفاعية الا انها كانت بالغة الخطورة من ناحية أخرى . اذ أن القوات الصليبية لم تجد صعوبة في التماس الاصدقاء من داخل المدينة ذلك لوجود عدد كبير من سكان المدينة المسيحيين داخل الجيش الصليبي الذين دأبوا على الاتصال بأقاربهم وأهليهم داخل انطاكية ، الامر الذي يسر للصليبيين من الوقوف على ما يحدث داخلها[٣] . وعلى أي حال فان القوات الصليبية استطاعت دخول المدينة بعد الاتفاق الذي تم بين بوهمند والخائن فيروز وبدخولهم انتهك جنود الرب ابشع الجرائم وهذا ليس بغريب عنهم اذ شرعوا بقتل كل من يصادفوه في طريقهم من أهل المدينة عدا الذين لجأوا الى القلعة. أما الامير ياغي سيان فهرب هو الاخر في ثلاثين غلاما خارج اسوار انطاكيه غير أنه ندم على هروبه اذ لم يقاتل حتى يزيلهم عن البلد او يقتل دون ذلك مما جعله يتأسف كثيرا على تركه المسلمين فريسة بيد الصليبيين فاستبد به الحزن

---

[١] فيروز : وهو من اصل ارمني كان مسؤولا عن حماية احد الابراج المعروف ببرج الاختين اذ تمكن بوهمند من الاتصال به سرا وتم تحديد الوقت الذي يمكن فيه دخول القوات الصليبية الى انطاكية . مؤرخ مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٦٦ – ٦٧. ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٥ . ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠ ، ص ٢٧٤ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٢ ، ص ١٣٣–١٣٤.

[٢] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٥ . ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠ ، ص ٢٧٤. ارنست باركر : الحروب الصليبية ، ص ٤٠ .

Pernoud (R.) the crusades (London , ١٩٦٣) , P.٦٨)

[٣] العريني : الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٢٣٧.

وسقط مغشيا عليه من فرسه فمر به فلاح ارمني فقتله وحمل رأسه الى الفرنج [١] . وما يمكن قوله أن ياغي سيان حسب اعتقادنا فانه لم يكن مقصرا في الدفاع عن المدينة وذلك لدفاعه عنها ما يقرب تسعة اشهر دون ان تصل اليه نجدة اسلامية منظمة تعينه على فك الحصار أو مشاغلة القوات الصليبية عن المدينة.[٢] ومن جهة أخرى فان المؤرخين قد أثنوا عليه كثيرا لما قام به من دور كبير في المقاومة والدفاع عن انطاكية، وهذا ما أشار به ابن الاثير قائلا : (أظهره من جودة رأيه وحزمه واحتياطه مالم يشاهد من غيره)[٣] الا ان مما يمكن أن يؤاخذ عليه هو هروبه بعد دخول القوات الصليبية الى المدينة .

وصفوة القول أن سقوط المدينة يرجع بالدرجة الاولى الى تراخي زعماء بلاد الشام عن انطاكية على الرغم من طول امد الحصار من جهة وانشغال السلاطين السلاجقة بالحروب الطاحنة حول السلطنة ، اذ انشغل برقياروق بقتال اخوته محمد وسنجر ما يقرب من خمسة أعوام ابتداءا من سنة (٤٩٢-٤٩٧هـ/١٠٩٩-١١٠٤م) وهي الفترة التي كانت متزامنة مع الغزو الصليبي لبلاد الشام من جهة أخرى[٤]، فكان سقوط المدينة باعث أمل في نفوس القوات الصليبية لتحقيق اهدافها ، نظرا لما تتمتع به هذه المدينة من مزايا ستراتيجية واقتصادية [٥]بالمقابل فان سقوط المدينة قد

---

[١] ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠ ص ٢٧٥ . ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٢ ، ص ١٣٥ . الذهبي : العبر في خبر من غبر ، ج٣ ، ص ٣٣٠. اليافعي : مرآة الزمان ، ج٣ ، ص ١٥٤ . ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٢، ص ١٥٥ .

[٢] الذهبي : دول الاسلام ، ج٢ ، ص ١٩ . ابن خلدون : تاريخ ، ص ١٢٩ . ابن العماد : شذرات الذهب ، ج٣ ، ص ٣٩٦ .

[٣] الكامل في التاريخ ، ج١٠ ، ص ٢٧٤ . الذهبي : دول الاسلام ، ج٢ ، ص ١٩ .

[٤] لمزيد من لتفاصيل حول الصراعات بين السلاطين السلاجقة انظر : ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٧-١٤٧ . ابن الجوزي : المنتظم ، ج٩ ، ص ١٠٩ ، ١٢٣ ، ١٣٠ ، ١٣٣ . الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص ٧٦-٧٩ . ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠ ، ص ١٤١ . البنداري : تاريخ دولة ال سلجوق ، ص ٢٣٥-٢٤٠. ابو شامة : الروضتين في اخبار الدولتين ، ج١ ، ق١ ، ص ٦٥ . ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٩٧ .

[٥] لمزيد من التفاصيل حول أهمية المدينة يراجع د. طلب صبار الجنابي ، امارة انطاكية ، ص ٢٧ وما بعدها.

أضعف كثيرا من المقاومة الاسلامية بسبب هروب العديد من سكان البلاد المجاورة .[١] غير أن سقوطها لا يعني انتهاء مرحلة المقاومة فيها اذ اعتصم شمس الدولة بن ياغي سيان داخل قلعتها مما اثار تخوف الصليبين حول امكانية اتصاله مع قوات كربوقا القادمة لنجدته وخشية وقوعهم بين فكي كماشة[٢].

ب- دور الخلافة العباسية في مواجه الغزو الصليبي :

ذكرنا سابقا أن الخلافة العباسية وقعت تحت التسلط السلجوقي الذي اضحى مسيطرا على جميع مؤسساتها بما فيها المؤسسة العسكرية، اذ لم يكن للخليفة العباسي الامكانية في توجيهها بل كانت هذه القوات تحت امرة السلطان السلجوقي بركياروق[٣]، ولكن مع كل مظاهر التسلط الذي مارسه السلاطين السلاجقة ضد الخلفاء العباسيين الا انهم باتوا مرتبطين بالخلافة من أجل كسب الولاء الروحي الذي يضفي على سلطنتهم الصفة الشرعية اذ كانوا حريصون في الحصول على مثل هذا التشريف بوصفه خليفة النبي صلى الله عليه وسلم، ومصدر قوة المسلمين[٤] ، لذلك فان الخلافة لم تدخر جهدا في استخدام كافة صلاحياتها في مواجهة الغزو الصليبي لبلاد الشام ، اذ استجاب الخليفة المستظهر بالله (٤٨٧-٥١٢هـ / ١٠٩٤-١١١٨م) وفي ذلك يقول ابن الاثير : (أرسل الخليفة رسولا الى السلطان بركياروق مستنفرا

---

[١] ابن العديم : زبد الحلب ، ج٢ ، ص ١٣٥ .

[٢] ابن ظافر : جمال الدين علي . اخبار الدول المنقطعة ، تحقيق : الفردية فريه القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص ٨٢ . حسن حبشي : الحروب الصليبية الاولى ١٤٢ .

[٣] استطاع أن ينفرد بالسلطنة بعد وقوع الصراع الذي قام بينه وبين اخوته محمد ومحمود وسنجر وعمهم تتش علما أن الصراعات جاءت في أحرج الاوقات التي اصابت المسلمين اثناء الغزو الصليبي . وانفرد بالسلطنة بركياروق بعد وفاة تركان خاتون وابنها محمود سنة ٤٨٧هـ بعد نزاع على السلطة دام سنتين . الراوندي : راحة الصدور ، ص ٢١٧-٢١٩ . ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠ ، ص ٢٢٩ . الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص ٧٤-٧٥ . ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٩٤ .

[٤] ابن الاثير : ضياء الدين (٦٣٧هـ/١٢٣٩م) رسائل ابن الاثير ، تحقيق : سامي الدهان ، بيروت ، (د. ط) ، ١٩٥٩ ، ص ٢٤٢-٢٤٣ .

على الفرنج ومبالغ في تعظيم الامر وتداركه قبل أن يزداد قوة)[١] يتضح أن الخليفة كان مدركا ما للزمن وما لسرعة الحركة من دور كبير في مصير أي قتال . لذا قام السلطان السلجوقي بركياروق بارسال اتابك الموصل ابو سعيد كربوقا الى انطاكية لنجدة ياغي سيان[٢] ويذكر المؤرخ المجهول أن كربوقا قام بنجدة انطاكية بعد أن تلقى تعليمات من الخليفة العباسي[٣] وبعد أن تلقى كربوقا الاوامر جمع عسكرا عظيما وتوجه صوب انطاكية ، غير أن سرعة المبادرة لم تأت أكلها بشكل كبير ، ذلك لأنه أضاع ثلاثة اسابيع في محاصرة الرها دون أن يتمكن من تحريرها [٤]، وبعد ذلك استأنف كربوقا مسيره نحو انطاكية وفي مرج دابق[٥] انضمت اليه عساكر الشام اذ اجتمع معه دقاق صاحب دمشق واتابك طغتكين وجناح الدولة صاحب حمص وارسلان تاش صاحب سنجار وسقمان بن ارتق صاحب عساكر ديار بكر وغيرهم من الامراء ممن ليس مثلهم [٦]، فلما وصل الى مسامع الصليبين المحاصرين لانطاكية نبأ احتشاد القوات الاسلامية وما هي عازمة عليه حتى (عظمت المصيبةعليهم وخافوا لما هم فيه من الوهن وقلة الاقوات عندهم) [٧].

غير ان الخطأ الذي ارتكبه كر بوقا في محاصرة الرها وفّر على الصليبيين فرصة الاستيلاء على إنطاكية، ومن الجدير بالذكر ان مسألة الاستيلاء على الرها

---

[١] ابن الاثير : الكامل ، ج١٠ ، ص ٢٧٩ .

[٢] الحميده : الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ١٤١ .

Crousset : hst , does croisades . Vol .١.p.٤٣١ .

[٣] أعمال الفرنجة ، ص ٧١ .

Conder (C.R.) the latine kingdom al jerusalem , London , ١٩٦٧

[٤] فوشيه : تاريخ الحملة الى القدس ، ص ٥٩-٦٠ . رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٣٢٨ . انطوني وست ، الحروب الصليبية ، ص ٦٧ .

[٥] مرج دابق : قرية صغيرة تبعد عن حلب اربع فراسخ . ياقوت : معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٣٢٨ . انطوني وست : الحروب الصليبية ، ص ٦٧ .

[٦] ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠ ، ص ٢٧٦ . ابن العبري : تاريخ مختصر الدول، ص ٢١٠ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٥ ، ص ١٤٧ .

[٧] ابن الأثير : الكامل ، ج١٠ ، ص٢٧٦، ابن العديم ، ج٢، ص١٣٣، ابن تغري بردى ، النجوم الزاهرة ، ج٥، ص١٤٨.

تعد من الأمور المهمة من ناحية الإستراتيجية الحربية وذلك بحكم موقعها بالنسبة لانطاكية[1]، فإن مهاجمة إنطاكية وترك القوات الصليبية على طريق الإمدادات الإسلامية أمراً في غاية الصعوبة، فضلاً عن وقوع القوات الإسلامية بين شقي رحى، لذلك لم يشأ كر بوقا إن يوقع قواته بهذا المأزق، فإذن تصرفه في محاصرة الرها أمراً كان لا بد منه، ولكن هل أن أمارة الرها تستطيع ان تشكل ذلك الخطر الذي كانت القوات الإسلامية تتخوف منه، هنا تظهر لنا مسألة في غاية الأهمية بل يمكن اعتبارها النقطة الأساسية التي أعطت للقوات الصليبية الفرصة في اجتياح إنطاكية، وهي ان القيادة الإسلامية لم تكن على اطلاع كامل بأحوال أمارة الرها الصليبية التي كانت عاجزة عن ان تشكل خطراً على القوات الإسلامية، ودليل ذلك ما كان تجري عليه أحوال المدينة من دساس واضطرابات كما ذكرنا ذلك سابقاً، غير أن حصونها المشيدة مكنتها من الامتناع عن القوات الإسلامية[2]، وعلى ما يبدو فإن القوات الإسلامية قد تركت الحصار بعد ان بلغهم خبر سقوط إنطاكية بيد الصليبيين، فساروا بمحاذاة نهر العاصي وفي طريقهم استولوا على حصن ارتاح ثم ساروا منه إلى الجسر الحديدي شمال شرق إنطاكية حيث قتلوا عدداً من الحاميات الموجودة فيه[3]، وما لبثت القوات الإسلامية ان عسكرت بالقرب من أسوار

---

(1) تتحكم الرها بطريق المواصلات الاسلامية التي تربط بين بغداد وسلاجقة اسيا الصغرى وبين الموصل وحلب . كما أنها تعتبر من أقرب الامارات الصليبية الى عاصمة الخلافة العباسية بغداد . عاشور : الحركة الصليبية ، ج٢ ، ص ٦٠٤ . الجنزوري : امارة الرها الصليبية ، ص ٣٤ .

(2) رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١، ص٣٢٨.

(3) ابن الأثير : الكامل ، ج١٠، ص٢٧٦، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج٢، ص١٣٦.

المدينة حتى انسحب من كان مقيماً خارج الأسوار من الصليبيين إلى داخل المدينة، وفي تلك الأثناء اتضح للقوات الإسلامية ان قلعة المدينة لا زالت مستعصية على الصليبيين، إذ بعث اليها شمس الدولة بن ياغي سيان إلى كربوقا بطلب المساعدة فأجابه الى ذلك بعد ان يسلم القلعة له، غير إن شمس الدولة حاول مع كر بوقا حول إمكانية الاحتفاظ بها لحين استرداد المدينة إلا إن كر بوقا رفض ذلك وأصر على تسليم القلعة وجميع مخازنها إلى نائبه الأمين احمد بن مرون[١]، يتضح من ذلك ان كربوقا حاول النفاذ إلى المدينة عن طريق قلعتها، حيث شن هجوماً عنيفاً على الصليبيين حتى (اشرفوا على التلف) مصدر على قول ابن العديم، لذلك أقام الصليبيون سوراً من شأنه منع اتصال القلعة باستحكامات المدينة[٢]، كما قام احمد بن مروان في التاسع من حزيران بشن هجوم من ناحية القلعة[٣]، استطاع من خلاله تكبيد القوات الصليبية خسائر جسيمة وكاد ان يدخل البلد إلا انهم استطاعوا بعد جهد جهيد من صد الهجوم[٤]،لذلك قرر كر بوقا تغيير سياسته الهجومية والاقتصاد في النفقات الناجمة عن هذه العمليات إذ بادر في تشديد الحصار على المدينة براً وبحراً[٥]، ويبدو أن كر بوقا أراد إضعافهم ومن ثم المبادرة بالهجوم عليهم، وظهر إن القوات الصليبية قد شعرت بذلك وحاولت جاهدة في إفشال هذه الخطة إذ قاموا بهجوم عنيف ضده غير انهم تعرضوا إلى هزيمة قاسية على يد القوات الإسلامية

---

[١] ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٢، ص١٣٦، مجهول ، أعمال الفرنجة ، ص٧٢-٧٣، عاشور ، الحركة الصليبية ، ج٢ ، ص٢٠٠-٢٠١.

[٢] زبدة الحلب ، ص١٣٦، رينسان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج١، ص٧٣٧، د. محمد مرسي الشيخ ، الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها ١٠٩٧م –١١٤٤هـ ، دار الثقر ، الإسكندرية ، ١٩٧٤م ، ص١٣١-١٣٢.

[٣] يذكر المؤرخ المجهول أن (حامية القلعة فقد دابت على مهاجمة رجالنا ليلاً ونهاراً تاركه إياهم ما بين جريح وقتيل) أعمال الفرنجة ، ص٨٥.

[٤] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١، ص٣٣٧-٣٣٨.

[٥] ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص١٩٦، والدويهي : البطريك اسطفانوك (ت ١٧٠٤هـ) تاريخ الأزمنة ١٠٩٥هـ – ١٦٩٩م ، نشر الأب فردينال تول اليسوعي ، مجلة المشرق ، بيروت – ١٩٥١م ، ص٨.

فارتدوا إلى داخل المدينة مهزومين [١]، وتشير المصادر أن الصليبيين داخل المدينة قد تعرضوا لأزمة قاسية بسبب شدة الحصار المضروب عليهم وما نتج عنه من قلة الغذاء والمؤن وارتفاع الأسعار حتى بلغ رغيف الخبز الصغير بدينار والبيضة بدينارين، كما لم تكن هذه الأسعار في متناول غالبية الصليبيين فاضطر بعضهم الى العيش على ورق الأشجار فضلاً عن أكل الميتات[٢].

وواصلت القوات الإسلامية ضغطها على المدينة وفي الثاني عشر من حزيران شرعت بشن هجوم مفاجئ على المدينة من الجناح الجنوبي الغربي وأوشكت على اقتحامها لولا استماتة الصليبيين في الدفاع عنها وإضرامهم النيران في هذا الجانب الذي حال دون تمكن القوات الإسلامية من دخول المدينة[٣]إلا ان الإجراءات المتخذة لم تقلل من المعاناة بسبب إصرار كر بوقا على مواصلة الحصار، فلم يبق بريق أمل للصليبيين إلا قدوم الإمبراطور على رأس قواته لانقاذهم، غير انه اقفل راجعاً بعد أن وافته الانباء ان الجيش الصليبي قد تحطم على أيدي القوات الإسلامية[٤]، فلم يبق إمام القادة الصليبيين سوى اكتشاف طرق جديدة لمعالجة الموقف ورفع الروح المعنوية لدى قواتهم، لذلك تم الاتفاق حول ترويج فكرة الحربة المقدسة التي اخترقت جنب المسيح وأوكلت المهمة إلى بطرس بارتو لوميو[٥]، والى ذلك يشير ابن الأثير قائلاً (وكان معهم راهب مطاع فيهم، وكان ماهنا من الرجال، فقال لهم وإن المسيح

---

[١] مجهول ، إعمال الفرنجة ، ص٨٦، فوشية : تاريخ الحملة إلى القدس ، ص٦٠، ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص١٣٦، ابن الأثير الكامل في التاريخ ، ج١٠ ، ص٢٧٦، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٢، ص١٣٦-١٣٧.

[٢] يشير ابن الأثير إلى الفاقة التي لحقت بالصليبيين قائلاً (أقام الفرنج بإنطاكية بعد أن ملكوها ، أثنى عشر يوماً ليس لهم ما يأكلونه ، او تقوت الأقوياء بدوابهم ، والضعفاء بالميتة وورق الشجر) الكامل في التاريخ ، ج١٠، ص٢٧٦.

[٣] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١، ص٣٤٢-٣٤٣، عاشور : الحركة الصليبية ، ج١، ص٢٠٢.

[٤] المزيد من التفاصيل حول رجوع الإمبراطور ، ينظر : رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١ ص٣٣٩-٣٤٢ ، عاشور ، الحركة الصليبية ، ج١ ، ص٢٠٢، حسن حبشي ، الحرب الصليبية الأولى ، ص٦٠-٦١، والعريني : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، ج١، ص٢٥٠.

[٥] فوشية : تاريخ الحملة إلى القدس ، ص٥٨-٥٩، مؤرخ مجهول : إعمال الفرنجة ، ص٨٩-٩٠.

(عليه السلام) كان له حربة مدفونة بالقسيان الذي بإنطاكية وهو بناء عظيم، فإن وجدتموها فإنكم تظفرون، وان لم تجدوها فالهلاك متحقق، وكان قد دفن قبل ذلك حربة في مكان فيه وعفا عن أثرها و أمرهم بالصوم والتوبة، ففعلوا ذلك ثلاثة ايام فلما كان اليوم الرابع أدخلهم الموضع جميعهم ومعهم عامتهم والصناع منهم وحفروا في جميع الأماكن فوجدوها كما ذكر فقال لهم : ابشروا بالظفر فخرجوا في اليوم الخامس من الباب متفرقين[1]) كما ان زيف بطرس وادعائه لم يكن من نسيجه لوحده بل شاركه عدد من الأمراء وهذا ما صرح به رنسيمان قائلاً : (والواقع أن بطرس كان مدعياً كذوباً، وفقاً لما يدل عليه تسلسل الأحداث ويشاركه في هذا الإدعاء والكذب كثيرون آخرون)[2]، وعلى أي حال استطاع القادة الصليبيون أن يستنهضوا جيوشهم بهذا الكذب والادعاء، فأخذ بوهمند باقتناص الفرصة وقرر لا سبيل لمخرج الصليبيين من هذا المأزق إلا عن طريق قيامهم بشن هجوم شامل على القوات الإسلامية[3] التي اخذ تحالفها يتبدد نتيجة لسوء تصرف كربوقا من جهة، والأحقاد الشخصية التي انتابت حلفائه من جهة أخرى، إذ أن كربوقا قد أساء التصرف مع أمراء العساكر الإسلامية ويشير أبو الفداء بأن (كربوقا أساء السيرة فيمن معه من الملوك والأمراء المذكورين، وتكبر عليهم، فخبثت نياتهم على كربوقا)[4]، لذلك أحس كربوقا بضرورة مشاركة رضوان صاحب حلب فعمد على الاتصال به وحثه على المشاركة في مقاتلة الصليبيين ((وترادف رسل رضوان أثناء ذلك إلى كربوقا فتوهم دقاق ذلك وخاف

---

[1] الكامل في التاريخ ، ج١٠، ص٢٧٧، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص١٩٦-١٩٧، الذهبي : دول الإسلام ، ج٢، ص٢٠، حسن حبشي : الحروب الصليبية الأولى ، ص٦١.

Bridge (j-A): the crossed, prin. ceton.١٩٥٨.p.٦١.

[2] تاريخ الحروب العلمية ، ج١ ، ص٣٤٩، ولمزيد من التفاصيل حول هذا الافتراء وتنفيده ينظر : نفس المصدر ، ص٣٤٩-٣٥٠.

[3] فوشية : تاريخ الحملة إلى القدس ، ص٦١-٦٢، مؤرخ مجهول : أعمال الفرنجة ، ص٩٢-٩٣، رنسيمان : تاريخ الحروب العلمية ، ج١، ص٣٥٠.

[4] المختصر في اخيار البشر ، ج٢، ص٢١١، ابن الوردي : ابن حفص بن زين الدين عمر بن مظفر بن عمر (٧٤٩هـ /١٣٤٩م) تاريخ ابن الوردي ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٩٦٩م ، ج٢، ص١٥.

جناح الدولة من أصحاب يوسف بن ابق وأخيه وجرت بين الأتراك الذين مع وثاب بن محمود مناظرة عادوا لأجلها وتفرق كثير من التركمان بتدبير رضوان ورسالته))[١]، كما أن دقاق أحس بضرورة الرجوع إلى دمشق لمراقبة الفاطميين الذين استغلوا هذا الظرف وشرعوا بالهجوم على فلسطين والاستيلاء على بيت المقدس[٢]، وما ينتج من ذلك أن التحالف الإسلامي لم يكن مستعداً لخوض معركة حاسمة ضد القوات الصليبية لعدم قدرتهم من الوقوف صفاً واحداً، نتيجة لأحقادهم المتأصلة وتباين مصالحهم الخاصة التي شغلتهم عن هدفهم المشترك . فمن غير المستبعد أن الصليبيين كانوا على اطلاع كامل فيما يدور من مشاكل في المعسكر الاسلامي لاسيما بعد السفارة التي اوفدوها في / ٢٧ حزيران ١٠٩٨م لمناقشة امكانية خروج القوات الصليبية بعد أن استبد بهم اليأس برئاسة بطرس الناسك [٣] وصحبه هيرلوين[٤] ومع أن المصادر لم تسعفنا بشكل وافٍ حول طبيعة المهام التي كلفت بها هذه السفارة ، غير أن ما ذكره المؤرخون الصليبيون من الاحاديث [٥] على لسان

---

[١] ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٢ ، ص١٣٦ ، أبو الفداء : المختصر في اخبار البشر ، ج٢ ، ص٢١١ رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١، ص٣٥٠، عاشور : الحركة الصليبية ، ج١، ص٢٠٣.

[٢] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص١٣٥، عاشور : الحركة الصليبية ، ج١، ص٢٠٣.

[٣] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٦ . ابن الاثير : الكامل في التأريخ ، ج١٠ ، ص ٢٧٦ . الذهبي : دول الاسلام ، ج٢ ، ص ٢٠ . عاشور : الحركة الصليبية ، ج١ ، ص ٢٠٤ . حبشي: الحروب الصليبية الاولى ، ص ١٥٥ .

[٤] هيرلوين : وهو من الفرنجة يجيد التحدث باللغتين العربية والفارسية . رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٣٥١ .

[٥] يقول المؤرخ المجهول على لسان بطرس (ان زعماء نا ليسألوكم الارتداد عن ارض الرب والمسيحين . . وان زعماءنا ليأذنوا لكم بأخذ كل مالكم من الخيول والبغال والحمير والابل والماشية والثيران وجميع ما تملكون ، كما يأذنون لكم بنقل ذلك كله معكم حيث شئتم) . أعمال الفرنجة ، ص ٩١ . ويذكر فوشيه (اخبر الفرنجة الاتراك عن طريق بطرس الناسك انهم لم يغادروا الارض التي كان يملكها المسيحيون في الماضي بسلام فانهم سوف يشنون عليهم هجوما في اليوم التالي) . تاريخ الحملة الى القدس ، ص ٦١ . ويذكر المؤرخ المجهول على لسان كربوقا قائلا (اننا لا نبالي بربكم ولا بنصرانيتكم ولا نميل لشيء منها بل نسحقها واياكم في آن واحد سحقا تاما . .) . أعمال الفنرجة

كربوقا وبطرس يعد من نسيج الخيال . ولعل من الافتراضات التي تبدو لنا أكثر قبولا من غيرها بحكم واقع الحال هي أن الصليبيين قد طلبوا الامان من كربوقا وان يخرجوا سالمين من انطاكية[١] ولكن كربوقا رفض هذا الطلب رغم ما كان يعانيه جيشه من تفكك وانحلال واصر على استسلامهم له دون قيد أو شرط . ويبدو ذلك واضحا من قوله (لاتخرجون الا بالسيف) [٢] على الرغم من أن هذه السفارة لم تتوصل الى شيء يذكر الا انها عادت بمعلومات بالغة الاهمية، اذ أنها وقفت على ما آلت اليه الاوضاع في المعسكر الاسلامي، مما مكن بوهمند من بناء سياسته الحربية وفقا للمعلومات التي وصلت اليه اذ شرع بتعبئة قواته وتقسيمها الى ستة جيوش [٣] وفي رجب سنة ٤٩١هـ / ١٠٩٧م بدأت القوات الصليبية بالخروج وكان بامكان القوات الاسلامية القضاء عليهم اذ انهم (خرجوا في اليوم الخامس من الباب متفرقين من خمسة وستة ونحو ذلك ..)[٤] ، فأشار القائد العربي وثاب ابن محمود على كربوقا بعدم السماح لهم بالخروج، في حين قال بعض الامراء (ينبغي أن نقف على الباب ، فنقتل كل من يخرج فان أمرهم الان وهم متفرقون سهل ، فقال لا تفعلوا

، ص ٩١ . ويذكر فوشيه طلب الفرنجة بقوله : (اذا ما فصل الاتراك فان السجال سيقع بين خمسة او عشرة او عشرين . . ويستلم الطرف الذي ينتصر رجاله على الاخرين لمدينة بسلام ويحكمها دون نزاع بعد ذلك) تاريخ الحملة الى القدس ، ص ٦١ .

[١] ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠ ، ص ٢٧٦ . ابو الفداء : المختصر في اخبار البشر ، ج٢ ، ص ٢١٠. الذهبي : دول الاسلام ، ج٢ ، ص ٢٠. ابن الوردي : تاريخ ، ج٢، ، ص ١٥ . ابن خلدون: تاريخ ، ج٥ ، ص ٢٤.

[٢] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٦ . ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠ ، ص ٢٧٦ .ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٩٦ . فوشيه : تاريخ الحملة الى القدس ، ص ٦١ .

[٣] مؤرخ مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٩٢ . رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٣٥١- ٣٥٢ .

[٤] ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠ ، ص ٢٧٧ . عاشور : الحركة الصليبية ، ج١ ، ص ٢٠٤ . العريني : الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٢٥٣ .

أمهلوهم حتى يتكامل خروجهم فنقتلهم) [١] كما انه أصدر أمرا يمنع فيه قواته من معاجلتهم ، حتى أنه وبخ جماعة عندما قاموا بقتل بعض الخارجين من الفرنج ، مغتراً أنه بامكانه انزال الهزيمة بهم بعد أن يتكامل عددهم[٢] يبدو أن كربوقا خشي اذا بادر الهجوم على الصليبيين فانه لن يحطم سوى مقدمتهم ، اما اذا تريث قليلا حتى يتكامل عددهم فسوف تتاح له فرصة انزال الهزيمة بهم والتخلص منهم جميعا، لا سيما بعد أن لا حظ عوامل الضعف في قواته وعدم قدرتها على مواصلة الحصار لفترة طويلة . غير أن الامر تبدل بعد أن شاهد الصليبيين وما هم عليه من الكثرة في العدد والعدة [٣] تذكر المصادر الصليبية أن كربوقا عندما شاهد القوات الصليبية وما هم عليه من الكثرة حاول التفاوض معهم، اذ ارسل اليهم رسولا يطلب مناقشته شروط الهدنة ، الا انهم تجاهلوا ذلك ومضوا في تقدمهم [٤]، وعندما لا حظ كربوقا ما هم عليه من الاصرار شرع في تنفيذ خطته الرامية الى استدراج العدو الى ارض بالغة الوعورة ثم بعث قسما من قواته لضرب الصليبيين من جهة اليسار، كما قام الرماة برشق الصليبيين بوابل من السهام غير أن بوهمند كان قد وضع لكل شيء حساباته[٥].

يبدو أن الصليبيين كانوا على معرفة كبيرة بهذه الخطة استنادا الى المعارك السابقة ، حيث أن القوات الاسلامية كانت غالبا ما تستخدمها . وبعد أن اشتد القتال

---

[١] ابن الاثير : الكامل ، ج١٠ ، ص ٢٧٧ . ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٢ ، ص ١٣٧ . ابن الشحنة : أبو الفضل محمد (ت ٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م) الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، مطبعة الآباء اليسوعين ، بيروت ، ١٩٠٩م، ص ٣٥ .

[٢] ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠ ، ص ٢٧٧ . ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ، ص ١٩٦ . ابو الفداء : المختصر في اخبار البشر ، ج٢ ، ص ٢١٠ .

[٣] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٦ . ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٩٦ . الذهبي : دول الاسلام ، ج٢ ، ص ٢١ . ابن كثير : البداية والنهاية ، ج٢ ، ص ١٥٥ .

[٤] فوشيه : تاريخ الحملة الى القدس ، ص ٦٢. رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٣٥٢-٣٥٣.

[٥] مؤرخ مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٩٣ . رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٣٥٣ . الجميلي : أمارة الموصل في العصر السلجوقي ، ص ٢٥ .

بين الجانبين ظهرت بوادر الضعف في صفوف القوات الاسلامية لا سيما بعد أن أخذ عدد من الامراء الاتراك بترك ساحة المعركة[١] نتيجة لسوء تصرفات كربوقا فخشوا على انفسهم اذا ما انتصر فانه سوف يكون له من القوة ما يهدد مراكزهم لذلك اضمروا له الغدر وحاولوا التخلص منه ، كما ذكر بعض المؤرخين (فخبثت نياتهم له) [٢] فلم يبق معه سوى أمير حمص وسقمان بن ارتق فلما رأى ليس بوسعه الصمود وترك بقية القوات الاسلامية لمصيرها المؤلم[٣] حيث يذكر ابن الاثير انه (وثب جماعة من المجاهدين وقاتلوا حسبة وطلبا للشهادة فقتل منهم الوفا) [٤] اما الفارّون فقد تبعهم الفرنج الى جسر الحديد وقتلوا عددا كبيرا منهم فضلا عمن لقي مصرعه بأيدي الارمن والسريان[٥] . أما كربوقا فقد وصل الى الموصل بعد أن لقي مساعدة من رضوان اثناء مروره بحلب حيث زود بما يكفيه من المؤن الى حين بلوغه مأمنه لتكون هذه المعركة خاتمة لسلطانه [٦] ومكانته[١]. أما ما يخص أحمد

---

[١] يشير ابن الاثير الى ذلك قائلا (وتمت الهزيمة عليهم ولم يضرب أحدا منهم بسيف ولا طعن برمح ، ولا رمى بسهم ، وآخر من أنهزم سقمان بن ارتق ، وجناح الدولة ، لأنهما كانا بالكمين ، وانهزم كربوقا معهم ، فلما رأى الفرنج ذلك ظنوه مكيدة اذ لم يجر قتال ينهزم مثله وخافوا أن يتبعوهم) الكامل في التاريخ ، ج١٠ ، ص ٢٧٧-٢٧٨ . ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢ ، ص ١٣٧ . ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ١٩٦ . الذهبي : دول الاسلام ، ج٢ ، ص ٢٠ . ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٢، ص ١٥٥ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٥ ، ص ١٦١.

[٢] ابن الوردي : تاريخ ، ج٢ ، ص ١٥ . ابو الفداء : المختصر في اخبار البشر ، ج٢ ، ص ٢١٠ . عاشور : الحركة الصليبية ، ج١ ، ص ٢٠٤ .

[٣] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٦ . ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠ ، ص ٢٧١ . ابن خلدون : تاريخ ، ج٥ ، ص ٢٤ .

[٤] الكامل في التاريخ ، ج١٠ ، ص ٢٧٨ . الذهبي : دول الاسلام ، ج٢ ، ص ٢٠ .

[٥] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٦ . ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠ ، ص ٢٨٧. ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٢ ، ص ١٣٧ . ابو الفداء : المختصر في اخبار البشر ، ج٢ ، ص ٢١١ . ابن الوردي : تاريخ ، ج٢ ، ص ١٥ . وست : الحروب الصليبية ، ص ٧٠.

[٦] تذكر بعض المصادر أنه شارك في المعارك التي دارت بين بركياروق واخيه محمد اذ ارسله بركياروق الى اذربيجان فاستولى على اكثرها ، فمرض هناك وتوفي سنة ٤٩٥هـ . ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠ ، ص ٣٤١-٣٤٢. ابو الفداء : المختصر في اخبار البشر ، ج٤ ، ص ١٢٢ . ابن الوردي : تاريخ ، ج٢ ، ص ١٩ . ابن خلدون : تاريخ ج٥ ، ص ٦١.

بن مروان صاحب القلعة فانه على اثر هزيمة كربوقا بادر بطلب الامان من الصليبيين الذين أمنوا على نفسه وسمحوا له بالخروج هو وحاميته دون ان يمسوهم بسوء [٢].

ويذكر ابن العديم أن أحمد بن مروان بعد أن أمنه الصليبيون انزلوه في دار بانطاكية (واطلقوا اصحابه وسيروا معهم من يوصلهم الى أعمال حلب، فخرج الارمن فأخذوا بعضهم وقتلوا بعضهم ، ولم يسلم منهم إلا القليل) [٣] . ومن خلال ما تقدم يمكننا القول أن حملة كربوقا كانت منذ البداية حاملة جذور هزيمتها اذ انه لم يتمكن صراحة من استغلال العوامل العسكرية سواء كانت من الناحية الزمنية أم البشرية في تحقيق الهدف المرسوم له . كما أن من غير الانصاف أن تلقى هذه الخسارة على عاتق كربوقا لوحده ، انما كان لحلفائه من الامراء نصيب كبير منها اذ كانت قلوبهم متنافرة لا يرضى أحدهم بزعامة الاخر، فضلا عن حرصهم الكبير على ما كان بأيديهم من ممتلكات .

---

[١] ابن العديم : زبدة الحلب ، ص ١٣٧ . اليافعي : مرآة الجنان ، ج٣ ، ص ١٥٤ .

[٢] ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٢ ، ص ١٣٦ – ١٣٧ . زكي النقاش : العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والفرنج ، خلال الحروب الصليبية، بيروت ، ١٩٥٨ ، ص ٢١.

[٣] زبدة الحلب ، ج٢ ، ص ١٣٨ .

أما من ناحية القوات الصليبية فان هذا الانتصار الذي تحقق قد شجعهم على مواصلة الزحف إتجاه القدس لا سيما بعد اتخاذ قاعدة حصينة مثل انطاكية . وان دخول الصليبيين القدس وما حصل على ايديهم من مذابح أنما يرجع بالدرجة الاولى الى هزيمة التحالف الاسلامي امام أسوار انطاكية . اذ ان هزيمة كهذه لم تعط الصليبيين فرصة التماسك والانطلاق ثانية الى هدفهم فحسب ، بل انها اصابت وحدة القوى الاسلامية في المنطقة بضربة قاصمة فمزقتها وشلتها عن العمل المشترك المنسق فترة من الزمن، كان الصليبيون خلالها يهاجمون – القرى والمدن والحصون . ولكن على الرغم من جميع هذه النتائج السلبية التي احدثتها هزيمة القوات الاسلامية عند انطاكية، يمكننا استنتاج جوانب ايجابية، حركت المقاومة الاسلامية من الموقف الدفاعي الى الموقف الهجومي، لا سيما بعد ما ارتكبه الصليبيون من مجازر عقب هذا الانتصار.

تمهيد

١- عوامل قيام الحروب الصليبية
أ- العامل الديني :

مع مطلع القرن الخامس الهجري أخذت تنتشر في الغرب اساطير كان فحواها قرب نهاية العالم وما أكد هذه الأفكار لدى العامة ظهور بعض الظواهر الطبيعية مثل ثوران بركان فيروز في ايط٤اليا وانتشار الامراض التي أودت بحياة الكثير من الناس.[١] وقد عملت البابوية على تاكيد هذه الاعتقادات في نفوس العامة الذين أخذهم الرعب الى الاندفاع والتقرب الى الله بما لديهم من أموال الى الكنيسة[٢] وهذا ما أدى بطبيعة الحال الى زيادة أموال الكنيسة بشكل ملحوظ هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ازدياد مكانتها في قلوب الناس اذ انقضى ذلك اليوم الموعود بدون كارثة فقالوا (ان ذلك بفضل ادعية الرهبان وتضرعاتهم للخالق).[٣]

وقد استطاعت الكنيسة كذلك استغلال هذا الموقف لصالحها اذ قامت بتحويل هذا الجو النفسي والفكري الى غاية خاصة فان (من يموت في سبيل الكنيسة سوف ينال ثوابا من السماء)[٤] ، ومن هنا أخذت توجه الناس الى مسألة تكفير الذنوب التي تتم عن طريق الذهاب الى الاماكن المقدسة [٥].

ومن المعلوم أن سيل الحجاج الاوربيين الى القدس لم ينقطع منذ الازمنة القديمة الى يومنا هذا ولكن هذه المرة تختلف عن غيرها وهو ما اصطلح عليه

---

[١] قاسم عبيدة قاسم : ماهية الحروب الصليبية، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٠، ص ١٧، جوزيف نسيم يوسف: العرب والروم واللاتين في الحروب الصليبية الاولى، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨١، ص ٦٤ .

[٢] أحمد رضا بك : الحيثية الادبية للسياسة الغربية في الشرق، ترجمة محمد ابو رقيبة، ومحمد صادق الزلمي، تقديم محمد العروس المطوي، دار بو سلامة للطباعة – تونس، الطبعة الثانية، ١٩٧٧، ص ٦٨ .

[٣] م. ن، ص ٦٨ .

[٤] قاسم عبد قاسم، ماهية الحروب الصليبية، ص ١٧ .

[٥] ستيفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، نقله الى العربية السيد الباز العريني، دار الثقافة – بيروت – لبنان، الطبعة الاولى، سنة ١٩٦٧، ج١، ص ١٧٢ .

بالحروب المقدسة[١]، اذ اخذت الكنيسة تكشف عن سياستها الخارجية في توجيه حرب صليبية ضد المسلمين . اذ قامت بترويج حملة دعائية واسعة كان فحواها تخليص القبر المقدس من أيدي المسلمين[٢] ، على اعتبار أن الحجاج المسيحيين كانوا يواجهون المتاعب والاهوال من قبل الحكام المسلمين ، وعادوا (الحجاج الذين نجحوا في التغلب على كل هذه المتاعب الى الغرب وقد استبد بهم التعب وازداد عوزهم وفقرهم ، وادخروا قصة مروعة ليرووها في بلادهم[٣]) وهذا ما حاول تأكيده المؤرخون الاوربيون . فمن الواضح لدينا ان هذا الادعاء غير صائب ولا يمكن الالتفات اليه بدليل أن المسيحيين قد عاشوا في كنف الدولة العربية الاسلامية عيشة عز واحترام طبقا لتعاليم القرآن الكريم اذ قال ((**فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**))[٤] . والشواهد التاريخية التي تدل على حسن المعاملة هذه كثيرة منها تحرير القدس الشريف على

---

[١] ارنست باركر، الحروب الصليبية، نقله الى العربية السيد الباز العريني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٢٤ .

[٢] رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص ١٦١، عاشور : سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى، مكتبة الانجلو – مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٧٥، ج١، ص٣١.

[٣] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص ١٢١، باركر: الحروب الصليبية، ص١٣-١٤، مؤرخ مجهول : اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة حسن حبشي دار الفكر العربي – مصر، القاهرة، ١٩٨٥، ص ١٣، ر.س .سميل: الحروب الصليبية : ترجمة سامي دهان، المؤسسة الدينية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الاولى، ١٩٨٢، ص ١٠٠ فوشية الشارتري : تاريخ الحملة الى القدس، ترجمة د. زياد العسلي، دار المشرق للنشر والتوزيع ، عمان، الاردن، الطبعة الاولى، ١٩٩٠، ص ٣١ .

[٤] سورة ال عمران : آية ٢٠ .

يد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكيفية تعامله معهم[١] وتحريره على يد صلاح الدين الايوبي سنة ٥٨٣هجرية وما حظي به المسيحيون من حسن المعاملة[٢].

نحن نسوق هذه الادلة مقارنة مع مافعله الصليبيون عند غزو بيت المقدس سنة ٤٩٢ هجرية ، وما ارتكبوه من نهب وقتل فلم يسلم من سيوفهم حتى ابناء جنسهم ، وهذا ما سنبينه لاحقا .

وعلى أي حال فان الكنيسة استخدمت كل وسائل الاغراء مثل اعفاء المشاركين في الحملة المسلحة الى الشرق من جميع الضرائب والتبعات لمدنه الحديثة [٣] وكذلك حماية اقطاعاتهم مع موافقتها على منحهم الاراضي التي يستولون عليها في المشرق [٤].

وعلى هذا الاساس وجد الصليبيون في هذه الامتيازات البغية المطلوبة والمنقذ الوحيد من حياة الفقر والبؤس التي كانوا يعانون منها ، أما من الناحية الدينية فان

---

[١] البلاذري : ابو الحسن أحمد بن يحيى (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م) فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الطباع : مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٨٧، ص ١٤٤، الطبري : ابو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٦٢، ص ٦٠٨-٦٠٩ .

[٢] العماد الاصفهاني : محمد بن محمد بن حامد الكاتب (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م) الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمد محمود صبيح، الدار القومية للطباعة والنشر . القاهرة ١٩٦٥، ص ٤٣، ابن شداد ابو المحاسن بهاء الدين يوسف بن رافع الاسدي (ت٦٣٢هـ/١٢٣٤م) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق : جمال الدين الشبال، الدار المصرية للتأليف والترجمة، الطبعة الاولى ، ١٩٦٤، ص ٨٢ . المقريزي : تقي الدين أحمد بن أحمد بن علي (٨٤٥هـ/١٤٤٦م) المواعض والاعتبار بذكر الخطط والاثار (الخطط المقريزية) ، مكتبة الثقافة العربية، القاهرة، د. ط، د. ت ، ج٢، ص ٦١ .

[٣] المطوي : محمد العروسي : الحروب الصليبية في الشرق والغرب، دار الكتب الشرقية – تونس، الطبعة الاولى، ١٩٥٤، ص ١٧ .

[٤] جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين في الحروب الصليبية، ص ٧٢ .

البابا أصدر قانونا وعد المشاركين في هذه الحروب بغفران الذنوب[١] ، الذي تبلور بشكله النهائي ببذل صكوك الغفران[٢]. [٣]

ب- العامل الاجتماعي والسياسي

من المعروف لدينا أن الظروف الاجتماعية لها دور كبير في تغيير مسار تاريخ العديد من الشعوب ، اذ تكون مهيئة لاعتناق فكرة او تلبية دعوة . وهذا ما نلمسه فعلا في المجتمع الاوربي لاسيما في العصور الوسطى ، فقد كان هذا المجتمع مؤلفا من ثلاث طبقات رئيسة هي : طبقة رجال الدين – من الكنيسيين والديريين– ، وطبقة النبلاء –من المحاربين والفرسان– ، وطبقة الفلاحين – من الاقتان ورقيق الارض . اذ لم تكن هذه الطبقات متساوية في حقوقها وامتيازاتها ولا في الواجبات المفروضة عليها ، بل كان هناك تفاوت كبير فيما بينها بحيث كانت الطبقة الثالثة أكثر معاناة من غيرها ، وذلك لما يقع على عاتقها من العمل الشاق ، بغية سد حاجات الطبقتين الاوليتين .[٤]

فعند تسليط الضوء على طبيعة حياة هذه الطبقة الكادحة يفسر لنا بشكل كبير سبب دخول هذه للطبقة وباعداد كبيرة في الحروب الصليبية. فقد كانت حياتها شبه معدومة نتيجة للقلق والخوف والفقر والممارسات اللاانسانية من قبل الاقطاعيين ، مما أدى الى انتشار ظاهرة هروب الفلاحين من مزارعهم ولاسيما في القرن الحادي

---

[١] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص ١٦٣ .

[٢] العريني : السيد الباز، الشرق الاوسط والحروب الصليبية، مطبعة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٣، ج١، ص ١٥٧.

[٣] هذا هو أحد الاغطية التي وضعها الاوربيون لغزوهم للشرق على أن محركها الاساس هو العامل الديني.

[٤] فليد مارشال مونتجمري : الحرب عبر التاريخ ، تعريب فتحي عبد الله النمر، القاهرة، ج٣، ص ٢٤٨، انتوني وست : الحروب الصليبية – ترجمة شكري محمد نديم ، شركة البنراس وفرانكلين، بغداد – ١٩٦٧، ص ٢٣، ابراهيم شوقي : تاريخ القرون الوسطى في الشرق والغرب، نشر المعهد التربوي الوطني – الجزائر، ١٩٦٨، ص ٢٤٢. سعيد عبد الفتاح عاشور : حضارة ونظم اوربا في العصور الوسطى، دار النهضة – بيروت ١٩٧٦، ص ٤٠١ .

عشر [١]، أما مساكنهم فلا تتعدى جذوع النخل واغصان الاشجار متقين بها حرارة الشمس وبرد الشتار ، مستعينين ببعض الأواني الفخارية وصندوق صغير تلبية لسد حاجاتهم [٢]، ناهيك عن الجهل والتخلف الذي كان منتشرا وبشكل كبير بين أفراد هذه الطبقة [٣] هذا اذا ما علمنا بأن الاقنان والعبيد كانوا يشكلون الغالبية العظمى من اصحابها [٤] ، الذين ارتبطوا بالارض ارتباطا وثيقا بحيث انهم يباعون ويشترون معها استنادا الى قانون الارض الذي كان سائدا في العصور الوسطى[٥] فكان هؤلاء الاقنان مسلوبي الحرية الشخصية ، حتى أن جميع ممتلكاتهم كانت ملكا لسيدهم الاقطاعي[٦] بالمقارنة مع مايؤدونه من أعمال شاقة ، من حفر الخنادق وبناء الحصون وانشاء الطرقات والجسور وصيانة السدود والقنوات ورعاية الاغنام ، وجز الاصواف وزراعة ارض الاقطاعي الخاصة به ، ليس هذا فحسب بل (حتى نساء الفلاحين كن يشتغلن وكن اقنانا فقد كانت النساء المستعبدات مجبرات على حياكة قطع من القماش أو عمل رداء)[٧] . أضف الى ذلك ما تقدمه هذه الطبقة من

---

[١] زابوروف : الصليبيون في الشرق، ترجمة : الياس شاهين ، منشورات دار التقدم ، موسكو – ١٩٨٦، ص ١٦ .

[٢] عاشور: تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٢، ص ٢٨.

[٣] ل– ج – شيني : تاريخ العالم العربي، ترجمة : مجد الدين حقي ناصف، دار النهضة المصرية، القاهرة – (د.ط) ، (د . ت)، ص ١٦٢ .

[٤] ايلن بور : نماذج بشرية من العصور الوسطى : ترجمة محمد توفيق حسين، منشورات دار الثقافة – بيروت، ١٩٥٧، ص ٢٠ . العريني : السيد الباز، الحضارة والنظم الاوربية في العصور الوسطى، دار النهضة العربية – بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٦٨، ق١، ص ٦٤.

[٥] كوبلاند ح – و– : الاقطاع والعصور الوسطى بغرب أوربا، ترجمة محمد مصطفى زياده، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٥٨، ص ٣٩ : قاسم عبد قاسم ، ماهية الحروب الصليبية، ص ٦٥، العريني : الحضارة والنظم الاوربية في العصور الوسطى، ق١، ص ٦٦.

[٦] العدوي : ابراهيم احمد، المجتمع الاوربي في العصور الوسطى، دار المعرفة القاهرة، (د.ط) (د.ت) ، ص ١١٧ . عاشور : العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ص ٢٨ .

[٧] ايلن بور : نماذج بشرية من العصور الوسطى، ص ٢٢ .

ضرائب مثل ضريبة الرأس المفروضة على القن سنويا تعبيرا عن عبوديته[١] فضلا عن الضريبة المفروضة على ما تخرجه الارض من زرع وعلى ما في حوزتهم من المواشي المعروفة بضريبة العشر التي كانت شائعة في أغلب البلدان المسيحية [٢] ونتيجة لهذه الظروف العصيبة التي مرت بها هذه الطبقة فقد أخذوا يرحبون بفكرة تعدهم بالخلاص من هذا الواقع الأليم أو تحسينه ، ومن جهة أخرى سيطر عليهم شعور مفاده أن كل ما يلاقونه من عذاب انما هو بسبب المعاصي والذنوب التي ارتكبوها فلا (يمكن التخلص من العذاب الدائم الا بطلب الرحمة من الرب عن طريق اجتراء مآثر بطولية بالمعنى الديني ، للتكفير عن الذنوب لأجل غفران الخطايا من نوع الاستشهاد باسم الايمان)[٣] وهنا يمكننا القول بأن هذا الشعور هو من ترويج الكنيسة وحملتها الدعائية من أجل حمل الناس على مساندتها فيما تصبو اليه من حرب صليبية ضد الاسلام ، ودليل ذلك اشتراك الاعداد الغفيرة من افراد هذه الطبقة المعدومة ، اضف الى ذلك كله ما وصفته الكنيسة من خيرات تلك البلاد المقدسة ، فقد صوروها بأنها البلاد التي تنضح لبناً وعسلا[٤] وعلى هذا الاساس نستطيع أن نقرر أن سبب دخول هذه الطبقة وبأعداد كبيرة في الحروب الصليبية انما كان نتيجة لما كانوا يلاقونه من ضغوط اجتماعية واقتصادية فلو تيسر لهم العيش بحرية في بلادهم لما غامروا بأرواحهم الى مصير مجهول.

أما طبقة النبلاء – فلا يمكن اغفال دوافعها ، فانها لم تكن اقل طمعا من غيرها. وذلك سبب ما تمخض عن النظام الاقطاعي من قوانين ارثية ، تفضي بأن

---

(١) كوبلاند : الاقطاع والعصور الوسطى، ص ٣٩ .

(٢) كوبلاند : الاقطاع والعصور الوسطى، ص ٤٩ . عاشور : الحركة الصليبية، ج١، ص ٣٨ .

(٣) زايوروف : الصليبيون في الشرق، ص ١٧ . رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص ١٦١ . باركر : الحروب الصليبية، ص ١٦ . العريني : الشرق الاوسط والحروب الصليبية ج١، ص ١٥٣–١٥٤ . جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين في الحروب الصليبية، ص ٧١ . الحميدة : سالم محمد : الحروب الصليبية (عهد الانقسامات الداخلية) ، دار الشؤون الثقافية – بغداد – الطبقة الاولى – ١٩٩٠، ج١، ص ٤١ .

(٤) انطوني وست : الحروب الصليبية، ص ٣٨ .

يرث الابن الاكبر الاقطاع عن ابيه ، في حين يبقى بقية الابناء بدون ارض[1] وهذا بطبيعته يؤدي بهم الى ايجاد سبل كفيلة من بينها قيامهم بعمليات السلب والنهب والحروب مع ابناء جنسهم لذلك ارتأت الكنيسة خير وسيلة للتخلص من هذه الحروب بايجاد حروب يوجه نطاقها خارج اوربا ، اذ يتضح ذلك جليا من خلال الخطاب الذي ألقاه البابا في مجمع كلرمونت قائلا : (من الصعب عليكم أن تعيلوا السكان في هذه البلاد وهذا ما يدفعكم لشن الحروب الكثيرة على بعضكم) [2] وقال ايضا ان (هذه الارض التي تعيشون عليها محاطة بالبحر من كل جانب تحوطها سلاسل الجبال وتضيق باعدادكم الكبيرة ، وهي لا تفيض بالثروات الكبيرة ، انما تكاد تعجز عن توفير الطعام لمن يقوم بزراعتها ، وهذا هو السبب في انكم تشنون الحروب ضد بعضكم البعض وتقتلون بعضكم بعضا)[3] أما عن ملوك اوربا فان دخولهم في الحرب كان اضطراراً وذلك بسبب ما لاقوه من ضغوط من جانب امراء الاقطاع والكنيسة ، فمن جانب امراء الاقطاع فان هذا النظام كان هو السائد في اوربا كما هو معروف ، بحيث أن ملوك اوربا كانوا معتمدين في قوتهم وبشكل كبير على هذا النظام ، فكان افراد هذا النظام في الغالب يقفون أمام رغبات الملوك ، الامر الذي ادى الى حدوث صراع سياسي بين الملوك ورجال الاقطاع.[4]

أما من جانب الكنيسة – فان هذا يتضح جليا من خلال المراسلات التي كانت تقوم بها الكنيسة الى ملوك اوربا لحثهم في الخروج على رأس جيوشهم الى الشرق لمحاربة المسلمين [5] وقد استخدمت الكنيسة سطوتها ونفوذها

---

[1] رنسيمان : المدينة البيزنطية، ترجمة : صالح أحمد العلي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٦، ص ١٩٦ المدينة البيزنطية، ص ١٩٦ . عبد القادر احمد اليوسف : العصور الوسطى الاوربية، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ١٩٦٧م، ص ١٢٧ .

[2] رنسيمان : المدينة البيزنطية، ص ١٩٣ .

[3] قاسم عبد قاسم : ماهية الحروب الصليبية، ص ٧٥.

[4] سالم محمد الحميده : الحروب الصليبية، ج١، ص ٤٥ .

[5] عاشور : العلاقات بين الشرق والغرب، ص ٣٠ . سالم حمد لحميدة، الحروب الصليبية، ج١، ص ٤٥ .

السياسي في اجبار الملوك على الاشتراك في هذه الحروب، يتضح ذلك من خلال اصدار قرار الحرمان بحق كل من لم يخرج ، وخير مثال على ذلك الامبراطور فردريك[١]. [٢]ومن خلال ما تقدم يمكننا القول أن الحروب الصليبية كانت العلاج الوحيد لجميع الطبقات في المجتمع الاوربي ، ذلك لما تعانيه من اضطرابات سواء كان ذلك على الصعيد السياسي ام الاجتماعي ام الاقتصادي ، فكل طبقة وجدت ضالتها في تلك الحروب .

ج- العامل الاقتصادي :

يعد العامل الاقتصادي من بين أهم العوامل التي دفعت الاوربيين الى القيام بهذه الحروب ضد المسلمين استناداً الى ما اتصفت به حياة المجتمع الاوربي في العصور الوسطى من ضنك العيش والبؤس والفقر ، اذ يذكر رنسيمان واصفا حالهم (فالحياة هنا اصبحت تعسه ، كثيرة الشرور ، بعد أن افنى الناس أنفسهم في تدمير أجسادهم وارواحهم واستبد بهم هنا الفقر والبؤس. .)[٣] ، وكان أكثر ما تكون هذه الحالة في فرنسا التي كانت تعاني من ازمة اقتصادية حادة اجتاحت البلاد بأسرها ، من غلاء في الاسعار وشحة في الخبر [٤] وعلى هذا الاساس نستطيع القول بأن سبب دخول الفرنسيين وبأعداد كبيرة في الحملة الاولى انما كانت بسب ما تعانيه البلاد من تخلف اقتصادي كبير. أضف الى ذلك ما كانت تعانيه اوربا من

---

[١] الامبراطور فردريك : وهو فردريك الثاني امبراطور المانيا وقائد الحملة الصليبية الخامسة على بلاد الشام . أرنست باركر : الحروب الصليبية، ص ١٤٢-١٤٣.

[٢] انطوني وست : الحروب الصليبية، ص ٢٤ . خاشع المعاضيدي، وآخرون، تاريخ الوطن العربي والحروب الصليبية، دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٨١، ص ٢٤.

[٣] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١، ض ١٦١ . عاشور : الحركة الصليبية، ج١، ص ٣٥ . قاسم عبده قاسم : ما هية الحروب، ص ٦٢ .

[٤] عاشور : الحركة الصليبية، ج١، ص ٣٥ . د. نعيم فروخ : الحضارة الاوربية في العصور الوسطى، منشورات جامعة دمشق، ١٩٩٤، ص ٨٤ . حسن حبشي : الحرب الصليبية الاولى، دار الفكر العربي – القاهرة – الطبعة الاولى، ١٩٧٤، ص٣١ . ارنست باركر : الحروب الصليبية، ص ٢٥ .

صراعات داخلية نتيجة لتردي الاوضاع الاقتصادية التي دفعت كثيرين الى القيام بأعمال اللصوصية وقطع الطريق [1] فضلا عن الصراعات التي كانت قائمة بين كبار الاقطاعيين من أجل توسيع اقطاعاتهم [2]وما يترتب على هذه الاعمال من التبعات الاقتصادية مثل تدمير الحقول وافساد المحاصيل الامر الذي يؤدي الى ارتفاع الاسعار وشحة الاقوات . ومن جهة أخرى فان الكنيسة اثبتت فشلها في ايقاف هذه الحروب المدمرة ، لذلك رأت الكنيسة أن الحل الوحيد في التخلص من هذه الحروب ايجاد حرب يكون نطاقها خارج اوربا . وقد استخدمت الكنيسة لانجاز هذا المشروع الترغيب والترهيب ، اذ وعدت الناس بالنعيم والسعادة وكثرة ثروات الشرق ، كما أنهم سيحظون بالرعاية الالهية وغفران الذنوب والخطايا[3]، ومن جهة أخرى اصدرت قرار الحرمان لكل من يعارض هذا المشروع او من لم يشارك به من الملوك والامراء[4] . كما يجب علينا عدم اغفال دور الطامعين من المغامرين والامراء ، الذين حرصوا على اقامة اقطاعاتهم في الشرق[5] من اولئك الذين حرموا من ارث الاباء طبقا لما يقتضيه النظام الاقطاعي في العصور الوسطى[6] ، فلو سلطنا الضوء على خط سير الحملة الصليبية لاتضح ذلك جليا من خلال ما اقترفوه من عمليات السلب والنهب المعارضة لكل القيم الدينية والاخلاقية . اضف الى ذلك ما حصل من منازعات بين القادة الصليبيين انفسهم بعد وصولهم الى بلاد الشام حول تكوين المستعمرات واستغلال مواردها للحصول على أكبر قدر ممكن من ثرواتها . ومما يؤكد الدافع الاقتصادي ايضا ماقامت به المدن التجارية في اوربا

---

[1] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص ١٦١ . قاسم عبد قاسم : ماهية الحروب الصليبية، ص ٧٣ .

[2] قاسم عبد قاسم : ماهية الحروب الصليبية، ص ٧٣ . عبد القادر اليوسف : العصور الوسطى الاوربية، ص ١٣٨.

[3] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص ١٦١ . ارنست باركر : الحروب الصليبية، ص ١٦ . انطوني وست : الحروب الصليبية، ص ٣٨ .

[4] انطوني وست : الحروب الصليبية، ص٣٨.

[5] ارنست باركر : الحروب الصليبية، ص ٢١ . ر. سي .سميل : الحروب الصليبية، ص ٢٦ .

[6] عبد القادر يوسف : العصور الوسطى الاوربية، ص ١٢٧ .

امثال جنوه والبندقية وبيزا من دور كبير في مساعدة الصليبيين ، ذلك بتقديم كل مستلزمات النقل والتموين للصليبيين [١] وذلك بغية الحصول على منتجات الشرق باسعار زهيدة[٢] ، وايجاد طرق جديدة تجعلها اكثر اتصالا بالشرق[٣] .

ومن خلال ما تقدم يمكننا القول بأن هذه المدن لم تكن مخلصة في مساعيها بل كانت مصلحتها التجارية فوق أي امر آخر ، حتى لو كان على حساب الصليب نفسه . بدليل ما قامت به البندقية في تحويل الحملة الصليبية التي كان من المقرر لها أن تتجه نحو مصر ، اذ لم تتورع ان وجهتها نحو القسطنطينية البلد المسيحي الآمن .[٤] ونحن نرى أن هذا العامل هو العامل المتغلب على بقية العوامل الاخرى لأهميته ولانطباقه على الأقوال والافعال التي رافقت الغزو الاوربي للمشرق الاسلامي.

---

[١] عاشور : العصور الوسطى، ص ٣٣٢ – ٣٣٣ . حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، القاهرة، ط١، ١٩٦٧،، ج٤، ص ٢٤٢، قاسم عبدة قاسم: ما هية الحروب الصليبية، ص ٧٧ .

[٢] ارنست باركر : الحروب الصليبية، ص ٢١ . عاشور : الحركة الصليبية، جص، ص ٣٥ . العريني : الشرق الاوسط والحروب الصليبية، ج١، ص ١٤٠ –١٤١ .

[٣] ارنست باركر : الحروب الصليبية، ص ١٢٦ . عاشور : تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص ٩٣٣ .

[٤] ارنست باركر: الحروب الصليبية، ص ١٢٦ . عاشور : تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص ٩٣٣ .

٢- أوضاع العالم الاسلامي عشية الحروب الصليبية :

اضحى العالم الاسلامي في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي موزعا في ولائه السياسي بين محورين : الخلافة العباسية والدولة الفاطمية ، بحيث كان النزاع والخصام السمة البارزة في تحديد طبيعة العلاقة بينهما ، فضلا عن سوء احوالهما الداخلية المرتبكة بالقدر الذي جعل بلاد الشام المجال الحيوي الذي تنازعت هاتان القوتان السيادة عليه ، موزعا بين عدة امارات صغيرة،فكانت كل مدينة كبيرة في بلاد الشام ، امارة مستقلة تحت حكم عربي أو من الاتراك السلاجقة [١].

أ- الخلافة العباسية :

وقعت الخلافة العباسية تحت نير التسلط الاجنبي ردحاً من الزمن ، الامر الذي أدى الى انتشار الفوضى والاضطرابات ، فكانت النتيجة المترتبة على ذلك انفصال الولايات عن مركز الخلافة . ويتضح ذلك جليا في عهد التسلط البويهي (٣٣٤-٤٤٧هـ) [٢] اذ عامل البويهيون الخلفاء معاملة سيئة للغاية ، فضلا عن استحواذهم على كل مقدرات الخلاقة ، فلم يكن وجود الخليفة العباسي الا اسما، بحيث انهم كانوا يعزلون ويولون من شاءوا [٣] فباتت الخلافة تعيش حالة من الضعف والتدهور حتى وصلت الحال بالخليفة العباسي المطيع لله (٣٣٤هـ-٣٦٣م) أن عمد الى بيع اثاث بيته ورخامه من أجل سد النفقات المطالب بها من قبل

---

[١] قاسم عبد قاسم : ماهية الحروب الصليبية، ص ٩٤ .

[٢] البويهيون : سمو بهذا الاسم نسبة الى جدهم بويه بن فنا خسروه، سكنوا بلاد فارس، وكان اشهرهم احمد وعلي والحسن ابناء بويه ، الذين تمكنوا من تأسيس دولة لهم، ودخلوا العراق سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م . الاصطخري : ابراهيم بن محمد (عاش في القرن الرابع الهجري) مسالك الممالك، تحقيق : محمد صابر، مطبعة ح – ع – م، ١٩٦١، ص ٢١ . مسكويه : أحمد بن محمد (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م) تجارب الامم،، باعتناء هـ– ف، امدروز، مطبعة شركة التمدن الصناعية، د – ط، ١٩١٤، ج١، ص ٢٧٧ .

[٣] مسكويه : تجارب الامم، ج٢، ٢٦ . ابن العبري: غريفوريوس بن هارون (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م) تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثولوكية، بيروت، ١٨٩٠م، ص ٢٩ .

الامير البويهي بختيار بن معز الدولة [١] كما وقد ازدادت الاوضاع سوءاً بعد أن حصلت النزاعات بين الامراء البويهيين أنفسهم والتي ادت بدورها الى استنفاذ كثير من موارد الخلافة من جهة واضعافهم من جهة اخرى [٢] مما أدى بدوره الى زيادة نفوذ الجند الاتراك ، الذين كانوا يشكلون جزءا مهما من الجيش البويهي ، حتى اصبحوا يتدخلون في تولية وعزل الامراء البويهيين[٣] ومن بين ابرز الشخصيات التركية التي ادت دورا بارزاً في هذا المجال ابو الحارث البساسري[٤] الذي تمكن من الاستيلاء على الانبار وطرد العقيلين منها في سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م[٥] . وقد ازداد نفوذ البساسري واستبد بالسلطة حتى اصبح الخليفة القائم بأمر الله لايقطع بقولٍ او فعلٍ دون ارادته او علمه ، فضلا عن مشاركته للخليفة في مراسيمه الدينية [٦] ، ليس هذا فحسب بل أخذ به الامر الى مكاتبة الفاطميين وعزمه على نهب دار الخلافة والقبض على الخليفة [٧] ونتيجة لهذه الظروف السيئة التي تمر بها الخلافة

---

[١] مسكويه : تجارب الامم، ج٢، ص ٣٠٨.

[٢] الخالدي : فاضل عبد الطيف : الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق خلال القرن الخامس الهجري، مطبعة الامام الاعظم ، بغداد، الطبعة الاولى، ١٩٦٩، ص ٣٧ .

[٣] ابن الاثير : علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) الكامل في التاريخ ، مطبعة دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان ، الطبعة الرابعة، ١٩٦٧ م، ج٨، ص ٥٣ .

[٤] البساسري : هو أبو الحارث أرسلان بن عبد الله التركي أحد مماليك بهاء الدولة البويهي كان مقدم الاتراك إلا أنه استأثر بالسلطة وانحاز الى الفاطميين . ابن خلكان : ابو العباس شهاب الدين (٦٨١هـ) وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان، تحقيق : احسان عباس، دار صادر، بيروت، ج١، ص٧٦.

[٥] ابن الاثير :الكامل في التاريخ، ج٨، ص ٥٣ . ابن العبري : تاريخ مختصر الدول، ص ٣٢١ .

[٦] الخطيب البغدادي : احمد بن علي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) تاريخ بغداد مدينة السلام، دار الكتاب العربي – بيروت (لا –مط)، ج٩، ص ٤٠٠ . ابن العميد : جرجس ابق الياسر (ت ٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م) تاريخ المسلمين ، ليدن ، ١٦٢٥ م، ص ٢٧١ . النويري : أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م) نهاية الارب في فنون الادب، تحقيق: محمد فوزي ومحمد طه ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥، ج٢٦، ص ٢٨٨ .

[٧] الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد، ج٩، ص ٤٠٠ . ابن الجوزي : عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) المنتظم في تاريخ الملوك والامم، حيدر اباد الدكن، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الاولى، ١٣٥٩هـ، ج٨، ص ١٦٣ .

العباسية ، اضطر الخليفة القائم بأمر الله الى استدعاء السلاجقة ، بقيادة طغرلبك ، يتضح ذلك من خلال الرسالة التي ارسلت اليهم [١] وفي حدود سنة ٤٤٧هـ دخل طغرلبك بغداد ، استجابة لطلب الخليفة وخطب له على منابرها الى جانب اسم الخليفة ولقب بالسلطان ركن الدولة ويمين أمير المؤمنين[٢] وبدخول السلاجقة بغداد اخذ نفوذهم يزداد ، اذ استأثروا بالسلطة من دون الخلفاء بحيث اصبح السلطان السلجوقي هو صاحب الحل والعقد، مفوضة الامور اليه برأيه وتدبيره [٣] كما أنهم شاركوا الخلفاء بالمراسيم الدينية والسياسية ، اذ خطب لهم على المنابر كما فعل بنو بويه من قبل ونقشت اسماؤهم والقابهم على السكة الى جنب اسماء الخلفاء [٤] ، ومع هذا كله فان السلاجقة لم يتدخلوا في سلطة الخلفاء الدينية وظلوا يبدون لهم شيئا من الاحترام[٥] وخاصة في الفترة التي حكم فيها الب ارسلان[٦] (٤٥٥-٤٦٥هـ) اذ حرص هذا السلطان بأن تكون علاقته مع الخليفة علاقة ودٍّ واحترام ، فكان مطيعا لرغبات الخليفة ، يتبين ذلك من خلال الرسالة التي نفذت اليه من

---

[١] ابن العديم : عمر بن أحمد (ت ٦٦٠هـ/١٢٦٢م) بغية الطلب في تاريخ حلب، نشره علي سويم / انقرة – ١٩٧٦، ص ١ . ابن طباطبا : محمد بن علي بن الطقطقى (ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م) الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦، ص ٣٩٤ .

[٢] ابن الجوزي : المنتظم ، ج٨، ص ١٦٤ . البنداري : الفتح بن علي الاصفهاني (ت٦٤٣هـ / ١٢٤٥م) دولة ال سلجوق، شركة طبع الكتب العربية، مصر، ١٩٠٠، ص ١٠ . ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م) العبر وديوان المبتدي والخبر في ايام العرب والعجم والبربر من عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، دار الكتاب اللبناني – بيروت، (لا، ت) ج٣، ص ٤٥٩.

[٣] ابن الجوزي : المنتظم ، ج٨، ص ١٨١ . ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠، ص ٣ .

[٤] ابن الجوزي : المنتظم ، ج٨، ص ٢٣٤ . ابن الاثير . الكامل في التاريخ ، ج٩، ص ٢٥٤ الراوندي : محمد بن علي بن سليمان (٥٩٩هـ/١٠١٩م) . راحة الصدور واية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، ترجمة : ابراهيم أمين الشواربي وآخرون، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٠، ص ١٦٩.

[٥] بارتولد : تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة أحمد سعيد سليمان، مراجعة ابراهيم صيري، مكتبة الانجلو المصرية – القاهرة، ١٩٥٨م، ص ١٠٨.

[٦] ألب ارسلان : هو ابو شجاع بن حضري بن داود بن ميكايل بن سلجوق، ثاني ملولك بني سلجوق، توفي سنة (٤٦٥هـ/١٠٧٢م) . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، ج٥، ص ٩٢ .

الامبراطور البيزنطي راجيا توسطه في عقد الصلح مع السلطان الب ارسلان ، وقد تم ذلك بعد توسط الخليفة [١] وعلى الرغم من مظاهر الحب والاحترام المتبادل بين السلطان والخليفة الا ان ذلك لم يدم طويلا ، اذ حاول السلطان الب ارسلان سنة ٤٦٤هـ ان يتدخل في تعيين أحد وزراء الخليفة[٢] ، مما ادى بدوره الى تدهور العلاقة بينهما ، فقد عُد الخليفة هذا الفعل تدخلاً في شؤون الخلافة فرفض استقبال الوزير[٣] وعلى أي حال فان السلطان الب ارسلان وافاه الاجل في سنة ٤٦٥هـ ، فخلفه في حكم البلاد ابنه ملكشاه [٤] الذي يعد عهده عهد قوة وازدهار اذ اتسع سلطان السلاجقة ليشمل البلاد المحصورة بين كشفر شرقا الى انطاكيه غربا ومن بحر خوارزم شمالا الى حدود اليمن جنوبا ، فشملت بذلك ايران وبلاد ما وراء النهر واسيا الصغرى والفرات وبلاد الشام بحيث اصبحت هذه الدولة مصدر رعب يهدد العالم المسيحي ويخيفه[٥] ، ولكن هذه السعة والنفوذ لم تدم طويلا ، اذ أصاب هذه الدولة التصدع والانقسام على اثر وفاة ملكشاه سنة ٤٨٥هـ ، فاحتدم الصراع بين ابنائه حول السلطة ، ويقول ابن خلدون واصفا حالهم (وكان بركياروق بالري والخطبة له بها وبالجبل وطبرستان وخورستان وفارس وديار بكر والجزيرة والحرمين ، وكان السلطان محمد بأذربيجان والخطبة له بها وببلاد الران وارمينية واصبهان والعراق جميعه إلا تكريت ، واما البطائح فبعضها لهذا وبعضها

(١) ابن الجوزي : المنتظم، ج٨، ص ٢٦٠ – ٢٦٣.

(٢) وهو ابو العلاء محمد بن الحسين، خلع عليه ولقبه بوزير الوزراء، وارسله الى بغداد وزيرا للخليفة، بدلا من الوزير فخر الدولة . البنداري : الفتح بن علي بن محمد الاصفهاني (ت٦٤٢هـ/١٢٤٥م)، تاريخ دولة ال سلجوق، مطبعة الموسوعات، مصر، ١٩٠٠م، ص ٤٤ .

(٣) البنداري : دولة ال سلجوق، ص ٤٣ .

(٤) الراوندي : راحة الصدور، ص ١٩١ . البنداري : دولة ال سلجوق، ص ٤٤ .

(٥) الذهبي : ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان (٧٤٨هـ/١٣٤٨م) دول الاسلام، تحقيق فيهم محمد شلتوت و محمد مصطفى ابراهيم، الهيئة المصرية ١٩٧٤، ج٢، ص ١٠-١١ . حيدر آباد، الدكن ، ١٣٣٧هـ، ج١، ص ١٠ . كمال الدين حلمي : السلاجقة في التاريخ والحضارة، الكويت، ١٩٧٥م، ص ٤٠ . الجنابي : طلب صبار محل : امارة انطاكيه دراسة في علاقتها السياسية بالقوى الاسلامية (٤٩١ –٦٦٦هـ / ١٠٩٨ –١٢٦٨م) رسالة دكتوراه ، كلية التربية – جامعة بغداد، ١٩٩٦، ص ٨٣

لهذا . . . وأما خراسان من جرجان الى ما وراء النهر ، فكان يخطب فيها لسنجر بعد اخيه السلطان محمد).[1] من الطبيعي أن تؤدي هذه الحرب والنزاعات بين افراد البيت السلجوقي الى خسائر جسيمة في الارواح والممتلكات ، فضلا عن ما يصيبها من ضعف وانقسام .

ومن خلال ما تقدم يمكننا القول أن السلاجقة الذين فرضوا حمايتهم على الخلافة العباسية اسهموا بشكل كبير في اضعافها ، الامر الذي حجب كثيرا من قدراتها وما تمثله من سلطة روحية ودينية بالنسبة لجميع المسلمين .

ب- اوضاع الدولة الفاطمية :

لم تكن الدولة الفاطمية بأفضل حال من سابقتها (الخلافة العباسية) وذلك بسبب ما كانت تعانيه من ظروف سياسية واقتصادية ادت الى ارباك الوضع الداخلي في مصر عشية الغزو الصليبي ، فقد عاشت ظروفا سياسية عصيبة ، نتيجة تدخل الشخصيات المتنفذة في القصر الفاطمي ، لا سيما بعد وفاة الظاهر الذي ترك ابنه المستنصر وريثا للعرش وهو لا يزال صغيرا ، غير قادر على تدبير شؤون البلاد ، فاصبحت مقاليد الحكم بيد أمه [2] التي لم تكن على معرفة بأمور السياسة وضروبها ، اذ ظهر في عصرها التمييز العنصري بين الجنود الاتراك والجنود العبيد ، وذلك سبب تقريبها للوزير ابي سعيد التستري أكثر من غيره ، الامر الذي أثار نقمة الوزير صدقة بن يوسف الغلامي ، فعمل على قتل التستري عن طريق اثارة الجنود الاتراك ضده[3] فغضبت لذلك وبدأت بتقريب الجنود العبيد اليها

---

[1] ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (٨٠٨هـ/١٤٠٦م) تاريخ ابن خلدون، مؤسسة الاعلمي، بيروت – لبنان، ١٩٧١، ج٥، ص ١٤٧ .

[2] ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج٨، ص ١١٥.

[3] ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج٨، ص ١١٥ . المقريزي : اتعاظ الحنفاء بذكر الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق : جمال الدين الشيال، مؤسسة دار البحرين للنشر، القاهرة (د. ط) ، ١٩٦٧، ج٢، ص ١٩٥ . علما أن أم المستنصر كانت جارية عند الوزير ابو سعيد قبل أن يتزوجها الظاهر، فقدمها ابو سعيد هدية للظاهر، ولذلك اصبح ابو سعيد من المقربين الى امر المستنصر، وعندما حصل النزاع بين التستري وصدقة، تخوف الاخير من أم المستنصر، فلجأ الى تقريب الجنود الاتراك واصطناعهم . ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج٨، ص ١١٥ .

وتحريضهم على الجنود الاتراك [١] مما نتج عنه حصول المنازعات الكثيرة بين الطرفين[٢] ، أدت بطبيعتها الى اضعاف الجيش الفاطمي من جهة واستنزاف موارد البلاد من جهة أخرى . وهناك من المؤرخين من يعتبر ان المستنصر الفاطمي كان سبباً بحدوث هذه الفتن ، اذ جرى اول تصادم بين العنصرين في احدى النزهات التي كان خارجا بها المستنصر الفاطمي ، حيث قتل أحد الجنود الاتراك بعد أن شهر سيفه على جماعة من العبيد ، مما دفع بالاتراك الى مهاجمة العبيد[٣] .

ويورد المقريزي رواية غريبة بهذا الخصوص اذ يقول : (انه كان يخرج كل عام بنزهة مشابهة في غير موسم الحج على سبيل الهزل والضحك ، ويلبس لباس الحجاج وكأنه يريد الحج ، ويحمل معه الخمور عوضا عن الماء والطبول والات الطرب والمغنين والراقصين ، وفي احدى هذه الجولات كانت الشرارة التي اشعلت هذه الفتن و الحروب) .[٤]

نحن لا نعتقد حصول مثل هذه الامور ، ولكن الذي يمكن أن نستنتجه من هذه الرواية ان الروح العنصرية كانت متأججة وبشكل كبير في البلاد بين الترك والعبيد من جهة وعدم قدرة الحكام الفاطميين على ضبطها من جهة اخرى. بدليل ما قام به المستنصر الفاطمي من محاولة لايقاف النزاع القائم بين الجانبين عندما كلف وزيره ابو الفرج بن المغربي ، الذي تردد في الصلح بين الطرفين ، ولكن دون جدوى[٥] وقد عدّ الجند الاتراك المستنصر بالله الفاطمي منحازا الى الجند العبيد ، اتهموه بالتعاون معهم وذلك بامدادهم بالاموال

---

[١] المقريزي : اتعاظ الحنفاء، ج٢، ص ١٩١ .

[٢] الذهبي : دول الاسلام ، ج١، ص ٢٧٥ .

[٣] ابن ميسر : محمد بن علي بن يوسف (ت٦٧٣هـ) أخبار مصر، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، مصر، ١٩١٩م، ص ١٣ .

[٤] اتعاظ الحنفاء، ج٢، ص ٢٦٥ .

[٥] المقريزي : اتعاظ الحنفاء، ج٢، ص ٢٢٦ . يذكر ابن الاثير أن امه كانت تفسد عليه ذلك . الكامل في التاريخ، ج٨، ص ١١٥ .

والاسلحة ، فهجموا عليه وحصروه في قصره، واضطروه الى دفع اموالٍ طائلة[1]، الامر الذي انعكس على حالة البلاد الاقتصادية والسياسية ، اذ انعدمت الثقة بين المستنصر الفاطمي ووزرائه ، فكانت عملية تعيين الوزير واعفائه من المسائل الشائعة في تلك الفترة . فقد اشار المقريزي الى تلك الحالة بقوله (فكان الواحد منهم لا يلبث أن يأتيه كتاب تعيينه في منصب الوزارة حتى يأتيه كتاب عزله عنها)[2]. ويذكر أحد المؤرخين أنه تم تعيين عشرين وزيرا في غضون اربع سنوات [3]، ويشير حسن ابراهيم حسن الى تلك الاوضاع المتردية حول تعيين الوزراء أنه تم تعيين اربعون وزيرا في غضون تسع سنوات وذلك بعد وزارة البازوري سنة ٤٥٩ هجرية. الامر الذي أجج الروح العنصرية بين الجنود المرتزقة من اتراك وسودان وجعلها اكثر خطورة في ظل هذا الحكم الضعيف [4] كما وقد تزامن مع هذه الاوضاع السياسية المتردية أزمة اقتصادية اجتاحت جميع بلاد مصر ، والتي امتدت الى أكثر من سبع سنين تقريبا [5] ادت الى انزال الكوارث الاقتصادية المدمرة ، نتيجة انخفاض مناسيب المياه في نهر النيل وسوء الحكم واضطرابات الامور [6] ، وبالغ عدد من المؤرخين في ذكر احوال تلك الازمة وما نتج عنها من افعال وتصرفات قد تكون في غاية الغرابة ، من الامثلة على ذلك ما ذكره ابن خلكان اذ يقول (حدث في ايام المستنصر بالله الغلاء العظيم الذي ما عهد مثله منذ

---

[1] ابن القلانسي : ابو يعلى حمزة بن أسد بن علي بن محمد (ت٥٥٥هـ/١١٦٠م)،ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الاباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨، ص ٩٥ .

[2] اتعاض الحنفاء، ج٢، ص ٢٧١.

[3] عبد المنعم ماجد، ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر، دار المعارف، الاسكندرية، ١٩٦٨، ص٧٨.

[4] تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثالثة، ١٩٦٤، ص ١٧٩-١٨٠ .

[5] ابن خلكان : أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق د. احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٢، ج٥، ص ٢٣٠ .

[6] المقريزي : اغاثة الامة بكشف الغمة، دار الهلال، ص ١٨ .

زمان يوسف عليه السلام حتى قيل أنه بيع رغيف واحد بخمسين ديناراً)[١] وذكر ابن تغري بردي في احداث ٤٥٩هـ نحو ذلك قائلا (وفيها كان بمصر الغلاء والقحط المتواتر الذي خرج عن الحد ولا زال في هذه السنة والتي قبلها الى أن أخذ أمره في نقص في سنة ٤٦١ هـ وبيع القمح في هذه السنة بثمانين ديناراً) .[٢] وذكر بعض المؤرخين في حوادث سنة ٤٦٢هـ ما عمَّ مصر من الغلاء الشديد حتى وصل الحال بالناس ان أكلوا الميتات والجيف والكلاب[٣] . ويتحدث المقريزي عنها فيقول : (واشتد الغلاء بمصر وقلت الاقوات في الاعمال وعظم الفساد والضرر والجوع حتى أكل الناس الجيف والميتات ووقفوا في الطرقات يخطفون من يمر من الناس فيسلبونه ما عليه[٤] ، ونتيجة لهذه الاعمال المروعة اصبح الناس يخافون على انفسهم من الخروج ليلا، حتى أن الامر تعد أكثر من ذلك ليشمل موتى المسلمين وما يقوم به اللصوص من نبش القبور ليلا ، فاصبح الناس لا يستطيعون دفن موتاهم في النهار بل ينتظرون حتى يجن الليل [٥] . وكان من شدة هذه الازمة أن أخذ عدد من الناس بالمتاجرة بالحيوانات المحرمة شرعا ، بل اصبحت من المسائل الشائعة بغية توفير الطعام ، فيقال ان سعر القط وصل الى ثلاثة دنانير وسعر الكلب خمسة دنانير[٦]، فنحن نستبعد حصول مثل هذه الاعمال بل نجد فيها كثيرا

---

[١] وفيات الاعيان، ج٥، ص ٢٣ .

[٢] ابن تغري بردي،جمال الدين ابو المحاسن يوسف (٨٧٤هـ/١٤٦٩م) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية للطباعة، مصر، (د. ت)، ج٥، ص ٨٠ .

[٣] ابن كثير : ابو الفداء الحافظ الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) البداية والنهاية، تحقيق : أحمد ابو مسلم وآخرون ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٨٧، ج١٢، ص ١٠٥ . ابن ياس : محمد بن أحمد الحنفي (ت ٩٣٠هـ/١٥٢٣م) بدائع الزهور في وقائع الدهور، مكتبة الشرق الجديدة، بغداد، ١٩٨٤، ج١، ص ٦٠ . السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) تاريخ الخلفاء، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر ، ١٩٥٢ م ، ص ٤٢١ .

[٤]

[٥] اتعاظ الحنفاء، ج٢، ص ٢٧٩ .

[٦] ابن الجوزي : المنتظم ، ج١٦، ص ١١٨ . المقريزي : اتعاظ، ج٢، ص ٢٩٧ . السيوطي : تاريخ الخلفاء، ص ٤٢١ .

من المبالغة، ولكنها تشير بشكل أو بآخر على عظم الفاقة التي اجتاحت مصر في تلك الفترة من جهة ، وسوء تدبير النظام القائم من جهة أخرى .

وهناك نجد من يشير الى أن هذه الازمة اصابت جميع مؤسسات الدولة ورجالها بما فيهم الوالي الفاطمي ، اذ يذكر أن المستنصر الفاطمي ، اصبح يجلس على حصيرة حتى أنه لا يستطيع أن يوفر الطعام لنساءه[١]. كما يجب عدم اغفال دور التجار في هذا المجال وما قاموا به من احتكارات لاسيما في السلع الضرورية التي كان الناس بأمس الحاجة اليها مثل المواد الغذائية بغية ارتفاع اثمانها [٢] وهنا يمكننا القول بأن المواد الغذائية باتت موجودة في السوق ولكن بأيدي المحتكرين ، ولو كانت هناك سلطة رشيدة لقامت بأعمال من شأنها تقليل شدة هذه الازمة . الامر الذي دفع العامة الى مهاجمة الوالي الفاطمي وحاشيته وتهديدهم بالقتل اذا لم يضعوا حلا لهذه الظروف العصيبة، ولاسيما فيما يحتاجونه من مواد غذائية [٣] ، ونتيجة لهذه الضغوط التي تعرض لها المستنصر الفاطمي قام باستدعاء الامير بدر الجمالي[٤] والي عكا محاولة منه في ايجاد حل مناسب لما تعرضت له مصر من

---

[١] ابن خلكان : وفيات الاعيان، ج٥، ص ٢٣٠ . المقريزي : اتعاظ الحنفاء، ج٢، ص ٢٩٨ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، ج٥، ص ١٩.

[٢] سبط ابن الجوزي : شمس الدين ابو المظفر يوسف (٦٥٤هـ/ ١٢٦٢م) مرآة الزمان في تاريخ الاعيان ، دار المعارف العثمانية – حيدر أباد الدكن، الهند، الطبعة الاولى، ١٩٥١ م، ج ، ص . المقريزي : اتعاظ الحنفاء، ج٢، ص ٢٩٧ .

[٣] المقريزي : اغاثة الامة بكشف الغمة، ص ٥٧ .

[٤] هو الامير بدر بن عبد الله الجمالي، ارمني الاصل، وكان مملوكا لجمال الدين بن عمار، احد ولاة الشام . الصيرفي : ابن منجب (ت) الاشارة الى من نال الوزارة، تحقيق عبد الله مخلص، القاهرة، ١٩٢٤، ص ٣٥ . المقريزي : المقفى الكبير، تحقيق : محمد البعلاوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت – لبنان – الطبعة الاولى، ١٩٩١م، ج٢، ص ٣٩٤ . السيوطي : حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة، مطبعة الموسوعات، مصر (د.ت) ، ج٢، ص ٢٠٤ . ابن العماد : ابو الفلاح عبد الحي (ت١٠٨٩هـ) شذرات الذهب في اخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، بيروت ، (د. ت) ، ج٣، ص ٣٨٣.

ازمة اقتصادية [1] فتوجه الامير بدر الجمالي الى مصر وحال وصوله قلده المستنصر بالله الوزارة [2] وورد في أمر توليته ما نصه (وقد قلدك امير المؤمنين جميع جوانب تدبيره وناط بك النظر في كل ما وراء سريره) [3] يتبين من خلال هذا النص أن بدر الجمالي اطلقت يده في جميع الامور . فكان اول عمل قام به هو التخلص من جميع المناوئين له في الحكم [4] . وهذا يعني ايذانا للبدء بالدخول في سلسلة جديدة من الصراعات الداخلية حول سلطة الوزارة . وعلى الرغم مما قام به بدر الجمالي من الاعمال في مواجهة الازمة الاقتصادية ، إلا أن ذلك لم يحد من حجم الانقسامات الداخلية التي تعرضت لها مصر ، ولاسيما بعد وفاة المستنصر بالله الفاطمي سنة ٤٨٧هـ[5] اذ تولي الافضل بن بدر الجمالي الوزارة بعد ابيه وعمد على اقصاء ابن المستنصر نزار وتولية أخوه الاصغر أحمد في حكم البلاد ولقبه بالمستعلي[6] الامر الذي نتج عنه صراعات داخلية بين الافضل وبين نزار الذي انحاز اليه أهل الاسكندرية وبايعوه بالخلافة ولقب بالمصطفى [7] وعلى الرغم من ان الافضل تمكن من اخماد الفتنة الا انه ألحق الضرر البالغ بالاسكندرية وأهلها

---

[1] المقريزي : اتعاظ الحنفاء، ج٢، ص ١١٣ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، ج٥، ص ٢٤-٢٥ .

[2] ابن خلكان : وفيات الاعيان، ج٥، ص ٢٣٠ . الذهبي : تاريخ الاسلام ، حوادث، ج١، ص ٢٦-٢٧ . المقريزي : المقفى الكبير، ج٢، ص ٣٩٦ . ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص ٢٥-٢٦ .

[3] المقريزي : الخطط، ج٢، ص ٣٠٤ .

[4] المقريزي : اتعاظ الحنفاء، ج٢، ص ٢١٢-٢١٣ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، ج٥، ص ٢٥ .

[5] الفارقي : أحمد يوسف بن علي الازرق (ت ٥٧٢هـ) تاريخ الفارقي، تحقيق د. بدري عبد اللطيف عوض، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، الطبعة الثانية، ١٩٧٤، ص ٦٧-٦٨. الذهبي : دول الاسلام ، ج٢، ص ١٥ .

[6] ابن خلدون : تاريخ ، ج٤، ص ٦٦ . المقريزي : اتعاظ الحنفاء، ج٣، ص ٤ . ابن ياس : تاريخ مصر، ج٢، ص ٦٢ .

[7] ابن ميسر : تاريخ مصر، ص ٣٦-٣٧ . د. صابر محمد ذياب : سياسة الدولة الاسلامية في حوض البحر المتوسط من اوائل القرن الثاني الهجري حتى نهاية العصر الفاطمي، ص ٢٤٩ .

[1] كما وان هذه الحروب استنزفت كثيراً من موارد البلاد وطاقاتها . وهذا ما اشار اليه ابن تغري بردي اثناء حديثه عن الدولة الفاطمية ووضعها المتردي بقوله (ووهنت دولتهم وانقطعت دعوتهم . . ولم يكن للمستعلي مع الافضل بن أمير الجيوش حكم)[2] ومن خلال ما تقدم يمكننا القول ان الدولة الفاطمية اصبحت على شفا جرفٍ هارٍ نتيجة ما كانت تعانيه من صراعات داخلية من جهة ، وما تعرضت له من ازمة اقتصادية من جهة أخرى ، فضلا عن عجز الوالي الفاطمي عن القبض على زمام الامور وتداركها.

ج- أوضاع بلاد الشام :

بعد أن تمكن السلاجقة من فرض نفوذهم على الخلافة العباسية على اثر دخول سلطانهم طغرلبك الى بغداد سنة ٤٤٧هـ، فقد رأى هؤلاء السلاجقة أنهم حماة للخلافة، فوجهوا اهتماماتهم الى استعادة ما فقدته من املاك ونفوذ، لذلك قرر سلاطينهم التوجه الى بلاد الشام، لا سيما بعد المراسلة التي قام بها امير حلب الامير محمود بن نصر بن مرداس مع السلطان السلجوقي الب ارسلان [3] ويبدو أن قدوم امير حلب على هذه الخطوة كان نتيجة لما رآه من قوة السلاجقة من جهة، وضعف الفاطميين من جهة أخرى، بدليل ما قاله أمير حلب للحلبيين (لقد ذهبت دولة المصريين، وهذه دولة جديدة، مملكة سديدة ونحن تحت الخوف منهم، وهم يستحلون دمائكم لأجل مذهبكم، والرأي ان نقيم الخطبة، خوفا من أن يجيئنا وقت لا ينفع فيه قول ولا بذل)[4] .

---

[1] سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، ج٦، ص ٢٠ . المقريزي : اتعاظ الحنفاء، ج٢، ص ٢٨٢ . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، ج٥، ص ١٤٢-١٤٣ .

[2] النجوم الزاهرة، ج٥، ص ١٤٢ .

[3] ابن العديم : كمال الدين ابو القاسم عمر بن أحمد (ت ٦٦٠هـ/١٢٦٢م) زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق : سامي الدهان، المعهد العربي، دمشق، ١٩٥٤ . ج٢، ص ١٦-١٧ .

[4] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص ٩٨ .

الفصل الثاني
المقاومة في بيت المقدس وطرابلس

١- المقاومة في بيت المقدس .
أ- مقاومة المدن الواقعة على طريق الزحف الصليبي إلى القدس :-

بعد إن تمكن الصليبيون من الاستيلاء على إنطاكية عقدوا مجلساً استشارياً حول إمكانية تسوية خلافاتهم والسير إلى بيت المقدس إذ أقسم كل من القائد بوهمند وريموند الصنجيلي على انهما لن يحاولا إعاقة سير الحملة إلى القدس(١)،وعلى هذا الأساس أبقى بوهمند بعض أصحابه في القلعة وزودهم بما يحتاجونه من المؤن ،كما أبقى ريموند الصنجيلي من ينوب عنه في قصر ياغي سيان وأعزز تموينهم(٢)،وقبل ان تقوم هذه الحملة برحلتها إلى بيت المقدس قام بعض الطامعين من صغار النبلاء بشن الغارات السريعة سعياً وراء الغنيمة لا سيما تلك التي قادها أحد قادة ريموند يدعى ريموند بيليه إذ توجه بقوته نحو الجنوب الشرقي لإنطاكية عبر نهر العاصي ،وكان هدف هذه الحملة مهاجمة تل منس(٣)،ومعرة النعمان(٤)، اذ تمكن من الاستيلاء على بلدة تلمنس بدون مقاومة تذكر(٥)، ويبدو أن الانتصار الذي تحقق

---

(١) كان للقائدين ريموند الصنجيلي وبوهمند أطماع توسيعه إذ حاول كل واحد منهما الانفراد بحكم إنطاكية وجرى بينهما نزاع حول ذلك ، لمزيد من التفاصيل ،ينظر : المؤرخ مجهول : أعمال الفرنجة ،ص١٠٢، رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١، ص٣٥٧-٣٥٨، باركر : الحروب الصليبية ،ص٤١، العريني : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ،ج١، ص٢٥٤-٢٥٥.

(٢) المؤرخ مجهول : أعمال الفرنجة ،ص١٠٢-١٠٣،رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ،ج١، ص٣٥٧، حسن حبشي :الحروب الصليبية الأولى ، ص١٠١-١٠٣ ، المعاضيدي : الحياة السياسية في بلاد الشام ،ص١٢٤.

(٣) تل منس : حصن من حصون الشام بالقرب من معرة النعمان ، ياقوت : معجم البلدان ،ج٢، ص٤٤.

(٤) معرة النعمان : مدينة تقع بين حلب وحماة من اعمال حمص. البغدادي مراصد الاطلاع ، ج٣ ، ص١٢٨.

(٥) مجهول : أعمال الفرنجة ،ص٩٨-٩٩، ابن الشحنة :- الدر المنتخب ، ص٢١٦،عاشور : الحركة الصليبية ،ج١، ص٢١٣.

لريموند بيلية كان بفضل المساعدة التي أبداها سكان الأرمن وهذا ما يمكن أن نستنتجه من رواية ابن العديم[١]،وبعد أن تمكن ريموند بيلية من الاستيلاء على بلدة تلمنس غادرها متوجهاً إلى معرة النعمان وفقاً للخطة المرسومة غير ان قواته تعرضت إلى مقاومة عنيفة أدت إلى هزيمته وقتل أعداد كبيرة من قواته لا سيما بعد أن وصلت إليهم نجدة رضوان على عدها تابعة له[٢]، وقد أشار ابن العديم إلى هذه الحادثة وما أبدته المقاومة الإسلامية من دور كبير في هذه المعركة بقوله (فالتقوا بين تل المنس والمعرة ، فأنهزم الفرنج وبقي الرجالة منهم، فقتل منهم زائداً عن آلف رجل وحملت رؤوسهم على معرة النعمان)[٣]،ويذكر المؤرخ المجهول هذه الحادثة بقوله (وكانت هذه المذبحة في اليوم الخامس من شهر يوليو ،أما الفرنج الذين نجوا من الموت فقد عادوا إلى قلعتهم)[٤]، وكان نتيجة للمقاومة التي ابداها سكان المعرة ان يقرر القادة الصليبيين مهاجمتها على اعتبارها تشكل خطراً على الجناح الأيسر للقوات الصليبية في أثناء مسيرها إلى بيت المقدس[٥]،وفي ثلاث وعشرين (شهر ،سنة) سار ريموند الصنجيلي وكونت فلاندر بقواتهم باتجاه الجنوب قاصدين معرة النعمان فاستولوا في طريقهم على البارة[٦] والروج[٧] بدون مقاومة[٨]،ويبدو ان رضوان صاحب حلب لم يقوم بأي محاولة في الدفاع عنها اذ تركها تلاقي مصيرها المؤلم إذ استولى عليها ريموند (وعاقب الرجال والنساء واستصفى أموالهم وسبى بعضاً وقتل

---

(١) حيث يشر إلى المساعدة التي أبدوها بقوله (خرج جماعة من الفرنج في شعبان ورحققوا مع أهل تلمس وجميع نصارى بلدة المعرة ...) زبدة حلب ، ج٢، ص١٣٨.

(٢) رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ،ج١، ص٣٥٨، الحميدة :الحروب الصليبية ، ج١، ص١٧١.

(٣) زبده الحلب ، ج٢، ص١٣٨، ابن الشحنة :الدر المنتخب ، ص٢١٦، عاشور: الحركة الصليبية ، ج١، ٢١٣.

(٤) أعمال الفرنجة ،ص١٠٠، حسن حيش : الحروب الصليبية الأولى ، ص١٦٢.

(٥) رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ،ج١ ،ص٣٦٨،ر.س. سميل: الحروب الصليبية ، ص٣ ،عاشور :الحركة الصليبية ،ج١، ص٢١٧، حسين مؤنس : نور الدين محمود ، ص٩٧.

(٦) البارة:بلدة من نواحي حلب ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج١، ص ٤٦٥.

(٧) الروج : وهي كوره من كور حلب ، تقع الى الغرب منها ، ياقوت: معجم البلدان ، ج٣، ص٧٦.

(٨) فوشية : تاريخ الحملة إلى القدس ، ص٦٨، مجهول : أعمال الفرنجة ،ص١٠١، ابن ظافر : جمال الدين علي (ت ٦٢٣هـ / ١٢٣٦م) أخبار الدول المنقطعة ،ص ٨٢، ابن الشحنة : الدر المنتخب ،ص٢١٦، العريني : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ،ج١، ص٢٥٧،حسن حبشي : الحروب الصليبية الأولى ،ص١٦٣.

بعضاً)[1]، ثم واصلت القوات الصليبية خط سيرها فما أن وصلت إلى المعرة حتى بادروا بالهجوم عليها ، ويذكر أن أهلها قد استنجدوا بالأمير رضوان صاحب حلب وجناح الدولة صاحب حمص (فلم ينجدهم أحد)[2]، وقد استبسل أهلها في الدفاع عنها إذ استطاعوا من صد الهجمات المتكررة التي قامت بها القوات الصليبية لا سيما بعد وصول قوات بوهمند لمساعدة المحاصرين للمدينة . إلا انهم لم يتمكنوا من دخولها[3]،وقد شهد صاحب أعمال الفرنجة بهذه المقاومة بقوله : (غير أن المقاومة (الإسلامية) كانت من الشدة بالدرجة التي أعاقت رجالنا عن التقدم)[4]، ويذكر حسين مؤنس الموقف البطولي الذي قام به سكان المعرة بقوله : (وصمد أهلها صمود الأبطال وقتلوا من المهاجمين عشرات بعد عشرات)[5] وبعد أن تيقن الصليبيون بعدم قدرتهم على اقتحام المدينة ،شرعوا بتغيير خطتهم الهجومية وذلك بضرب الحصار عليها بغية أضعاف المدافعين عنها حتى يتسنى لهم دخول البلد ، ويذكر فوشية إن القوات الصليبية استمرت بضرب الحصار على المدينة قرابة عشرين يوماً ولكن دون جدوى[6] ، وعندما لم يتوصل الصليبيون إلى تقدم يذكر شرعوا بصناعة آلات الحصار التي استطاعوا من خلالها تسلق السور[7]،فبالرغم من التقدم الذي أحرزه الصليبيون إلا أن سكان المدينة لم يستسلموا بل قاتلوهم قتال الأبطال وكبدوهم خسائر جسيمة وقد أشار المؤرخ المجهول الى ذلك بقوله : (غير أن الشرقيين هاجموهم هجوماً عنيفاً على السور وعلى الأرض واشرعوا نحوهم الأسنة واخذوا

---

(1) ابن العديم : زبده الحلب ،ج٢، ص١٤١.

(2) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٨، ص١٨٧.

(3) مؤرخ مجهول : أعمال الفرنجة ، ص١٠٤-١٠٥، ابن الشحنة :- الدر المنتخب ، ص٢١٦ ، رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ،ج١، ص٣٦٨، أبو بدر شاكر أحمد : الحروب الصليبية والأسرة الزنكية ، الجامعة اللبنانية ، ١٩٧٢ ، ص٤٠.

(4) مؤرخ مجهول : ص١٠٥.

(5) نور الدين محمود ، ص٩٧.

(6) تاريخ الحملة إلى القدس ،ص٦٨.

(7) مؤرخ مجهول :أعمال الفرنجة ، ص١٠٤، وابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص٢١٦، والعريني : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، ج١، ص٢٥٩.

يضربوهم عن قرب برماحهم فاستولى الذعر على كثير من رجالنا ،فالقوا بأنفسهم من فوق السور)[١]،إلا انهم تمكنوا أخيرا من أحداث هدم واسع في السور ليلاً ، فأضطر المدافعون من التراجع إلى داخل البيوت بعد ان حصنوها واستعدوا للدفاع عنها اذ استمر القتال في اليوم الثاني داخل المدينة من بيت إلى بيت فلم يتمكن الصليبيون من الاستيلاء على أي بيت إلا بعد ان تم القضاء على جميع مدافعيه وفي اليوم الرابع عشر من محرم سنة ٤٩٢هـ تمكنت القوات الصليبية من الاستيلاء على المدينة بعد أن أعطوا الأمان لأهلها ثم غدروا بهم[٢]،ليحدثوا مذبحة رهيبة[٣]،تردد صداها في جميع العالم الإسلامي[٤]،ومن خلال ما تقدم يتبين لنا أن سكان المدينة لم يدخروا جهداً في مقاومة الغزاة ، غير أن أسباب سقوط المدينة يرجع بالدرجة الأولى إلى تقاعس رضوان صاحب حلب وجناح الدولة صاحب حمص عن نجدتهم ،وأننا نعتقد غير جازمين لو أن سكان المدينة حصلوا على إمدادات عسكرية من قبل رضوان وجناح الدولة لتغيرت مسيرة الأحداث في تاريخ بلاد الشام ،إذ ان القوات الصليبية كانت تعاني من نقص كبير في عدد قواتها[٥]،فضلاً عن النقص الحاصل في المؤن[٦]،إذ كان عدد فرسانها في تلك الفترة لا تتجاوز ألف فارس بينما كان عدد

---

[١] أعمال الفرنجة : ص١٠٥.

[٢] ابن القلانس : ذيل تاريخ ، دمشق ، ص١٣٦،ابن العديم :زبده حلب ، ج٢ ، ص١٤٢-١٤٣، ابن خلدون : تاريخ ، ج٥،ص١٨٤، فوشية : تاريخ الحملة إلى اقدس ،ص٦٨،حسين مؤنس ، نور الدين محمود ،ص٩٧.

[٣] يذكر ابن الأثير أن عدد الشهداء بلغ مائة ألف ، الكامل في التاريخ ، ج١٠ ، ص٢٧٨،ولا يستبعد حسين مؤنس ارتفاع عدد الشهداء إلى مثل هذا الرقم وذلك بقوله : (إذ أن ألوفاً بعد ألوف من أهل القرى والحقول التي مر بها الصليبيون كانت قد لجأت إلى البلد لتحتمي خلف أسواره ، وهناك هلكوا بسيوف العدو) نور الدين محمود ، ص٩٧-٩٨.

[٤] سالم محمد حميدة :الحروب الصليبية ،ج١، ص١٧٤.

[٥] يجب عدم المبالغة في ذلك لأنه يخدم النظرة الصليبية .

[٦] يشر فوشية إلى ذلك بقوله: (عاني رجالنا خلالها من الجوع الشديد ((أي فترة حصار المعرة))وما يقشعر بدني إذ اذكر أن كثير من رجالنا قد أضناهم الجوع وعذبهم إلى حد الجنون وهكذا فإن الضرر أصاب المحاصِرين اكثر من المحاصَرين) تاريخ الحملة إلى القدس : ص٦٨.

المشاة يقدر بخمسة آلاف مقاتل[١]، علماً إن قوات بوهمند قد انفصلت عن الجيش الصليبي ورجعت إلى انطاكية[٢] وعلى أي حال فان ريموند سار بقواته إلى الروج إذ اجتمع هناك بالقادة الصليبين وحاول استمالتهم بالأموال بغية الانفراد في قيادة الحملة [٣] ويبدو إن ريموند قد توصل الى حل اذ تمكن من الانفراد في قيادة الحملة دون منازع لا سيما بعد تنازله لبوهند في ملكية انطاكيه ، وعلى اثر ذلك عاد ريموند إلى معرة النعمان ومنها سار باتجاه الجنوب قاصدا بيت المقدس [٤] ومن خلال ذلك يتضح لنا خضم الصراعات الداخلية التي كانت موجودة بين القادة الصليبين حول مطامعهم الاستعمارية من جهة وعجز الأمراء المسلمين في استغلال هذه الظروف من جهة أخرى ، بل على العكس من ذلك كان لمواقف بعض الأمراء دور كبير في تشجيع القوات الصليبية إلى التقدم كما وهو الحال بالنسبة لأمير حماة وأمير حمص وغيرهم من الأمراء حيث تحالفوا معهم وتخلوا عن فكرة المقاومة بشكل نهائي بعد إنكانت لهم مشاركة فعالة مع جيش كربوقا [٥] وعلى أي حال استمرت القوات الصليبية في تقدمها إلى كفر طاب التي تقع إلى الجنوب من المعرة على بعد أثنى عشر ميل وعسكر ريموند في هذا المكان حيث التحق به تانكرد و روبرت النورماندى ، وفي تلك الأثناء وصلت سفارة قادمة من بني منقذ في شيزر تعرض على الصليبين تقديم الإدلاء والمؤن بالمقابل أن لا يتعرض الصليبيون لبلادهم

---

[١] عاشور : تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب ،ص١٧٩، حسين مؤنس : نور الدين محمود ، ص٩٧، سالم محمد حميدة : الحروب الصليبية ،ج١، ص١٧٤.

[٢] مؤرخ مجهول : أعمال الفرنجة ، ص١٠٧، ابن العديم :زبدة الحلب ، ج٢، ص١٤٣،رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١، ص٣٧١، عاشور : الحركة الصليبية ، ج١ ،ص٢١٨.

[٣] فوشيه : تاريخ الحملة الى القدس ، ص٦٨ .مؤرخ مجهول : أعمال الفرنجة ، ١٠٧ . رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ح١ ، ص٣٧١ . عاشور: الحركة الصليبية ،ج١، ص ٢١٨.

[٤] مؤرخ مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ١٠٧ ، ابن العديم : زبد الحلب : ح٢ ، ص ١٤٣. حسن حبشي : الحرب الصليبية الأولى ، ص ١٠٧ . وانطوني وست ، الحروب الصليبية ، ص ٧١ .

[٥] مجهول : أعمال الفرنجة ، ص ١٠٩ ، رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ح١ ، ص ٣٧٦ – ٣٧٧ . عبد القادر اليوسف : علاقات بين الشرق والغرب ، ص ٦٩ .

بأذى[١] ، فمن الطبيعي أن هذا الاتجاه صادف استحسانا من قبل الصليبيين لا سيما إن هذه الأسرة تقع مباشرة على خط سير القوات الصليبية فضلا عن سيطرتها على المنطقة الممتدة من نهر العاصي إلى الساحل وهذا بطبيعته ما يمكن القوات الصليبية من الاتصال بمراكز تموينها . ووفقا لهذا الاتفاق سار الصليبيون بصحبة الإدلاء عبر نهر العاصي بين شيزر و حماة ، غير أن هذه الاتفاقية لم تقف حائلا أمام عمليات السلب التي قامت بها القوات الصليبية في أثناء مرورها إذ نهبوا (اكثر من خمسة آلاف رأس من الغنم وجزءً غير قليل من القمح وغير ذلك من السلع)[٢]،حتى أصبحت هذه الغنائم من الوفرة حتى قام الصليبيون ببيع الفائض عن الحاجة في شيزر[٣] وحماة وبذلك تمكنوا من شراء ما يقارب ألف حصان فضلاً عن اشتراء ما يحتاجونه بترخيص من حكام البلاد[٤]،وفي تلك الأثناء اجتمع ريموند وقادته للتشاور حول الطريق الذي يجب أن تسلكه القوات الصليبية تفادياً لمشكلة المؤن من جهة والتخلص من المقاومة الإسلامية في الجهات التي يتوقعون أن تصادفهم فيها ، ولذلك ابدى ريموند رأيه بأن تسلك القوات الصليبية الطريق الساحلي لتأمين وصول المؤن والإمدادات العسكرية ، غير أن هذا الاقتراح لم يجد له ميولاً وذلك لأن هذا الطريق يعرضهم إلى مقاومة المدن الساحلية من جهة[٥]،ويستنفذ وقتاً

---

[١] ابن منقذ :' مؤيد الدولة أبو المظفر أسامة بن مرشد (٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م) كتاب الاعتبار ، حرره فليب حتى ، برنستون ، ١٩٣٠ ، ص ٦٥ . ابن خلدون : تاريخ ، ح٥ ، ص١٨٤ ، عاشور: الحركة الصليبية ، ح١ ، ص ٢٢٠ . العريني : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، ج١ ، ص ٢٦٢.

[٢] مؤرخ مجهول : أعمال الفرنجة : ص١٠٨.

[٣] يحاول أن يبرر الأستاذ المشهداني هذا الموقف الذي اتخذه بني منقذ من الصليبيين بقوله : (إن بني منقذ باعتبارهم عرباً أولاً ومسلمين ثانياً وكونهم أمراء يحسون بمسئوليتهم تجاه رعيتهم ليس من المعقول بأن يفقدوا صوابهم ويلقوا بأنفسهم في احضان الصليبيين ،كما أن طبيعة الغزو وما رافقه من مجازر بشعة واضحة معروفة أيضا من قبل بني منقذ وغيرهم) المشهداني : محمد جاسم حمادي ، تاريخ إمارة بني منقذ العربية (٤٧٤-٥٥٢هـ / ١٠٨٠-١١٥٨م) بغداد ، ١٩٨٥/ص٤٤.

[٤] رنسيمان :تاريخ الحروب الصليبية ، ج١ ، ص٣٧٧-٣٧٨، حسن حبشي :الحرب الصليبية الأولى ،ص١٦٣، العريني : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، ج١، ص٢٦٢.

[٥] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ،ج١، ص٣٧٨.

طويلاً وتضحيات كثيرة ،حين تصل القوات الصليبية إلى بيت المقدس وهي منهكة متعبة ، ومعطين خصمهم وقتاً كافياً للاستعداد لملاقاتهم بحيث يصبح من الصعب الاستيلاء على الهدف المقصود[١]، أما الرأي الذي أبداه تنكرد فيقوم على أن تسلك القوات الصليبية الطريق الداخلي وبشكل مستقيم إلى بيت المقدس ،ولكن هذا الرأي لم يجد له قبولاً ، لأنه يسلك البلاد التي تقع تحت نفوذ دقاق بن تتش صاحب دمشق الذي يختلف عن غيره من الأمراء فلا شك في مقاومته لهم[٢]، و أخيرا تم الاتفاق حول الطريق الذي يتم فيه الاقتراب من الساحل بين فترة وأخرى ، وذلك بعد اجتياز سهل البقعة الواقع بين جبال النصرية[٣]، وجبال لبنان[٤]، ثم يتجه إلى البحر المتوسط فيبلغه بالقرب من طرابلس[٥] ،وفي ٢٢يناير سنة ١٠٩٩/٤٩٢م وصلت القوات الصليبية إلى مدينة مصياف[٦] التي شرع أميرها بعقد معاهدة معهم حال وصولهم ثم تابعوا خط سيرهم بدون مقاومة تذكر إلى بارين[٧]، ومنها توجهوا إلى رفينة[٨]ليجدوها خالية من السكان ، إذ هجرها أهلها قبل وصول القوات الصليبية ،حتى انهم لم يتمكنوا من إخلائها فتزودوا منها ثم تابعوا خط سيرهم إلى حصن الأكراد[٩] بعد إن مكثوا فيها ثلاثة أيام[١] ، وما أن وصل الصليبيون إلى سهل

---

(١) عاشور : الحركة الصليبية ،ج١، ص٢٢١-٢٢٢.

(٢) رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١، ص٣٧٨، العريني : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، ج١، ص٢٦٢، شاكر ابو بدر :الحروب الصليبية والأسرة الزنكية ،ص٤٠.

(٣) النصرية:قرية بينها وبين طبرية ثلاثة عشر ميلا.ياقوت الحموي :معجم البلدان،ج٥،ص ٢٥١.

(٤) مؤرخ مجهول : إعمال الفرنجة ،ص١٠٨-١٠٩ ، رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١، ص٣٧٩، عاشور : الحركة الصليبية ، ج١، ص٢٢١.

(٥) Ruaciman; the first crusade. A ٣٢٧-٣٢٨.

(٦) مصياف : مدينة شمال بارين على الساحل قرب طرابلس . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٥، ص ١٤٤.

(٧) بارين:وتسمى بعرين وهي مدينة بين حلب وحماة.البغدادي:مراصد الاطلاع،ج١، ص١٥٢. .

(٨) رفينة : مدينة من أعمال حمص . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٣، ص٥٥. .

(٩) حصن الأكراد : وهو حصن منيع على جبل يقع غرب حمص. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢ ، ص٢٦٤ .

البقيعة حتى بادر السكان إلى إخفاء قطعانها داخل الحصن ، وحاولت القوات الصليبية اجتياحه غير انهم تعرضوا إلى هزيمة قاسية حتى كاد ريموند أن يقع أسيرا بيد القوات الإسلامية ، ذلك على اثر الخطة التي قام بها مدافعوا الحصن إذ اخذوا بإخراج بعض الماشية فشرع الصليبيون بجمع ما تشتت منها وتفرقت قواتهم فشنت القوات الإسلامية هجوماً مضاداً عليهم أدت بحياة أعداد كبيرة منهم(٢)، غير أن هذا الانتصار لم يستمر بالشكل المطلوب لعدم وجود قوة كافية تواصل مطاردتهم إذ اكتفت بتحقيق هذا الانتصار السريع ورجعت متفككة إلى داخل الحصن الذي غادرته تحت جنح الظلام ، ليدخله الصليبيون في اليوم الثاني بدون مقاومة ما كثين فيه ثلاثة أسابيع(٣) ، وبذلك تمكنت القوات الصليبية من احتلال نقطة عسكرية مهمة إذ أنها تتحكم في الممر الواقع بين سهول العاصي والبحر المتوسط(٤)، وفي تلك الأثناء استقبل ريموند رسل أمير طرابلس فخر الملك علي بن عمار(٥) ، الذي بادر إلى استباق الأمور لدفع الخطر عن إمارته(٦) وتفادى القتال ،إذ نقلوا أليه رغبة أميرهم

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠، ص٢٧٨، مؤرخ مجهول : اعمال الفرنجة ، ص١٠٨، رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١، ص٣٧٩، عاشور : الحركة الصليبية ،ج١، ص٢٢٢.

Crousset; hits. Des. Crossed, vol. , ١.pp. ١٢٨-١٣٠.

(٢) مؤرخ مجهول : أعمال الفرنجة ، ص١٠٩، حتى : فليب ،وآخرون : تاريخ العرب مطول ، دار الكشاف لنشر ، بيروت ، الطبعة الثانية ،١٩٥٣، ج٣، ص٧٥٦، عاشور : الحركة الصليبية : ج١، ص٢٢٢.

(٣) رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١، ص٣٨٠، العريني : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ،ج١، ص٢٦٣.

(٤) فليب حتى وآخرون : تاريخ العرب مطول ، مطابع الغندور ، بيروت ، ط٤، ١٩٥٨، ج٣، ص٧٥٦.

(٥) مؤرخ مجهول : أعمال الفرنجة ، ص١٠٩ ،ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج٥، ص١٧٩، العريني : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، ج١، ص٢٦٣، عبد القادر اليوسف : علاقات بين الشرق والغرب ،ص٦٩.

William ; of . tyro . op . cit. P. ٣٣٠.

(٦) علماً من أن هذه الأمارة تسيطر إلى الشريط الساحلي الممتد من وسط لبنان إلى الطرف الفاطمي ،ينظر : رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ،ج١، ص٣٧٧.

بالتشاور في التدابير اللازمة لمرور القوات الصليبية عبر أراضيه ، وليحملوا معهم أعلام تولوز ليرفعها أميرهم فخر الملك على أسوار المدينة[١]، فمن الطبيعي أن تجد هذه المبادرة قبولاً كبيراً لدى ريموند لا سيما إنها توفر اختصار الطريق والوقت إلى بيت المقدس ،فبعث ريموند من جانبه سفارة إلى طرابلس من اجل مناقشة شروط الاتفاق ،ووافقه مجيء السفارة إلى طرابلس بداية فصل الصيف والمزارعون يجنون المحاصيل بمختلف أنواعها من البقول والقمح وغيرها[٢] ، وعندما دخلوا المدينة ومروا بأسواقها وقفوا على عظم الثروة التي يتمتع بها أهل هذه البلاد فتملكتهم الدهشة لذلك[٣]، ولما عادت سفارة ريموند اخبروه بما شاهدوا من نعيم وثراء طرابلس وأشاروا عليه بأنه إذا ما قام بأي مظاهرة عسكرية لأحد الحصون التابعة لطرابلس فإنها سوف تؤدى إلى قيام أميرها إلى شراء الأمان له ولعاصمته بمبلغ كبير من المال[٤]وحتى لا يتردد ابن عمار في أداء ما طلب منه فأشاروا على ريموند بأن يقوم بمهاجمة عرقه كوسيلة للضغط عليه وحتى لا يقال عن الصليبيين انهم نقضوا الاتفاق المبدئي مع ابن عمار فقاموا بنشر أشاعه مفادها (إن الكونت (ريموند) صرح انه لا يقبل مسالمة أمير طرابلس إلا إذا اعتنق النصرانية)[٥]،وعلى هذا الأساس توجهت القوات الصليبية إلى مدينة عرقة الواقعة على بعد خمسة عشر ميلاً من طرابلس لمحاصرتها[٦]، وفي تلك الأثناء وجه ثلة من جيشه لمهاجمة انطرسوس[٧]،

---

[١] عاشور : الحركة الصليبية ، ج١، ص٢٢٣ ، والعريني : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ،ج١، ص .

[٢] مؤرخ مجهول : أعمال الفرنجة : ص١١٢-١١٣.

[٣] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ،ج١، ص٣٨٠،حسن حبشي : الحرب الصليبية الأولى ، ص٧٥.

[٤] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ،ج١، ص٣٨٠، عاشور : الحركة الصليبية : ج١، ص٢٢٣.

[٥] مؤرخ مجهول : أعمال الفرنجة ، ص١٠٩.

[٦] عاشور : تاريخ الحركة الصليبية ،ج١، ص٢٢٣، فليب حتى وآخرون : تاريخ العرب مطول ، ج٣، ص٧٥٦، العريني : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، ج١، ص٢٦٣،حسن حبشي : الحرب الصليبية الاولى، ص٧٥.

[٧] انطرسوس : حصن يقع على البحر المتوسط وهي ثغر لأهل حمص ، الأصطخرى : المسالك والممالك ، ص٤٦.

وفـي ستة عشر فبراير سنة ١٠٩٩م وصلت إلى انطرسوس غير إنها تعرفت إلى مقاومة عنيفة من قبل أهالي المدينة وذلك حسب ما شهد به المؤرخ المجهول وأنها استمرت إلى المساء[١]،غير أن فارق العدة والعدد أحالت دون استمرارهم في الدفاع عن مدينتهم إذ اضطروا إلى الانسحاب ليلاً تاركين المدينة للصليبيين الذين شرعوا في دخولها عند الصباح[٢]،وبذلك تسنى للقوات الصليبية إمكانية الاتصال بطريق إمداداتها عبر هذا الميناء المهم ، وما نتج عن هذا الانتصار أيضاً استسلام مدينة مرقية[٣]،التي تقع على بعد عشرة أميال من شمال طرسوس إذ بادر حاكمها بالاعتراف بسيادة ريموند وما لا يخفى اثر هذه المدينة وموقعها الستراتيجي المهم إذ إنها مكنت القوات الصليبية من الاتصال بإنطاكية وجزيرة قبرص وأوربا بسهولة ويسر[٤]. ويتضح مما تقدم أن حاميات هذه المدن قد أدركت وبشكل جلي أن لا جدوى من المقاومة وذلك لعدم وجود قوة إسلامية كبيرة تحميهم من خطر القوات الصليبية لذلك اثرت سياسة المهادنة في المقاومة علماً أن هذه السياسة لم تكن متبعة في جميع المدن كما لاحظنا. وكما سيتم تبيانه، إلا أن صدق مقاومة هذه المدن لم يقف حائلاً دون استسلامها نظراً لفارق القوة بين الطرفين من جهة وعدم مساندتها من المناطق التي كان يؤمل أن تقوم بهذا الدور مثل طرابلس وحلب ودمشق التي باتت اهتماماتها محصورة على حماية بعض مناطقها بغض النظر عن بقية بعض المناطق التي تركت لتلاقي الأمرين على أيدي القوات الصليبية لاسيما إن الأمراء الصليبيون اخذوا بتشجيع هذه التوجهات الانعزالية لانسجامها مع أطماعهم وأهدافهم الحقيقية وفي ذلك يذكر وليم الصوري ان موقف الأمراء المسلمين المهادنين قد زاد من قوة الجيش الصليبي[٥] ، كما ان الانتصارات التي تحققت

---

[١] أعمال الفرنجة ،ص١١٠ ، أبن الأثير : الكامل في التاريخ ،ج١٠ ، ص٢٧٨.

[٢] المؤرخ المجهول : أعمال الفرنجة ،ص١١٠ ، رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ،ج١ ، ٣٨١، عاشور : الحركة الصليبية ،ج١، ص٢٢٣، فليب حتى وآخرون : تاريخ العرب مطول ، ج٣، ص٧٥٦، العريني :الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، ج١، ص٢٦٣.

[٣] مرقية : .

[٤] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ،ج١، ص٣٨١، عاشور : الحركة الصليبية ، ج١، ص٢٢٣.

[٥] Op .cit., vol. ,٢.p.٣٣١.

لريموند أثارت حقد الصليبيون الذين ما زالوا بإنطاكية ،وحملهم على حث السير جنوباً من اجل إللحاق به فتحرك كل من جودفرى وروبرت فلاندر وبوهمند سالكين الطريق الساحلي وعند اللاذقية رجع بوهمند إلى إنطاكية وسار البقية لمحاصرة جبلة(١) (٢) ، التي كانت تحت حكم ابن صليحة(٣)،الذي قام بدور بطولي في مقاومة الصليبيين فلما تيقن بعدم قدرته على مواصلة المقاومة لعدم تكافؤ القوى بين الطرفين أشاع بين صفوف القوات الصليبية أن السلطان بركيا روق قد توجه إلى بلاد الشام بجيش كبير وقد نجح في بادئ الآمر في بث الخوف بين صفوف أعدائه إلا انهم عادوا لحصاره بعد أن تحققوا من عدم صحة هذا الخبر(٤)،ويذكر انه استخدم خطة أخرى في درء الخطر عن مدينته إذ أشاع هذه المرة أن قوات مصرية جاءت لنجدته فرحلوا عنه إلا انهم عادوا ثانية وعندئذ لجأ إلى خطة جديدة وذلك بمساعدة نصارى جبلة حيث قاموا بمراسلة الصليبيين واتفقوا على برج من أبراج المدينة يسلموه إليهم وعن طريقه يتم اجتياح المدينة(٥)،يتضح لنا من ذلك ان القوات الصليبية قد يئست من دخول المدينة عن طريق القتال فوجدت هذه الاتصالات خير وسيلة لاجتياحها علماً انهم تمكنوا من دخول إنطاكية في الحيلة نفسها ، هذا إذا لم يكن هم المبادرين بهذه الاتصالات وهذا ما نرجحه نحن ، فقام والي المدينة صليحة باستقلال هذا الموقف في تنفيذ خطته ،وعلى أي حال انتدب الصليبيون ثلاثمائة رجل من أعيانهم وتوجهوا نحوا البرج المتفق عليه ، أما ابن صليحة فقد كمن خلف السور وأمر رعاياه من النصارى بإدلاء الحبال للصليبيين واحداً بعد الآخر وكلما وصل واحداً أخذ أليه

---

(١) جبلة :قلعة مشهورة على الساحل من أعمال حلب قرب اللاذقية . ياقوت الحموي . معجم البلدان ، ج٢، ص١٠٥ .

(٢) مؤرخ مجهول : أعمال الفرنجة ، ص١١، أرنست باركر :الحروب الصليبية ،ص٤١،رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ،ج١، ص٣٨٢، عبد القادر ليوسف : علاقات بين الشرق والغرب ،ص٦٩.

(٣) ابن صليحة : وهو أبو محمد عبد الله بن منصور بن صليحة أستقل في جبلة وأقام الخطبة العباسية بعد إن كانت تابعة للروم ومن ثم تبعيتها في عهد أبيه لطرابلس ،ينظر : ابن خلدون : تاريخ ، ج٥، ص١٨٥.

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ،ج١٠ ، ص٣١٠-٣١١، ابن خلدون : تاريخ ،ج٥،ص١٨٥.

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ،ج١٠ ، ص٣١٠-٣١١، ابن خلدون : تاريخ : ج٥، ص١٨٦.

وقطع رأسه حتى تمكن من قتل الثلاثمائة جميعهم بهذه الطريقة ، وقام جند ابن صليحة بإلقاء رؤوس قتلاهم على المعسكر الصليبي عند الصباح ،وقد فوجئ الصليبيون بهذا العمل وقاموا بتشديد الحصار على المدينة ونصبوا عليها الأبراج حتى تمكنوا من هدم أحد الأبراج ، غير أن ابن صليحة تمكن من إصلاحه في المساء[١]،فلما تيقن ابن صليحة بأنه لا جدوى من مقاومة المدينة بهذا الشكل حتى شرع بتنظيم قواته وترتيب خطة هجومية يتم تنفيذها عند الصباح ، وذلك بأحداث ثقوب في السور ويتم خروج قواته من خلالها فما أن بزغ الفجر حتى بادر في الهجوم على القوات الصليبية بظاهر البلد ، وبعد أن التحم الجيشان أظهرت قواته الفرار من المعركة فتبعتهم القوات الصليبية حتى أضحوا على مقربة من السور خرجت لهم كمائن المقاتلين من ثقوب السور أحاطوا بهم ، وقتلوا أعداد كبيرة منهم وسيق مقدمهم أسيرا ، فأفتدى نفسه بمال كبير[٢]،وعلى الرغم من الانتصارات التي حققها ابن صليحة إلا انه كان على يقين في عودتهم أليه لذلك شرع بالاتصال بوالي دمشق طغتكين بغية تسليمه البلد خوفاً من إن يتسلمها الصليبيون ،فقام طغتكين بإرسال أبنه تاج الملوك بورى بعد موافقته دقاق بن تتش، فتسلمها بوري وخرج ابن صليحة إلى دمشق[٣] ،وبذلك استطاعت جبلة وعلى الرغم من صغر حجمها إلا أنها ضربت أروع الأمثلة في الصمود والنضال ضد الصليبيين ، كما أنها أعطت لبعض الحكام الذين لم يحركوا ساكناً المثل الواضح على ضعف القوات الصليبية في تلك الفترة غير أن الفزع منهم كان قد سيطر على آراء وتفكير عدد منهم لا سيما أولئك الذين أعمتهم مصالحهم الخاصة وحجبت أنظارهم عن القيام بأعباء الجهاد والمقاومة ، أما جيوش ريموند فإنها ما أن وصلت إلى عرقة حتى بادرت بمحاصرتها غير انه لم يتمكن من دخولها بفضل المقاومة الباسلة التي أبداها سكانها فظلاً عن ما كانت تتمتع به المدينة من الحصانة[٤] ،فلما تيقن ريموند بعدم قدرته على تطويق المدينة

---

[١] ابن الأثير : الكامل في التاريخ ،ج١٠ ، ص٣١١.

[٢] م ، ن ، ج١٠ ، ص٣١١،الذهبي : تاريخ الإسلام : ج ، ص .

[٣] ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠ ، ص٣١١، ابن خلدون ، ج٥، ص١٨٦.

[٤] مؤرخ مجهول : أعمال الفرنجة ،ص١١١، عاشور : الحركة الصليبية ، ج١، ص٢٢٤.

بشكل نهائي أرسل إلى المحاصرين بجبلة يطلب منهم الحضور [١]، وتشير بعض المصادر أن ريموند وافته أخبار مفادها ان جيشاً إسلامياً قادماً لنجدة عرقة يتولى قيادته الخليفة العباسي نفسه ، ومع أن هذه الأخبار لم تكن صحيحة إلا ان ريموند قد تخوف منها كثيراً فبادر باستدعاء جودفرى وروبرت فلاندر [٢]،وعلى الرغم من شدة الحصار الذي ضربه الصليبيون على المدينة إلا انهم لم يتمكنوا من دخولها بفعل المقاومة التي واجهتهم إذ (حاصروها أربعة اشهر وثقبوا سورها عدة ثقوب ،فلم يقدروا عليها)[٣]،وخسروا خلال فترة الحصار عدد كبير من قواتهم كان من بينهم أنسليم أوف يعد من فرسانهم المتقدين [٤]،ووليم بيكار وعدد كبير من الأمراء[٥] ، ونتيجة لذلك تيقن الصليبيون (إن ضرراً فادحاً لا يراب صدعه سيحيق بهم جميعاً إن هم أطالوا بقائهم هنا وفشلوا في أخذ قلعة عرقة)[٦]، ولهذا ثنيت عزيمتهم في مواصلة الحصار فتركوا المدينة مقهورين الى طرابلس[٧]، يشر رنسيمان إن ريموند حاول حملهم على الاستمرار في حصار المدينة عن طريق إثارة الحماس الديني فأشاع بطرس بارثولوميو انه (ظهر له المسيح والقديس بطرس والقديس اندرياس ، وصرحوا له بأنه لا بد من القيام بهجوم على عرقة)[٨]، ويبدو إن الصليبين اخذوا يشككون في

---

[١] فوشيه : تاريخ الحملة إلى القدس ،ص٦٨،مؤرخ مجهول : أعمال الفرنجة ،ص١١١، رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١، ص٣٨٢،أرنست باركر : الحروب الصليبية ،ص٤١.

[٢] زمباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ ،ترجمة ، د. محمد حسن وحسن احمد محمود وآخرون ، القاهرة ، ١٩٥١م ، ج١، ص٤ ،مؤرخ مجهول : أعمال الفرنجة ،ص١١١، فوشيه :تاريخ الحملة الى القدس ، ص٦٨،رنسيمان: الحروب الصليبية ، ج١، ص٣٨٢-٣٨٣، عاشور :الحركة الصليبية ، ج١، ص٢٢٤، عبد القادر ليوسف : علاقات بين الشرق والغرب ،ص٦٩.

[٣] ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠ ، ص٢٧٨، والمقريزي : اتعاظ الحنفاء ، ج٣، ص٢٣.

[٤] فوشيه : تاريخ الحملة الى القدس ، ص٦٨،مؤرخ مجهول : أعمال الفرنجة : ص١١٢.

[٥] مؤرخ مجهول : أعمال الفرنجة ، ص١١٢.

[٦] فوشية : تاريخ الحملة الى القدس ،ص٦٩.

[٧] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ،ج١،ص٣٨٧، عاشور : الحركة الصليبية : ج١،ص٢٢٤.

[٨] تاريخ الحروب الصليبية ، ج١، ص٣٨٥.

حقيقة هذه التنبؤات بل ابدوا عدم تصديقهم لها[1] ، وعلى أي حال فان القوات الصليبية غادرت عرقة إلى طرابلس ،فما أن وصلت إليها حتى بادر أميرها طالباً الأمان له ولعاصمته مقابل ثلاثمائة أسير صليبي كانوا محتجزين عنده ومبلغ من المال قدره خمسة عشر ألف قطعة ذهبية وخمسة عشر هدية غالية الثمن فظلاً عدد كبير من الجياد والحمير وشتى أنواع المحاصيل[2]، ويذكر رنسيمان أنه : (عرض إن يعتنق المسيحية ،لو أنزل الإفرنج الهزيمة بالفاطميين)[3]،وعلى الرغم من عدم قبول هذه الرواية إلا أنها تشير بشكل أو بآخر إلى حدة الانقسامات التي أصابت الجبهة الإسلامية أثناء مسير الحملة الصليبية إلى القدس ، لذلك نلاحظ ضعف المقاومة بل ندرتها في تلك المناطق ،ووفقاً لهذه التسهيلات التي قدمت من أمير طرابلس إلى الصليبين ، وتوجهوا مغادرين طرابلس بصحبة الإدلاء إلى جبيل[4]،حيث استولوا عليها دون مقاومة تذكر ،ثم تابعوا خط سيرهم حتى وصلوا في ١٩ مايو من سنة ١٠٩٩م إلى الحدود الفاطمية شمال بيروت[5]،مما يسترعي الانتباه أن القوات الفاطمية لم تتهيأ ،لمواجهة الصليبيين لا سيما في ممتلكاتها الشمالية التي باتت خالية من العساكر باستثناء بعض الحاميات الصغيرة في المدن الساحلية[6]، وفي هذا الصدد يندد المؤرخ ابن تغري بردى موقف القوات الفاطمية وعدم مشاركتها للقوى الإسلامية في الدفاع عن بلاد الشام ضد الصليبيين بقوله : (ولم ينهض

---

[1] باركر : الحروب الصليبية ،ص٤١-٤٢.

[2] مؤرخ مجهول: أعمال الفرنجة ،ص١١٣، أبن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠ ،ص٢٧٨،حسن حبشي : الحروب الصليبية الأولى ،ص٧٩ ، المعاضيدي :الحياة السياسية في بلاد الشام ،ص١٢٧.

[3] تاريخ الحروب الصليبية ، ج١، ص٣٨٨، والعريني : الشرق الوسط والحروب الصليبية ، ج١ ،ص٢٦٥.

[4] جبيل: بلدة تقع شرقي بيروت . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٢، ص ١٠٩ .

[5] فوشية: تاريخ الحملة إلى القدس ، ص٦٩، أبن ظافر : الدول المنقطعة ، ص٨٢.

Runciman; the first crusade. P. ٣٥١.

عاشور : الحركة الصليبية ، ج١، ص٢٢٧.

[6] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١،ص٣٨٩،عاشور : الحركة الصليبية، ج١،ص٢٣١.

الأفضل بإخراج عساكر مصر ،ما أدرى ما كان السبب في عدم إخراجه مع قدرته على المال والرجال؟)[1]،ثم يسترسل أبو المحاسن في وصف سوء حالة الصليبيين عندما زحفوا إلى بلاد الشام ،وكيف إن القوات الإسلامية في العراق والشام حاولوا صدهم (وكل ذلك وعساكر مصر لم تتهيأ للخروج)[2]، غير إن القوات الفاطمية اكتفت باعطاء بعض العروض إلى الصليبيين علها إن تجدي نفعاً في صدهم عن بيت المقدس ، إذ أرسلوا إليهم سفارة وصلتهم عند طرابلس تحمل إليهم الهدايا النفيسة والأموال الفخمة لكل واحد من زعماء الحملة الصليبية ، كما أنها تحمل إليهم عرضاً من الوالي الفاطمي يتضمن تسهيل مهمة الحج للصليبيين على شكل مجموعات مكونة من مئتي أو ثلاثمائة حاج بشرط إن لا يكونوا مسلحين ولكن الصليبيين ردوا عليه بأنهم سيتمكنون من الحج فعلاً[3] ، وهذا يدل على مدى استهانة الصليبيين بالقوات الفاطمية ،وعلى أي حال فإن القوات الصليبية ما أن وصلت إلى بيروت حتى بادر سكانها إلى تقديم المساعدات إليهم ، وبعد أن تزودوا منها بالمؤن ، غادروها بصحبة الإدلاء إلى صيدا[4] ، وفي هذه المدينة تعرض الصليبيون إلى هجوم عنيف من قبل سكان المدينة إلا انهم تمكنوا من صد الهجوم[5] ، ثم تابعوا خط سيرهم بسرعة نحو صور[6]، وبالقرب منها عسكروا مدة يومين ،وبينما تلتحق بهم الإمدادات بقيادة بلدوين ليبور وبعض الفرسان ، وبعد ذلك انصرفوا إلى عكا

---

(١) النجوم الزاهرة ، ج٥، ص١٤٧.

(٢) م، ن ، ج٥، ص١٤٧.

(٣) عاشور:الحركة الصليبية،ج١، ص٢٣١، سالم محمد حميدة ،الحروب الصليبية ، ج١، ص١٩٢ .

(٤) ابن القلانس : ذيل تاريخ دمشق ، ص١٣٦، ابن ظافر : الدول المنقطعة ، ص٨٢،فوشية : تاريخ الحملة إلى القدس ، ص٦٩، مؤرخ مجهول : أعمال الفرنجة ، ص١١٣-١١٤، رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ،ج١،ص٣٨٨-٣٨٩.

(٥) ابن القلانس : ذيل تاريخ دمشق ، ص١٣٦،رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١،ص٣٨٩،عاشور : الحركة الصليبية ، ج١، ٢٣٢.

(٦) صور : مدينة ساحلية يحيط بها البحر من ثلاث جهات . ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج٣ ، ص ٤٣٣.

بدون أي مقاومة تذكر[١]،يبدو إن القوات الصليبية لم تتعرض إلى هذه المدن بأي أذى خشية نفاذ المؤن من جهة والحصول على ما يحتاجونه منها من جهة أخرى، وهناك من يشير أن الصليبيين تجنبوا مهاجمة المدن الساحلية حتى لا يفقدوا قواتهم قبل تحقيق الهدف المقصود ، واكتفوا بالحصول من أصحابها على ضمانات تكفل عدم التعرض لهم[٢] ،وبعد أن وصلت القوات الصليبية إلى عكا شرع واليها إلى طلب الأمان منهم أسوةً بوالي بيروت إذ قدم الهدايا والمؤن الوفيرة إليهم ، ثم تابعوا خط سيرهم نحو حيفا[٣] ، ثم اجتازوها إلى قيسارية[٤]، بدون إن تصادفهم مقاومة من هذه المدن[٥] ، غير أن موقف أهل عكا فيما يبدو مسالماً في الظاهر للصليبيين ومن جهة أخرى كانوا يعملون على تحريض القوى الإسلامية في فلسطين على التصدي للتقدم الصليبي يتضح لنا هذا الموقف من خلال الرسالة التي سقطت بأيديهم في مدينة قيسارية حيث كانت مرسلة من والي عكا بواسطة الحمام الزاجل يستثير فيها المسلمين بفلسطين ضد الغزاة الصليبيين[٦] ،وعلى أي حال فإن الصليبيين تابعوا تقدمهم نحو أرسوف[٧]، ومنها توجهوا إلى الرملة[٨] ، ثم استولوا

---

[١] فوشية: تاريخ الحملة الى القدس ، ص٦٩،مؤرخ مجهول : أعمال الفرنجة :ص١١٤، والعريني: الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، ج١، ص٢٦٥.

[٢] عصام الدين عبد الرزاق :بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي ، دار الفكر العربي ،القاهرة ، الطبعة الأولى ، ص١٩٧٥ ،ص١٣٥.

[٣] حيفا: مدينة شهيرة في فلسطين فيها ميناء عظيم . البدليسي : شرف نامه، ص ٨٦ ، هامش رقم(٣).

[٤] قيسارية:بلدة تقع بين الرملة وبيت المقدس، ابو الفداء : تقويم البلدان،ص٢٤٠-٢٤١ .

[٥] مؤرخ مجهول : أعمال الفرنجة ،ص١١٤ ،رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١، ص٣٨٩،عاشور : الحركة : الصليبية ، ج١، ص٢٣٢ ، العريني : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ،ج١، ص٢٦٥.

[٦] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١، ص٣٨٩.

[٧] أرسوف : مدينة على ساحل بحر الشام بين قيسارية ويافا .ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج١ ، ص٢٠٧. .

[٨] الرملة : مدينة في فلسطين كانت رباطا للمسلمين . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٣ ، ص ٦٩ .

عليها[١] بدون أي مقاومة ، حيث قام سكان المدينة بتخريبها بعد أن تم إخلائها بغية عدم انتفاع القوات الصليبية منها ، كما فعل سكان اللد[٢]، مثلما فعل أهل الرملة بمدينتهم[٣]، وعلى الرغم من سياسة الإخلاء التي اتبعت من قبل سكان المدينتين إلا إن قدوم الصليبيون كان موافقاً لموسم الحصاد الذي ذلل كثيرا من الصعاب التي تعيق تقدمهم لا سيما مشكلة المؤن إذ انهم تزودوا من مدينة الرملة بكميات كبيرة من الحنطة حملوها على ظهور دوابهم إلى بيت المقدس[٤]، لتكون عوناً لهم في معركتهم القادمة .

وقد تريثت القوات الصليبية في مدينة الرملة لمناقشة الاستمرار في المسير إلى بيت المقدس أم الهجوم على مصر[٥]، ويبدوا أن الصليبيين شعروا بأهمية الاستيلاء على مصر باعتبارها مركز تهديداتهم من جهة ، وحلول فصل الصيف الذي يعرض قواتهم للخطر بسبب قلة المياه في حالة استمرار مسيرها إلى القدس ، غير إن هذا النقاش حسم بمتابعة خط سيرهم إلى بيت المقدس[٦] ، فما أن وصلت القوات الصليبية إلى قرية عمواس[٧]، حتى وافتهم رسل من مدينة بيت لحم[٨]، تدعوهم إلى استلام المدينة ، وعلى اثر ذلك أسرع بلدوين لي بور وتنكرد بصحبة عدداً من

---

[١] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص١٣٦،مؤرخ مجهول : أعمال الفرنجة ، ص١١٤، عاشور : الحركة الصليبية ، ج١، ص٢٣٤، فليب حتى وآخرون : تاريخ العرب مطول ، ج٣، ص٧٥٦.

[٢] اللد : بليدة في فلسطين . الشرفنامه ، ص ٩٠ . هامش رقم (١)

[٣] مؤرخ مجهول : أعمال الفرنجة ، ص١١٤ ، زابوروف : الصليبيون في الشرق ،ص١٢٢.

Hanry . treele. The crusaders. (now York , ١٩٦٢, pp, ٩٣-٩٦.

[٤] فوشية : تاريخ الحملة الى القدس ،ص٧٠.

[٥] عاشور : الحركة الصليبية ، ج١، ص٢٣٣.

[٦] ابن القلانس : ذيل تاريخ دمشق ،ص١٣٦، أبن ظافر : الدول المنقطعة ، ص٨٢،رنسيمان :تاريخ الحروب الصليبية ، ج١، ص٣٩٠.

[٧] عمواس : .

[٨] بيت لحم :بلدة قرب بيت المقدس . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج١، ص٥٢١ .

الفرسان وتمكنا من دخول المدينة في منتصف الليل[١] ، أما الجيش الرئيسي فقد واصل زحفه إلى القدس[٢] بدون أن تلاقيه مقاومة .

ب- المقاومة في بيت المقدس

اولا: اجراءات الوالي الفاطمي للدفاع عن القدس.

بعد أن اقتربت القوات الصليبية من القدس قام افتخار الدولة بإجراءات دفاعية بالغة الأهمية ، إذ قام بطمر آبار المياه الواقعة خارج المدينة وتسميمها ، وساق جميع المواشي والأغنام إلى مناطق آمنة[٣] ، ومن ثم قام بإخراج المسيحيين من المدينة[٤] ، تعتبر مسألة إخراج النصارى المشكوك في ولائهم من بين الإجراءات المهمة التي اتخذها افتخار الدولة بغية عدم وقوع الخيانة أو موالاة العدو حال نشوب المعركة ، لا سيما ان إعدادهم لم تكن قليلة فمن الصعب إذن الوثوق بهم أو الركون إليهم ، هذا فضلاً عن صعوبة توفير المؤن الكافية لهذه الأعداد من السكان[٥] ، كما انه قام بإرسال الرسل إلى مصر طالباً النجدة العاجلة[٦]، وحرص على توفير الماء والمؤن اللازمة للمدينة ، استعدادا لحصار قد يطول أمده ، وشحن الأبراج بالمقاتلة بعد أن وثقها بأكياس امتلأت بالقطن والدريس ، وليضمن صمودها أمام قذائف

---

[١] فوشية : تاريخ الحملة إلى القدس ، ص٧٠، العريني : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، ج١، ص٢٦٧.

[٢] رنسيمان :تاريخ الحروب الصليبية ، ج١، ص٣٩١.

[٣] مؤرخ مجهول : أعمال الفرنجة ،ص١١٦، عاشور :الحركة الصليبية، ج١،ص٢٣٤، العريني : الشرق الأوسط ،ج١، ص٢٦٧، المعاضيدي : الحياة السياسية في بلاد الشام ،ص١٢٨.

[٤] رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية ، ج١، ص٣٩٤، أنتوني وست : الحروب الصليبية ،ص٧٣، عاشور : علاقات بين الشرق والغرب ،ص١٩٢،الحميدة :الحروب الصليبية ، ج١، ص٢٠٦.

[٥] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١، ص٣٩٤، عاشور : علاقات بين الشرق والغرب ،ص١٩٢، والعريني: الشرق الأوسط ، ج١، ص٢٦٧.

[٦] ابن القلانس :ذيل تاريخ دمشق ، ص١٣٦-١٣٧، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠ ، ص١٩٧.

المنجنيقات الصليبية، غير ان ما لديه من حامية[١] لم تكن كافية لحراسة جميع الأسوار بالشكل المطلوب، معنى هذا ان جميع هذه التدابير كانت وقتية تقوم على مشاغلة الصليبين إلى حين وصول الإمدادات المرجوة قدومها من مصر ، كما أن هذه الإجراءات بطبيعتها ضعيفة إذا ما قمنا بأجراء مقارنة مع حجم القوات الصليبية[٢] المحاصرة للمدينة، وعلى كلٌ فإن الصليبيين قاموا باتخاذ مواقعهم بعد وصولهم إلى القدس في حزيران سنة ١٠٩٩م / ٤٩٢هـ ، فعسكر روبرت النورمندي على امتداد السور الشمالي مقابل باب الزهور ، وعن يمينه روبرت فلانور باتجاه باب الأعمدة ، أما جودفرى أمير اللورين فقد اتخذ موضعه في الجهة الشمالية الغربية من المدينة حتى باب يافا والتحق به في هذا الموضع تانكرد بعد مقدمة من بيت لحم ، أما ريموند الصنجيلي فقد استقر على جبل صهيون باتجاه القبلة[٣]، من الملاحظ ان القطاعين الشرقي والجنوب الشرقي لم يقم فيها أحد اذ بقيت مكشوفة ويعزا ذلك الى شدة انحدار هذه الجهات حسب ما يقوله رنسيمان[٤].

وبعد أن اتخذت القوات الصليبية مواقعها إمام الأسوار بدأت بتشديد الحصار الذي استمر أربعين يوماً[٥]،تمكن خلالها الصليبيون من قطع اتصالات المدينة بالعالم الخارجي حيث أحالوا دون إيصال الإمدادات إلى المحاصرين داخلها[٦]، من

---

[١] تشير المصادر : أن عدد أفراد الحامية الإسلامية نحو ألف رجل فضلاً عن مقاتلي المدينة الذين لا يزيدون عن بضعة آلاف ،المقريزي : اتعاظ الحنفاء ،ج٣، ص٢٣،فهمي توفيق مقبل : الفاطميون والصليبيون ،ص٧٢.

[٢] تذكر المصادر : أن تعداد القوات الصليبية المحاصرة لبيت المقدس بلغ أربعين ألفاً ،المغريزي : اتعاظ الحنفاء ، ج٣، ص٢٣، فهمي توفيق مقبل ، الفاطميون والصليبيون ، ص٧١.

Stevenson, op, cit. P. ٣٣. Kerry .op. cit. P. ٢٥١.

[٣] مؤرخ مجهول : أعمال الفرنجة ،ص١١٤-١١٥، رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١، ص٣٩٥،العريني : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ،ج١، ص٢٦٧.

[٤] تاريخ الحروب الصليبية ، ج١، ص٣٩٣.

[٥] ابن الأثير : الكامل في التاريخ ،ج١٠، ص٢٨٣،ابن الوردي : تاريخ ،ج٢، ص١٦، عاشور : علاقات بين الشرق والغرب ،ص١٩٤، تدمري : عمر عبد السلام ،تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور ، مطابع دار البلاد ، لبنان ،الطبعة الأولى ١٩٧٨،ج١،ص٢٨٤.

[٦] ابن الأثير :الكامل في التاريخ ، ج١٠ ، ص٢٨٣.

جانب آخر كانت تصل إلى القوات الصليبية الإمدادات البحرية ،التي كان لها دور كبير في مساعدتهم على الاستمرار في محاصرة المدينة[١]، ومع ذلك فأنهم عانوا من شحه المياه[٢]نتيجة للتدابير التي اتخذها والي المدينة افتخار الدولة ، وقسوة المناخ نظراً لارتفاع درجات الحرارة من جهة أخرى[٣]،كما أن المياه العذبة التي لم يمكن أن تصل الى الصليبيين فهي من عين أسوان التي تقع اسفل جبل الطور فإن ماءها يجري مرة واحدة كل ثلاثة أيام فضلاً عن موقعها اسفل الأسوار الجنوبية التي كانت تحت حماية المدينة[٤] ، فلا سبيل إلى الوصول اليها ،فمن اجل الحصول على مياه الشرب كان يجب على الصليبيين إن يسيروا ستة أميال [٥]، وقد حفل هذا الطريق بالمخاطر الكثيرة لا سيما الكمان التي يقوم بها إفراد المقاومة الإسلامية ، والتي راح ضحيتها إعداد كبيرة من الصليبيين[٦]ليس هذا فحسب بل قام أهل القدس بأعمال بطولية في الدفاع عن مدينتهم إذ اعتلوا الأسوار والأبراج ، وتمكنوا من صد جميع المحاولات الصليبية التي استهدفت زحزحة المدافعين من اجل دخول المدينة[٧]، فلم يدخر المدافعين جهداً في استخدام كل وسائل الدفاع عن مدينتهم من ذلك قذف

---

[١] تذكر المصادر : بان الأساطيل الجنوبية المتواجدة في البحر المتوسط كانت تمد الصليبيين بالمؤن والطعام خلال فترة محاصرتهم للقدس ، الكناني : العلاقات بين جنده والفاطميين ، ج١، ص١٥٧،عاشور : علاقات بين الشرق والغرب ، ص١٩٤.

[٢] فوشية : تاريخ الحملة إلى القدس ،ص٧٣،الحميدة : الحروب الصليبية ،ج١، ص٢٠٨.

[٣] ابن الأثير : الكامل في التاريخ ،ج١٠ ،ص٢٨٣، رنسيمان :تاريخ الحروب الصليبية ، ج١، ص٣٩٦.

[٤] مؤرخ مجهول : أعمال الفرنجة ،ص١١٦، رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١، ص٣٩٦.

[٥] مؤرخ مجهول : إعمال الفرنجة :ص١١٦.

[٦] فوشية :تاريخ الحملة إلى القدس ، ص٧٣، مجهول : أعمال الفرنجة : ص١١٦، رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية ، ج١،ص٣٩٦،عاشور : العلاقات بين الشرق والغرب ، ص١٩٣، الحميدة : الحروب الصليبية ، ج١، ص٢٠٨.

[٧] تذكر المصادر أن الصليبيون قاموا بعدة هجمات على المدينة نصبوا خلالها برجان على أسوارها من جهة الشمال والجنوب غيران المسلمين المدافعين تمكنوا من إحراقها وقتل جميع من كان فيها ، أبن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠ ،ص٢٨٣، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ،ج٥،ص١٤٨، الكناني : العلاقات بين جنوده والفاطميين ، ج١، ص١٥٧.

الأحجار الكبيرة والزفت الملتهب والزيت المغلي والتي راح ضحيتها إعداد كبيرة من الصليبيين [١]، ونتيجة لهذا الوضع السيئ قرر الصليبيون الهجوم على المدينة من الجهة الشمالية إلا انهم لم يتمكنوا من دخولها بفعل المقاومة العنيفة التي أبداها المدافعون عنها مما أدى إلى ارتدادهم بعد أن تكبدوا خسائر فادحة[٢].

ثانيا: اجتياح القوات الصليبية للقدس وما ارتكبوه من جرائم:

وبعد هذه المحاولات الفاشلة قرروا الكف عن القيام بهجمات أخرى حتى تتوفر لهم آلات الحصار التي تمكنهم من دخول البلد[٣]، وفي تلك الأثناء وصلت إلى ميناء يافا عدداً من السفن الجنوية التي كانت محملة بأدوات الحصار والمؤن[٤]،فشرع الصليبيون إلى جلبها بعد ان تمكنوا من تأمين الطريق الممتد بين يافا وبيت المقدس بغية الحصول على تلك المساعدات[٥]، يبدوا إن الأسطول المصري لم يقم بأي محاولة من شأنها عرقلة السفن الجنوية مما أمكنها من الوصول إلى مقاصدها بسهولة ويسر ، ومما لا شك فيه إن هذه المعونة البحرية كان لها دور كبير في تدعيم مركز القوات الصليبية المرابطة، أمام أسوار القدس ، بالمقارنة مع القوات الاسلامية المحاصرة التي باتت معزولة عن العالم الخارجي تماماً ، وعلى أي حال استطاع الصليبيون بفعل هذه المساعدات من تشييد أبراجاً من الخشب تسير على عجلات[٦] مما عجل هذه العملية الإشاعات التي تفشت بين صفوف الصليبيين مفادها أن جيشاً إسلاميا قادماً من مصر لنجدة بيت المقدس وفك

---

(١)William of tyre,p.٣٥٤.

(٢) فوشية : تاريخ الحملة إلى القدس ،ص٧٣، ابن تغرى بردى :النجوم الزاهرة ، ج٥، ص١٤٨، رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١، ص٣٩٧.

(٣) رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ،ج١، ص٣٩٧.

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٩،ص١٩، عاشور : الحركة الصليبية ،ج١،ص٢٣٥، عاشور: الحركة الصليبية ، ج١، ص٢٤٢.

(٥)Kary.op.cit.p.٢٥٢.

(٦) فوشية : تاريخ الحملة الى القدس ، ص٧٣، رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ،ج١، ص٣٩٨،والعريني :الشرق الوسط والحروب الصليبية ، ج١، ص٢٦٩.

الحصار عنه[١] ، وعلى ذلك استطاع الصليبيون من صناعة الأبراج الثلاثة التي اتخذ أحدها موقعه عند السور الشمالي والآخر عند جبل صهيون والثالث الذي كان اقل حجماً وضع عند الطرف الشمالي الغربي من الأسوار[٢]، وما إن بدء الهجوم حتى استطاع المدافعون عن المدينة من إحراق البرج الذي نصب على جبل صهيون وقتل كل من كان فيه من الصليبيين [٣]،أما البرجان الآخران فقد تمكن الصليبيون من إلصاقهما بالسور والدخول عن طريقها إلى المدينة[٤] ، ويذكر ابن الأثير دخول القوات الصليبية إلى القدس بقوله : (ونصبوا عليه برجين أحدهما من ناحية جبل صهيون واحرقه المسلمون وقتلوا من به، فلما أتاهم المستغيث بان المدينة ملكت من الجانب الآخر وملكوها من جهة الشمال...)[٥]، ويتضح مما تقدم أن أهل المدينة لم يدخروا جهداً في الدفاع عن مدينتهم ولكن دون جدوى ، ويعزى ذلك إلى ضخامة القوات الصليبية بالمقارنة مع عدد المدافعين ، فضلاً عن حصول الصليبيين على الإمداد من قبل الأساطيل البحرية التي كان لها دور كبير في تعزيز قوتهم الهجومية ، بالمقابل مع خصمهم الذي بات محاصراً لا يوجد من يقدم له العون ، وعلى أي حال فما إن تحقق للمسلمين انهيار الوسائل الدفاعية حتى لجئوا إلى المسجد الأقصى بغية الاحتماء به[٦]على ما يبدو انهم أرادوا أن يتخذوه معقلاً دفاعياً ،إلا أن الوقت لم يكن يسمح بذلك ، أما افتخار الدولة فإنه اعتصم بمحراب داود مع عدد من المسلمين ، وقاتلوا ثلاثة أيام ، فلما أدرك لا أمل في هذه المقاومة استسلم للصليبين بعد أن بذلوا له ولثلة من أصحابه الأمان مقابل مبلغ كبير من المال وعلى أثر ذلك

---

[١] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص١٣٧، أبن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠، ص٢٨٣-٢٨٤، عاشور : الحركة الصليبية ، ج١،ص٢٣٥،والمعاضيدي :الحياة السياسية في بلاد الشام ،ص١٢٩.

[٢] رنسيمان :تاريخ الحروب الصليبية ، ج١، ص٤٠١.

[٣] ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق ،ص١٣٦-١٣٧ ،ابن الأثير :الكامل في التاريخ ، ج١٠ ، ص٢٨٣، فوشية :تاريخ الحملة إلى القدس ،ص٧٣، عاشور : الحروب الصليبية ، ج١، ص٢٣٥.

[٤] ابن القلانس : ذيل تاريخ دمشق ،ص١٣٦-١٣٧.

[٥] الكامل في التاريخ ،ج١٠ ، ص٢٨٣.

[٦] ابن الأثير : الكامل في التاريخ ،ج١٠ ، ص٢٨٣.

خرج إلى عسقلان[١]، تاركاً المسلمين لمصيرهم المؤلم ، ويشر رنسيمان بقوله : (ولم ينج من المسلمين بحياته إلا هذه الفئة القليلة إذ أن الصليبيين ..... انطلقوا في شوارع المدينة والى الدور والمساجد ، يقتلون كل من يصادفهم من الرجال والنساء والأطفال دون تمييز)[٢]،وتسترسل المصادر الغربية في وصف هذه المذبحة بدون خجل إذ أوردت دائرة المعارف البريطانية وصفاً مروعاً لتلك المذبحة ما نصه (وقد حدثت مذبحة رهيبة سالت فيها دماء (المسلمين) في الشوارع حتى خاض الرجال في الدم وهم على خيولهم وعند حلوك الظلام يتنهدون بمزيد من الفرح بعد اجتيازهم معصرة الدم وقد تماسكوا في الصلاة بأيديهم التي تقطر دماً)[٣]، ويذكر مؤرخ آخر تلك المذبحة بقوله : (حتى أن جنودنا كانوا يخوضون حتى سيقانهم في دماء المسلمين)[٤]،ولم يسلم من تلك المذبحة حتى الذين التجئوا إلى المسجد الأقصى إذ يذكر رنسيمان بقوله : (ففي الصباح الباكر من اليوم التالي ، اقتحم باب المسجد ثلة من الصليبيين فأجهزت على جميع اللاجئين ، حينما توجه ريموند أجيل في الضحى ، لزيارة ساحة المعبد أخذ يلتمس طريقه بين الجثث والدماء التي بلغت ركبتيه)[٥] ،ويذكر فوشيه وحشية الصليبيين في أحداث هذه المذبحة التي شملت حتى الذين اعتصموا بقبة الصخرة وان جنود الرب لم يفرقوا بين طفلاً أو امرأة بقوله : (قد قطعت رؤوس ما يقرب من عشرة آلاف شخص في هذه (القبة) ولو كنت هناك لتلطخت قدماك حتى الكواحل بدماء القتلى ، ماذا أقول لم يبقى منهم أحد ولم يرحموا

---

[١] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص١٣٦-١٣٧ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠ ، ص٢٨٣-٢٨٤، أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، ج١، ص٢١٧،ابن كثير :البداية والنهاية ،ج١٢ ،ص١٥٦، المقريزي : اتعاظ الحنفاء ،ج٣، ص٢٣.

[٢] تاريخ الحروب الصليبية ،ج١،ص٤٠٤.

Michaud Joseph , michavd Joseph Francois .history of crusades, translated from fancy by, w.robsoh, first edition (new york ,١٩٧٣) . ١.p.

[٣] دائرة المعارف البريطانية ، ،ج٦، ص٧٧٦.

[٤] عاشور : علاقات بين الشرق والغرب ،ص١٩٤،نقلاً عن :-

cesta fancorun .p.p. ٢٠٣-٢٠٥.

[٥] تاريخ الحروب الصليبية ،ج١، ص٤٠٤.

امرأة ولا طفلاً)[١] ، ويبدو أن هول هذه المذبحة دفعت بعض المؤرخين الغربيين إلى الاعتراف بان مذبحة بيت المقدس كانت لطخة عار في تاريخ الحملة الصليبية الأولى[٢]، ويذكر رنسيمان إن مذبحة بيت المقدس ،(تركت .... أثراً عميقاً في جميع العالم ليس معروفاً بالضبط عدد الضحايا غير إنها أدت إلى خلوا المدينة من سكانها المسلمين)[٣]، ووصف شاهد عيان تلك المذبحة الرهيبة التي أحدثها الصليبيون في بيت المقدس قائلاً : (شاهدنا أشياء عجيبة إذ قطعت رؤوس عدد كبير من المسلمين وقتل عدد كبير من المسلمين ، وقتل غيرهم رمياً بالسهام أو أرغموا على ان يلقوا بأنفسهم من فوق الأبراج ، وكنا نرى في الشوارع أكوام الرؤوس والأيدي والأقدام)[٤] ، ويشير وليم الصوري إلى ذلك بقوله : (ان منظر المنتصرين وهم ملطخين بالدماء كان يثير الرعب في قلوب الصليبيين أنفسهم)[٥] ، وبعد أن امتلأت المدينة بجثث القتلى اصدر القادة الصليبيين أوامرهم بطرح الجثث خارج المدينة ، وندب للقيام بهذه المهمة عدداً قليل من أسرى المسلمين وبعض المرتزقة من الجيش الصليبي مقابل راتب يومي، فتعالت أكوام الشهداء حتى حاذت البيوت ارتفاعاً ،فقال قائلهم لم نشاهد أو نسمع مثل هذه الحادثة قط[٦] ، ومما لا يخفى أثره ما كان لرجال الدين الصليبيين من دور كبير في هذه المذبحة إذ كانوا يشجعون الصليبيين على الإسراف في القتل انتقاماً للسيد المسيح[٧]،ولقد أفصحت هذه المذبحة وبشكل جلي عن حقد الصليبيين وقلة تحضرهم فقد ذكرها المؤرخون الأوربيين المحدثين بدون وجل أو استحياء إذ يذكر لوبون : (.. كانت الدماء تسيل كأنها الأنهار في طرق المدينة المغطاة بالجثث ... كان لا يرى في شوارع القدس وميادينها سوى أكداس من رؤوس العرب من

---

[١] تاريخ الحملة إلى القدس ، ص٧٥.

[٢]Crousset; hsit. Des. Croisades.١ /٦/

[٣] تاريخ الحروب الصليبية ، ج١، ص٤٠٥.

[٤] ديوارنت ول : قصة الحضارة ، ترجمة : محمد بدران ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ،القاهرة ، ط٢، ١٩٦٧،ج٤، ص٢٥.

[٥]Willam of tyre. Op, cit, pp,vol ,١.p. ٣٥٨.

[٦] مؤرخ مجهول : أعمال الفرنجة : ص١١٩-١٢٠.

[٧]Zeo . the crusades .op .cit . p. ١٣٨.

أيديهم و أرجلهم فلا يمر المرء إلا على جثث قتلاهم ولقد افرط قومنا في سفك الدماء في هيكل سليمان وكانت جثث القتلى تعوم في الساحة هنا وهناك وكانت الأيدي والأذرع المبتورة تسبح كأنها تريد ان تتصل بجثث غريبة عنها)[1]،فلم يسلم من تلك الأعمال الإجرامية حتى اليهود إذ احرقوا في معبدهم بحجة مساعدتهم للمسلمين[2] ، ومن الجدير بالذكر أن هؤلاء اليهود كانوا يعيشون في كنف الأمة الاسلامية عيشة سلام وأمن فما أن جاء الصليبيون إلى تلك المنطقة حتى باتت العلاقات بين المسلمين واليهود والنصارى غير مستقرة ، وعلى أي حال فلا يمكن أثاره الشكوك حول ما ذكرته المصادر العربية الإسلامية عندما قدرت عدد الضحايا سبعين ألفاً أو ما يزيد على ذلك فقد ذكر ابن الأثير قائلاً: (وركب الناس السيف ولبث الصليبيون في البلد أسبوعاً يقتلون فيه المسلمين ... وقتل الصليبيون بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً ،منهم جماعة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزها دهم ممن فارق الأوطان وجاور بذلك الموضع الشريف...)[3]كان من بينهم الحافظ مكي بن عبد السلام الرميلي[4]، إذ حاول إخراجهم من المسجد ،وقتل منهم حتى وقع أسيرا بأيديهم ، وقد طلبوا في فدائه ألف دينار ،ولما لم يكن بوسع أحد امتلاك هذا المبلغ

---

(1) لوبون : غوستاف : حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر، القاهرة ، ١٩٥٦،ص٣٢٥-٣٢٦.

(2) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص١٣٧، ابن تغرى بردى :النجوم الزاهرة ، ج٥،ص١٥٠، رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١، ص٤٠٥،انتوني وست : الحروب الصليبية، ص٣٧، زاباروف : الصليبيون في الشرق ،ص١٢٣ ، ظفر الإسلام خان : تاريخ فلسطين القديم ، بيروت ، ط٦، ١٩٩٢،ص١٧٠.

(3) الكامل في التاريخ ، ج١٠، ص٢٨٣-٢٨٤،ابن الجوزي :المنتظم ، ج٩، ص١٠٩،ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج١، ص١٧٩، أبو الفداء :المختصر في أخبار البشر ، ج١، ص٢١٧، الذهبي : دول الإسلام ، ج٢، ص٢١، ابن الوردي : تاريخ ، ج٢، ص١٦،ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٢، ص١٥٦،المقريزي : اتعاظ الحنفاء : ج٣، ص٢٣.

(4) مكي عبد السلام بن الحسن بن القاسم الرميلي لمقدسي ، آلف كتاباً في تاريخ بيت المقدس وفضائله ، الذهبي :تاريخ الإسلام ،مخطوطة ،المجمع العلمي العراقي ، تحت رقم(١٧٠٩) ط١، ج٩، ص١٨-١٩.

أخرجوه إلى إنطاكية ورجموه بالحجارة حتى استشهد[١]،وعلى ما يبدو أن القوات الصليبية أدركت خطورة هذه الشريحة في المجتمع ،يتضح ذلك من خلال ما ارتكب بحقهم من ذبح وتنكيل والتي راح ضحيتها عدد من العلماء أمثال القاضي أبو القسم اسعد بن احمد بن محمد النسوي[٢]،والفقيه كامل بن دسيم بن مجاهد العسقلاني الذي قتل أثناء صلاته[٣]، والفقيه أبو بكر محمد بن احمد بن علي العمري أمام صخرة بيت المقدس[٤] ، والفقيه أبو الفتح يوسف بن إبراهيم الزنجاني[٥]،والفقيه عبد الجليل الراوي[٦]،وغيرهم من العلماء الذين راحوا ضحية هذه المجزرة حيث يذكر ابن تغرى بردى أن الصليبيين: (قتلوا في الحرم مائة ألف وسبوا مثلهم وقتلوا الشيوخ والعجائز وسبوا النساء..)[٧]، وليس هذا فحسب بل عمدوا على إحراق المصاحف في جميع المساجد[٨] ،كما قاموا بتحويل المساجد إلى كنائس إذ حولوا قبة الصخرة إلى كنيسة سموها المعبد المقدس (tempelum domini) وزينوها بالتماثيل والصور والأيقونات كما انهم قلعوا الهلال الذي يعلوا قبة الصخرة ووضعوا بدلاً عنه صليباً كبيراً على قرار الصلبان التي تعلوا عادة قباب الكنائس المسيحية[٩] .

---

[١] ابن عساكر : تاريخ دمشق ،ج٤٣، ص٣٦٦، أبن الأثير :اللباب في تهذيب الأنساب ، بغداد (د–ت) ، ج٢، ص٣٨،الذهبي : تذكرة الحفاظ ، بيروت ،(د–ت) ، ج٤، ص٢٢٨، السبكي :أبو نصر عبد الوهاب بن علي (ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م) طبقات الشافعية الكبرى ،بيروت ، ط٢،(د–ط) ، ج٤، ص٢٠.

[٢] الذهبي : تاريخ الإسلام ، ق١،ج٩، ص١٣.

[٣] م ، ن ،ق١، ج٩، ص١٤

[٤] م، ن ، ق١، ج٩، ص١٧.

[٥] م ، ن ، ق١، ج٩، ص١٧.

[٦] م، ن ، ق١،ج٩، ص١٤.

[٧] النجوم الزاهرة : ج٥،ص١٤٩، العليمي : الانس الجليل، ج١، ص٣٠٦.

[٨] ابن يسر: أخبار مصر ، ج٢، ص٣٩.

[٩] بنيامين : الربي بن يونة (ت ٥٦٩١هـ / ١١٧٧م) رحلة بنيامين ،ترجمة عن العبرية ،عزرا حداد ، بغداد،ص١٩٤٥، ص١٠١، عبد العزيز حميد صالح :الحرم الشريف في ظل الغزو الفرنجي ،مجلة المورد بغداد ، ١٩٨٧، المجلد السادس عشر ، العدد الرابع ، ص١٦١.

كما أن قبة الصخرة لم تسلم هي الأخرى من عمليات السلب التي قام بها الصليبيون فقد ذكر لنا ابن تغرى بردي أن الصليبيين : (اخذوا من الصخرة والأقصى سبعين قنديلاً ، منها عشرون ذهباً في كل قنديل ألف مثقال ، ومنها خمسون فضة في كل قنديل ثلاثة آلاف وستمائة درهم بالشامي ، واخذوا تنوراً من فضة زنته أربعون رطلاً بالشامي ... واخذوا من الأموال ما لا يحصى)[(١)]،ويقول رنسيمان[(٢)] أن القائد تنكرد (اخذ من قبة الصخرة ثمانية قناديل ضخمة من الفضة) هذا عدا ما حازه من ثروة وغنيمة ،ويذكر العماد الأصفهاني أن (الإفرنج كانوا يقطعون قطعاً من الصخرة ويحملونها إلى القسطنطينية وبقية المدن الأوربية ليبيعوها هناك بوزنها ذهباً وقد اتخذوا من ذلك تجارة)[(٣)].

---

(١) النجوم الزاهرة ، ج٥، ص١٤٩،ابن الوردي :تاريخ ،ج٢، ص١٦، العليمي : الأنس الجليل ، ج١، ص٦.

(٢) تاريخ الحروب الصليبية ،ج١،ص٤٠٨.

(٣) الأصفهاني : عماد الدين محمد بن محمد بن حامد (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠١م) الفتح القسي في الفتح القدسي ، تحقيق : محمد محمود صبح ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، د-ت ، ص١٤٢،بتصرف بسيط في النص .

ويذكر ابن الأثير : ان الذين كانوا يقومون بهذه الأعمال هم القساوسة ، يبيعونها للحجيج المسيحيين ليضعوها في الكنائس التي يتم تشييدها في المدن الأوربية ، ومن اجل تلافي هذه الأعمال قرر ملوك الإفرنج بتغطية قبة الصخرة بالألواح الرخامية للحفاظ عليها من عمليات النهب والتكسير المستمر[١]،أما المسجد الأقصى فلم يكن أحسن حالاً من قبة الصخرة فهو الآخر انتهكت حرمته ففضلاً عن المجازر التي حدثت فيه إذ شرع الصليبيون بسرقة جميع الموجودات من قناديل فضية وأخرى ذهبية[٢]، كما انهم غيروا اسمه واخذوا يسمونه بهيكل سليمان – atium templum salomonisalp– حيث قسموه عدة أقسام قسماً جعلوه كنيسة والقسم الآخر مسكناً لفرسانهم[٣] ، ويذكر أن الجزء الذي استخدموه لفرسانهم لم يكن كافياً ، فألحقوا به مقصورات الصلاة ، واقتطع أيضا من المسجد الأقصى في الجناح الغربي لغرض تشييد المباني لمن يبقى منهم[٤] ، أما القسم الثالث فقد عملوه إسطبلا لحيواناتهم[٥] ، وهكذا احتلت مدينة القدس في أيدي القوات الصليبية في الثاني والعشرين من شهر رمضان سنة (٤٩٢هـ / ١٠٩٩م) وما لبث قادتهم إن تنازعوا على حكم المدينة ، إلا إن النزاع حسم باختيار جود فرى أميراً لبيت المقدس[٦]، فأين وجه المقارنة بين ما ارتكبه الصليبيون من مجازر و أفعال يندى لها الجبين بحق السكان الآمنين ، فلم يكن هناك فرق بين الطفل والمرأة والشيخ الكبير فقد ذبحوا كل من تقع أعينهم عليه ، وبين الموقف الإنساني النبيل النابع من العقيدة الإسلامية الصحيحة وهو موقف سيدنا الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما تسلم مفاتيح بيت المقدس وكتب لهم كتاب للصلح وذلك في السنة الخامسة عشر من

---

[١] الكامل في التاريخ ،ج١٠ ، ص٢٨٥.

[٢] ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠ ، ص٢٨٤،اليافعي :مرآة الجنان ،ج٣، ص١٥٨.

[٣] عارف العارف : تاريخ القدس ، مصر ، (د–ت) ، ، ص٧٤، عبد العزيز محمد صالح ، الحرم الشريف في ظل الغزو الإفرنجي ، ص١٦١.

[٤] ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج٩، ص١٨٦.

[٥]Haswell,d.h. winn;an introduction to the holy land (London – ١٩٦٩) , p , ٦٨.

[٦] ابن القلانسي :ذيل تاريخ دمشق ، ص١٣٧،أبن الأثير : الكامل في التاريخ ،ج١٠ ، ص٢٨٣، مؤرخ مجهول : أعمال الفرنجة : ص١٢٠ ، المعاضيدي : الحياة السياسية ، ص١٣٠ .

الهجرة /٦٣٦م [١]، فلعل من المناسب هنا ان اذكر الحقوق والواجبات التي نص عليها كتاب الصلح ،فقد نقل إلينا الطبري ما نصه : (إن الأمان لأنفسهم و أموالهم وكنائسهم وصلبانهم ، بسقيمها وبرئيها وسائر ملتها ،انه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ،ولا ينقص منها ولا من حيزها ولا من صليبيهم ولا من شيء من أموالهم)[٢]، وليس هذا فحسب بل كفل لهم كتاب الأمان الحرية الدينية لمن رغب البقاء (ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ، ولا يسكن بايليا معهم أحد من اليهود)[٣] ، أما من يؤثر مغادرتها والذهاب إلى الإمبراطورية البيزنطية فقد كفل له كتاب الأمان الحماية حتى يصلوا المكان المقصود[٤] ، كما نص كتاب الأمان عدم تكلفتهم بما لا يطيقونه من أعمال وفي هذا الصدد يذكر ابن الجوزي ما تظمنه كتاب الأمان : (إني قد أمنتكم على دمائكم و أموالكم وذراريكم وصلاتكم وبيعكم ولاتكلفوا فوق طاقاتكم...)[٥]، أضف إلى ذلك فإن الجزية التي فرضت عليهم يعفى منها كل من النساء والشيوخ والأطفال ، فضلاً عن ان مقدارها بسيط فهي مقسمة حسب إمكانية الشخص إذ يؤخذ من الأغنياء ثمانية وأربعون درهماً ،والفقراء يؤخذ منهم اثنا عشر درهماً، أما المتوسط الحالة أربعة وعشرون درهماً[٦] ،وقد ذكر لنا احمد رضابك نقلاً عن أحد الكتاب النصارى يصف فيها حسن المعاملة على أيدي المسلمين بالمقارنة

---

[١] الواقدي : محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م) فتوح الشام، القاهرة ، ١٨٨٥م ، ج١ ،ص١٩٤ ، ابن اعثم :ابو محمد احمد الكوفي ، (ت ٣١٤هـ / ٩٢٦م) الفتوح ، دار المعارف العثمانية ، حيدر إباد – الهند ، الطبعة الأولى ،(د–ت) ج١، ص٢٩٥–٢٩٦.

[٢] تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٦٠٩ ،ابن خياط :ابو عمرو خليفة بن خياط العصفري (ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م) التاريخ ، تحقيق : اكرم ضياء العمري ، النجف ،ص١٩٦٧،ج١، ص١٠٥، واليعقوبي : احمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب (ت ٢٨٤هـ / ٨٩٧م) تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت ، ص١٩٦٠، ج٢، ص١٤١.

[٣] الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج٣، ص٦٠٩.

[٤] م ، ن، ج٣،ص٦٠٩.

[٥] ابن الجوزي : فضائل القدس ، تحقيق : جبرائيل سليمان جبور ، دار الأفاق الحديثة ، بيروت ، (د–ت) ١٢٣٤.

[٦] الماوردي :أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (٤٥٠هـ / ١٠٥٨م) الأحكام السلطانية والولايات الدينية ،بيروت ، ص١٩٧٨، ص١٤٤.

مع ما اقترفه الصليبيون من مجازر عند احتلالهم إذ يقول ميشو : (حين استولى عمر (رضي الله عنه) على أورشليم لم يمس المسيحيين بسوء وحين استولى المسيحيون على المدينة المقدسة سفكوا بلا رحمة دماء المسلمين...)[١]،وان صورة التسامح هذه تعيد نفسها في زمن صلاح الدين الأيوبي عندما فتح القدس سنة ١١٨٧/٥٨٣، فلندع أحد المؤرخين النصارى يحدثنا عن ذلك قائلاً: (ولم يكن صلاح الدين عظيماً كعظمته في هذا الموقف فقد أمر بانتشار الأمراء والجنود ليمنعوا أي أعداء او أهانه تقع لأي مسيحي....وقد توجه إليه آلاف من النساء وبنات الفرسان الذين أسروا أو قتلوا في تلك المعارك وخدمهم يسألنه الرحمة ، فأمر بإطلاق سراح أزواجهن وإخوانهن ومنح بعضهن هبات مالية مناسبة)[٢] ، ومن خلال ما تقدم يتضح لنا تسامح الإسلام وأهله ، ومدى احترامهم لحقوق الإنسان ،إذ كفل كتاب الأمان لأهل القدس ،الحرية الدينية وتوفير الأمن والحماية وحق الإقامة والهجرة ، مقابل واجبات بسيطة لا تتعدى أداء الجزية والالتزام بنظام الدولة الإسلامية ، الذي تجاوز أخر ما وصل أليه دعاة حقوق الإنسان في الوقت الحاضر .

ج-المحاولات الإسلامية الأولى لتحرير بيت المقدس.

اولا: موقف العلماء من دخول القوات الصليبية الى القدس.

كان لاحتلال بيت المقدس سنة ٤٩٢هـ / ١٠٩٨م من القوات الصليبية صدى بعيد المدى في البلاد الإسلامية وفي هذا يقول ابن الأثير : (وورد المستنفرون من الشام في رمضان إلى بغداد صحبة القاضي أبي سعيد الهروي فأورد في الديوان كلاماً أبكى العيون واوجع القلوب وقاموا بالجامع يوم الجمعة فاستغاثوا وبكوا وذكر ما دهم المسلمين بذلك البلد الشريف العظيم من قتل الرجال وسبي الحريم والأولاد فلشدة

---

[١] وثائق عن الحروب الصليبية،ترجمة ،بروقيية ومحمد صادق الزمرلي ، دار بو سلامة ، الطبعة الثالثة، تونس ،ص١٩٧٧، ص٨١.

[٢] Lane pool (s) .b. saladin , and the fall of king jom of jerusalem London , ١٨٩٨.p.٢٣٥.

ما أصابهم افطروا)[١]، واستجابة لذلك أرسل الخليفة العباسي المستنصر بالله إلى السلطان السلجوقي نخبة من العلماء عندما كان معسكراً في حلوان يحثه على نجدة المسلمين في بلاد الشام[٢]، وعلى ما يبدو أن الوفد لم يأت بنتائج إيجابية وذلك بسبب انشغال السلاطين السلاجقة في حروبهم الداخلية التي استمرت خمسة سنوات من (٤٩٢هـ -٤٩٧هـ/ ١٠٩٩-١١٠٤م)[٣]، أضف إلى ذلك فإن السلاجقة لم يكونوا مستعدين لأنجاد بيت المقدس بسبب العداء الذي بينهم وبين الفاطميين على اعتبار ان القدس تقع ضمن النفوذ الفاطمي ،وان الفاطميين لم يشتركوا مع السلاجقة في إنطاكية[٤]،كما ان المصالح الخاصة كان لها دور كبير في ذلك تتضح من خلال موقف دقاق صاحب دمشق ورضوان صاحب حلب إذ لم يحاولوا انجاد حامية القدس أثناء الحصار الصليبي للمدينة وذلك لأن الوجود الفاطمي في المنطقة يشكل خطراً كبيراً في مناطق نفوذهما في بلاد الشام[٥]، ومن خلال ما تقدم يبدو لنا أن الحقد والتنافس الشخصي والحرص على المكاسب الإقليمية أحالت دون توحد الجبهة الإسلامية بوجه الخطر الداهم ،فكلا الجانبين (الفاطمي والسلجوقي)يرى في الصليبيين خير وسيلة لكبح أطماع الآخر والحد من نفوذ هـ ٠ إلا أن هذه النتائج السلبية لا تمنع من وجود ردود فعل إيجابية التي تمخضت عن استيلاء الصليبيين لبيت المقدس ، وما فعلوا فيه من مذبحة التي أحدثت هزة عنيفة في ضمائر مسلمي المنطقة وعمقت وعيهم السياسي ، وحركتهم لمطالبة أمراء المسلمين بان يتخذوا لتدابير الأزمة اتجاه القوات الصليبية العاتية .

---

[١] ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠ ، ص٢٨٤.

[٢] ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠ ، ص٢٨٤-٢٨٥، ابن خلدون : تاريخ ، ج٥،ص١٤٢، العليمي : الأنس الجليل ،ج١، ص٣٠٨،قلعجي : قدري : صلاح الدين الايوبي ، دار الكتاب العربي ، بيروت، ١٩٦٦،ص٨٦، شاكر أبو بدر لحروب الصليبية والأسرة الزنكية ،ص٣١.

[٣] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ،ص١٣٥،الراوندي : راحة الصدور ،ص١٥٠-١٥٦،ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٢، ص١٥٨،ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ،ج٥، ص١٦٥-١٦٩.

[٤] المعاضيدي : الحياة السياسية في بلاد الشام ، ص١٣٠.

[٥] H . cipp , the ciliphate and state, in setton , op , cit. Vol . ١ ,p .٩٧.

وفي هذا الصدد ذكر أبو المظفر الأبيوردي[1]، قصيدة حث فيها المسلمين على الجهاد وترك النحيب والبكاء منها :-

مزجنـــا دمـــاء بالـــدموع الســـواجم فلـــم يبـــق منـــا عرضـــه للمـــرأجم
وشـــر ســـلاح المـــرء دمـــع يغيضـــه إذا الحـــرب شـــبت نارهـــا بالصـــوارم
فآيهـــا بنـــي الإســـلام أن وراءكـــم وقـــائع يلحقـــن الـــذرى بالمناســـم
وكيـــف تنـــام العـــين مـــلء جفونهـــا علـــى هفـــوات أيقظـــت كـــل نـــائم
فـــإخوانكم بالشـــام يضـــحى مقـــيلهم ظهـــور المـــذاكي أو بطـــون القشـــاعم
تســـومهم الـــروم الهـــوان وانـــتم تجـرون ذيـل الخضـض فعـل المسـالم
وتلـك حـروب مـن يغـب عـن غمارهـا ليســـلم يقـــرع بعـــدها ســـن نـــادم
يكـــاد لهـــن المســـتجن بطيبـــة ينـادى بـأعلى الصـوت يـا آل هاشـم
أرى أمتـــي لا يشـــرعون إلـــى العـــدى رمـــاحهم والـــدين واهـــي الـــدعائم
ويجتنبـــون النـــار خوفـــاً مـــن الـــردى ولا يحســـبون العـــار ضـــربه لازم
فليـــتهم إذ لـــم يـــذودوا حميـــة عـــن الـــدين ظنـــوا غيـــرة للمحـــارم
وان زهـدوا فـي الأجـر أذ ضـحى الـوغى فهـــلا أتـــوه رغبـــة فـــي الغنـــائم.

من المعروف أن شعر الجهاد قد واكب الحروب الصليبية وعاش اكثر مراحلها ، وكان له دوراً مؤثراً حتى إخراج الصليبيون من بلاد الشام ، إذ حمل شعراء الجهاد على عاتقهم عبء الدعوة إلى الجهاد ومقاومة المحتلين ،وتوحيد القوى الإسلامية ، لمقاومة الصليبيين فلذاك فإننا نجد أنفسنا مضطرين إلى ذكر الدور الكبير الذي قامت به هذه الشريحة من المجتمع ،فبعد أن وطئت أقدام الغزاة الأراضي الإسلامية ، وما رافق ذلك من أعمال النهب والسلب والقتل ،اخذ الشعراء في استنهاض همم الناس والحكام للجهاد من اجل الوقوف بوجه هذه الجحافل الطامعة ، وقد كان ابن

---

[1] الابيوردي : ابو المظفر محمد بن احمد بن اسحاق (٥٠٧هـ /١١١٣م) ديوان الأبيوردي ،تحقيق عمر الأسعد ، دمشق ،١٩٧٥،ج٢، ص١٥٦-١٥٧.

الخياط في طليعة الشعراء الذين حملوا لواء الدعوة إلى الجهاد ومقاومة المحتلين في قصيد مؤثرة حملها إلى حاكم دمشق يقول فيها :

وأنـــي لمهـــد إليـــك القـــريض	يطـوى علـى النصـح والنصـح يهـدى
إلــى كـم وقـد زخـر المشـركون	بســيل يهـــال لـــه الســيل ســدا
وقـد جـاش مــن أرض إفرنجــة	جيـــوش كمثـــل جبـــال تســـردا
أنومـاً علــى مثــل هــدّ الصــفاة	وهــزلاً وقــد اصــبح الأمــر جــدا
بنــو الشــرك لا ينكــرون الفســاد	ولا يعرفـــون مـــع الجـــور قصـــدا
لا يردعــون عــن القتــل نفســاً	ولا يتركـــون مـــن الفتـــك جهـــدا
فكـــم فتـــاة بهـــم أصـــبحت	تـــدق مـــن الخـــوف ثمـــراً وخـــدا

ومنها قوله :-

فحــاموا عــن ديــنكم والحــر بــيهم	محامــاة مــن لا يــرى المـوت فقـدا
وســـدوا الثغـــور بطعـــن النمـــور	فمــن حــق ثغــر بكــم إن يســدا
فمـــا ينـــزع اليـــوم عنـــد الحديـــد	مـــن رام أن يلـــبس العـــز رغـــد
وأيســـر مـــا كابدتـــه النفـــوس	من الأمـر مـا لـم تجد منـه بـدا[1] .

ويبدو ان مذبحة بيت المقدس قد ألهبت مشاعر الشعراء واستثارت عواطف العامة ،لذلك استقل الشعراء هذا الموقف المريع في استنهاضهم الناس شباباً وشيباً للدفاع عن المسجد الأقصى وطرد الغزاة عن الأراضي الإسلامية ، وهذا ما يقوله الأبيوردي في أبياته الشعرية منها :

---

[1] ابن الخياط : ابو عبد الله احمد بن محمد بن علي الثغلبي (ت ٥١٧هـ /١١٢٣م) ديوان ابن الخياط ، تحقيق : خليل مردم بك ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ،١٩٥٨، ص١٨٤-١٨٥.

أحـــل الكفـــر بالإســـلام فيمـــا يطـــول عليـــه للـــدين النحيـــب
فحـــق ضـــائع وحمـــى مبـــاح وســـيف قـــاطع ودم صـــبيب
وكـم مــن مسـلم أمسـى سـليباً ومســـلمة لهـــا حـــرم ســـليب
وكـم مــن مسـجد جعلــوه ديــراً علـى محرابـه نصـب الصـليب
أمـــور لـــو تـــأملهن طفـــل لطفـــل فـــي عوارضـــه المشـــيب
أتسـبى المسـلمات بكــل ثغــراً وعـــيش المســـلمين إذا يطيـــب
أمـــا الله والإســـلام حـــق يـــدافع عنـــه شـــبان وشـــيب
فقـل لـذوى البصـائر حيـث كـانوا أجيبـــوا الله ويحكـــم أجيبـــوا[1] .

فلم يغب عن الشعراء ما يفعله الصليبيون في المدن الشامية عند الاستيلاء عليها فقد كانوا يرثونها من اجل تأجج الروح الحماسية لدى الناس ولقيام في الدفاع عنها ، وفي هذا الجانب بذكر التنوخي أبيات شعرية يرثى فيها إحدى المدن الشامية عندما استولى عليها الفرنج قائلاً :-

هـذه بلـدة قضـى الله يـا صـاح عليهـــا كمـــا تـــرى بـــالخراب
فقـف العـيس وقفـه وابـك مـن كـان بهـا مـن شـيوخها والشـباب
واعتبـر إن دخلـت يومـاً إليهـا فهـي كانـت منـازل الأحبـاب[2].

فلم يدخر الشعراء جهداً في استنهاض هم الرجال وتحريض المسلمين على الجهاد ومقاومة الأعداء وفي ذلك يقول أبو المظفر أبياتا منها :-

[1] ديوان ، ج٢، ص١٥٧-١٥٨.
[2] سبط من الجوزي ، مرآة الزمان ، ج٨، ق١،ص٣٤.

دعوناهم والحرب ترنو ملحه إلينا بالحاظ النسور والفشاعم

تراغب فينا غارة غريبة تطيل عليها الروم عض الأياهم

فإن انتم لم تعصبوا بعد هذه رمينا إلى أعدائنا بالجرائم[١]

كما لم يكن العلماء والفقهاء أقل حماساً من غيرهم ،وذلك من خلال حث الناس على الجهاد من فوق المنابر أو من حلقات الدرس ، فلا تخلو تلك الدروس أو الخطب في الحديث عن فضل الجهاد والمجاهدين او عن فضل القدس أولى القبلتين وثالث الحرمين ،حتى اخذت الدعوة إلى الجهاد تسري بين الناس وفي العالم الإسلامي بسرعة كبيرة ، تحولت إلى رأى عام صادق يقوده أصحاب الرأي والمفكرون ،وفي خضم هذه الحركة القومية تبلورت اتجاهات المقاومة العربية الإسلامية ضد الصليبيين[٢] ، لأن من المعروف يقيناً أن الانتصارات لا تأتي بقوة السلاح ، و إنما هي حصيلة الأعداد النفسي والعسكري معاً ، فهي نتيجة عملية معقدة متكاملة الجوانب معتمدة على ثلاث أطراف أساسية ،تشكل المحور النهائي أو النتيجة المتوخات منها ، وهم الحكام – والعلماء – والشعب ، فهذه الأطراف الثلاثة الأساس في أي حركة جهادية فلا يمكن الاستغناء عنها لأن إحداها مكملة للأخرى ،حيث ان تفاعل هذه الأطراف معاً هي التي تخلق الإستراتيجية الجهادية ، العامل الوحيد في تحقيق التحرر والدفاع عن الأمة ومبادئها ، فلو القينا الضوء على هذه العناصر الثلاثة في هذه المرحلة المبكرة من المقاومة الإسلامية ،لوجدنا ان الطرف الأول كان غائباً وهم الحكام ، مثال على ذلك قوات قلج أرسلان التي واجهت الصليبيين في آسيا الصغرى وقوات كربوقا عند إنطاكية ، والمواقف المتخاذلة من بعض الحكام في بلاد الشام ،فلم تكن القوات الإسلامية تعاني من نقص في عدتها او عددها ، وإنما كانت مفتقرة إلى التخطيط المركزي الموحد ، حيث كان الحكام

---

[١] ديوان البيوردي ، ج٢، ص١٥٩، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠ ، ص٢٨٥، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٢، ص١٥٦.

[٢] قاسم عبد قاسم :ما هية الحروب الصليبية ،ص١٣٤-١٣٥.

منهمكين في نزاعاتهم الداخلية حول السلطنة غير مباليين عما يحدث فى العالم الإسلامي[1]، حتى أن تلك الجيوش التي أرسلت من قبلهم إلى بلاد الشام لمقاومة الصليبيين ، لم تكن تقاتل في سبيل الشهادة (إلا اللهم في بعض الحالات النادرة) و إنما كانت تقاتل من اجل الغنيمة أو من اجل الإقطاعات التي تتلقاها من الحكام[2]،أما العلماء فقد التبست الأمور عليهم ،وأصبحت أوضاعهم غير مستقرة وذلك لما شهده العصر من حركات متطرفة لا سيما الحركة الباطنية[3] ، التي وجدت في بلاد الشام مرتعاً خصباً لممارسة نشاطاتها ، اذ استطاع الحكيم المنجم أحد دعاة الباطنية البارزين من نشر هذا المذهب في حلب في عهد رضوان (٤٨٨هـ- ٥٠٧هـ) الذي مكنه من بناء مقراً لدعوته في هذا البلد والسماح له في نشر دعوته[4] ، مما لا يخفى ما لهذه الفرقة من دور كبير في إجهاض المقاومة الإسلامية وذلك لما قاموا به من عمليات قتل واغتيال للخلفاء والزعماء الذين كانوا

---

(1) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص١٣٥،الراوندي : راحة الصدور ، ص١٥٠، ١٥٦، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة : ج٥، ص١٦٥-١٦٩.

(2) لمزيد من التفاصيل حول نظام الأقطاع ومساؤه ،ينظر الأصفهاني : تاريخ دولة السلجوقي ، ص٥٥ ، الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، ص٦٨، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٢، ص٥٣، ابن العبري :تاريخ مختصر الدول ، ص٢٩١.

(3) الباطنية : وهم طائفة يعتقد أفرادها بأحقية أمامه إسماعيل بن جعفر الصادق وفي أعقابه من بعده ، ولهم مبادئ وتعاليم خاصة كتأويل الظاهر الى الباطن ولا يعلم هذا التأويل إلا الأئمة ومن مبادئهم أيضاً إذا مات الإنسان تندمج روحة في الملائكة إذا كان مؤمناً بالإمام ، إذا لم يؤمن الأمام دخل النار ، ومعاداة الأمام تعتبر عندهم من اكبر الكبائر ، وسموا بهذا الاسم (الباطنية) لأن كل نوع من انواع العقاب باطناً ، وسموا بالملاحدة لأن مذهبهم كله إلحاد ، لمزيد من التفاصيل حول طبيعة هذا المذهب ينظر: الشهرستاني:محمد بن عبد الكريم بن ابي بكر (ت ٥٤٨هـ /١١٥٣م) الملل والنحل ، تصحيح احمد فهمي محمد ، القاهرة ،١٩٤٨، ج٢، ص٢٣٣-٢٣٤، ابن الجوزي : ابو الفرج جمال الدين عبد الرضى البغدادي (٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) تلبيس ابليس ،دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية ،١٣٦٨هـ ، ص١٠٢-١١١، القلقشندي: صبح الأعشى ، ج١٣، ص٢٤٣-٢٤٥، محمد كرد علي : خطط الشام ، ج٢، ص٣.

(4) ابن العديم : زبدة حلب ، ج٢، ص١٢٥.

يعارضوهم[١] ،والذين كان لهم دور كبير في جهاد الصليبيين[٢] ، كما أن انتشار هذا المذهب في الشام أثار تخوف الناس لما يلقونه من قتل واضطهاد على أيديهم[٣]، لا سيما أن هذه الدعوة وجدت قبولاً بين رعاع الناس وغوغاهم فكثر اتباعها[٤] ، ويذكر أحد المؤرخين المحدثين ان نشاط هذه الفرقة قد زاد كثيراً بعد مجيء الصليبيين إلى بلاد الشام ، فلم تكن أيديهم تنال سوى الأشخاص الذين لعبوا دوراً بارزاً في الجهاد ضد الصليبيين[٥] ،ومن خلال ما تقدم يتضح لنا إن دور العلماء والشعب قد أجهض سبب سوء سياسة بعض الحكام وانتشار بعض الدعاوى التي خلقت الفرقة بين أبناء الشعب الواحد ، إذن الانتصارات التي حققها الصليبيون في بلاد الشام ما هي إلا نتيجة لما تعانيه المنطقة من تفكك وانحلال عشية الحروب الصليبية ،إلا ان هذه الظروف العصيبة لم تقف حائلاً بوجه العلماء الذين اخذوا زمام المبادرة في توجيه المجتمع وفق منهج سديد ،لا سيما اولئك العلماء الذين تخرجوا من مدارس الإصلاح في العراق من أمثال الأمام الغزالي والشيخ عبد القادر الكيلاني الذين اسهما بشكل

---

[١] ابن الجوزي : المنتظم ، ج١٠ ، ص٤٣، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ،ص٢٠٤، ابن قاضي شهبه ، بدر الدين محمد بن تقي الدين (٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) الكواكب الدرية في السيرة النبوية ، تحقيق : محمود زايد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت –لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧، ١٠١-١٠٢ .

[٢] وممن قتل علىايدي الباطنية ، الأمير مودود ، الفارقي : تاريخ ، ص٢٨٠، الأصفهاني : تاريخ دولة السلجوقي ، ص١٦١ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠ ، ص٤٩٥، ومن ضحاياهم ايضاً أق سنقر البرسقي ، أبن الإثير : لباهر ، ص٣٢،ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج١،ص٢٤٢، والهذبي : العبر ، ج٤، ص٤٦، وقتل جناح لدولة صاحب حمص ، ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ،ص١٤٢، أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، ج٣، ص١٢١.

[٣] ابن القلانس : ذيل تاريخ دمشق ، ص١٤٩، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠ ، ص٤٩٩،أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، ج٢، ص٢٧٧.

[٤] ابن القلانس : ذيل تاريخ دمشق ، ص٢١٥- ٢٢٢، ابن قاضي شهبه : الكواكب الدرية ،ص٩١.

[٥] إرشيد يوسف : سلاجقة الشام والجزيرة في الفترة ما بين ٤٣٥- ٥٧٠هـ ، المؤسسة الصحيفة الأردنية ،عمان ، ١٩٨٨، ص٢٣٥.

فعال في التوعية الجماهيرية[1] ، ومما لا يخفى أثره دور الموصل في هذا المجال اذ حفل بعدد من العلماء من أمثال كمال الدين بن الشهرزوري[2] ، وبها الدين بن شداد[3] ، الذي اصبح له دوراً كبيراً في تنشيط المقاومة الإسلامية حتى اخذ صلاح الدين الأيوبي يعتمد عليه في التخطيط الحربي والمهام الحربية الخاصة[4] ، ومن خلال ما تقدم يمكننا القول إن العلماء هم أول من وضح بذرة الجهاد بشكلها الصحيح ،عن طريق تثقيف الناس بهذا الاتجاه .

ثانيا: موقف الفاطميين من الاحتلال الصليبي للقدس :-

لقد ذكرنا سابقاً أن والى القدس افتخار الدولة أرسل بطلب النجدة العاجلة من الفاطميين في مصر – وعلى ما يبدو أن الفاطميين لم يستجيبوا لهذه الأستغاثة في حينها لذلك جاءت نجدتهم متأخرة ، بعد ان تمكن الصليبيون من بسط سيطرتهم على مدينة القدس وعلى أي حال فإن الفاطميين ليس بوسعهم ان يقفوا تجاه القوات الصليبية موقف المحايد ،لا سيما ان الصليبيين شرعوا في محاولات للاستيلاء على مدن الشام الساحلية والتي تقع ضمن النفوذ الفاطمي ، مما يتيح لهم ضمان وصول الإمدادات البحرية من أوربا الأمر الذي يمهد لهم السيطرة على الحوض الشرقي للبحر المتوسط[5] ،ويعزو المعاضيدي تحرك الفاطميين قائلاً : (لذلك لا نعجب إذا تحرك الفاطميون في مصر ضد الصليبيين بعد ان عجز السلاجقة عن الوقوف في

---

[1] ماجد عرسان الكيلاني ، هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، جدة ، الطبعة الأولى ،ص١٩٨٥،ص١٠١.

[2] ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١١، ص٥٨-٥٩.

[3] ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ، ص .

[4] ابن واصل :مفرج الكروب ، ج٢، ص٣٢٥-٣٢٧، وغيرهم من العلماء قد يطول المقام بذكرهم ، ولمزيد من التفاصيل حول دور العلماء في الحروب الصليبية ، ينظر : سلمان جبر سلطان ، الدور السياسي للعلماء المسلمين أبان الحروب الصليبية ، (٤٩٠-٦٩٠هـ / ١٠٩٦-١٢٩١م) رسالة ماجستير ، مقدمة إلى كلية الآداب ، جامعة الموصل ،ص١٩٩٩.

[5] ابن الأثير : الكامل في التاريخ ،ج١٠ ، ص٢٨٦،حسن حبشي : الحروب الصليبية الأولى ،ص٨٦.

وجههم)[١] ، ووفقاً لذلك تحرك الأفضل بن بدر الجمالي من مصر متجهاً إلى فلسطين ، ونزل بظاهر عسقلان ، في الرابع عشر من شهر رمضان سنة ٤٩٢هـ ، وتريث في هذه المدينة لحين وصول الإمدادات التي وعد بها العرب[٢] ، على ما يبدو ان القوات الفاطمية غير مستعدة للدخول مباشرة في القتال مع القوات الصليبية ،يتضح ذلك من انتظارها في مدينة عسقلان ، أملين بالمساعدات الموعود بها ، كما يتبين لنا أن الفاطميين كانوا على مخافة كبيرة من الصليبيين ،إذ لم يحاولوا الدخول معهم في أي اصطدام ،علماً أن القوات الصليبية ،قد تمكنت من دخول القدس في الثاني والعشرين من شعبان سنة ٤٩٢هـ[٣]، أي قبل نجدة الافضل بعشرين يوماً ، وهنا يمكننا القول لو إن القوات الفاطمية أخذت زمام المبادرة في الهجوم على الصليبيين ،لتغيرت مجريات الأحداث اللاحقة ،وذلك لما انتاب الصليبيون من ضعف بسبب قلة المياه وارتفاع درجات الحرارة ، أثناء حصارهم للقدس ، ولكن على ما يبدو ان الأفضل لم يكن له من الدراية الكافية في الحروب ، مثلما عرف عنه من مهارة سياسية و إدارية، وبعد أن استقر الأفضل في مدينة عسقلان بعث إلى الصليبيين سفارة يذكرهم بما كان بينهم وبينه من اتفاق، ويطلب منهم الرحيل من فلسطين[٤] ، وعلى أثر هذه السفارة قام جود فرى بإرسال تنكرد من اجل رصد التحركات الفاطمية ، وفي أثناء قيامه بهذه المهمة عثر في طريقه على بعض الكشافة الذين بعث بهم الأفضل للاستطلاع فحصلوا منهم على معلومات مهمة عن الجيش المصري وأحواله[٥] ،طبيعياً أن تكون لهذه المعلومات دور كبير في المعركة المرتقبة إذا استطاع الصليبيون من تقدير الحالة التي عليها القوات الفاطمية ، مما أمكنهم من

---

[١] الحياة السياسية في بلاد الشام ،ص١٣١.

[٢] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ،ص١٣٧، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ،ج١٠ ، ص٢٨٦، ابن ميسر : إخبار مصر ،ج٢، ص٣٩.

[٣] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ،ص١٣٧،إن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠ ،ص١٠ ،ص١٨٣، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٢، ص١٥٦، والمقريزي :اتعاظ الحنفاء ، ج٣، ص٢٣.

[٤] المقريزي : أتعاظ الحنفاء ، ج٣، ص٢٤،رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ،ج١، ص٤١٦.

[٥] رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية ،ج١، ص٤١٦-٤١٧ ، عاشور : تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب ، ص٢٠٦، الحميدة : الحروب الصليبية ، ج١، ص٢٢١.

اتخاذ التدابير اللازمة في مواجهتها ، وطبقاً لذلك أرسل تنكر بهذه المعلومات إلى جود فرى ، الذي قام بدوره بجمع القوات الصليبية والسير إلى عسقلان[١] ، وما إن وصلت القوات الصليبية هناك حتى بادره بهجوم مفاجئ على القوات الفاطمية التي لم تكن متوقعة مثل هذا الهجوم المفاجئ فحصلت الهزيمة بالفاطميين وتمكن الصليبيون من قتل أعداد كبيرة منهم ، وغنموا ما في عساكرهم من مال وعتاد ، وانسحب الأفضل من عسقلان بمن بقي معه من قواته[٢]،ويبدو أن القوات المصرية لم تكن متأهبة للقتال ، ومردود ذلك حسب اعتقادنا إلى فرقة الاستطلاع التي تم القبض عليها من قبل الصليبين ، إذ ان سياسة الأفضل العسكرية باتت متوقفة على المعلومات التي كان بأنتضارها ،ويشر إلى ذلك رنسيمان بقوله : (فلم يتوقع الأفضل إن يكون الإفرنج على مسافة بالغة القرب منه) [٣] ، ومن المآخذ التي يؤخذ عليها الأفضل أنه ترك قواته في ظاهر عسقلان بدون أن يتخذ التدابير اللازمة لحمايتها او محاولة تنظيمها بالشكل الذي يؤمن لها من أي هجوم مباغت قد يقوم به العدو ، بل على العكس من ذلك فإنه اكتفى بإرسال وفد إلى الصليبيين يوعدهم ويهددهم كما أسلفنا ، وهكذا فقد الأفضل عنصر المباغتة المهم ، كما انه فقد عنصر الأمن ومنح الفرصة للصليبيين للاستعداد ومعالجة الموقف بعد دراسة وتخطيط له حسبما يقتضيه الموقف ، وعلى أي حال فإن الأفضل تحصن في عسقلان ، فحاصره الصليبيون ،غير انهم لم يتمكنوا من دخول المدينة بسبب المقاومة العنيفة التي أبداها أهلها[٤] ، فعادت القوات الصليبية إلى القدس[٥] ،وتذكر المصادر أن الأفضل ترك المدينة بعد

---

[١] ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠ ، ص٢٨٦، رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١، ص٤١٧-٤١٨.

[٢] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص١٣٧، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠ ، ص٢٨٦، ابن مسير : أخبار مصر ، ج٢، ص٣٩،علماً ان عدد القوات الفاطمية عشرة الآف مقاتل ، ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص١٣٧.

[٣] تاريخ الحروب الصليبية ، ج١، ص٤١٨.

[٤] .

[٥] ويذكر ابن القلانسي : (أن الذين قتلوا في هذه الواقعة من أهل عسقلان من شهودها وتناءتا وتجارها وأحداثها سوى أجنادها آلفان وسبعمائة نفس) ذيل تاريخ دمشق ،ص١٣٧.

محاصرة الصليبيين لها عائداً إلى مصر[١] ، ونتيجة لشدة الحصار الذي ضربه الصليبيون على المدينة ، اضطر أهلها إلى دفع عشرين آلف دينار ، وعلى اثر ذلك عادت القوات الصليبية إلى بيت المقدس[٢] ،وعلى كل كان لمعركة عسقلان أثراً بالغ لكلا الجانبين على حد سواء فعن الجانب الصليبي أكدت هذه الوقعة الوجود الصليبي في المنطقة كقوة لا يمكن الاستهانة بها في بلاد الشام وفلسطين ، كما ان هذا الانتصار رفع الروح المعنوية لدى القوات الصليبية وشجعها على متابعة انتزاع القرى والحصون وفرض سيطرتها على تلك المناطق. أما عن الجانب الفاطمي فقد أكد انتصار الصليبين في هذه الوقعة على أن ليس بوسع القوات الفاطمية أن تسترد ما فقدته من أراضي في بلاد الشام[٣]، على الرغم من أن البحرية الفاطمية لا زالت مسيطرة على ساحل الشام ، وباسطه حمايتها على الموانئ البحرية[٤] ،إلا أن هذه السيطرة أو الحماية لم تكن من القوة التي تقف حائلاً دون إن يحقق الصليبيون مآربهم وهذا ما يمكن ملاحظته لاحقاً ،على ما يبدو من خلال سير الأحداث أن القوات الفاطمية قد خرجت من ميدان القتال في الجبهة الجنوبية ، يتضح ذلك في عدم مشاركتها بشكل فعال ، في سير الأحداث اللاحقة ، لفترة طويلة ، وعلى أي حال فإن الصليبيين بعد ان استقرت أوضاعهم في فلسطين ، عاد عدد من قواد الحملة الصليبية الأولى إلى بلادهم ، فلم يبقى منهم سوى ثلاثمائة فارس ومن المشاة آلفين[٥] ، ومما يسترعى الانتباه أن الجيوش المصرية لم تحاول استقلال الموقف لصالحها ، حتى إنها لم تحاول انجاد مناطق نفوذها التي تعرضت لمداهمة القوات الصليبية ، ودليل ذلك عندما قام الصليبيون بشن هجوم على المدينة ارسوف ومحاصرتها حيث لبث أهلها في مقاومة الصليبين لمدة شهرين ، وعندما طلبوا

---

[١] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ،ص١٣٧،ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠ ، ص٢٨٧.

[٢] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ،ص١٣٧، ويذكر الذهبي :ان الأفضل بن بدر الجمالي قد أغدق عليهم أموالاً كبيرة فرحلوا عن عسقلان ، دول ، الإسلام ،ج٢، ص٢١.

[٣] المعاضيدي : الحياة السياسية في بلاد الشام ، ص١٣٢.

[٤] ابن القلانسي:ذيل تاريخ دمشق ،ص١٣٧،رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج١، ص٤١٩.

[٥]William of tyre, op. Cit , vol , p. ٤٠٨

فوشية : تاريخ الحملة الى القدس ، ص٧٩.

النجدة من مصر أرسل إليهم الأفضل في شهر ربيع الأول (٤٩٣هـ – شباط ١١٠٠م) حملة صغيرة لا تتجاوز ثلاثمائة مقاتل ، فلم تتمكن من تحقيق المساعدة المرجوة ، فاضطر أهل المدينة إلى الاستسلام(١)، ونتيجة لتقاعس القوات الفاطمية عن نجدة المدن الإسلامية ، استطاع الصليبيون من فرض سيطرتهم على أجزاء كبيرة من فلسطين ، إذا استولوا على قيسارية سنة (٤٩٣هـ/ ١١٠٠م)(٢) كما قام جود فرى بعزل الفاطميين عن مناطق نفوذهم والحيلولة دون نجدتها ، وذلك بتحصين يافا ، و إقامة حامية صليبية فيها تراقب تحركات الفاطميين(٣) ، ويبدو ان جود فرى كان يبغي أيضاً من تحصين يافا أن يمكن وصول الإمدادات الأوربية إلى بيت المقدس بسهولة ويسر دون أن تتعرض الى مخاطرة. كما استطاع الصليبيون في حدود سنة ٤٩٤هـ/١١٠٠م السيطرة على مدينة حيفا التي لا تقل عن يافا في الأهمية وذلك بحكم موقعها الذي أكسبها شهره تجارية وصناعية(٤)طبيعياً ان هذه المدن التي سقطت في أيدي الفرنج الواحدة تلو الاخرى لم تخل من أعمال النهب والسلب والقتل. ومردود ذلك حسب اعتقادنا الى المقاومة العنيفة التي أبداها أهالي هذه المدن، فقد ذكرت المصادر الغربية ان الاهالي قاوموا الوجود الصليبي، ورفضوا التعامل معهم(٥) حتى تمكن الأهالي من السيطرة على الطريق الممتد بين بيت المقدس والرملة، ويشيروليم الصورى الى هذه المقاومة قائلاً (كانت البلاد مليئة بالعصابات ، ومن جراء ذلك اصبح الطريق بين الرملة والقدس محفوفاً بالمخاطر)(٦) وقد عبّر أهالي المدن الساحلية عن رفضهم القاطع للوجود الصليبي ، وذلك من خلال اخلائهم لتلك المدن وامتناعهم عن الزراعة(٧) من المعلوم ان هذه الاعمال التي كان يقوم بها السكان تعد وسيلة من وسائل المقاومة ، حسب الأمكانية ، إذ ان اهالي تلك المدن

---

(١) ابن القلانسي :ذيل تاريخ دمشق ، ص١٣٩، والمقريزي : اتعاظ الحنفاء ،ج٣، ص٢٦.

(٢) م ، ن ، ص١٣٩.

(٣)Fulcher of charttes, op, cit , p. ١٤٩.

(٤) ابن القلانسي:–ذيل التاريخ ،دمشق، ص١٣٩هـ. المقريني : اتعاظ المنفا ، ج٣، ٢٦.

(٥)Fulcher or chartres , op, cit, ١, p. ١٣٠.wiliam of , tyre , op, cit, ١.p. ٤٠٥.

(٦)Wiliam of, tyre, op, cit, ١،٤٠٨.

(٧)Wiliam of. Tyre,op,cit, ١,p.٤٠٩.

تيقنوا ان لا سبيل لهم في مقاومة الاعداء ، لا سيما بعد تعذر وصول النجدات من الفاطمين اصحاب النفوذ في تلك المناطق، أو من الخلافة العباسية التي لم يكن لها من الأمر شيء، بسبب التسلط السلجوقي.

فأخذ الأهالي بتعطيل الزراعة والصناعة بغية عدم انتفاع الاجنبي، بعبارة أخرى محاصرة الصليبيين اقتصادياً ؛ لعل ذلك يجدي نفعاً.

وعلى أي حال قامت القوات الفاطمية بثلاث حملات وجهت الى مناطق نفوذها من اجل انقاذها ودرء الغزاة المعتدين عنها.

(١) الحملة الفاطمية الأولى .

بعد الهزيمة التي منيت بها القوات الفاطمية في عسقلان ، قام مدبر دولتها الأفضل بن بدر الجمالي بارسال حملة عسكرية اسندت قيادتها الى مملوكة سعد الدولة القوامسي الى عسقلان[١] الواقع ان عسقلان اصبحت مركزاً لتجمع القوات الفاطمية ،وانطلاقها في عمليات الجهاد ضد الصليبيين .وعلى مايبدو ان هذه الحملة خرجت لانقاذ المدن الساحلية التابعة للحكام الفاطميين سواء كانت هذه التبعية اسمية او فعلية وهذا ما صرح به ابن الاثير بان خروج عساكر مصر لم تكن الا (ليمنعوا الفرنج عما بقي في أيديهم من البلاد الشامية)[٢] وما يعزز هذا الاتجاه ان بلدوين لم يكن موجودا في مملكته حيث كان مشغولا بمهاهجمة قيسارية[٣] فلو تسنى للقوات الفاطمية الشخوص الى بيت المقدس لتمكنوا من تحريره . كما انهم اضاعوا عنصر المباغتة في مهاجمة العدو اذ ان القوات الفاطمية اضاعت كثيراً من الوقت بعسقلان في انتظار الامدادات[٤] مما أعطى للصليبيين فرصة اعادة تنظيمهم واستعدادهم

---

(١) ابن القلانسي:ذيل التاريخ ،دمشق، ص١٤٠. ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠، ص٣٦٤، ابن مسير : اخبار مصر ، ص٤٠. ابن خلدون : تاريخ ،ج٥، ص ١٨٧. ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة ، ج ٥، ص ١٥٢.

(٢) الكامل في التاريخ ، ج١٠، ص٣٦٤.

(٣) رنسيمان : – تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢، ص١٢٢.

(٤) يذكر ابن القلانسي ان (الأمير سعد الدولة المعروف بالقوامس وصل الى عسقلان لجهاد الافرنج في اول شهر رمضان واقام بحيث هو الى ذي الحجة منها) ذيل التاريخ ،دمشق ، ص١٤٠.

للمجابهة.وعلى كل توجهت القوات الفاطمية بعد ان استكملت تعدادها الى الرملة[١] فما ان وصلتها حتى بادرت القوات الصليبية بالهجوم عليها ، الا ان القوات الاسلامية استطاعت من صد الهجوم وتكبيد الصليبيون خسائر جسيمة[٢]ويشير الى هذه الحادثة رنسيمان بقوله (قاد بيرفولد الهجوم ،غير ان عساكره حصدهم المصريون ولقي مصرعه،وهرع لنجدته جيلدمار كاربنيل فهلك مع كل رجاله ،ولم يستطع هيو سيد سانت اوصر ان يخلص رجاله ، الا بعد خسائر فادحة ، ففر بهم الى يافا ، فطاردتهم ميسرة المصريين ،وتراءى ان كل شيء قد ضاع)[٣] الا ان هذا الانتصار الذي حققته القوات الاسلامية لم يكن حاسماً فسرعان ما انقلب الى هزيمة وذلك بعد ان تمكن بلدوين من تجميع ما تشتت من رجاله والحاق الهزيمة بالفاطميين[٤]،وراح ضحية تلك المعركة عدداً غير قليل من القوات الاسلامية كان في مقدمتهم قائد الحملة سعد الدولة القوامسي ،في حين تراجع الفاطميون الى عسقلان[٥] ويعزو رنسيمان سبب هزيمة القوات الفاطمية الى عدم تسليحها بالشكل المطلوب والى افتقارها الى التدريب[٦] ومع ما لهذا السبب من أهمية كبيرة الا اننا نرجح ان تلكؤ القوات الفاطمية وانتظارها في عسقلان اعطى للعدو فرصة كبيرة لتجميع قواته ووضع الخطط المناسبة. كما ان الصليبيين كانوا على علم بتحركات الفاطميين.لاسيما بعد الكتاب الذي وقع في يد الملك بلدوين عندما كان معسكراً في

---

[١] رنسيمان :تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢، ص١٢٢.

[٢] ابن القلانسي: – ذيل التاريخ ،دمشق ، ص١٤٠.ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠، ص٣٦٤.

[٣] تاريخ الخروب الصليبية ، ج٢، ص١٢٣. ويذكر ابن تغري بردي رواية لا تخلو من الغرابة حيث يقول ان المسلمون (حملوا على الفرنج فهزومهم الى قيسارية ويقال انهم هزموا من الفرنج ثلثمائة الف ولم يقتل من المسلمين سوى مقدم عسكرهم سعد لدولة الطوشي ونفر يسير) .النجوم الزاهرة ج٥، ص١٥٢.

[٤] ابن الاثير :الكامل في التاريخ ،ج١٠،ص ٣٦٤. رنسيمان :تاريخ الحروب الصليبية ،ج٢، ص١٢٣.

[٥] ابن القلانسي :ذيل تاريخ دمشق ١٤٠ ، ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠، ص ٣٦٤. ابن ميسر ، أخبار مصر ٤٠ .ابن خلدون ، تاريخ ، ج٥، ص١٨٧، المقريزي :خطط ، ج٢، ص١٧٢.

[٦] تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢، ص١٢٢–١٢٣.

يافا، يتضمن معلومات مهمة عن القوات الفاطمية[1]ومن خلال سير احداث المعركة يتضح لنا ان الجيش الفاطمي لم يكن على درجة كبيرة من التنظيم ، توحي كأنها جاءت من أجل تحقيق مكاسب فورية. وهذا ما يقودنا بدوره الى الشكوك بصدق الرغبة في الجهاد لدى المقاتلين في هذا الدور المتقدم من أدوار المقاومة ضد الصليبيين.

---

[1] رنيسمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢، ١٢٢.

٢-الحملة الفاطمية الثانية :- ٤٩٥هـ / ١١٠٢م.

بعد المصير المؤلم الذي آلت اليه الحملة الفاطمية الأولى ، حاول الأفضل انجاد حملة اخرى اسند قيادتها الى ابنه شرف المعالي ،الذي بادر بالسير من عسقلان بعد ان استكملت قواته ، استعدادها متوجها الى الرملة[١] ويذكر ابن القلانسي ان الهدف الاساسي كان لانجاد ولاة الساحل في المدن الباقية بأيديهم[٢] الا اننا نلاحظ من خلال احداث هذه الحملة انها تعدت ذلك الى ما هو ابعد ونقصد الوجود الصليبي في المنطقة .وعلى أي حال فما ان سمع بلدوين باخبار هذه الحملة حتى بادر بالشخوص لملاقاتها ، بصحبة عدد كبير من القادة امثال استيفن كونت بلو ، واستيفن كونت برجنديا ،ولكندا اسطبل كنراد،وهيو كونت لوزجنان وعدد كبير من الفرسان[٣] حتى بلغ عددهم كما يذكر ابن القلاشي سبعمائة فارس[٤]. فلما بلغ بلدوين الرملة دارت رحى معركة عنيفة سقط خلالها عدد كبير من فرسان الصليبيون ،كان من بينهم جيرا، افيسنز وستايلون الذي كان حاجباً لجود فري[٥] فلم يسلم من القتل الا عددا قليلا من الفرسان ،تحت قيادة روجر روزوي وهيولي بور ابن عم الملك بلدوين اذ تمكنوا من الفرار الى يافا[٦] ويذكر ابن الاثير مالحق بالصليبيين من خسائر في هذه المعركة بقوله (فانهزم الصليبيون وقتل منهم قتلة عظيمة وعاد من

---

[١] ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠، ص٢٥٠-٢٥١، سبط ابن الجوزي مرآة الزمان / ق١، ج٨، ص١٠٢. ابن خلدون : تاريخ ، ج٥، ص١٨٧. فوشيه : تاريخ الحملة الى القدس ص١٢٢. ويذكر ان هذه الحملة اتخذت الطريق الذي اتبعته الحملة السابقة في شق طريقا الى الرملة من اجل تهديد كل من يافا وبيت المقدس . عاشور:الحركة الصليبية ،ج١، ص٢٨٧.

[٢] ذيل تاريخ دمشق، ص ١٤١.

[٣] فوشيه : تاريخ الحملة الى القدس، ص١٢٥.رنيسمان :تاريخ الحروب الصليبية ،ج٢، ص١٢٦. العريني :الشرق الاوسط والحروب الصليبية ،ج١، ص٣٠٤.

[٤] ذيل تاريخ دمشق، ص١٤١. ابن الاثير : الكامل في التاريخ ،ج١٠، ص ٣٦٤. سبط ابن الجوزي :مرآة الزمان ، ق١، ج٨، ص٢.

[٥] فوشيه : تاريخ الحملة الى القدس ، ص١٢٥. رنيسمان :تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢، ص١٢٦.

[٦] فوشيه :تاريخ الحملة الى القدس ، ص١٢٥. رنيسمان : تاريخ الحروب الصليبية ،ج٢، ص١٢٦. فهمي توفيق مقبل : الفاطميون والصليبيون ، ص٨٥.

سلم منهم مقلوليين . . .)[١] اما الملك بلدوين فلما رأى شدة الموقف (وخاف القتل والأسر القى بنفسه في الحشيش واختفى فيه ، فلما ابعد المسلمون خرج منه الى الرملة)[٢]ويذكر انه نجى باعجوبة من حريق الحشيش الذي اختفى به ، وان النار قد احرقت بعض جسده الا انه تمكن من الهرب[٣]ويشير فوتيه الى هذه الحادثة وما حل بالقوات الصليبية من قتل وتشريد بقوله (اندفع الفرنجة بسرعة بين العرب بهجمة باسلة . . . اذ ان ذاك هو المكان وتلك هي المناسبة .. . وتفاقمت خطورة الاعداء على رجالنا حتى ان معظمهم هلك في بحر ساعة ،واما البقية فلاذوا بالفرار لانهم لم يقدروا ان يتحملوا مثل هذه الشدة . . . ومع ان شراً عظيماً حل برجالنا . . . ثم أحاقت الهزيمة برجالنا . .)[٤] وعلى الرغم من ان بلدوين تمكن من الهرب الى الرملة الا انه لم يسلم من محاصرة القوات الاسلامية[٥] وان ما يسترعي الانتباه ان الجيش الاسلامي لم يحاول اجتياح حصن الرملة الصغير الذي اعتصم به بلدوين ورفاقه ، علماً ان وسائل الدفاع عنه كانت بالغة الضعف ، ولكنها اجلت ذلك الى اليوم التالي[٦]يبدو ان حلول الظلام جعلهم يقعون في التأجيل حتى بزوغ الفجر ، الا ان ذلك لا يقوم سببا مقنعا حسب اعتقادنا. وان ما يمكن قوله في ذلك هو انشغال القسم الأكبر من القوات الاسلامية بجمع الغنائم. وما يعزز هذا الاعتقاد ضعف تحصينات المدينة من جهة وتمكن بلدوين من الهرب من جهة اخرى حسب ماذكر

---

[١] الكامل في التاريخ ، ج١٠ ،/ ص٣٦٤.سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج١، ق٨، ص٢. ابن خلدون : تاريخ : ج٥، ص١٨٧.

[٢] ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠، ص٣٦٤ . سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان : ج٨، ق١، ص

[٣] ابن القلاسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص١١٤، سبط ابن الجوزي :مرآة الزمان ،ج٨، ق١، ص٢.

[٤] تاريخ الحملة الى القدس : ص١٢٥.

[٥] سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج٨، ق١، ص٢. ابن خلدون : تاريخ ، ج٥، ص١٨٧.فوشيه : تاريخ الحملة الى القدس ، ص١٢٥. عاشور :- الحركة الصليبية ،ج١، ص٢٨٨.العريني : الشرق الاوسط والحروب الصليبية ،ج١، ص٣٠٤.

[٦] رنيسمان : تاريخ الحروب الصليبية ،ج٢، ص١٢٦. عاشور : الحركة الصليبية ،ج١، ص٢٨٨.فهمي توفيق مقبل : الفاطميون والصليبيون ، ص٨٦. الشيخ : الجهاد المقدس، ص١٦٦-١٦٧.

فوشيه ان بلدوين (لم يرغب ان يقع في شرك هناك ،وان يلاقي حتفه في مكان آخر على ان يؤخذ بمذلة في ذلك المكان ... وحاول الفرار مخاطراً بحياته ثم اخذ معه خمسة مرافقين فقط ...)[١] وعلى اية حال فان بلدوين تمكن من الهرب بعد ان خرج متنكراً تحت جنح الليل وهو في طريقه الى يافا[٢] لاسيما بعد ان وافته انباء تقضي بعزم القوات الاسلامية على شن الهجوم في الصباح الباكر[٣] وهرب ايضاً جوتمان كونت بروكسل الذي استطاع من الوصول الى بيت المقدس وافضى بتفاصيل الكارثة التي لمت بهم ونصح بالاستعداد للمقاومة[٤]يتضح من ذلك ان الصليبيين، كانوا يتوقعون تقدم القوات المصرية ، بعد الانتصار الذي تحقق لهم الى بيت المقدس الا ان شيء من ذلك لم يحدث ،وهذا ما يمكن ان تؤخذ عليه المقاومة المصرية في هذا الدور. إذ كانت تكتفي بما يتحقق لها من انتصارات سريعة ، كانها يخيل انها جاءت من أجل الانتقام ،وليس من اجل تحرير بيت المقدس وطرد الغزاة من الديار الاسلامية[٥].وعلى أي حال فان القوات الاسلامية شرعت بالهحوم على اسوار الرملة بعد ولوج الفجر ،والتقت بالصليبيين الذين حاولوا الدفاع عنها بقيادة الكندر سطبل كنراد ، الا انهم تعرضوا الى هزيمة نكراء[٦] ويشير الى ذلك ابن القلانسي بقوله (فاوقع السيف في اصحابه وقتل وأسر من ظفروا به في الرملة من رجاله وابطاله وحملوا الى مصر)[٧] .

---

[١] تاريخ الحملة الى القدس : ص ١٢٦.

[٢] ابن الاثير :الكامل في التاريخ ، ج٨، ص٢١٨. سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج٨، ق١، ص٢.ابن خلدون : تاريخ ، ج٥، ص١٨٧.

[٣] فوشيه : تاريخ الحملة الى القدس ، ص ١٢٦.رنيسمان تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢، ص١٢٧. عاشور : الحركة الصليبية ، ج١، ص٢٨٨. العريني : الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج١، ص٣٠٤.

[٤] رنيسمان:تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص١٢٧.

[٥] على الرغم من ان امكانية السير الى بيت المقدس قد نوقشت بعد الا انها لم تحضى بتأييد من قبل قادة الجيش المصري . وهذا ما يمكن ملاحظته لاحقاً.

[٦] فوشيه : تاريخ الحملة الى القدس ، ص١٢٦، عاشور : الحركة الصليبية ، ج١،٢٨٨.

[٧] ذيل تاريخ دمشق ، ص١٤١.بسط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج٨ ، ق١، ص٢. ابن ميسر : اخبار مصر ، ص٤٠-٤١.ابن خلدون: تاريخ ، ج٥، ص١٨٧.

ويذكر فوشيه هذه الحادثة بقوله (اما اولئك الذين تخلفوا في الرملة ، فلم يستطيعوا مغادرة ابوابها بعد ذلك وقد حاصروهم المسلمون من جميع النواحي ثم أسروهم ، فقتل بعضهم واخذ البعض الآخر احياء)[١] ويؤكد ابن الاثير ان المسلمين قتلوا داخل الرملة(أربع مائة .. . وارسل ثلاثمائة الى مصر)[٢] ويقول رنسيمان ان من(لم يلق منهم مصرعه لم يسلم من الأسر ، فتقرر حمل (كنراد) الى الاسر في مصر مع ما يزيد على مائة من رفاقه ، بينما لقي مصرعه في المعركة من القادة استيفن كونت برجنديا، وهيو لوزجنان ،وجفري فندوم، وهلك معهم ستيفن كونت بلوا)[٣] وتتضح لنا عظم الخسارة التي منيت بها القوات الصليبية ،على ايدي الجيش الاسلامي من خلال ما ذكره فوشيه عنها، اذ يقول (آه كم خسرنا من النبلاء وشجعان الفرسان في تلك الكارثة او خسرناهم في الاشتباكات الاولية)[٤] وبعد هذا الانتصار الذي تحقق للفاطميين ، توجهوا الى يافا، فما ان وصلوا حتى شرعوا في محاصرتها[٥] علماً من ان بلدوين استطاع من شق طريقه الى يافا المحاصرة بمساعدة قوة من الصليبيين ،كانت تحت زعامة هيو سانت امر الذي اخذ بمشاغلة القوات الفاطمية ، بينما توجه بلدوين في سفينة احد المغامرين الانجليز يدعى جودريك[٦] وقد حاولت القوات البحرية الفاطمية القبض عليه ،الا ان الرياح الشمالية كانت من القوة، فأحالت دون ذلك[٧] وهنا يجب الاشارة الى مسألة في غاية الأهمية وهي توجه الفاطميون الى يافا دون التوجه الى بيت المقدس، او حتى توجيه أي قوة اليه . منتهزين فرصة غياب بلدوين وما حل بعسكره من تشتت واضطراب في اثر

---

[١] تاريخ الحملة الى القدس، ص ١٢٦.

[٢] الكامل في التاريخ ،ج١٠، ص٢١٨.

[٣] تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢، ص١٢٧-١٢٨.فوشيه : تاريخ الحملة الى القدس ، ص١٢٦.

[٤] تاريخ الحملة الى القدس، ص١٢٦.

[٥] ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢١٨. الذهبي : العبر في خبر من غبر ، ج٣، ص٣٤٣.

[٦] فوشيه : تاريخ الحملة الى القدس، ص١٢٦. عاشور : الحركة الصليبية ،ج١، ص٢٨٩.

[٧] ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج٨، ص٢١٨. رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ،ج٢، ص١٢٨-١٢٩. فهي توفيق مقبل : الفاطميون والصليبيون ، ص٨٦.

الهزيمة التي لحقت بهم عند الرملة .كما وان بيت المقدس بات خالياً من أي قوة صليبية مدافعة بشكل فعال .وهذا ما أشار إليه صراحة رنسيمان بقوله (إذ كان بوسع سرية من العساكر ان تستولي على بيت المقدس عقب معركة الرملة دون ان يتعرض حصار يافا لضعف ظاهر)[١] في الحقيقة ان هذا التساءل قد وقع بين الفاطميين فعلاً حول التوجه الى بيت المقدس ام الى يافا.وقد اشار ابن الاثير الى وجهات النظر في ذلك بقوله (فقال قوم نقصد البيت المقدس ونتملكه وقال قوم نقصد يافا)[٢] وطبقاً لما تقدم ان الرأي الأخير هو الذي تغلب في النهاية ،ويبدو لنا ان القوات الفاطمية قد وضعت في حسبانها خطورة بقاء بلدوين حياً في امكانية تجميع قواته وضرب الفاطميين من الخلف عند توجههم الى بيت المقدس. فعلى الرغم من وجاهة هذا الرأي الا انه اهل بامكان بلدوين الذي قتل واسر اغلب فرسانه ان يقوم بهذه الخطورة التي تخوف منها الفاطميين اصحاب العدة والعدد[٣].وان كان كذلك فبإمكانهم ان يبعثوا قسما من قواتهم لمطاردة بلدوين ومنعه من أي هجوم مباغت يقوم به ، لاسيما وان الاسطول الفاطمي كان يجوب البحر وبوسعه احكام الحصار حول يافا بعد ان التجأ اليها بلدوين ويحرمه من أي نجدة قد تصل اليه عن طريق البحر، ثم شخوص القسم الاعظم من قواتهم الى بيت المقدس واسترجاعه، ولو تسنى ذلك فعلاً لتغيرت العمليات العسكرية في الساحة الجنوبية لصالح القوات الفاطمية ،ولحصلوا على دعم كبير سواء من مصر او من بلاد الشام .ويتضح لنا من خلال ذلك كله ان الجيش الفاطمي كان يفتقر الى قيادة حكيمة من شأنها ان تترجم هذا الانتصار الى تحقيق الهدف المقصود. وعلى أي حال فان بلدوين بعد وصوله الى يافا اعاد تنظيم قواته ،كما ارسل الى كل من تانكرد الوصي على

---

[١] تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢، ص١٣١. العريني :الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج١، ص٣٠٤.

[٢] الكامل في التاريخ ، ج٨، ص٢١٨.

[٣] تذكر المصادر ان القوات الاسلامية كان تعدادها عشرين الف مقاتل . ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٢١٨. رنسيمان :تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢، ص١٢٥. عاشور :الحركة الصليبية ،ج١، ص٢٨٧.

انطاكية والبلدوين لي بوركونت الرها ،يعلمهما بما حل به من خسائر ويطلب منهم النجدة العاجلة[١].وهنا نتسائل كم يحتاج بلدوين من الوقت لحصوله على مطلبه . باعتقادنا ان الفترة التي تستغرقها نجدة بلدوين ، تكفي بان يحكم الفاطميين سيطرتهم على بيت المقدس وان يطلبوا مزيداً من القوات من الافضل الذي كان يترقب سماع اخبارها.

وعلى كل فان بلدوين قد تحقق له ما كان يصبو اليه ، ذلك بعدان وصل الى يافا اسطولاً بحرياً قادما من فرنسا وانجلترا والمانيا ،مؤلفاً من مائتي سفينة ،زاخرة بالعساكر والحجاج فامدوا بلدوين بما يحتاج اليه[٢] وعلى اثر ذلك قاد بلدوين عسكره لقتال الجيش الفاطمي الذي آثر الهزيمة والانسحاب الى عسقلان بعد مضي ساعات قلائل من نشوبها[٣]على ما يبدو ان القوات الفاطمية انسحبت منذ اول وهلة من بدء المعركة ،مضيعة بذلك فرصة كبيرة لاسترداد بيت المقدس. ومن آثار هذه المعركة انها شجعت القوات الصليبية على الاستمرار في مطاردة الفاطميين ومحاصرتهم في عسقلان ، لا سيما بعد الامدادات التي وصل بها كل من تنكرد وبلدوين لي بور وتعزيزهم للموقف الصليبي، الا انهم لم يتمكنوا من دخول البلد بفضل المقاومة العنيفة التي أبداها الاهالي[٤] ومن النتائج المترتبة على هذه المعركة ايضا هو التقاء القادة الصليبيون ، الامر الذي استقله بلدوين في تسوية مشاكله الداخلية لاسيما مع البطريك دايمبيرت[٥]مما امكنه السيطرة على الكنيسة التي كانت تخص بالمنح

---

[١] عاشور : الحركة الصليبية ، ج١، ص٢٩٠.العريني : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، ج١، ص٣٠٤.

[٢] ابن الاثير :الكامل في التاريخ ، ج٨، ص٢١٨. ابن خلدون :تاريخ ،ج٥،ص١٨٧.
.Wiliam of tyre, vol, ١. P. ٤٣٥

[٣] فوشيه : تاريخ الحملة الى القدس : ص١٢٩. رنسيمان :تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص١٣٠. عاشور :الحركة الصليبية ،ج١،ص٢٨٩.

[٤] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢، ٣٠٥.

[٥] يعتبر البطريك دايمبرت انه هو الذي توج بلدوين ملكاً على بيت المقدس ،ولكن ذلك لم يكن عن طيب خاطر منه، وان بلدوين كان مدركاً لذلك ، فأخذ يتحين الفرصة لاقصائه والسيطرة على الكنيسة . ولمزيد من التفاصيل حول الخلافات التي كانت موجودة بينهما يراجع رنسيمان :تاريخ

والهبات من قبل الغرب الاوربي[١] ومن الجدير بالذكر ان بلدوين كان في أمس الحاجة الى هذه الاموال من اجل اعداد الجيوش لدرء الخطر المحقق بسبب المقاومة الاسلامية من جهة والتوسع على حساب المدن العربية لاسيما الساحلية منها من جهة اخرى .أما القوات الفاطمية التي هزمت امام اسوار يافا ،فلم يقف الافضل عند هذا الحد ، بل اعد حملتين برية بقيادة تاج العجم قوامها اربعة الاف فارس نزل بهم على عسقلان، واخرى بحرية اسندت قيادتها الى القاضي بن قادوس الذي سار شمالاً ونزل على يافا[٢] وعلى مايبدو ان هذين القائدين لم يكونا على وفاق اذ رفض تاج العجم مساعدة ابن قادوس متعللا بانه لم يتلق امراً من الافضل بذلك ،مما اثار استياء ابن قادوس ،فأرسل الى قاضي عسقلان وشهودها واعيانها (واخذ خطوطهم بانه اقام على يافا عشرين يوماً واستدعى تاج العم فلم يأته ولا أرسل رجلاً)[٣]وعندما بلغ الافضل ذلك قبض على تاج العجم وولى مكانه من يتولى امر عسقلان [٤]وقيادة الجيوش الفاطمية فيها[٥] وفي ظل هذا الغياب من التعاون والتنسيق آثرت الجيوش الانسحاب بعد الهزيمة التي منيت بها أمام اسوار يافا[٦] وهكذا قُدِّر لمملكة بيت المقدس ان تنجو من قبضة القوات الاسلامية ،كما قدر للصليبيين أن يبقوا محتفظين بالمدن الساحلية ما عدا عسقلان التي بقت مركزاً للفاطميين في شن الهجمات ضدهم .وعلى الرغم من الهزائم المتلاحقة التي تعرضت لها القوات الفاطمية الا ان ذلك لم يكن حائلاً امام ما كان يبديه الاهالي من مقاومة كبيرة لاسيما في الطرق التي تقع على منحدرات جبال الكرمل، بل ان الطريق الممتد بين يافا وبيت المقدس كان

الحروب الصليبية ، ج١، ص١٣٢-١٣٧. عاشور : الحركة الصليبية ،ج١، ص٢١٩. عبد القادر اليوسف : علاقات بين الشرق والغرب ص ٧٦-٧٨.

[١] عاشور :الحركة الصليبية ، ج١، ص٢٩١.

[٢] ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠، ص٣٦٥.ابن خلدون :تاريخ ،ج٥، ص١٨٧.

[٣] ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج٨،ص٢١٨.

[٤] ارسل الافضل بدلاً عنه ليتولى امر عسقلان وقيادة الجيش جمال الملك احد مواليه . ابن خلدون : تاريخ ،ج٥،ص١٨٧.

[٥] ابن الاثير : الكامل في التاريخ ،ج٨،ص٢١٨.

[٦] ابن القلانسي: ديل تاريخ دمشق ،ص١٤٢-١٤٣.

مقصداً للفدائيين[١]كما داب المجاهدون على الانطلاق من مينائي عكا وصور الذين لازالا فـــي حـــوزة الفـــاطميين ، لاعتـــراض طريـــق الامـــدادات والتجـــار الصليبيين[٢]واستطاعوا فعلاً في أواخر خريف ١١٠٢م من الهجوم على السفن الفرنسية والالمانية والانجليزية ، بعد عودتها الى بلادها والتي انقذت بلدوين بقدومها الى يافا، إذ تمكنوا منها وعملوا فيها القتل والاسر[٣]وقد حاول بلدوين جاهداً ضرب تلك المناطق التي تثير له الاضطرابات حيث توجه الى عكا وحاصرها في ربيع ١١٠٣م بمساعدة سفن انجليزية ،وكاد ينجح في مسعاه لولا النجدات التي اقلعت من صور وصيدا[٤] ، اذ سارت اليها اثنى عشرة سفينة محملة بالرجال وآلات القذف للنيران الاغريقية ،مما اضطر بلدوين الى رفع الحصار عنها[٥] ويذكر ان بلدوين رفع الحصار عنها بعد ان اشعل النيران في ادواته[٦]لا شك ان ما دفعه الى ذلك خشيته وقوع هذه الادوات بيد رجال المقاومة وهذا ما يفسر لنا بطبيعته شدة المقاومة التي تعرض لها . ويؤيد بذلك فوشيه قائلاً (وان الشرفين داخلها دافعوا عنها ببسالة فائقة ، فانسحب الملك . . . عاد الى يافا)[٧] كما حاول بلدوين توجيه ضربة الى جبل الكرمل الذي كان يعاني منه كثيراً غير ان هذه المحاولة لم يكتب لها النجاح، بفعل المقاومة العنيفة التي واجهته حتى انه اصيب بجراح بالغة الاثر فأصبحوا يائسين من شفائه[٨]وبعد ان تماثل بلدوين للشفاء ، كان أول عمل قام به هو الهجوم

---

[١] العريني : الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج١،ص٣٠٦. رنيسمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢، ص١٤١.

[٢] عاشور : الحركة الصليبية ، ج١، ص٢٩٢.

[٣] ابن القلانسي : ديل تاريخ دمشق ، ص١٤١.

[٤] يشير الذهبي قائلا بأن الدمشقيين هم الذين اضطروا بلدون على رفع الحصار عن المدينة . دول الاسلام ، ج٢ ، ص ٢٥

[٥] ابن الاثير : الكامل في التاريخ،ج١٠، ص١٢٩.

[٦]

[٧]تاريخ الحملة الى القدس : ص١٣٠.

[٨] ابن الاثير : الكامل في التاريخ ،ج٨،ص٢٢١.

على عكا، وكان ذلك بعد تحالفه مع اسطول جنوبي مؤلف من سبعين سفينة[١]وقد استبسل الأهالي في الدفاع عنها بقيادة زهرة الدولة الجيوشي لمدة عشرين يوما، الا انه استسلم بعد ان يأس من مساعدة الفاطميين له[٢] ويذكر ابن الاثير ان زهره الدولة الجيوشي ((قاتل حتى عجز)) ولكنه لم يستطع مقاومة الحصار المحكم الذي ضربه الصليبيون على المدينة من البر والبحر ، فاضطر الى التسليم ((وملك الفرنج البلد بالسيف قهراً))[٣] ويقول ابن تغري بردي ان زهرة الدولة الجيوشي (طلب الأمان له وللمسلمين فلم يعطوه لما علموا من اهل مصر انهم لم ينجدوه)[٤]وعلى اثر ذلك استطاع بلدوين من تحقيق انجازاً كبيراً، باستحواذه على ميناء صالح لرسو السفن في جميع فصول السنة فاصبح عوضاً عن ميناء يافا. ليكون الميناء الرئيسي لبيت المقدس[٥]وقد اشار فوشيه الى اهمية هذا الميناء بقوله (كانت هذه المدينة في غاية الضرورة لنا لان فيها مينا عظيم الاتساع يمكن ان ترسوا بين اسواره الآمنة اعداد كبيرة من السفن بسلام)[٦] وبذلك تسنى لبلدوين حماية امداداته القادمة من الغرب في

---

[١] سبط ابن الجوزي :مرآة الزمان ، ج٨،ق١، ص٩. ابن ميسر : أخبار مصر ، ص٤١. ابن تغري بردي : النحوم الزاهرة ، ح٥، ص١٨٨. فوتيه :تاريخ الحملة الى القدس، ص١٣١.

Wiliam of tyre .op. cit. ١. P. ٤٥٥.

[٢] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص١٤٣-١٤٤. ابن الاثير :الكامل في التاريخ ج١٠،ص٢٥٥-٢٥٦. سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان، ج٨،ق١، ص٩.ابن الخلدون : تاريخ ، ج٥، ص١٨٨.

[٣] الكامل في التاريخ ، ج١٠،ص١٣٩. سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ،ج٨، ق١،ص٩. ابو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، ج٢، ص٢٣١-٢٣٣. ابن الوردي : تاريخ ، ج٢، ص٢١.ابن العماد : شذرات الذهب ، ج٣، ص٤٠٤.ويشير الدوداري : بأن الصليبيون قد اعطوا الأمان لأهل البلد ولكنهم غدروا بهم ، وقتلوا من كان بها من المسلمين. الدواداري : -ابو بكر بن عبد الله بن ايبك (ت ٧٣٦هـ) كنز الدرر وجامع الفرر .تحقيق : صلاح الدين المنجد،مطبعة التاليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٦١، ج٦، ص٤٦٣.

[٤] النجوم الزاهرة ، ج٥، ص١٧٨. سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج٨، ق١، ص٩.

[٥] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢، ص١٤٤. العريني : الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج١، ص٣٠٨.

[٦] تاريخ الحملة الى القدس ، ص١٣١.

البحر وتيسر للسفن ان ترسوا بالميناء في امن وسلام وتوقفت الى حد ما الهجمات من قبل المسلمين. اما عن القوات الفاطمية فان خسارتها في عكا كانت بالغة الاثر، اذ حرم اسطولهم من اهم قواعده بالشام. وقد اخذ المؤرخون المسلمون اسفهم لعجز الفاطميين عن حماية موانئ الشام التي اخذت تتساقط الواحدة بعد الاخرى بايدي الصليبيين ،وفي ذلك يقول ابن تغري بردي عن الوالي الفاطمي الآمر بالله ، انه كان (يتناهى في العظمة ويتقاعد عن الجهاد .. .وكان فيه تهاون في امر الغزو والجهاد حتى استولت الفرنج على غالب السواحل وحصونها في ايامه . . . ولم ينهض لقتال الفرنج البتة وان كان ارسل مع الاسطول عسكر فهو كلا شيء)[١]

(٣) الحملة الفاطمية الثالثة :

يعتبر سقوط عكا من بين اهم الاسباب التي دفعت الافضل الى اعادة المحاولة للمرة الثالثة،وعلى ما يبدو ان المحاولات السابقة قد انهكت قواه،واثبتت عدم قدرته على مواجهة القوات الصليبية بمفرده ، لذلك نلاحظ انه عدل عن سياسته السابقة ،والتجأ الى طلب العون من القوى الاسلامية الاخرى. ففي صيف ١١٠٥م ارسل ابنه سنا الملك حسين في حملة كبيرة تعدادها خمسة آلاف من الفرسان والرجالة ،وعزم على طلب المساعدة من أمير دمشق طغتكين[٢] تعد هذه اول محاولة فعلية للوقوف جنبا الى جنب بين العساكر الشامية والمصرية[٣]ولو حصل هذا الامر منذ بداية الحروب الصليبية لتغيرت مجرى الاحداث في حركة المقاومة الاسلامية ولكن تنافر الجانبين احال دون ذلك .وعلى أي حال فان الاتابك طغتكين قد ابدى استعداده ورغبته الصادقة بهذا الطلب الذي تقدم به الافضل الا انه ليس بوسعه ان

---

[١] النجوم الزاهرة ، ج٥، ١٧٨.

[٢] ابن القلانسي :ذيل تاريخ دمشق، ص١٤٨-١٤٩، ابن الاثير :الكامل في التاريخ ، ج١٠، ص٣٩٤-٣٩٥. سبط ابن الجوزي :مرآة الزمان ، ج٨،ق١، ص٥. ابن ميسر : اخبار مصر ، ص٤١. الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، ج٣، ص١٤٩.؟

[٣] علماًان الافضل قد طلب المعونة من دمشق في سنة ٤٩٦هـ وقد اجيب على ذلك ولكن اعاقت عسكر دمشق (اسباب حدثت وصوادف صدفت) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص١٤٢، ويذكر ابن مسير ان دقاق ((اعتذر عن ذلك ولم يحضر))اخبار مصر ، ص٤٠-٤١.

ينفذ اليه جيشاً كبيراً،لذلك اقتصر على ارسال قائده ((اصبهيد صباوا)) في ألف وثلاثمائة فارس[1]ومايمكن ملاحظته ان طغتكين بالرغم من تعاونه الجاد في مساعدة الفاطميين الا انه لم يستطع ارسال عدداً كبيرا من جيشه وهذا ما يفسر لنا الظروف الصعبة التي كانت تعيشها دمشق[2] وبلاد الشام على العموم من تنافر، لاسيما بين اولئك الحكام الذين لم يكن يهمهم سوى مصالحهم الخاصة، وعدم اكتراثهم بما يدور في الساحة العربية من ويلات. وعلى كل فان القوات الفاطمية توجهت الى بيت المقدس بعد ان انظم اليها عسكر دمشق[3] اما الصليبيين بقيادة بلدوين وصحبه ارتاش بن دقاق ، فقد توجه بقواته لخوض المعركة[4]في الرملة[5] من الملاحظ ان القوات الفاطمية قد استهدفت في جميع حملاتها،مدينة الرملة ،وهذا في حقيقته له بعد استراتيجي مهم من الناحية العسكرية ، اذ يمكنها هذا الموقع تهديد كل من بيت المقدس ويافا.وهذا ما لاحظناه فعلا بعد انتصارها في معركة الرملة الثانية ، وعرضنا اختلاف وجهات النظر في ذلك. وفي السابع والعشرون من اغسطس سنة ١١٠٥م نشبت المعركة عند الرملة ، حيث بادر الصليبيون بالهجوم على القوات الاسلامية،

---

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠، ص١٤٨. سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج٨،ق١، ص٥. ابن خلدون : تاريخ ،ج٥، ص١٨٩. الذهبي : العبر في ذكر من غبر ، ج٣، ص٣٥٠ .

(٢) بعد ان توفي دقاق أمير دمشق سنة ١١٠٤م ، حصل نزاع كبير بين افراد اسرته والانابك طفتكين حول السلطة في دمشق. كما قدم الامير رضوان صاحب حلب يلتمس نصيبه ، فأقام طفتكين سلسلة من التغيرات الامر الذي ادى الى هروب ارتاش بن دقاق الىحوران فاجاره ايتكين امير بصرى ومن هناك ارسل الى بلدوين يستنجد به فأقام بلدوين بدوره باستدعائه الى بيت المقدس ، ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق ، ص١٤٥. ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج٣، ص١٤٨. القرماني : أخبار الدول ، ص٢٧٧.

(٣) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠،ص٢٧٢. ابن خلدون :تاريخ ، ج٥، ص١٨٩.العريني : الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، ج١، ص٣٠٩.

(٤) يبدو ان هذا التحالف قد اخاف القوات الصليبية كثيرا وهذا ما اشار اليه فوشيه قائلاً: (ثم دب الخوف فينا والرعب، وخشينا ان يأخذ الاعداء احدى مدننا المجردة من الرجال او ان يذبحوا الملك وقومه في المعركة). تاريخ الحملة الى القدس، ص١٣٦.

(٥) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص١٤٨-١٤٩.ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠، ص٢٧٢.

الا ان جيش دمشق استطاع من صد الهجوم بهجوم مضاد كاد يحطم صفوف العدو[١] وعلى الرغم من الشجاعة الفائقة التي أبدتها الجيوش الاسلامية الا انها لم تحقق ما كانت تصبو اليه[٢] يبدو ان القوات الاسلامية لم تكن على درجة كبيرة من التنسيق،وذلك عندما شرع جناحها الايسر بالمضي في محاولة فاشلة، لمباغتة حيفا،غير ان هذه العملية لم يكتب لها النجاح، ثم عادت بعد فوات الاوان[٣] ومع ان التحالف الاسلامي لم يكتب له النجاح الا انه وضع اللبنة الاولى في امكانية التوحد مابين مصر والشام والتي توجت بشكلها النهائي في عهد السلطان صلاح الدين الايوبي . ومن نتائجها المهمة ايضاً انها افشلت التحالف ما بين بلدوين وارتاش بن دقاق، الذي كان يأمل مساندة بلدوين له في إمكانية السيطرة على دمشق[٤]. ومن خلال ما تقدم يتبين لنا ان القوات المصرية قامت بجهود كبيرة ،من اجل طرد الغزاة من خلال الحملات التي ارسلتها كما وان هذه الحملات افصحت وبشكل كبير على امكانية مصر التعبوية من الناحية المادية والرجالية ، الا ان هذه الامكانية لم تستغل بشكلها الصحيح ، وذلك لافتقارها حسب اعتقادنا الى قائد سياسي محنك،يستطيع ان يترجم هذه الجهود لخدمة القضية الاساسية.كما تعد هذه الحملة خاتمة الحملات الضخمة التي قام بها الفاطميون ضد الصليبيين في تلك الفترة ، غير ان هذا لايعني انهاء المحاولات بل ان مصر لازالت تشكل خطراً على الصليبيين في الساحل وبيت

---

[١] فوشيه: تاريخ الحملة الى القدس ، ص١٣٨. رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢، ص١٤٦.

[٢] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص١٤٩. ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠،ص٢٧٢. وعلى الرغم من خسارة القوات الاسلامية الا انها استطاعت ان تكبد الصليبيين خسائر كبيرة ، وقد اشار الى ذلك اغلب المؤرخين ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص١٤٩. ابن ميسر: اخبار مصر، ص٤١. ويذكر ابن الاثير انه لم تظهر احدى الطائفتين على الاخرى ، فقتل من المسلمين الف ومائتين ومن الفرنج مثلهم ، الكامل في التاريخ ، ج١٠، ص١٤٨. الذهبي : دول الاسلام ، ج٢، ص٢٨.

[٣] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ،ج٢، ص١٤٦.

[٤] وعلى اثر المساعدة التي قام بها طغتكين ، شرع الفرنج في بناء حصن بنواحي دمشق قرب طبرية ،من اجل منع أي محاولة قد تقوم بها دمشق في مساعدة القوات الفاطمية ، الا ان طفتكين خرج اليه فهدمه وقتل واسر من كان فيه. ابن كثير : البداية والنهاية ،ج١٢، ص١٦٥.

المقدس،ومصداق ذلك ما حدث في خريف ١١٠٦م ،عندما قامت مجموعة صغيرة من الفرسان ، بهجوم مفاجئ على المعسكر الصليبي القاطن بين يافا وارسوف، اذ تمكنوا من قتلهم عن آخرهم، ثم تابعوا خط سيرهم الى الرملة ،وتغلبوا على حاميتها ،ولما سمع حاكم يافا روجر روزدي اعد قوة كبيرة لمواجهتهم ، الا انه قد وقع في كمين لم يخلص نفسه الا بالفرار راجعاً الى يافا، بعد ان قتل اربعين من عساكره[١]ثم تابعوا خط سيرهم قاصدين بيت المقدس وفي طريقهم استولوا على قلعة صغيرة عرفت باسم cbastel Aynavd كان الغرض من تشييدها حماية الطريق المؤدي الى بيت المقدس ،وقد وقع جميع افراد حاميتها بالاسر بما فيهم قائدها قسطلان برج داود، الا انها انسحبت الى عسقلان بعد ان سمعت بتوجيه بلدوين بقواته الضخمة اليها[٢]. يبدو لنا ان هذه القوة كانت على درجة كبيرة من التنظيم ، اذ استطاعت من تحقيق ما عجزت عنه الحملات الكبرى. ثم تلى ذلك محاولات لم تكن اقل شأنا من سابقتها ، لاسيما تلك التي حدثت في سنة ١١١٠م، اذ تمكنت من التوغل حتى بلغت اسوار القدس ثم انسحبت[٣]كماوجرت في السنوات العشرة التالية غارات متفرقة الحقت اضراراً كبيرة بالصليبيين[٤]على ما يبدو ان هذه الغارات عبارةعن هجمات انتقامية رداً على ما فعله بلدوين من عبث في الاراضي الاسلامية وصفوة القول فان الحملات التي ارسلتها مصر لنجدة بلاد الشام لم تجدِ نفعاً بالرغم من تكرارها كما انها لم تطرئ أي تغيير في المنطقة، بل على العكس من ذلك اكدت الوجود الصليبي في البلاد. اذ لم تكن القوات الفاطمية بالمستوى المطلوب وهذا ما اشار به ابن تغري بردي صراحة بانها كانت هزيلة ضعيفة ،حتى انه تمنى لو انها لم ترسل[٥]اما الاسطول فلم يكن باحسن حالاً من القوات البرية نظراً لما كان يعانيه من

---

(١) فوشيه:تاريخ الحملة الى القدس، ص١٤٧.عاشور : العلاقات بين الشرق والغرب ، ص٢٤١-٢٤٥، رنسيمان : الحروب الصليبية ، ج٢، ص١٤٧.

(٢) رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢، ص١٤٧-١٤٨.

(٣) عاشور : الحركة الصليبية ، ج١، ص٢٩٧.

(٤) رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢، ص١٢٨.

(٥) النجوم الزاهرة ،ج٥، ص١٧٩.

قلة رجال ورداءة تسليح[1]وصراحة ان الاسطول المصري اثبت عجزه عن حماية المدن الساحلية لا سيما في الحملة الثانية عندما حاصرت القوات الفاطمية يافا، إذ لم يتمكن من منع السفن الصليبية فلو تسنى لهذا الاسطول منع السفن المعادية من الوصول الى الميناء ، لاضحت امكانية القضاء على الوجود الصليبي بالساحل وفلسطين في متناول الايدي ، نظراً لما تكبده الصليبيون من خسائر جسيمة عند الرملة انهكت قواهم وشتت جمعهم حتى اصبح قائدهم في حساب المفقودين .الا ان شيء من ذلك لم يحدث لعجز هذا الاسطول من القيام بدوره بسبب ضعف امكانياته وقلة تسليحه[2].

ثانيا: المقاومة في طرابلس

من المعروف ان طرابلس تعد من اهم الامارات الاسلامية القاطنة بين القدس من جهة وامارتي انطاكية والرها من جهة اخرى ، فكان لزاما على الصليبيين إذ قدر لإماراتهم البقاء أن يقوم بفتحها[3]يبدو لنا ان هذا لم يكن السبب الرئيسي في توجه الصليبيون الى طرابلس ،ذلك من جانبين الاول : ما آل اليه مصير القائد ريموند الصنجيلي ، الذي يعتبر من اغنى امراء الحملة الصليبية الاولى ،وكان المرشح لقيادتها اذ لم تمض الا سنوات قلائل حتى عاد من اقل الصليبيين اعتباراً واهمية ،

---

[1] المقريزي : خطط ، ج٣، ص٤٤.

[2] علماً من ان الافضل كانت لديه امكانية ضخمة من الاموال الا انه لم يحاول استخدامها في الجهاد ضد الوجود الصليبي وقد اشار ابن ميسر الى ضخامة امواله قائلاً ((وجد له ستة آلاف الف دينار عيناً وفي بيت الحاضر ثلاثة آلاف الف دينار وفي البيت البراني ثلاثة آلاف الف ومائتي وخمسين الف دينار وخمسين اردباً دراهم ورق وثلاثين راحلة من الذهب العراقي المعزول برسم الرقم ،وعشرة بيوت في كل بيت منها عشرة مسامير ذهب كل مسمار وزنه مائتي مثقال عليهم العام المختلفة الالوان)) اخبار مصر ، ص٥٧.ولمزيد من التفاصيل حول اموال الافضل ينظر : نفس المصدر ص٥٧–٥٨ اضف الى ذلك ماتملكه مصر من موارد. ينظر : الكندي : عمر بن محمد بن يوسف ( ) فضائل مصر ، تحقيق : ابراهيم احمد العدوي ، وعلى محمد عمر ، دار الفكر –بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٩٧١، ص٤٥.

[3] علماً ان هذا الاتجاه يمثل النظرة الصليبية ، حول تأسيس هذه الامارة . رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢، ص٩٤.

بالرغم من انه لم يكن اقل منهم طموحاً وطمعاً[١] اما الجانب الثاني : فيتمثل بموقف فخر الملك بن عمار المتردي الذي لم يحاول ان يقوم باي مناورة عسكرية تجاه الصليبيين في اثناء اجتيازهم لبلاده بل على العكس من ذلك ، إذ مكنهم من المرور في بلاده بعد ان زودهم بالمؤن والاولاد[٢] من المسائل البديهية ان بكون لهذا الموقف مردود عكسي، إذ اخذت نقطة ضعف تجاهه فاصبح مطمعاً لريموند ، لا سيما بعد اطلاعه على موارد البلاد الاقتصادية[٣]وما تتمتع به من موقع استراتيجي مهم، حيث انها تتحكم بالطريق الساحلي الممتد من اللاذقية وجبله الى بيروت[٤] وقد عاد ريموند بعد مشاركته بغزو بيت المقدس الى شمال الشام ، لا سيما بعد المضايقة التي تعرض لها من حاكم بيت المقدس جود فري[٥]وكل هذه الاسباب كانت وراء توجه ريموند الى تأسيس امارة له في طرابلس ومن اجل تحقيق هذا الهدف توجه الى القسطنطينية لطلب المساعدة من الامبراطور البيزنطي وفي اثناء ذلك وصلت حملة صليبية فأراد الاستفادة منها غير انها لقيت هزيمة كبيرة امام القوات الاسلامية في آسيا الصغرى فقام ريموند بجمع ما تشتت منها ، ومر بهم

---

[١] اتضح لنا من خلال سير الاحداث ، حيث شارك في الاستيلاء على انطاكية ومع ذلك استأثر بها بوهمند، كما ارغم على التخلي عن معرة النعمان التي فتحها وحده، واضطروه زعماء الحملة الى ترك انطرطوس وعرقة والسير معهم الى بيت المقدس ،واجبر عن التخلي عن عسقلان وارسوف.

[٢] راجع صفحة من البحث.

[٣] ذكرنا سابقاً ان ريموند بعث سفاره الى طرابلس على اثر دعوى فخر الملك بن عمار له ، فعاد سفراءه حاملين وصفاً كاملاً للبلاد وماتكتنفه من موارد وثروات.

[٤] حول اهمية موقعها مراجعة ياقوت الحموي ، معجم ، ج ،ص . لا سيما وان الطريق البديل الممتد من الشمال الى فلسطين محفوف بالمخاطر ، ذلك لمروره عبر وادي نهر الارنت ماراً بمدينة شيرز الخاضعة لبني منقذ ومدينة حماة التابعة لرضوان ومدينة حمص التي يحكمها جناح الدولة . رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢، ص٩٥.

[٥] يذكر ان بعد محاصرة الصليبيين لعسقلان لجأ اهلها الى مقاومة ريموند لتسليم اليه ، ولكن جودفردي تصدى له ومنعه من امتلاكها فرحل عنها الى ارسوف وتصدى له ايضاً باعتبارها تابعة الى بيت المقدس ، لذلك تحول ريموند الى الساحل الشمالي . ابن القلانسي:ذيل تاريخ دمشق ، ص١٣٧.

الـى ميناء السـويدية، ثـم اجتمـع بقواتـه فـي اللاذقيـة[١] ووجـه اهتمامـه اول الامـر للاستيلاء علـى المدن الساحلية لضمان مساعدة الاسطول الجنوبي لـه الذي كـان راسياً هناك، وتوجه فعلاً الى مدينة انطرطوس التي استردها فخر الملك بن عمارمن الصليبيين سنة ٤٩٣هـ فحاصرها برا وبحرا واستسلمت المدينة له بعد مقاومة عنيفة فدخلها في سنة ٤٩٥هـ / ١١٠٢م[٢] ومن هذه المدينة اعلن ريموند عن عزمه في المسير الى طرابلس لتكون قاعدة لامارته المرجوة في المستقبل[٣] وهكذا نجد اطماع ريمونـد تتحـول مـن دينيـة الـى سياسـية وماديـة. وماوصـل ريمونـد الـى نـواحي طرابلس[٤]ويذكر ابن الاثير ان عددهم كان قليلاً ، لا يتجاوز الثلاثمائة مقاتل[٥]وبعد ان علم فخر الملك بمقدمه ،قرر التصدي له ومقاومته .لذلك أرسل الى امير حمص والى دقاق امير دمشق طالباً النجدة ،وقد استجاب كل منهما له إذ ارسل دقاق الفين من فرسانه وخرج بأمر خليفة جناح الدولة على حمص بنفسه[٦] ، واجتمع الجميع على باب المدينة ،وعندما رأى ريموند صفوف المسلمين شرع في تقسيم قواته الى أربعة فرق الاولى مكونة من مائة رجل لمقاتلة اهل طرابلس ،والفرقة الثانية مكونة من مائة رجل ايضاً لمقاتلة عسكر دمشق، والفرقة الثالثة مكونة من خمسين رجل لمقاتلة عسكر حمص، واحتفظ بخمسين رجلاً لحمايته ، ويصف ابن الاثير المعركة قائلاً (فأما عسكر حمص فانهم انكسروا عند المشاهدة الاولى وولوا منهزمين وتبعهم

---

[١] علما ان تانكرد ابن اخت بوهمند القى القبض على ريموند وأجبره الى التنازل عن حقه في انطاكية واللاذقية .رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢، ص٩٦.

[٢] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ،ص١٤١. ابن الوردي : تاريخ ، ج٢، ص٢٠.

[٣] عاشور :الحركة الصليبية ،ج١، ص٣٤٥.

[٤] سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ،ج٨،ق١، ص٢. ابو الفداء : المختصر غي اخبار البشر ، ج٢، ص٢١٦. ابن خلدون : تاريخ ، ج٥،ص١٩٠.

[٥] الكامل في التاريخ ، ج١٠، ص٣٤٤.ابن الوردي : تاريخ ، ج٢، ص٢٠. يشير رنسيمان عددا كبيراً من اصحابه قد انفضوا عنه لرغبتهم بالسير الى بيت المقدس.تاريخ الحروب الصليبية ج٢، ص٩٦. عاشور : الحركة الصليبية ،ج١، ص٣٤٥.

[٦] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص١٤٠-١٤١. سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج٨، ق١، ص٢.

عسكر دمشق، وأما اهل طرابلس فانهم قاتلوا المائة الذين قاتلوهم ، فلما شاهد ذلك صنجيل حمل في المائتين الباقيتين ، فكسروا اهل طرابلس ،وقتلوا منهم سبعة آلاف رجل ونازل صنجيل طرابلس وحاصرها)[1]من الملاحظ ان رواية ابن الاثير فيها كثير من المبالغة ، لاسيما فيما يخص عدد قتلى المسلمين بالمقارنة مع ضآلة حجم قوات عدوهم، وفقاً لهذه الرواية اعتمد رنسيمان في التقدير قائلاً (كل عشرين من المسلمين يقابلهم فرنجي واحد)[2]فمن العسير جداً تأييد هذه الرواية لوجود مايناقضها وهو ما قاله ابن الاثير نفسه بان اهل طرابلس قد قتلوا المائة الثالثة. فمن المستبعد اذن ان يستطيع ريموند قتل هذه الاعداد من اهل طرابلس وهو في مائتين من فرسانه. ولكن ما يمكن تأييده انه استطاع ذلك بعد المساعدات التي وافته من اهل الجبل والسواد من النصارى الذين كانوا على مقربة من طرابلس[3] وعلى الرغم من الانتصار الذي احرزه ريموند الا انه لم يتمكن من دخول المدينة وذلك بفضل المقاومة العنيفة التي واجهته من قبل الاهالي الذين تمكنوا من الصمود امامه وقتل مايقارب الثلاثمائة من رجاله فاضطر للتراجع الى قاعدة نطرطوس[4] كما ان فشل ريموند في الاستيلاء على المدينة اكد عدم قدرته على دخولها الا عن طريق الحصار الذي قد يطول أمده وشرع ريموند فعلاً بعزلها عن البلاد المجاورة ،وذلك عن طريق مهاجمة المناطق المحيطة بها اذ هاجم سهل البقاع محاولاً الاستيلاء عليه الا ان هذه المحاولة باءت بالفشل على اثر ما أبدوه الاهالي من مقاومة كبيرة[5]وتوجه ريموند الى حمص على اثر مقتل جناح الدولة[6] مستفيداً من من

---

[1] الكامل في التاريخ ، ج١٠، ص٣٤٤. ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق ، ص١٤١.

[2] تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢، ص٩٧.

[3] ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠، ص٣٤٤.ابن الوردي : تاريخ ،ج٢، ص٢١. ابن خلدون تاريخ ، ج٥، ص١٨٦.

[4] ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠،ص٣٤٤.

[5] رنسيمان:تاريخالحروب الصليبية ، ج٢، ص٩٨. عاشور : الحركة الصليبية ، ج١، ص٣٤٦.

[6] بعد ان تعرض ريموند الى املاك جناح الدولة اعد الاخير جيشاً لملاقاته، الا انه لقي مصرعه على يد ثلاثة من الحشيشة عند خروجه من جامع حمص ،واعز الراي العام الى تدبير من قبل رضوان . ينظر : سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج٨، ق١، ص٤. ابن الوردي: تاريخ ، ج٢، ص٢٠. ابن

الاضطراب الذي حل بالمدينة ، إذ حاولت ارملة جناح الدولة من استدعاء ابنها رضوان، عارضة عليه تسليم المدينة ، غير ان مستشاري جناح الدولة رفضوا مساندتها واستدعوا دقاق لنجدتهم ، فقدم الاخير بصحبه اتابك طغتكين فتولى زمام الامور بحمص ودفع الخطر المحقق بها، ثم عهد بادارتها الى اتابكه(١) مما لا شك فيه ان هذه الاضطرابات التي اصابت المحيط الاسلامي في بلاد الشام قد سهلت لريموند الحصول على مكاسب كبيرة ما كان يحصل عليها لولا الانحلال الذي اصاب صفوف خصمه. ولما عاد ريموند الى قاعدته انطرطوس، علم ان اسطولاً أجنبياً مؤلفاً من اربعين سفينة قدم الى مراسيه في اللاذقية ، فبادر في استئجاره ليستعين به في مهاجمة طرابلس ،وتم له ذلك فعلاً الا انه لم يتمكن من دخول البلد بفعل المقاومة العنيفة التي ابداها الاهالي في الدفاع عن مدينتهم(٢) يبدو لنا ان المدينة اصبحت الهدف الرئيسي له وان الحصار عليها قد بدأ فعلاً بحيث ان ريموند لم يدخر جهداً في محاصرتها كلما سنحت له الفرصة. اما من جهة القوات الاسلامية المحاصرة داخل المدينة فلم تقف مكتوفة اليد بل كانت تشن الهجمات المضادة الواحدة تلو الاخرى بغية اضعاف الحصار المفروض عليها وقد ذكر ابن الاثير ذلك بقوله عن فخر الملك (كان يرسل اصحابه في المراكب يغيرون على البلاد التي بيد الفرنج ويقتلون من وجدوه وقصد بذلك ان يخلوا السواد ممن يزرع لتقل المواد من الفرنج فيرحلوا عنه)(٣) غير ان ريموند لم يثني من عزمه في احتلال المدينة ،وعمد على تشديد الحصار من خلال بناء قلعة ضخمة على الجبال

تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٥، ص١٦٩. يصف ابو المحاسن صاحب حمص جناح الدولة بانه (كان اميراً مجاهداً شجاعاً يباشر الحروب بنفسه) . النجوم الزاهرة ، ج٥، ص١٦٨. يقينا ان هذه الجريمة قد خلصت ريموند من الد اعدائه .كما انها تعطينا فكرة واضحة عن عمق الدسائس والمكائد التي تحيط برجال المقاومة الاسلامية في تلك الفترة.

(١) عاشور : الحركة الصليبية ، ج١، ص٣٤٧.

(٢) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٤٣. سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج٨، ق١، ص٩. ابن الوردي : تاريخ ، ج٢، ص٢١.

(٣) الكامل في التاريخ ، ج١٠، ص٣٦٦. الذهبي : دول الاسلام ، ج٣، ص٣٥٣. ابن العماد : شذرات الذهب ، ج٣، ص٤١٠.

المواجهة للمدينة[١] وقد تم له ذلك اثر المساعدات التي تلقاها من البيزنطيين[٢]اذ امدوه بمواد البناء والبنائين المهرة من قبرص ،وبعد ان اكتمل البناء انتقل اليها ريموند وشحنها بالرجال والسلاح والاموال[٣] ومع ان طرابلس اصبحت في حالة حصار دائمة الا ان الصليبيين لم يستطيعوا النيل من صمودها ولا من استحكاماتها ، بالرغم من سسيطرة ريموند على جميع الطرق البرية المؤدية اليها. وعندما فشل الصليبيون في اقتحامها توجهوا جنوباً لمهاجمة جبيل الواقعة بين طرابلس وبيروت ،ولم تستطع المدينة من الصمود بوجه الحصار الذي ضرب عليها من البر والبحر فاضطرت الى الاستسلام[٤] وقد حقق ريموند مكسباً كبيراً باستيلائه على جبيل ، اذ لم يبقى امامه سوى الاستيلاء على طرابلس ، لا سيما ان انطرسوس كانت في حوزته ، بعبارة اخرى انه وضع الاطار الخارجي لامارته في طرابلس اذ لم يبق امامه سوى الاستيلاء على عاصمة تلك الامارة .وطبقاً لذلك اصبح موقف طرابلس سيء للغاية فلم تضفر باي مساعدة فعلية من القوى الاسلامية الاخرى تعينهم على فك الحصار او تقديم المساعدات اليهم. بالمقارنة مع عدوهم الذي كان يتلقى المساعدات الواحدة تلو الاخرى من الامبراطور البيزنطي. وعلى الرغم من كل هذه الاجراءات المشددة التي اتبعتها القوات الصليبية تجاه المدينة الا انها لم تثني من عزم رجالها في التخلي عن المقاومة ، ففي سنة ٤٩٧هـ/ ١١٠٤م قام ابن عمار في ثلاثمائة من رجاله واهل البلد بهجوم مباغت على قلعة صنجيل وتمكنوا من قتل اعداد كبيرة من قواته واضرموا فيها النار وسلبوا منها المال والسلاح والشيء الكثير

---

[١] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص١٤٦. ابن الاثير :الكامل في التاريخ ، ج١٠، ص١١٤. ابن الوردي : تاريخ ،ج٢، ٢٤.

[٢] ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠، ص٤١٢. ابن خلدون : تاريخ ، ج٥، ص١٩٠. يذكر رنسيمان ان ريموند قام بطرد تنكرد من اللاذقية ارضاءاً للبيزنطيين وعلى اثر ذلك حظي بمساعدتهم له. تاريخ الحروب الصليبية ،ج٢، ص٩٩.

[٣] سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج٨، ق١، ص٩. ابن الوردي : تاريخ ، ج٢، ص٢٤.

[٤] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص١٤٣.

ثم عادوا سالمين غانمين[١] وعلى ما يبدو ان هذا الهجوم هو الذي دفع ريموند بان يعقد هدنة مع بني عمار على ان يكون للاول ظاهر طرابلس وان لا يقطع الميرة ولا يمنع المسافرين من والى المدينة[٢]كما ان هذا الهجوم كان السبب في موت ريموند حيث جاء يتفقد حصنه بعد هذه الحادثة فانخسف به وبمن معه من الفرسان سقف احد البيوت الواقفين عليها فاصابته عدة جراحات ادت بحياته وذلك في سنة ٤٩٨هـ/ ١١٠٥م[٣] وبعد وفاته آلت الحكومة الى ابن عمه وليم جوردان[٤]الذي تابع سياسة سلفه في فرض الحصار على المدينة ، كما حافظ على تحالفه مع الامبراطور البيزنطي من اجل ضمان المساعدات سواء كانت مواد تموينية ام قوات عسكرية تشترك في حصار المدينة بين فترة واخرى[٥]ويشير ابن الاثير قائلاً (ان ملك الروم امر اصحابه ليحملوا الميره الى هؤلاء الفرنج الذين على طرابلس فحملوها في البحر...)[٦]ويذكر رنسيمان ان هذه المساعدات كانت تصل اليهم عن طريق حاكم جزيرة قبرص (ابو كاثيوس فيلاوكالس)[٧] وقد حاول ابن عمار جاهداً ايقاف سبيل هذه الامدادات فإخرج اسطوله وتصدى للسفن القبرصية وجرى بين الطرفين قتالاً

[١] ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق ، ص١٤٦.ابن الوردي : تاريخ ، ج٢، ص٢٥. ابو الفداء المختصر في اهبار البشر ، ج٢، ص٢٢٠. الذهبي :دول الاسلام ، ج٢، ص١٨.

[٢] سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ،ج٨، ق١، ص١٣. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٥، ص١٧٨.

[٣] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص١٤٧. سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج٨، ق١، ص١٣. ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠، ص٤١٢. ابن الوردي : تاريخ ، ج٢، ص٢٤. الذهبي : العبر ، ج٣، ص٣٥٣. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، ج٥، ص١٨٧. ابن لعماد: شذرات الذهب ،ج٣، ص٤٠٩.

[٤] اثار وفاة ريموند مشكلة في وراثة الحكم سواء كان في تولوز ام في لبنان، إذ سبق ان ترك حكومة تولوز لابنه الاكبر ((برتراند)) الذي لم يكن من الممكن انتظار حضوره الى طرابلس. فضلاً عن انه لم يكن ابناًشرعياً لريموند، مما جعل حقه في وراثة املاك ابيه في الشام موضع نزاع، ولم يبق من ابناء ريموند الشرعيين من الكونتيسه ((الفيرا)) سوى((الفونسو جوردان)) الذي لم تمض على ولادته في قلعة ابيه الا شهور قليلة ، فكان من الطبيعي ان يختار الصليبيون قائداً لهم لديه الكفاءة والخبرة ليواصل سياسة سلفه، فاختاروا (وليم جوردان)ابن خال ريموند. رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية،ج٢،ص١٠١-١٠٢.فوشيه:تاريخ الحملة الى القدس،ص١١٤.

[٥] ابن خلدون: تاريخ ، ج٥، ص١٩٠. فوشيه : تاريخ الحملة الى القدس، ص١١٤.

[٦] الكامل في التاريخ، ج١٠ ، ص٤١٢.

[٧] تاريخ الحروب الصليبية ،ج٢، ص١٠٢ .

شديد اسفر عن هزيمة القبارصة وظفر المسلمون بإحدى سفنهم(فإخذوها واسروا من كان بها وعادوا)[١] ، إلا ان هذا لم يقف حائلاً دون مواصلة البيزنطيين في دعمهم للصليبيين بين الحين والأخر ، اما سكان المدينة فقد اخذوا يتعرضون الى شبح المجاعة فلم تعد المؤن تصل الى المدينة اذا اغلقت جميع الطرق عليهم ،لا سيما ما كانت تتلقاه المدينة من عرقة والجبل ،حيث يذكر ابن الأثير ان رجلين من الاغنياء خرجا الى الفرنج وقالا : (ان صاحبنا صادرنا فخرجنا اليكم لنكون معكم ،وذكرا لهم انه تأتيه الميرة من عرقة الجبل فجعل الفرنج جمعاً على ذلك الجانب يحفظه من دخول شيء الى البلد...)[٢] ، اما ما كانت تتلقاه المدينة من بعض السفن المصرية او من بعض الموانيء الانطاكية ،كانت تخترق الحصار ،فلم لم يعد يكفي نظراً لما كانت تحويه المدينة من اعداد ضخمة من السكان الذين احتشدوا داخل اسوارها ، فقد أرتفعت اسعار المواد الغذائية فيها حتى بلغ سعر الرطل من التمر دينار واحد من الذهب ، ما ضطر عدد كبير من السكان الى مغادرتها[٣] ، ويصف ابن الأثير حال اهل طرابلس بقوله : (كان من شدة الحصار علىاهل طرابلس من قبل الصليبيين ان ندرت الأقوات فيها ، وخشى اهلها على حرمهم واولادهم ، مما اضطر بعضهم الى الأجلاء عنها...)[٤] ، وقام فخر الملك بالعديد من الاجراءات لتخفيف من شدة معاناتهم ، حيث قام بتوزيع المؤن على العساكر والمرضى بعد ان دفع اثمانها بما فرضه من ضرائب استثنائية[٥] ، وقد اشار ابن الأثير الى ما قام به ابن عمار من دور كبير في الحفاظ على مدينته قائلاً : (وظهر من ابن عمار صبر عظيم وشجاعة ورأى سديد)[٦] ، ومضى فخر الملك في اتخاذ الخطوات التي تساعده على المقاومة لا سيما بتطبيقه الاجراءات الاقتصادية ، حيث اخذ من الاغنياء ليعطي

---

[١] ابن الأثير : الكامل في التاريخ ،ج١٠ ، ص٤١٢، ابن خلدون ،تاريخ ، ج٥، ص١٩٠.

[٢] الكامل في التاريخ ،ج١٠ ، ص٤١٢.

[٣] ابن الوردي :تاريخ ، ج٢،ص٢٥، ابن خلدون : تاريخ ، ج٥، ص١٩٠،رنسيمان :تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢، ص١٠٣.

[٤] الكامل في التاريخ ، ج١٠ ، ص٤١٢-٤١٣.

[٥] م، ن ، ج١٠ ، ص٤١٢،رنسيمان :تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢، ص١٠٣.

[٦] الكامل في التاريخ ،ج١٠ ، ص٤١٢.

الفقراء وراح يدعم جند المدينة بغية الأستمرار في صمودهم ، وفي ذلك يقول ابن الاثير : (...واجرى ابن عمار الجريات على الجند والضعفى ، فلما قلت الأموال عنده شرع يقسط على الناس ما يخرج من باب الجهاد)[١]وهذا يدل على ان ابن عمار قد فتح صندوقاً للجهاد بشكل او بآخر ، وهكذا كان اهل طرابلس يقفون وحدهم ويجاهدون الجموع الصليبية عاماً بعد عام ، اما القوى الإسلامية فلم يكن لها دوراً فعالاً في نجدتهم ، وعلى أي حال فإن ما قام به فخر الملك من تدابير لا تتعدى كونها حلاً وقتياً ،لا سيما بعد ان تخلت عنه اقرب النجدات المتمثلة بالفاطميين وطغتكين ، لذلك نلاحظ ان ابن عمار شرع بالتماس النجدة من اماكن بعيدة إذ أرسل الى سكمان بن ارتق صاحب حصن كيفا، وقد استجاب لدعواه غير ان وفاته احالت دون ذلك[٢] ، ويذكران رضوان صاحب حلب جمع خلقاً كثيراً لنصرة طرابلس ، ولكنها اصطدمت مع الصليبيين بالقرب من حصن أرتاح فأنزلوا به الهزيمة ، فرجع على اثر ذلك الى حلب[٣]، كما قام ابن عمار باعادة علاقته بطغتكين ، وعلى الرغم من قيام الأخير بجهود كبيرة في محاربة الصليبيين إلا انها لم تكن من القوة ما تعين على فك الحصار عن طرابلس[٤] ، وبعد ان تيقن ابن عمار ان لا سبيل لطرد الغزاة قرر في ربيع ٥٠١هـ/١١٠٨م ان يمضي بنفسه الى بغداد والتماس المساعدة من الخليفة العباسي المستظهر بالله (١٠٩٤-١١١٠م) والسلطان السلجوقي محمد (١١٠٤-١١١٧م) ، ووفقاً لذلك قام ابن عمار ببعض الأجراءات التي تكفل له صمود المدينة في حال غيابة عنها[٥]، فاستناب ابن عمه أبي المناقب محمد بن عبد

---

[١] م ، ن ، ج١٠ ، ص٤١٢.

[٢] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص١٤٦-١٤٧، القرماني : اخبار الدول وآثار الأول ، ج٣، ص١٥٠.

[٣] ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠ ، ص٤١٢، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٢، ص١٥٠ ، المعاضيدي : الحياة السياسية ، ص١٣٨.

[٤] ابن الأثير : الكامل في التاريخ ،ج١٠ ،ص٤٠٠.

[٥] وقد رتب ابن عمار الأجناد براً وبحراً وصرف لهم من الرواتب عن ستة اشهر قادمة تحسباً للطواريء ، وطلب من كل فرد بإن يقوم بالحفاظ على الموضع الذي يتولاه فوزع بذلك المسؤليات كل حسب مسؤليته : (بحيث ان ابن عمه لا يحتاج الى فعل شيء من ذلك) كما استحلفهم واستوثق منهم ،

الله بن عمار الملقب بشمس الخلافة ومعه وجوه اصحابه وغلمانه وخرج في خمسمائة من رجاله وحال وصوله الى بغداد حضي ابن عمار بكل مظاهر التقدير والأحترام[1]،التي يتلقاها المجاهدون عند الخليفة ، ووعد بإنفاذ جيشاً كبيراً لأنقاذ طرابلس ، إلا ان هذا الجيش كان عليه ان يقوم بأخضاع امير الموصل جاولى سقاد الذي خرج عن طاعة السلطان[2] ، يبدو ان فخر الملك أدرك ان السلطان محمد السلجوقي لم يكن في نيته التدخل لمساعدة طرابلس لذلك اضطر راجعاً ، فلما بلغ دمشق وافته انباء مفادها ان الفاطميين قد تسلموا طرابلس[3]، فتوجه الى جبلة التي لا زالت تابعه له، إلا ان تنكر اجبره على الخروج منها ليقضي باقي حياته في دمشق[4]، ومع ان الفاطميين استطاعوا من الاستيلاء على طرابلس إلا انهم لم يتمكنوا من انقاذ البلد من الخطر المحدق به ، إذ لم يكن الوالي المصري شرف المعالي بالكفائة المطلوبة لا سيما بعد تعذر وصول الامدادات اليه من قبل السلطات المصرية[5] ، ويشير ابو المحاسن الى عدم اكتراث الفاطميين بالفرنج (من كل وجه وتقاعدهم عن المسير)[6]، وفي تلك الأثناء انعقد الصلح بين القادة الصليبيين[1]

ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ،ص١٦٠، أبن الأثير : الكامل في التاريخ ،ج١٠ ، ص٤٥٢، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ،ج٨، ق١، ص٢٥.

[1] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص١٦١ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ : ج١٠ ، ص٤٥٢، ابن مسير : اخبار مصر ، ص٤٣، ابن الوردي : تاريخ ،ج٢، ص٢٧،ابن خلدون ، تاريخ ، ج٥، ص١٩٠.

[2] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص١٦١،ابن الوردي :تاريخ ،ج٢، ص٢٧، ابن خلدون :تاريخ ،ج٥،ص١٩٠.

[3] لقد اختلف المؤرخون حول عودة السيادة الفاطمية على طرابلس فيذكر ابن القلانسي ان أبا المناقب غدر بفخر الملك ابن عمار ونادى بشعار الأفضل بن امير الجيوش بمصر ،ذيل تاريخ دمشق ، ص١٦٠-١٦١،ويذكر ابن الأثير :ان اهل طرابلس ،قد ارسلوا الى أفضل امير الجيوش المصرية يلتمسون منه والياً يكون عندهم ومعه الميرة ، فسير اليهم شرف الدولة ، الكامل في التاريخ ، ج١٠ ، ص٤٥٤.

[4] سبط ، ابن الجوزي :مرآة الزمان ، ج٨، ق١ص٢٨، ابن الوردي : تاريخ ، ج٢، ص٢٧، ابن خلدون :تاريخ ، ج٥، ص١٩١، رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢، ص١٠٦.

[5] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ،ص١٦١ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠ ، ص٤٧٥.

[6] النجوم الزاهرة ، ج٥، ص .

وتقدموا بقواتهم لمحاصرة المدينة براً ، كما تم محاصرتها من جهة البحر ،لا سيما بعد المساعدات التي وافتهم من الأساطيل الجنوبية[٢] ، وبذلك اجتمعت القوى الصليبية بعد تكاتفها على حصار المدينة من اول شهر شعبان[٣] الى الحادي عشر من ذي الحجة سنة ٥٠٢هـ[٤]،استخدم الصليبيون ابراجاً من الخشب تسير على عجلات اسندوها الى سور المدينة[٥] ، وقد دافع اهلها عنها بكل عزمٍ واقتدار واستخدموا كل وسيلة تدفع عنهم هجمات الأعداء ومنها ما قام بها احد ابنائها من ابتكار طريقة لرد الأبراج الصليبية واحراقها[٦]، غيران الأبراج الصليبية قد تكاثرت على اسوار المدينة التي باتت معزولة تماماً من البر والبحر ، فضلاً عن ان واليها الفاطمي ومن معه قد طلبوا الأمان من الصليبيين فسمح لهم بالخروج من طرابلس فوصلوا الى دمشق[٧] من الطبيعي ان يكون لهذا الاستسلام دور كبيرعلى الروح المعنوية لدى اهلها لذلك تخلوا عن المقاومة وجنحوا الى طلب الامان ودخلها

---

[١] بعد ان علم بارونات تولوز بان ريموند انجب لهم ابناً شرعاً ارسلوا اليه فإصبح لزاماً على برتراند الأبن الأكبر لريموند الغير شرعي ان يبحث على مستقبل له لذلك قدم الى الشرق ليؤخذ املاك ابيه في لبنان وفق التفاق الذي تم بين اسرة ريموند ، غير ان مطالبته باملاك والده تتعارض مع مطامع تانكريد الذي رفض التنازل له عن أي جزء من انطاكية وتتعارض ايضاً مع وليم جوردان الذي رفض التنازل له عما بيده من ممتلكات ،ولمزيد من التفاصيل ينظر : فوشية : تاريخ الحملة الى القدس ، ص١١٤، رنسيمان :تاريخ الحركة الصليبية ، ج٢،ص١٠٦-١١١.

[٢] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ،ص١٦٣، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج٥، ص١٧٩، فوشية : تاريخ الحملة الى القدس ، ص١٤٥.

[٣] ويذكر ابو الفداء : ان الحصار بدء من اول شهر رمضان ، المختصر في اخبار البشر ، ج٢، ص٢٢٤.

[٤] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص١٦٣، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ،ج١٠ ، ص٤٧٥-٤٧٦، ابن خلدون :تاريخ ، ج٥، ص١٩٢.

[٥] الذهبي : دول الإسلام ،ج٢، ص٣٢.

[٦] ابن الأثير : الكامل في التاريخ ،ج١٠ ، ص٤٨٨، وقد وصف كل من ابن القلانسي وابن الاثير هذه الطريقة المبتكرة عندما ذكر حصار الصليبيين لمدينة صور سنة ٥٠٥هـ ، ذيل تاريخ دمشق ،ص١٧٩-١٨٠،الكامل في التاريخ ،ج١٠ ، ص٤٨٨-٤٨٩.

[٧] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص١٦٣، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠ ،ص٤٧٦، ابو الفداء : المختصر من اخبار البشر ،ج٢، ص٢٢٤، المقريزي : اتعاظ الحنفاء ، ج٣، ص٤٤.

الصليبيون في سنة ٥٠٢هـ[١] غير انهم غدروا بسكانها واجهزوا على كل ما يصادفهم قتلاً ونهباً وحرقاً ، حتى اتى الحريق على مكتبة بني عمار التي تعتبر من اغنى المكتبات ، فقد حل الدمار بكل ما تحتويه[٢] وهكذاسقطت مدينة طرابلس في ايدي الصليبين ،بعدان صمدت في مقاومتهم مدة تزيد على ستة اعوام ثم اقاموا بها امارة صليبية الى جانب اماراتهم في بلاد الشام[٣] وبذلك (ذهب عمارها ، واخرج عُمّارها وبقي اغمارها)[٤] وهنا يقف ابو المحاسن وقفة قصيرة ليلقى تبعية سقوط المدينة على الفاطميين ويلومهم لعدم اكتراثهم بمحاربة الصليبين ويحدد تهاونهم بثلاثة امور الاول تقاعدهم عن المسير تلك المدة الطويلة ، الثاني :ضعف العسكر المرسل مع الاسطول فلو كان قوياً لدفع الافرنج في البر عن البلد .والثالث :عدم خروج الافضل بنفسه على رأس العساكر المصرية (هذا مع قوتهم من العساكر والاموال والاسلحة)[٥] واننا نعتقد غير جازمين لو ان السلطات المصرية اتخذت اجراءاً سريعاً في تمويل طرابلس وتزويدها بالرجال والسلاح لأمكن المدينة ان تقاوم ،ولكن ما اعد من اسطول لنجدة المدينة بقى منتظراً في موانىء الدلتا لحين صدور التعليمات ، لا سيما بعد الخلاف الذي حدث بين قادته ويشير ابن الاثير الى ذلك قائلاً (وكان سبب تأخره انهم فرغوا منه ومن البحث عليه واختلفوا فيه اكثر

---

(١) ابن القلاسني : ذيل تاريخ دمشق ،ص١٦٣ ، ابن شداد :القلاق الخطيرة ، ح٢، ف٢،ص١١١، ابن تغري بردي :النحوم الزاهرة ، ح٥، ١٨٠ ،المقريزي :اتعاظ الحنفاء ،ج٣ ،ص٤٤ ، علماً ان بعض المصادر تحدد سقوط المدينة سنة ٥٥٣ هـ ،ابن الجوزي :المنتظم،ةج٩،ص١٦٣، ابن خلكان:وفيات الاعيان ، ج١،ص١٤٤ ، ابو الفداء : المختصر في اخبار البشر ،ح٢،ص٢٢٤، الذهبي : العير ، ج٤،ص٦ ،ابن خلدون :تاريخ ، ح٥، ص٨٦٦، السيوطي :تاريخ الخلفاء ، ص٤٨٢ .

(٢) ابن القلانسي :ذيل التاريخ دمشق ،ص ١٦٣ ، ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ح١٠،ص٤٧٥ – ٤٧٦ ، ابن الوردي :تاريخ ح٢،ص٢٨، ابن خلدون : تاريخ،ج٥،ص١٩٢، ابن العماد:شذرات الذهب ، ج٤،ص٦، فوشيه: تاريخ الحلة الى القدس ،ص١٤٥.

(٣) ابن الجوزي :المنتظم، ح٩،ص١٦٣،ابن ظافر : الدول المنقطعة ، ص٨٧.

(٤) الاصفهاني : خريدة القصر وجريدة العصر ، تحقيق : محمد بهجت الاثري ، بغداد ، ١٩٦٤ ، ص٧–٨.

(٥) النجوم الزاهرة : ج٥،ص١٧٩–١٨٠.

من سنة ،وسار فردته الريح فتعقد عليهم الوصول الى طرابلس ليقضى الله امراً كان مفعولاً)[1] وهكذا تسبب الخلاف على الاسطول بضعف مقاومة جند طرابلس واهلها واستنفاذ طاقاتهم القتالية ،وجاست القوات الصليبية بين اسواقها ودورها .وعلى أي حال استطاع برتزاند بن ريموند من انشاء امارة له في الشرق مؤكداً تبعيتها الى بيت المقدس بدلاً من الامبراطور البيزنطي[2] ووفقاً لذلك حقق الصليبيون ما كانوا يصبون اليه ففضلاً عما اشتهرت به هذه المدينة من ثروات كفيلة بمد الصليبين بمزيد من الإمدادات التي يحتاجونها في حروبهم القادمة فقد كفلت لهم المدينة بموقعها الاستراتيجي المهم من ربط الامارات الصليبية بين شمال الشام وجنوبه .

---

[1] ابن الاثير :الكامل في التاريخ ، ج١٠، ص٤٧٥.

[2] فوشيه : تاريخ الحلة الى القدس ، ص١٤٥، رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية ،ج٢،ص١١٥.

الفصل الثالث
بداية التوحد السياسي للجبهة الإسلامية

١- دور مودود بن التونتكين في المقاومة :-

توج الأمير مودود أميراً على الموصل على اثر المرسوم السلطاني، إذ سيره السلطان محمد السلجوقي لاخراج جاولى سقاو[١] منها فسار إليها في صفر سنة ٥٠٢هـ – ١١٠٨م فما كاد مودود يقترب منها حتى خرج جاولى متخفياً ودخلها مودود[٢]، الواقع أن مودود يستحق مثل هذا المنصب ذلك لما قام به من دور كبير في تاريخ المقاومة الإسلامية ضد الصليبيين، فقد أسهم في تكون هذا الدور ما تمتعت به شخصيته من روح متفانية في سبيل الأهداف الإسلامية الكبرى وقدرته على تزعم حركة المقاومة، وإيجاد نوع من التنسيق بين القوى الإسلامية في تلك الظروف الحرجة، من تاريخ المقاومة، واستطاعته فعلاً من إحراز النصر على الأعداء لأكثر من مرة، فلم يتردد من تلبية أي نداء أو استغاثة ضد الصليبيين، فقضى مدة حكمه القصيرة في الموصل (٥٠٢هـ – ٥٠٧هـ) في جهاد متواصل ضد الغزاة، وقد أجاد أبن تغرى بردي بوصفه لمودود بأنه (من خيار الملوك ديناً وشجاعة وخيراً)[٣].

---

[١] ظهره الخلاف بين جاولى سقاو والسلطان محمد السلجوقي بعد انضمام جاولى إلى جانب صاحب الحملة الأمير صدقة بن مزيد في صراعه مع السلطان حيث أمده بالرجال والأموال، غير ان السلطان محمد استطاع من محاصرة صدقة وقتله ونتيجة لذلك غضب السلطان من موقف جاولى، فقرر عزله عن امارة الموصل وأرسل بدلاً عنه الأمير مودود وزوده بالعساكر السلطانية فدخل الموصل بمساعدة الاهالي في صفر سنة ٥٠٢هـ، لمزيد من التفاصيل ينظر : ابن القلانس : ذيل تاريخ دمشق، ص١٥٩٨-١٦٠، الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية، ص٨٠، ابن الأثير : الباهر، ص١٧، أبو الفداء : المختصر في إخبار البشر، ج٢، ص٢٢٣، الذهبي : العبر في خبر من غبر، ج٤، ص١-٢، ابن خلدون : تاريخ، ج٥، ص٨٤.

[٢] ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٤٩٤، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص١٥٤.

[٣] النجوم الزاهرة، ج٥، ص٢٠٧.

لقد جال مودود في جهاده ضد الصليبيين ثلاث جولات :-

١- **الجولة الأولى في عام (٥٠٣هـ/١١٠٩م) .**

بعد ان استتب الأمر لمودود في الموصل، تلقى أمراً من الخليفة والسلطان السلجوقي محمد بالسير إلى قتال الصليبيين وأمدوه بالعساكر[١]، استعد مودود للجهاد وانضم إليه أمراء الأطراف في الجزيرة وهم سقمان القبطي[٢]، أمير خلاط وميا فارقين، وإيلغازى بن أرتق صاحب ماردين،وعدد غير قليل من المتطوعة[٣]، ويشر ابن القلانسي إلى ذلك قائلاً : (أجتمع المسلمون في عدد لا يقوم بلقائه جميع الفرنج)[٤]، ولما تكاملت الجموع (اتفقت الآراء على افتتاح الجهاد بقصد الرها ومضايقتها إلى إن يسهل الله افتتاحها بحكم ومنعتها)[٥]، من الواضح إن مودود أدرك خطورة أمارة الرها بحكم موقعها، إذ إنها تقع على طريق المواصلات الإسلامية التي تربط بين الموصل وحلب وبين بغداد وسلاجقة الروم في آسيا الصغرى[٦]، كما إنها تقف حائلاً تجاه أي عمل وحدوي يقوم بين العراق والشام فضلاً عن إنها تعتبر الدعامة الأمامية للأملاك الصليبية، ومنطلق جيوشهم إلى بلاد الجزيرة . فشملت غاراتهم مدينة أمد وماردين ونصيبين والرقة، فكانت بمثابة آسفين دقة الفرنج بين العراق والشام[٧]، سارت القوات الإسلامية بقيادة مودود نحو الرها، فأحاطت بها في شوال من سنة ٥٠٣/ ١١٠٩م [٨]، وعندما أحاط المسلمون بالمدينة منعوا الداخل والخارج بالمسير إليها، فاشرف من بها على

---

[١] ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٤٩٤، ابن العديم : زبدة الحلب : ج٢/ ص١٥٤.

[٢] سقمان القبطي : وهو قطب الدين سقمان بن ارتق كان مجاهداً عادلاً توفي سنة ٥٠٤هـ / ١١١٠م، ينظر : سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان : ج٨، ق١، ص٣٧، ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة، ج٥، ص٢٠١.

[٣] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص١٦٩، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص١٥٤.

[٤] ذيل تاريخ دمشق، ص١٦٩، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٤٨٥.

[٥] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص١٦٩.

[٦] ياقوت الحموى : معجم البلدان، ج٤، ص٢٣٠، ابن الشحنة : الدر المنخب، ص٢٠ .

[٧] ابن الاثير : الباهر، ص٦٧، فليب حتى : تاريخ العرب مطول، ج٣، ص٧٦٢.

[٨] سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان، ج٨، ق١، ٣١، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص١٥٤، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة، ج٥، ص١٩٩.

الهلاك وغلت بها الأسعار[١]، يبدو إن مودود اتبع سياسة تهدف إلى بورج الصليبيين تمهيداً للاستحواذ عليهم، وأمام هذا التحالف الإسلامي اضطر بلدوين دي يورج أمير الرها الى طلب النجدة من بلدوين الأول ملك بيت المقدس[٢]، مما يمكن ملاحظته ان بلدوين لم يحاول الاتصال بأقرب النجدات إليه وهو تانكرد أمير إنطاكية لفساد النيات بينهم، واتهامه إياه بتحريض المسلمين على الرها، كما إن الملك بلدوين كان منشغلاً في حصار بيروت، فلم يتحرك إلا بعد ان استولى عليها[٣]، من خلال ذلك تبين لنا أن الظروف كانت مهيأة أمام التحالف الإسلامي للاستيلاء على المدينة، قبل وصول النجدة الصليبية، منتهزين فرصة الخلافات التي كانت قائمة بين الأمراء الصليبيين، ولكن في الحقيقة إن مودود وقف عاجزاً إمام حصانة المدينة، كما أن الملك بلدوين استطاع من تكوين حلف صليبي انضم إليه عدد كبير من الأمراء، أرسل بدوره إلى تانكرد يحثه على ضرورة الانضمام إلى التحالف على اعتبار أنها معركة فاصلة بينهم وبين القوات الإسلامية[٤]، وبذلك (أتفق الفرنج كلهم وأزالوا ما كان بينهم من الشحنا، فتصافى طنكرى وبغدوين وابن صنجيل بعد النفار)[٥]، وتوالت الأنباء إلى مسامع طغتكين صاحب دمشق باجتماع كلمة الفرنج فسار هو الآخر ليلحق بالجيوش الإسلامية المحاصرة للرها[٦]، وعندما علم المسلمون باقتراب الصليبيين قرروا الرحيل عن الرها والارتداد إلى حران قاصدين في ذلك أطماع الصليبيين في مطاردتهم واستدراجهم بعيداً عن مركزهم ليتمكنوا (من لقائهم في الغفا من شرقي الفرات ورحلوا عن الرها في آخر ذي الحجة سنة ٥٠٣هـ

---

[١] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص١٦٩.

[٢] ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٤٩٤، رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص١٨٧.

[٣] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص١٨٧، العريني : الشرق الأوسط والحروب الصليبية، ج١، ص٤٤٥.

[٤] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص١٦٩، رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص١٨٧-١٨٨.

[٥] ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص١٥٤، ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة، ج٥، ص١٩٩.

[٦] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص١٦٩.

/١١٠٩م ونزلوا أرض حران على سبيل الخديعة والمكر...)[١]، وبذلك يتمكن مودود من تطويع جناحهم بعد ان ينحرف إلى الشمال[٢]، وما يمكن ملاحظة أن مودود لم يشأ ملاقات الحشود الصليبية وهو على حصار الرها فيتعرض للقتال من جهتين وعلى أي حال فإن الصليبيين فطنوا إلى هذه الخطة ورجعوا (ناكصين على الأعقاب إلى شاطئ الفرات وبلغ المسلمين خبرهم فنهضوا في أثرهم وادر كهم سرعات الخيل وقد قطع الفرات بعضهم من مقدميهم فغنم المسلمون سوادهم وأثقالهم وأتوا على العدد الاكثر من اتباعهم قتلاً و أسرا وتغريقاً في الفرات وامتلأت الأيدي من الغنائم والاسلاب والسبي والدواب)[٣].أما بقية القوات الصليبية فأنها توجهت إلي الرها تعزيزاً لوسائلها الدفاعية، اذ زودوها بكل ما تحتاج إليه من الميرة والذخائر والمقاتلين، بعد إن تعرضت لحصار دام ما يقارب ثلاثة شهور، وبعد ما أصاب ريفها من دمار خلال تلك الفترة لذلك قرروا إجلاء كل من فية عجز ضعف، من المناطق الشرقية إلى المناطق الغربية التابعة لهم[٤]، كما أن القوات الصليبية لم تلبث إن انسحبت من الرها، وذلك عندما بلغتهم أنباء تحرك رضوان صاحب حلب، لمهاجمة مواقع تابعة لإنطاكية، وتحرك الفاطميون لمهاجمة فلسطين[٥]ويعلل بعض المؤرخين انسحاب الصليبيون من الرها بحرصهم على ممتلكاتهم في الشام من هجمات المسلمين، فيقول ابن خلدون : (إن الملك رضوان صاحب حلب لما عبر الفرنج إلى الجزيرة، ارتجع

---

[١] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص١٦٩، وحتى تصل اليه قوات دمشق تحت قيادة طغتكين الذي التحق به فعلاً في عند حران، ابن العلانس : ذيل تاريخ دمشق، ص١٧٠، الشيخ : الجهاد لمقدس، ص٢٢٣.

[٢] رنسيمان : تاريخ الحروف الصليبية، ج٢، ص١٨٩.

[٣] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص١٧٠، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص١٥٤-١٥٦.

[٤] م، ن، ص١٧٠.، رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص١٨٩-١٩٠، العريني : الشرق الأوسط ولحروب الصليبية، ج١، ص٤٥٦.

[٥] ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٨، ص٢٦٠، رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص١٩٠، والعريني : الشرق الأوسط والحروب الصليبية، ج١، ص٤٥٦.

بعض الحصون التي كان الفرنج أخذها بأعمال حلب)[١]، إما بلدوين صاحب الرها فلما رأى ما حل بإمارته من خراب، حاول الانتقام من مودود، فتجهز في كتيبة من العسكر، وشن هجوماً على القوات الإسلامية، إلا انه لم يحقق شيئاً فقد أبيد أغلب عسكره حتى انه تعرض للهلاك لولا أسراع بلدوين الأول وتانكرد لإنقاذه [٢]، ومن ثمّ توجه المسلمون إلى حصار الرها إلا أن حصانة هذه المدينة وما نقله العدو إليها من مقادير تموينية أعجزت الجيش الإسلامي عن فتحها، كما ان الجيش الإسلامي قد طالت أقامته حول الرها، واخذ المسلمون يعانون مشاكل الإمداد والتموين، مما اضطرهم إلى التفرق بعد أن رتبوا قوة في حران لمحاصرتها[٣]، وهكذا تفرقت العساكر الإسلامية، بعد أن أشرفت على النجاح، فعاد بلدوين دي بورج إلى الرها ناعياً إمارته الخربة[٤]، فعلى الرغم من إن مودود لم يتمكن من تحرير هذه الأمارة إلا ان حملته أسفرت عن نتائج مهمة، من بينها حرمان الرها من مقومات القوة والازدهار المتمثلة في المزارع والضياع المنتشرة حولها، كما أدت إلى إخلاء أرض الجزيرة من الأرمن[٥]، والمسيحيين واستيلاء المسلمون عليها، و أصبحت الرها وسروج[٦]المركزان الوحيدان فيها[٧]، مهما يكن من أمر فإن هذه الحملة وان لم يتحقق الهدف المرجو

---

[١] تاريخ : ج٥، ص١٩٤، وينظر : ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص١٧٠، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص١٥٥.

[٢] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص١٩٠-١٩١.

[٣] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص١٧٠.

[٤] عاشور : الحركة الصليبية، ج١، ص٤٤٦.

[٥] يشر رنسيمان إلى الضرر الذي لحق بأمارة الرها من جراء ترحيل الأرمن قائلاً : (وما حدث من استئصال شأفة هؤلاء الأرمن الفلاحين ....أنزل بالإقليم ضربة لم ينهض منها مطلقاً)تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص١٩٠.

[٦] سروج : بلدة من ديار مضر قريبة من حران، ياقوت : معجم البلدان، ج٣، ص٢١٦.

[٧] على الرغم من احتفاظ الصليبيين بهذين المركزين إلا انهما اصبحا على حد تعبير عاشور : (ولكن هاتين القلعتين أصبحتا قائمتين وسط أرض خربة مغفرة، ليس فيها زرع ولا فرع ولا سكان) الحركة الصليبية، ج١، ص٤٤٦.

منها، إلا أنها تدل دلالة واضحة على أفاقة القوى الإسلامية، وتكوينهم تحالف إسلامي لرفع راية الجهاد، ضم معظم أمراء الشام والجزيرة، تحت قيادة موحدة، ويشر ابن القلانسي إلى أبرز هذه النتائج وهي استحكام المودة بين مودود وطغتكين صاحب دمشق واتفاقهم على متابعة الجهاد لاحقا[١].

٢- - حملة مودود الثانية : (٥٠٤هـ / ١١١٠م-١١١١م)

لقد اشتدت حاجة العالم الإسلامي إلى توحيد جبهته، لا سيما بعد عودة القوات الصليبية من حملة الإنقاذ السابقة فلم يدخروا جهداً في مضايقة المسلمين والاستيلاء على المعاقل الإسلامية فقد استولوا على صيدا في جمادى الآخرة سنة، (٥٠٤هـ / ١١١٠م) فلم يبق بأيدي المسلمين من الثغور على الساحل الشامي غير عسقلان وصور فأولهما يحكمها شمس الخلافة الذي كان هواه مع الصليبيين، أما الأخرى فكانت محاطة بالأملاك الصليبية[٢]، وغدت طرق التجارة المارة بين الشام ومصر غير آمنة حتى أصبحت الحياة الاقتصادية سيئة للغاية في هذا القسم من العالم الإسلامي ويشير ابن القلانسي إلى أن الصليبين، قد أغاروا على إحدى القوافل فحصلوا منها على أمتعة ومال ما يزيد على مائة ألف دينار وعدد غير قليل من الأسرى[٣]، كما لم تكن شمال الشام بأحسن حالاً من جنوبه فقد بسط الصليبيون سيطرتهم على كثير من القرى والحصون وانتشرت قواتهم في أعمال حلب تنهب وتحرق فأصاب الناس أضراراً كبيرة[٤]، ونتيجة لذلك هجر العديد من السكان مدنهم وقراهم واستولى صاحب إنطاكية تنكريد على الأثارب[٥]، بعدما يئس أهلها من نجدة

---

[١] ذيل تاريخ دمشق، ص١٧٠.

[٢] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص١٧١-١٧٢.

[٣] م، ن، ص١٧٢، ويصور ابن القلانسي مدى استهانة بلدوين بالمسلمين قائلاً (لم يبق في عينة منهم أمر يحفل به من جهتهم) ذيل تاريخ دمشق، ص١٧٤.

[٤] ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٤٨٢، الذهبي : العبر في خبر من غبر، ج٤، ص٧.

[٥] الأثارب : قلعة مشهورة تقع بين حلب وبين إنطاكية، تبعد عن حلب ثلاثة فراسخ، ياقوت : معجم البلدان، ج١، ص٨٩.

المسلمين، كما استولى الصليبيون على منبج وزردنا وبالس من أعمال حلب[١]، فبدلاً من ان يقوم صاحب حلب رضوان بجهاد الصليبيين والدفاع عن المواقع الإسلامية في بلاد الشام، بل على العكس من ذلك اخذ بمصالحتهم على مال يؤديه كجزية سنوية مقدارها ثلاثون ألف دينار وعشرة رؤوس من الخيل ليكفوا أذاهم عنه[٢]، فضلاً عن استجابته للباطنية وتقريبهم إليه اذ يقول ابن القلانسي(أنه أول من اظهر مذهب الباطنية في حلب والشام)[٣]، كما ضايق الصليبين قلعة شيزر حتى اضطر بنو منقذ إلى مداراتهم ودفع الجزية كبيرة تقدر بأربعة آلاف دينار سنوياً، وصالحهم صاحب حماة على ألفي دينار سنويا[٤]وعلى هذا النحو عجزوا هؤلاء الحكام وقبلوا بهذا الواقع الذي فرض عليهم من اجل الاحتفاظ بحكمهم ونتيجة لذلك صدرت روح جهادية جديدة، انبعثت من المجتمع نفسه، فكانت حركت المقاومة ضد الغزاة نابعة من الشعب العربي ذاته، فقد أعلن الثورة التجار و أصحاب الحرف، واتخذت هذه الحركة، الدعوة إلى الوحدة الإسلامية أساساً لها، إذ سار وفد من أهل حلب إلى بغداد يستصرخون الخليفة العباسي المستظهر بالله والسلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه لأعانتهم على الفرنج[٥]، وقد أقام هؤلاء بمظاهرة صاخبة لتحريك الشعور العام في بغداد، وبلغت الحماسة بالمتظاهرين لدينهم و أمتهم أن حطموا منبر الجامع السلطاني، وعطلوا صلاة الجمعة فيه، وأتوا على الجامع الخليفي وفعلوا مثل ذلك[٦]، ويذكر ابن الجوزي ان الحماسة بلغت ببعض المشايخ في بغداد وفقهائها ان غادروها

---

(١) ابن العديم:زبدة الحلب، ج٢،ص١٥٤، أبو الفداء المختصر في أخبار البشر،ج٢،ص٢٢٤-٢٢٥.

(٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص١٧١، الذهبي : دول الإسلام، ج٢، ص٣٣.

(٣) ذيل تاريخ دمشق، ص١٤٢.

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠،، ص٤٨٢، ابن الوردي : تاريخ، ج٢، ص٢٩، يعلل ابن الأثير سبب عقد هذه الاتفاقيات مع الفرنج بقوله (فعظم خوف المسلمين منهم، وبلغت القلوب الحناجر، أيقنوا باستيلاء الفرنج على سائر الشام لعدم الحامي له والمانع عنه ... فلجأ أصحاب المدن هناك الى عقد الاتفاقيات مقابل قطيعة تأخذ منهم كل سنة) الكامل في التاريخ، ج١٠، ٤٨٢.

(٥) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص١٧٣، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص١٥٧-١٥٨، ابن خلدون : تاريخ، ج٥، ص٤١٢.

(٦) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص١٧٣، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان، ج٨، ق١، ٣٤، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص١٥٧-١٥٨.

علـى نيـة الجهـاد مباشـرة حيثمـا تلحـق بهـم الأحـداث التـي سـوف يرسـلها الخليفـة والسلطان[١]، كما بين بعض أهل حلب للخليفة والسلطان سوء سياسة رضوان فيهم وتقاعسه عن الجهاد وتخاذله إمام الفرنج، وقد وصف ابن تغري بردى رضوان هذا، بأنـه كـان (قبيح السيرة ليس فـي قلبـه رأفـة ولا شفقة علـى المسلمين، وكانـت الفرنج تغاور وتسبي وتأخذ من بـاب حلب ولا يخرج إليهم)[٢]، وفـي خضم هذه الأحـداث وافق إن قدم وفد من الإمبراطور الرومـي يستنصـر الخليفة والسلطان على الفرنج في الساحل الشامي وفي ذلك يقول ابن الأثير : (ورد رسول الروم إلى السلطان يستنصره علـى الفرنج ويحثـه علـى قتالهم ودفعهم عن الـبلاد وكـان وصـوله قبـل وصـول أهـل حلب)[٣]، يشر رنسيمان أن الإمبراطور البيزنطي (أصدر إلى سفرائه تعليمات تقضـي بأن يتناقشوا مع السلطات الإسلامية في احتمال القيام بعمل مشترك ضد تانكرد)[٤]، ويـذكر ابـن القلانسـي إن الإمبراطـور اخبـر الخليفـة بأنـه لـم يسـمح بـالعبور إلـى بـلاد المسلمين وحذره من التراخي في أمرهم، وقال : (فإن طمعوا بحيث تتواصل عساكرهم و إمدادهم إلـى الـبلاد الإسـلامية احتـاج إلـى مـداراتهم و إطـلاق عبـورهم ومسـاعدتهم علـى مقاصـدهم وأغراضـهم للضـرورات القائـدة الـى ذلـك...)[٥]من الواضـح ان وفـادة الإمبراطور الرومي لم تكن محبة المسلمين، إنما أراد بذلك ضرب القوات الإسلامية بالصليبية من اجل أضعاف كـلا الجانبين ليتسنى لـه تحقيق أهدافه الاستعمارية، لا سيما بعد النزاع الذي حصل بينـه وبين الأمراء الصليبيين حول امتلاك الإمارات في السـاحل الشـامي حسـب الاتفاقيـة المبرمـة بينـه وبيـنهم، عنـدما سـمح لهـم بـالعبور إلـى بـلاد الشـام سـنة ٤٩٠هـ/١٠٩٥م وفقـاً لمـا بينـاه سـابقاً، وعلـى أي حـال فـإن الوفـادة الصليبية قد أتت آكلها فثار الناس ضد الخليفة والسلطان ونـدد المحتجون بالسلطان قائلين(أما تتقي الله تعالى أن يكون ملك الروم اكثر حمية منك بالإسلام، حتـى أرسـل

---

[١] المنتظم : ج٩، ص١٦٥، ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢، ص١٧٢.

[٢] النجوم الزاهرة، ج٥، ص٢٠٥.

[٣] الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٤٨٣.

[٤] تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص١٩٦.

[٥] ذيل تاريخ دمشق، ص١٧٣-١٧٤.

إليك في جهادهم)[1]، واستناداً إلى ذلك أوعز الخليفة إلى السلطان محمد بتوجيه العساكر إلى الشام، فأرسل السلطان إلى الأمير مودود بالسير إلي مجاهدة الصليبيين[2]، وقد سير السلطان ابنه مسعود على رأس عدداً من العساكر لمشاركة مودود في حملة الجهادية[3]كما أرسل السلطان إلى بقية أمراء الشام والجزيرة للاتفاق تحت راية مودود، فنظم إليه كل من احمد يل الكردي صاحب مراقة[4] وأبو الهيجاء صاحب أربل[5]، وسقمان القطبي صاحب خلاط وميا فارقين، والأميران ايلنكى وزنكي أبناء برسق صاحب همذان وأناب ايلفازي أبنه اياز لانشغاله بالمشاكل الداخلية لإمارته[6]، ثم انظم إليهم طغتكين صاحب دمشق بعد مراسلة السلطان له[7]، وكان مودود أول من سار بجيشه ونزل على أطراف مدينة الرها وحرر عدد من الحصون في الجزيرة وديار بكر[8]، ولما تكاملت قواته توجه إلى الرها ضارباً حولها الحصار، وبعد ان امتنعت عليه تحول إلى مهاجمة تل باشر[9]، يبدو ان صاحب الرها بلدوين دي بورج قد أدرك أن الرها غدت هدفاً رئيسياً للمودود، فأعد

---

[1] ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٤٨٣.

[2] ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص١٥٨، ابن الأثير : الباهر، ص١٨، الذهبي : العبر في خبر من غبر، ج٤، ابن خلدون : تاريخ، ج٥، ص٨٧.

[3] الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية، ص١٠٦، ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢، ص١٧٢، ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة، ج٥، ص١٩٩.

[4] مراغة : مدينة من مدن أذربيجان تقع غربي تبريز، البغدادي : مراصد الاطلاع، ج٣، ص١٣٥٠، ابو الفداء تقويم البلدان، ص٣٩٩.

[5] أربل : مدينة حصينة من أعمال الموصل، ياقوت : معجم البلدان، ج١، ص١٣٧.

[6] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص١٧٤-١٧٥، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٤٨٢-٤٩٥، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص٣٥، ابو الفداء : المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص٢٢٥، الذهبي : العبر في خبر من غبر، ج٤، ص١٠٩، ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢، ص١٨٥، ابن خلدون : تاريخ، ج٥، ص٤٩.

[7] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص١٧٥.

[8] ابن الأثير : الباهر، ص١٧، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص١٥٨.

[9] ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص١٥٨، الذهبي : العبر في خبر من غبر، ج٤، ص٩، اليافعي : مرآة الجنان، ج٣، ص١٧٧.

عدته للدفاع عنها وهذا ما أدركته فعلاً القوات الإسلامية (فرأوا أمراً محكماً قد قويت نفوس أهلها بالذخائر التي تركت عندهم وبكثرة المقاتلين عنهم ولم يجدوا فيها مطمعاً)[١]، وتضيف بعض المصادر سبباً أخر لانسحاب القوات الإسلامية من الرها وهو استنجاد أمير شيزر سلطان بن علي بن منقذ بمودود، نظراً لما تعرضت إليه امارته من تهديدات من قبل تانكرد صاحب إنطاكية الذي شرع في بناء حصن على تل معشر لمضايقة شيزر[٢]، كان لهذا النداء، فضلا عن ما لم تحصل القوات الإسلامية عند الرها من توفيق دور كبير لا قناع مودود، في التخلي عن حصار الرها، وبعد اتجاه القوات الإسلامية إلى تل باشر دمرت في طريقها كل ما مرت به من ضياع ومزارع للصليبيين[٣]، وقد ضرب المسلمون الحصار على الحصن خمسة و أربعون يوماً[٤]، وتشير بعض الروايات إن المسلمين كادوا إن يستولوا عليه (وقاتل المتطوعة ... هذا الحصن ونقبوه) إلا إن جوسلين استطاع إن يستميل احمد يل الكردي (وكان اكثر العسكر معه) وبذل اليه المال والهدايا وسأله الرحيل عن الحصن فأجابه إلى ذلك[٥]، وقد حاول باقي الأمراء ان يثنوه عن عزمه إلا انهم لم يتمكنوا فارتحل عن الحصن (على كراهية من باقي الأمراء)[٦]، ولم يمضي وقت طويل حتى استنجد رضوان صاحب حلب بمودود واستدعى قواته توحيداً لجهودها ضد المواقع الصليبية إلى ذلك يشر ابن العديم قائلاً : (وكتب رضوان إلى مودود

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٨، ص٢٦٣.

(٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص١٧٤، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص١٥٨، ويذكر ابن العديم ان تانكرد ترك محاصرة أمارة شيزر بعد أن تولت أليه إنباء توجه التحالف الإسلامي نحو المنطقة، زبدة الحلب، ج٢، ص١٥٩.

Cahen © ; lesyiadu nord a lepoque des ctoisades et la principaute fraque dantioche, paris, ١٩٤٠-p-٢٦١.

(٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص١٧٥، اليافعي : مرآة الجنان، ج٣، ص١٧٧.

(٤) ابن الأثير : الباهر : ص١٧.

(٥) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٧٥، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص٣٦، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص١٥٩.

(٦) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص١٧٥.

واحمد بل وغيرهما أنني قد تلفت أريد الخروج من حلب فبادروا إلى الرحيل)[١]، ووفقاً لذلك قرر مودود الرحيل عن تل باشر، وقد أدى احمد يل صاحب مراغة دورا كبيرا في اقناع مودود وأمراء المسلمين باتخاذ هذا القرار (فحسن أحمد يل الرحيل عنها بعد أن اشرفوا على أخذها)[٢]، وعلى أي حال ارتحلت القوات الإسلامية إلى حلب استجابة لنداء الاستغاثة من قبل صاحبها رضوان، ويبدو إن دعوة رضوان لم تكن صادقة فما إن اقتربت القوات الإسلامية من حلب حتى اقفل رضوان بوجهها الأبواب وامتنع عن الاجتماع بهم[٣]، ولم يكتفي بذلك، إذ اتخذ العديد من الإجراءات الأمنية خشية، قيام أي تظاهرة من قبل الأهالي، إذ قام باعتقال العديد من أعيانهم، واتخذهم رهان تحسباً من تواطئ أهل المدينة مع مودود وتسليم البلد إليه[٤]، كما قام باستخدام الباطنية وفريقاً من الجند لحفظ الأسوار ومنع أهل حلب من الصعود اليها، وبقيت أبواب حلب على هذه الحالة سبع وعشرين يوماً[٥]، يشر إبن القلانسي أن رضوان قد أطلق خلالها الحرامية يأخذون من ظفروا به من أطراف العسكر الإسلامي[٦]، فضلاً عن قيامه بالتحالف مع صاحب إنطاكية تنكرد ضد القوات الإسلامية[٧]، في الحقيقة

---

(١) زبدة الحلب، ج٢، ص١٥٩.

(٢) م، ن، ج٢، ص١٥٩.

(٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص١٧٥، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٣٤١، أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص٢٢٥، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص٣٦، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص١٥٩، ابن الوردي : تحفة المختصر، ج٢، ص٢٩، ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢، ص١٧٢، مؤلف مجهول، مخطوط الدر المكنون في لمآثر لما فيه من القرون، نسخه مصورة في المجمع العلمي العراقي منقولة من نسخة المكتبة الوطنية بباريس، تحت رقم ٧٣٨–ق١، الورقة ١٦٢.

(٤) ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص١٥٩.

(٥) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص١٧٥، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص١٦٠، ويشر ابن العديم أن تصرفات رضوان قد أثارت اهل حلب فأطلقوا ألسنتهم بالسب له (واشتد خوفه من الرعية ان يسلموا البلد) زبدة الحلب، ج٢، ص١٦٠ .

(٦) ذيل تاريخ دمشق : ص١٧٥.

(٧) عاشور : الحركة الصليبية، ج١، ص٤٥٠، العريني : الشرق الأوسط والحروب الصليبية، ج١، ص٤٦٠، ويعلل أحد الباحثين سبب تحالف كل من رضوان وتنكرد بقوله : (الخوف من انتزاع ألا

إن موقف رضوان هذا في غاية الغرابة، فمن المعلوم انه هو الذي طلب النجدة من الخليفة والسلطان منذ والبداية فلم يلبث أن طلبها ثانياً من مودود عند تل باشر، ان مما يمكن قوله أن رضوان قد تخوف كثيراً من التحالف الإسلامي، ورأى ان هذا التحالف يضم عدداً من الأمراء ذوو ألاغراض والمصالح المختلفة، كما انه كان يخشى نوايا السلطان نظراً لما بدء منه من تواطؤ مع الصليبيين، وتقريبه للباطنية، أضف إلى ذلك فإنه لم يبلغ به الحماس للجهاد ضد الصليبيين ما بلغه اهل حلب الذين قدموا إلى بغداد ومستنفرين، وعلى أي حال فما ان تبين لمودود موقف رضوان حتى تحرك جنوباً إلى شيزر لمهاجمة بعض المواقع الصليبية وهناك اجتمع بطغتكين صاحب دمشق الذي كان يأمل مساعده مودود في مهاجمة إمارة طرابلس، وقد رحب مودود بهذه الفكرة إلا إن صاحب دمشق ما لبث إن خاف على نفسه من هذا التحالف ويشير ابن الأثير إلى ذلك قائلاً (أطلع طغتكين على نيات فاسدة في حقه فخاف ان تؤخذ دمشق فشرع في مهادنة الفرنج سراً)[١]، وفي تلك الأثناء خرج أمير شيزر إلى مودود وطغتكين بطلب النجدة ويحرضهما على الجهاد وهون عليهما أمر الفرنج[٢]، فتحرك مودود ونزل بظاهر شيزر في ٩ربيع الاول سنة ٥٠٥هـ/ ٥ ايلول سنة ١١١١م[٣]، إما القوات الصليبية المعسكرة إمام سيزر فأنها تراجعت إلى افامية، وارسل قادها تنكرد إلى ملك بيت المقدس يطلب النجدة، واستجاب له وبعث إلى سائر الفرسان في المواقع الصليبية حتى (اجتمعوا .... بعد

قطاعات وإعادة توزيعها إذا أيد المسلمون بالشام (التحالف الإسلامي))... كل ذلك حمل رضوان وتانكرد على ان يسويا ما بينهما من مشاكل، وان يعملا على الاحتفاظ بالواق الراهن في الشام ....) العريني : الشرق الأوسط والحروب الصليبية، ج١، ص٤٦٠.

[١] الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٤٨٨، يذكر ابن العديم أن سبب المنافرة التي حصلت بين طغتكين والأمراء المسلمين انما تعود الى سعاية رضوان بينهم، حيث يقول (فراسل رضوان بعضهم حتى افسد ما بينه وبينهم، فظهره الاتابك منهم الوحشة، فسار في حملة مودود صاحب الموصل وثبت له مودود ووفى له) زبدة الحلب، ج٢، ص١٦٠.

[٢] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص١٧٧، ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٤٨٧.

[٣] ابن منقذ : الاعتبار، ص٨٨.

التباين والمنافرة والخلف وصاروا يد واحدة ولكلمة متفقة على الإسلام و أهله)[١]، وتجمعت قواتهم حتى أصبحت ستة عشر آلف فارس وراجل، كان على رأسهم ملك بيت المقدس[٢]يبدو إن مودود شعر بخطورة الموقف فلم يحاول الدخول في معركة حاسمة ضد الصليبيين، لا سيما بعد ان تبدد تحالفه، إذ مات سكمان القطبي فجأة فانسحبت عساكره حاملة جثمانه [٣]كما انسحب احمد يل الكردي بعساكره طامعاً في ممتلكات سكمان[٤] وأصيب برسق بن برسق بمرض فانفصل عائداً إلى بلاده أيضا[٥]، غير إن ما قدمه أمير شيزر من إمدادات عسكرية أدخلت السرور إلى مودود بعد ان خيب أمله أصحابه ويشر الى ذلك ابن منقذ قائلاً : (خرج من شيزر خمسة آلاف راجل معدين ففرح بهم (مودود) نفسه)[٦]، وعلى أي حال فإن مودود اقتصر في محاربته الأعداء على شن هجمات سريعة لمنع الصليبيين من الوصول إلى مياه نهر العاصي[٧]، ولذلك نرى ان الصليبين قد اعتصموا في تل معشر، فأخذ المسلمون بتضييق الخناق عليهم، وقطع الميرة عنهم وقد ذكر ابن الأثير ذلك بقوله (فضيق عليهم عسكر المسلمين الميرة ألزموهم بالقتال والفرنج يحفظون أنفسهم ولا يعطون مصافاً)[٨]، إلا أن ذلك لم يقف حائلاً من دون ان يتمكن المسلمون منهم إذ

---

[١] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص١٧٧، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص١٦١.

Ctousser , op . cit , vol .٢.p . ٤٦٨.

[٢] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص١٩٩.

[٣] الفارقي : تاريخ، ص٢٧٧، ابن الاثير : الباهر، ١٧، اليافعي : مرآة الجنان، ج٣، ص١٧٧، ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢، ص١٧٢، ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة، ج٥، ص٩٩.

[٤] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق : ص١٧٧.

[٥] ابن الأثير : الباهر، ص١٧، الذهبي : العبر في خبر من غبر، ج٤، ص٩، ابن خلدون : تاريخ، ج٥، ص٨٧، علماً إن قوات برسق بن برسق قد التحقت بالقوات الإسلامية عند تل باشر، ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص١٧٤.

[٦] الاعتبار، ص٨٩.

[٧] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص١٧٧، وقد ذكر ابن العديم هذه المناوشات بقوله (ودارت خيول المسلمين حولهم ومنعوهم الماء (والمسلمون) حول الشرائع بالقسي تمنعهم الورد) زبدة الحلب، ج٢، ص١٦١.

[٨] الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٤٨٨.

استطاعت القوات الإسلامية في ربيع الأول من سنة ٥٠٤هـ / ١١١١م من شن هجوم مفاجئ كبدت فيه القوات الصليبية عدد كبير من القتلى وأسروا (جانباً من عساكرهم وملكوا عدة من خيامهم وأثقالهم وجالوا حولهم فعادوا إلى مكانهم الذي كانوا به)[١]، تشير المصادر الصليبية ان قادة التحالف الصليبي قرروا القيام بهجوم واسع على شيزر إلا إن القوات الإسلامية انسحبت الى داخل شيزر على شكل جماعات صغيرة، مؤمّنين انسحابهم برشق الأعداء بوابل من السهام، فأضاعوا فرصة اطباق الصليبين عليهم[٢]، في الحقيقة لم تشر المصادر الإسلامية التي بين أيدينا إلى مثل هذا الهجوم، ونحن لا نعتقد حصوله مثل هذا بحكم واقع الحال، وعلى كل فإن التحالف الصليبي بقى على هذه الحالة لمدة ثلاثة أيام منقطعين، وعند انصراف المسلمين لأداء صلاة الجمعة في جامع شيزر[٣]، انتهز الصليبيون هذه الفرصة، فرحلوا قاصدين افاميه، ولما علم المسلمون بذلك أسرعوا خلفهم(فتخطفوا من أدركوه من ساقتهم)[٤]، وفي خضم هذه الأحداث، عاد مودود إلى مركز إمارته في الموصل، مؤجلاً مشروع الجهاد إلى وقت لا حق، لا سيما بعد حلول فصل الشتاء، ورحيل اكثر العساكر عنه[٥]، يبدو لنا ان المواقف السيئة من بعض الأمراء كما مر بنا، أثرت كثير في إمكانية مواصلة مودود في مشروعه الجهادي ويشرح ابن العديم السر في كل ما حدث أن بعض أمراء المسلمين وقتذاك (كانوا يريدون بقاء الفرنج ليثبت عليهم ما هم فيه)[٦]، أي يبقون على ما هم عليه من إقطاع وسلطان ومهما يكن فإن حملة مودود الثانية، تعتبر نقطة تحول في تاريخ المقاومة الإسلامية لا سيما بعد تتطلع مودود بمهاجمة الصليبيين في بلاد الشام ذاتها والى التفكير في القطع بينهم

---

[١] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ١٧٧.

[٢]Steveneon; op. Cit, p, ٩٣. Ctousset, op, cit. Vol. ١.p. ٤٧٠

[٣] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص١٧٧.

[٤] ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٤٨٧-٤٨٨، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص٣٦.

[٥] ابن الأثير : الباهر، ص١٧-١٨، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص٣٥-٣٦، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص١٦١، ابن خلدون : تاريخ، ج٥، ص٨٧-٨٨.

[٦] زبدة الحلب، ج٢، ص١٧٣.

وبين الرها وبهذا انتقل مسرح المقاومة الى الشام، أضف إلى ذلك ظهور بوادر الاتفاق على الجهاد بين زعمائها، لا سيما بين مودود وطغتكين الذين اتفقا على مهاجمة الصليبيين في طرابلس، كما انحاز إليهما أمير شيزر، وهكذا أظهرت بادره من الاتحاد بين الأمراء المسلمين بشمال العراق وبلاد الشام لأول مرة منذ مقدم الصليبيين الى الديار الإسلامية[١]، لم يدم مودود في إمارته كثيراً فلم يلبث ان توجه وحده الى الرها في ذي القعدة سنة ٥٠٥هـ/ ١١١١م، فشنت قواته في ضياعها الخراب مفسدتاً على الصليبيين مزارعهم، ماكثاً في حصارها مدة شهرين، دون ان يتمكن من تحريرها، فلما تعذرت عليه، تركها وسار الى سروج[٢]، فضربت قواته الحصار عليها، دون ان تحتاط لنفسها من احتمال قيام الصليبيين بأي هجوم مضاد، فبينما هو على هذه الحال، وإذا بجوسلين صاحب الرها وتل باشر يشن عليهم هجوماً مفاجئاً، فأخذ كثيراً من دوابهم وقتل عدداً من العساكر، فما ان تأهب مودود للقائه حتى احتمى جوسلين بسروج[٣]، ونتيجة لذلك عاد مودود الى الموصل دون ان يحقق الهدف المقصود[٤]، ما يمكن ملاحظته انه على الرغم من توجه مودود الى بلاد الشام، فإن هذا لم يصرفه كلياً عن امارة الرها .

---

[١] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص١٧٥، ١٨٤-١٨٥، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص١٦٠، العريني : الشرق الأوسط والحروب الصليبية، ج١، ص٤٦٠.

[٢] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص١٨١، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول، ص١٩٩.

[٣] ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٤٩٥، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول، ص١٩٩، ابن خلدون : تاريخ : تاريخ، ج٥، ص٨٧

[٤] ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٤٩٥.

٣- حملة مودود الثالثة : سنة ٥٠٦هـ

توجه مودود إلى الشام على اثر المكاتبة التي بعث بها طغتكين صاحب دمشق، لدفع خطر بلدوين الذي اخذ يهدد دمشق بكثرة الغارات عليها، حتى انقطعت الميرة عنها، وارتفعت أسعار المواد الغذائية ارتفاعاً باهضاً[١]، ويشر ابن الأثير إلى تلك المراسلة قائلاً (فأرسل طغتكين صاحبها (دمشق) إلى الأمير مودود يشرح له الحال ويستنجد ويحثه على سرعة الوصول)[٢]، في الحقيقة أن مودود لم يكن بحاجة الى مراسلة طغتكين والحاحه عليه، إلا ان مودود قد ساءت علاقته مع السلطان محمد السلجوقي بفعل وشابه بعض الحاسدين، على إن مودود تآمر مع طغتكين صاحب دمشق، للاستقلال عن السلطان محمد، فما إن علم مودود بذلك، حتى أرسل زوجته وابنته الى السلطان لدفع هذه التهمة عنه، وانه على الولاء والطاعة، وانه اخذ بتجهيز العساكر للجهاد ضد الصليبيين في بلاد الشام[٣]، ووفقاً لذلك توجه مودود بصحبة كل من إياز بن ايلفازي الأرتقي صاحب ماردين ونمريل صاحب سنجار[٤]، وعبرت القوات الإسلامية الفرات، في أواخر ذي القعدة سنة ٥٠٦هـ / ١١١٣م[٥]، ولما علم طغتكين بوصول عساكر مودود حتى خرج مسرعاً على رأس قواته، وانضمت أليه عساكر حمص وحماة ورفينه، وعند سليمة[٦] إلى الجنوب الشرقي من

---

(١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٣-١٨٤، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٤٩٥، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص٤١-٤٢.

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٤٩٥.

(٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٤.

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠،، ص٤٩٥، أبو الفداء المختصر، ج٢، ص٢٦٦، ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢، ص١٨٨، ابن خلدون : تاريخ، ج٥، ص١٩٥، مؤلف مجهول : الدر المكنون في المآثر الماضية من القرون، ورقة ١٦٢.

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٤٩٥، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص١٦٣، ابن العبري : تاريخ مختصر البدول، ص١٩٩، أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص٢٦٦، الذهبي : العبر في خبر من غبر، ج٤، ص١٢.

(٦) بلدة صغيرة من أعمال حماة . معجم البلدان، ج٣، ص٢٤.

حماة، التقى بمودود، واتفقا على قصد بلدوين، ثم توجها نحو طبرية[١]، ولما علم بلدوين لي بور كونت الرها بتحركات القوات الإسلامية، بادر بطلب النجدة من ملك بيت المقدس، وروجر أمير إنطاكية، وبونز أمير طرابلس، وجوسلين صاحب تل باشر، وقد استطاع مودود أن يحمل بلدوين على الهجوم[٢]، فوقع في الكمين الذي نصب له عند جسر الصنبرة[٣]، اذ تعرض إلى هزيمة فادحة ة، وقتل أعدادا كبيرة منهم[٤]، لا سيما بعد ان عمد طغتكين إلى قطع الجسر، فأصبحت القوات الصليبية في متناول أيدي المسلمين، الذي اخذوا يحدقون بهم قتلاً و آسرا، كما غرق عدد منهم في بحيرة طبرية ونهر الأردن، حتى أصيب بلدوين بجروح بليغة كانت سبباً لوفاته في العام التالي، وانهزم الصليبيون إلى طبرية بعد ان فقدوا نحو ألفين من فرسانهم، سوى ما غنمه المسلمون من أموال وكراع[٥]، وتشير بعض المصادر أن أعدادا كبيرة من القوات الصليبية، قد غرقوا في بحيرة طبرية، حتى أن مياه البحيرة أصبحت غير صالحة للشرب لعدة أيام[٦]، ويذكر أن القائد بلدوين، قد وقع في

---

[١] طبرية : بلدة مطلة على بحيرة طبرية، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام، ياقوت : معجم البلدان، ج٤، ص١٧.

[٢] يعزى أحد الباحثين مبادرة بلدوين بمهاجمة المسلمين الى الاضرار التي الحقتها القوات الصليبية بالقرى والضياع الصليبية، وانها قد أثرات بلدوين وجعلته يحمل زمام المبادرة في مهاجمة المسلمين، دون انتظار النجدات التي بعث في طلبها .

crousset : op.cit.١,٢١٠.

[٣] الصنبرة: موضع في الاردن، يبعد عن طبرية ثلاثة أيام . ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٤٢٥.

[٤] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٥، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص٤٢.

[٥][٥] ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٤٩٦، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص٤٢، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص١٦٣، أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص٢٦٦، الذهبي : دول الإسلام، ج٢، ص٣٤-٣٥، اليافعي : مرآة الجنان، ج٣، ص١٩٣، ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢، ص١٨٨، ابن خلدون : تاريخ، ج٥، ص١٩٥، ابن شاكر الكتبي : (٧٦٤هـ/١٣٦٢م) : عيون التواريخ، تحقيق : فيصل السامر، ونبيلة عبد المنعم، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٧، ج١٢، ص ١٢.

[٦] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٥، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص٤٣.

الأسر، إلا انه لم يعرف من قبل الجند المسلمين فتم إطلاق سراحه بعدما أخذ سلاحه[١]، وفي تلك الأثناء وصلت النجدات الصليبية من طرابلس وإنطاكية، تحت قيادة بونز وروجر على اثر استنجاد بلدوين لهما قبل المعركة، الأمر الذي أنقذ الجيش الصليبي من كارثة الإبادة، وقد حاول المسلمون مطاردتهم والإجهاز عليهم، إلا انهم اعتصموا بجبل غربي طبرية (وتحصنوا به لصعوبة مرتقاه)[٢]فحاصرهم المسلمون ستة وعشرين يوماً[٣]، وشدد الجيش الإسلامي الحصار عليهم و (منعوا الميرة والعلوفة عنهم، وقد احدقوا بهم كالنطاق)[٤]، على ما يبدو ان القوات الإسلامية حاولت اجبارهم إلى النزول ولكن دون جدوى، ويشر ابن الأثير إلى ذلك قائلاً (والمسلمون بإزائهم يرمونهم بالنشاب فيصيبون من يقرب منهم ومنعوا الميرة عنهم لعلهم يخرجون إلى قتالهم فلم يخرج منهم أحد)[٥]،، ووفقاً لذلك تسنى للقوات الإسلامية، حرية الحركة في مهاجمة القلاع والحصون الصليبية، المنتشرة في إقليم الجليل، حتى وصلت غاراتهم إلى بيسان، وأصبحت البلاد الواقعة بين القدس وعكا تحت سيطرتهم، وأصاب القوات الصليبية الذل والانكسار حتى جعلهم لا يجرؤن

---

[١] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٥، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٤٩٦، سبط ابن الجوزي:مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص٤٢،الذهبي:العبر في خبر من غبر،ج٤، ص١٢.

[٢] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٥، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٤٩٦، الذهبي : العبر في خبر من غبر، ج٤، ص١٢، ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢، ص١٧٣، ابن الخلدون، ج٥، ص١٩٥.

[٣] ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٤٩٦، الذهبي : دول الإسلام، ج٢، ص٣٥.

[٤] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٦.

[٥] ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٤٩٦، الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج٤، ص١٢، يشر ابن القلانسي إلى أن المسلمون عزموا على الصعود إليهم فاستدعى مودود (العرب الطائيين والكلابيين والخفاجيين فوصلوا الى خلق كثير، بالمزادات والرواية والإبل لحمل الماء وصعد الطلائع إلى الجبل من شماله وعرفوا ان هذا الجبل لا يمكن الحرب فيه لصعوبة على الفارس والراجل)، ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٥.

على مغادرة الاستحكامات والحصون(١)، إلا ان متابعة هذه الانتصارات لم تستمر، بسبب الظروف المناخية بحلول فصل الشتاء من جهة وطول مدة بعد المسلمين عن بلادهم من جهة أخرى، لذلك قرر مودود التوقف عن القتال والسماح لقواته بالعودة إلى بلادهم على أمل العودة ثانية عند حلول فصل الربيع(٢)، إما مودود فقد ذهب بصحبة طغتكين صاحب دمشق للإقامة عنده على أمل مواصلة الجهاد في ربيع سنة ٥٠٧هـ /١١١٣م(٣)، غير ان ما تم الاتفاق عليه لم يتحقق، فلم يلبث أن استشهد مودود على يد أحد الباطنية في جامع دمشق عقب خروجه من صلاة الجمعة سنة ٥٠٧ه /١١١٣م(٤)، ويشر ابن الأثير إلى ذلك قائلاً (خرج إلى صحن الجامع ويده في يد طغتكين فوثب عليه أحد الباطنية وطعنه بخنجر، فقتل الباطني واخذ رأسه فلم يتعرف عليه أحد، وكان مودود صائماً فحمل إلى دار طغتكين واجتهد به ليفطر فلم يفعل وقال:لا لقيت إلا صائماً، فمات من يومه)(٥)، يشير بعض المؤرخون الصليبيون إن هذه الحادثة كانت بفعل طغتكين، واستدلوا بذلك بإسراع

---

(١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٦، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٤٩٦، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص٤٣، الذهبي : العبر في خبر من غبر، ج٤، ص١٢، ابن خلدون : تاريخ، ج٥، ص١٩٥.

(٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٦، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٤٩٦، أبو الفداء المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص٢٢٦، الذهبي : دول الإسلام، ج٢، ص٣٥، اليافعي : مرآة الجنان، ج٣، ص١٩٣، ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢، ص١٧٢، ابن خلدون : تاريخ، ج٥، ص١٩٥.

(٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٦-١٨٧، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان، ج٨، ق١،ص٤٣، الذهبي : دول الإسلام، ج٢، ص٣٥.

(٤) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٧، الفارقي : تاريخ، ص٢٨٠، الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق، ص١٦١، ابن الجوزي : المنتظم، ج٩، ص١٦٧، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٩٧، ابو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين، ج١، ق١، ص٦٨-٦٩، ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج١، ص٢٤٢، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول، ص١٩٩، ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢، ص١٧٣.

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٤٩٧، رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص٢٠٦ .

طغتكين بقتل الجاني وإحراق جثته، دليل على رغبته في طمس معالم الجريمة وتبرئه نفسه إمام الرأي العام، نحن نعتقد أن هذا الاتهام قصد من ورائه ارباك الوضع العام لدى المسلمين وتوسيع رقعة الخلاف بينهم . أما ما استدلوا به من قيام طغتكين بقتل الجاني ودفن جثته فانه منافي للحقيقة، هذا اذا ما علمنا كم من الحرس يحيطون بهم .[١] ويشر ابن القلانسي إلى ذلك بعد أن قضيت صلاة الجمعة خرج مودود وطغتكين (أمامه على سبيل الإكرام له، وحولهما من الديلم والأتراك والخرسانية والأحداث والسلاحية بأنواع السلاح : من الصوارم المرهفة والصمامات الماضية والخناجر ما شاكل الأجمة المشبكة، والناس من حولهما لمشاهدة زيهما، فلما حصلا في صحن الجامع وثب رجل من الناس لا يؤبه له ولا يحفل به فقرب من الأمير مودود كأنه يدعوا له ويتصدق منه فقبض بيند قبائه بسرعة وضربه بخنجر أسفل سرته ضربتين إحداهما نفذت إلى خاسرته والأخرى إلى فخذه هذا والسيوف تأخذه من كل جهة وضرب بكل سلاح وقطع رأسه ليعرف شخصه فما عرف وأضرمت له ناراً فألقي فيها....)[٢]، وقد تصدى سبط ابن الجوزي لمن اتهم طغتكين بقتله قائلاً : (وذكر بعضهم أن اتابك خاف منه فوضع عليه من قتله وليس بصحيح فان طغتكين كان أحب الناس اليه وحزن عليه حزنا لم يحزنه أحد على أحد وشق ثوبه عليه وجلس في عزائه سبعة أيام وتصدق عنه بمال جزيل)[٣]، كما أننا نجد أن ابن القلانسي بنفي هذه التهمة عن طغتكين بقوله (فقلق أتابك طغتكين لوفاته على هذه القضية وتزايد حزنه وأسفه، وكذلك سائر الأجناد والرعية، وتألموا لمصابه وزاد التاسف والتلهف عليه)[٤]، ما يمكن ملاحظته ان رواية هذين المؤرخين، اكثر وجاهة من غيرهما وذلك لعدة أسباب منها أن ما حققه مودود من انتصارات تعود بالنفع بالدرجة الأولى إلى إمارة دمشق بسبب ما تعرضت له من ضغوط من جانب القوات الصليبية، أضف إلى ذلك فإن اطلاع هذين المؤرخين على مجريات الأمور اكثر من

---

[١]William of tyre , p. ٤٨٧.

[٢] ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٧.

[٣] مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص٥١.

[٤] ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٧.

غيرهما بحكم قربهما الزماني والمكاني من هذه الأحداث، كما أن عملية الاغتيال التي قام بها الباطنية لم تكن الأولى بل سبقتها اكثر من عملية اغتيال اتجاه رجال المقاومة، وسنشاهد حالات مماثلة أيضاً، وعلى أي حال فإن ما حققه مودود على صعيد حركة المقاومة عجز عنه من سبقه إلى هذا الضمار، فيعد مودود نقطة تحول في تاريخ المقاومة ضد الصليبين إذ شاهدنا كيف ارهق الصليبيين في الرها وحاصرهم اقتصادياً، وهي السياسة التي أتت أكلها لاحقاً على يد عماد الدين زنكي، ويتضح لنا أيضاً قدرته على إيقاف المد الصليبي في الشام، وعلى كل فقد عادت قوات مودود إلى بلادها بعد أن تم دفنه في مشهد داخل باب الطواويس في دمشق[١]، وحمل نمريك صاحب سنجار ما كان مع مودود من أسلحة وخزائن إلى السلطان في أواخر شهر رمضان من سنة ٥٠٧هـ ثم نقل جثمانه إلى بغداد ليدفن بجوار الأمام أبي حنيفة، قبل آن يتم نقله إلى اصبهان[٢].

٢- حملة أق سنقر البرسقي على الرها :-

بعد استشهاد مودود على يد الباطني، أرسل السلطان محمد السلجوقي بدلاً عنه جيوش بك وسير معه ابنه الملك مسعود[٣]، وفقاً للعادة المتبعة عند السلاجقة، ليكون الحاكم الاسمي لولاية الموصل والقائد الرسمي لحركة المقاومة، وعلى ما يبدو أن جيوش بك لم يكن كفوء بما انيط به من مسؤولية إذ لم يلبث السلطان إن استبدله بقسيم الدولة اق سنقر، وكتب إلى سائر الأمراء في الجزيرة بطاعته ومساعدته في جهاد الصليبيين[٤]، وانضم إلى قوات أق سنقر عدد كبير من الأمراء، كان من بينهم نمريك على رأس جيش سنجار، وأياز بن ايلغازي لقيادة جيش ماردين، واشترك في

---

[١] م، ن، ص١٨٨، الذهبي : دول الإسلام، ج٢، ص٣٥.

[٢] ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠،، ص٤٩٧.

[٣] ابن الأثير : الباهر، ص١٩، ابو شامة الروضتين، ج١، ق١، ص٦٩.

[٤] ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٥٠١، ابن واصل : مفرج الكردب، ج١، ص٢٩، أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص٢٢٧، الذهبي : دول الإسلام، ج٢، ص٣٦، ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢، ص١٧٨، ابن خلدون : تاريخ، ج٥، ص١٩٦.

هذه الحملة عماد الدين زنكي الذي كان أحد اتباع البرسقي، ووصلت هذه الحملة إلى الرها في شهر ذي الحجة من سنة ٥٠٨هـ /١١١٤م[١]، وبلغ عدد المجاهدين فيها نحو خمسة عشر ألف فارس[٢]، وقد قاتل المسلمون عليها قتالاً عنيفاً و (قتلوا من الفرنج خمسين فارساً من أعيانهم)[٣]، واستمروا في محاصرتها شهرين، إلا أنها امتنعت عليهم، لحصانتها وقله الإمدادات الإسلامية[٤]، فاضطرت القوات الإسلامية رفع الحصار عنها، ثم سارت لمهاجمة الممتلكات الصليبية الأخرى، ويشر ابن الأثير إلى ذلك قائلاً : (فرحلوا من الرها إلى سمياط بعد إن اخربوا بلده الرها وبلد سروج وبلد سمياط)[٥]، وتذكر بعض الروايات أن البرسقي رفع الحصار عن الرها بعد ان تلقى عرضاً من أرملة كواسيل الأرمني حاكم مرعش ورعبان[٦] وكيسوم[٧]، المتوفى سنة ٥٠٦هـ، ١١١٢م، والتي ارتاعت من الصليبين وأطماعهم، فأجابها البرسقي وأرسل إليها أحد قواده وهو سنقر الطويل ففرض جزية سنوية رمزاً لتبعيتهم له[٨]. ثم توجه البرسقي إلى منطقة شبختان جنوب ديار بكر، فلم يلبث أن قام بالقبض على أياز بن ايلفارى بحجة عدم اشتراك أبيع معه في الجهاد[٩]، ومن ثم توجه أق سنقر بعد ذلك إلى حصن كيفا وكان لركن الدولة داود بن سقمان، الذي بادر بالاستنجاد بعمه ايلغازي ضد البرسقي، فلبى هذا طلبه وقاتلا البرسقي وهزماه وخلص ايلغازي ابنه من الأسر[١٠]، وما أن علم السلطان محمد بنبأ هزيمة قائده

---

[١] ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٥٠١، ابن خلدون : تاريخ، ج٥، ص١٩٦.

[٢] ابن الأثير : الباهر، ص١٩، ابو شامة : الروضتين، ج١، ق١، ص٦٩، الذهبي : دول الإسلام، ج٢، ص٣٦.

[٣] ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٥٠١ .

[٤] م، ن، ج١٠، ص٥٠١.

[٥] م، ن، ج١٠، ص٥٠١.

[٦] رعبان : مدينة قرب نهر الفرات بين حلب وسمياط، ياقوت : معجم البلدان، ج٣، ٥٢.

[٧] كيسوم : قلعة من أعمال سمياط في الجزيرة، ياقوت : معجم البلدان، ج٤، ص٤٩٧.

[٨] ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٥٠١، ابن العبر ي : تاريخ مختصر الدول، ص٣٤٦، ابن خلدون : تاريخ، ج٥، ص١٩٦.

[٩] ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٥٠١٢.

[١٠] أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص٢٢٧، ابن خلدون : تاريخ، ج٥، ص١٩٦.

حتى أرسل إلى ايلغازي يهدده، فخاف ايلغازي من ذلك وأرسل إلى طغتكين للتشاور في ذلك[١]، وهكذا انتهت حملة أق سنقر دون ان تحقق شيئاً، على الرغم من الأعداد الضخمة التي قادها، إلا انه انساق وراء مطامعه، لإخضاع بعض المناوئين له باعتباره، ممثلاً للسلطنة السلجوقية في تلك الجهات، وبعد فشله توجه الى بغداد تاركاً الموصل ليقيم به الملك مسعود والأمير جيوش بك حتى سنة أربع عشر وخمسمائة[٢].

٣- حملة برسق بن برسق :-

بعد الهزيمة التي لحقت بأق سنقر البرسقي، اعد السلطان محمد حملة عسكرية جديدة، اسند قيادتها إلي برسق بن برسق صاحب همذان، وسير معه جيوش بك وابنه مسعود[٣]، واشترك في هذه الحملة نمريك صاحب سنجار وعماد الدين زنكي وغيرهم من الأمراء[٤]، ويبدو ان الهدف من هذه الحملة هو معاقبة بعض الأمراء المشكوك في ولائهم للسلطنة السلجوقية من جهة وعدم إخلاصهم في مقاتلة الصليبيين من جهة اخرى، إذ يذكر ابن الأثير بأن السلطان (أمرهم بالبداية بقتل ايلفغازي وطغتكين فإذا فرغوا منهما قصدا بلاد الفرنج وقاتلوهم)[٥]، سارت القوات

---

[١] علماً ان السلطان محمد لم يكن على وفاق مع طغتكين حيث كان يتهمه بمقتل مودود لذلك تخوف طغتكين من السلطان، وتحالف مع الفرنج، ابن منقذ : الاعتبار، ص٧٣، ابو الفداء : المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص٢٢٨، الذهبي : العبر في خبر من غبر، ج٤، ص١٧، ابن خلدون : تاريخ، ج٥، ص١٩٦.

[٢] ابن الأثير : الباهر، ص٢٠، تذكر المصادر أن البرسقي بعد هزيمة اعتزل في الرحبة، ثم قدم إلى بغداد وتولى شحنكية بغداد بعد إن تولى السلطان محمود السلطنة على اثر وفاة أبيه السلطان محمد، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٥١٤-٥١٥، ابو الفداء : المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص٢٢٩-٢٣٠.

[٣] الفارقي : تاريخ، ص٢٨٢، أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص٢٢٩، ابن خلدون : تاريخ، ج٥، ص١٩٦.

[٤] ابن منقذ : الاعتبار، ص٧٣، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٥٠٩.

[٥] الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٥٠٩، ابن الوردي : تاريخ، ج٢، ص٣٣.

الإسلامية بقيادة برسق متجهاً إلى حلب ليتخذها قاعدة تنطلق منها تحركاته تجاه الأعداء، وفي طريقه إليها دخل حماة التابعة لطغتكين، فلبث فيها ثلاثة أيام، وسلمها لقرخان صاحب حمص، وسلمه قرخان إياز بن ايلغازي(١)، ثم استولى بعد ذلك على بعض الحصون المهمة مثل كفرطاب وبزاغة(٢)، لقد أدرك كل من طغتكين وايلغازي نوايا السلطان من إرساله لهذه الحملة، فاتفقا على التصدي لها، وطلبا النجدة من روجر صاحب إنطاكية الذي بادر بالسير إليهما(٣)، كما قام روجر بالاستنجاد بملك بيت المقدس وببونز صاحب طرابلس فسارا لنجدته(٤)، ثم أعلن لؤلؤ الخادم صاحب حلب الانضمام إلى هذا التحالف ضد القوات الإسلامية(٥)، وهكذا طرأ التحول على فكرة المقاومة الإسلامية ضد الصليبيين، إذ غدا بوسع القوى الإسلامية في بلاد الشام واطراف العراق ان تتحالف مع الصليبيين ضد القوات القادمة لنجدتهم فلم يبق على الولاء للسلطة المركزية في بلاد الشام سوى الاسرة العربية الحاكمة في شيزر بني منقذ، لذلك انصرف برسق إلى شيزر للقاء بأمرائها، وفي تلك الأثناء وصلت قوات بيت المقدس في نحو خمسمائة من الفرسان وألفان من المشاة وأمير طرابلس على رأس مائتين من الفرسان ونحو ألفين من المشاة، واجتمعت القوات الصليبية والإسلامية المتحالفة في افامية(٦)، وقد التزم كلا الطرفين الإسلامي والصليبي الحذر وعدم المبادرة بأي هجوم، وعندئذ قام برسق بن برسق بسحب قواته والتظاهر بالعودة إلى الجزيرة، فانسحبت على اثر ذلك قوات بيت المقدس بقيادة بلدوين وقوات طرابلس

(١) بعد الاتفاق الذي تم بين صاحب انطاكية روجر وبين طغتكين وايلغازي، عاد كلٌ من ايلغازى وطغتكين الى بلاده، وبينما كان ايلغازى في طريق عودته خرج إليه صاحب حمص قرخان فقبض عليه وسجنه وأرسل إلى السلطان بذلك، إلا إن السلطان تأخر في القدوم إليه فإتفق مع ايلغازى على إطلاق سراحه مقابل أن يأخذ أبنه أياز بدلاً عنه كرهينة، ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص١٩١، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ٥٠٢.

(٢) ابن خلدون : تاريخ، ج٥، ص١٩٦-١٩٧.

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٥٠٩، ابن خلدون، ج٥، ص١٩٦-١٩٧.

(٤) أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص٢٢٩.

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٥٠٩.

(٦) م، ن، ص٥٠٩، ابن الوردي : تاريخ، ج٢، ص٣٣.

بقيادة بونز، فلم تلبث القوات الإسلامية بقيادة برسق من العودة والانقضاض على كفرطاب[١]، ويشر إلى ذلك أسامة بن منقذ قائلاً (فقاتل المسلمون حاميتها الصليبية واخذوا ينقبون أسوارها والفرنج قد أيقنوا بالهلاك)[٢]، ويقول ابن الأثير (فلما اشتد الحصار على الفرنج ورأوا الهلاك احرقوا أموالهم ودخل المسلمون البلد عنوة)[٣]، وبعد ذلك توجهت القوات الإسلامية إلى افاميه ولحصانتها تركوها، واتجهوا إلى معرة النعمان[٤]، غير أن هذه الانتصارات لم تستمر طويلاً فلم تلبث القوات الإسلامية، أن وقعت فريسة لغدر لؤلؤ الخادم وخيانته[٥]،وبعد أن عسكرت الجيوش الإسلامية في دانيث، وانقضت عليها الجيوش الصليبية بقيادة روجر صاحب إنطاكية وبلدوين دي بورج صاحب الرها، وكبدتها خسائر كبيرة كان ذلك في العشرين من شهر ربيع الآخر سنة ٥٠٩هـ /١١١٥م[٦]، أما الأمير برسق بن برسق قائد الحملة فقد نجى من هذه المعركة بفعل مساعدة بعض خواصه على إكراه منه والى ذلك يشر ابن الأثير قائلاً (...فأشار عليه أخوه ومن معه بالنزول والنجاة بنفسه فقال لا افعل بل

---

[١] ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص١٧٥، الذهبي : العبر في خبر من غبر، ج٤، ص١٧، ابن خلدون : تاريخ، ج٥، ص١٩٧.

[٢] الاعتبار، ص٧٣ .

[٣] الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٥٠٩، الذهبي : دول الإسلام، ج٢، ص٣٧.

[٤] م، ن، ج١٠، ص٥٠٩، ابن الوردي : تاريخ، ج٢، ص٣٣.

[٥] وقعت قوات برسق بن برسق في فخ وضعه كل من لؤلؤ خادم صاحب حلب وشمس الخواطر صاحب رفنية بالاتفاق مع روجر صاحب إنطاكية، حيث ارسل شمس الخواطر إلى برسق داعياً إياه لتسلم حصن بزاغة، و في الوقت نفسه أرسل لؤلؤ الخادم يدعوه لتسلم حلب على أن يرسل قوة تساعده في ذلك، ووفقاً لذلك أرسل برسق ثلاثة آلاف مقاتل إلى حلب، أرسل صاحب الموصل جيوشك بك إلى بزاغة وبذلك تفرقت قوات برسق بن برسق، ولمزيد من التفاصيل ينظر: ابن منقذ : الاعتبار، ص٧٦، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٥٠٩، ابن العديم: زبدة الحلب، ج٢، ص١٧٥-١٧٦.

[٦] ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص١٧٦، الذهبي : العبر في خبر من غبر، ج٤، ص١٧، ابن الوردي : تاريخ، ج٢، ص٣٣، ابن خلدون : تاريخ، ج٥، ص١٩٧، سميل : الحروب الصليبية، ١٥١.

اقتل في سبيل الله أكون فداء للمسلمين فغلبوه على رأيه فنجا هو ومن معه)[١]، وتذكر بعض الروايات ان الأمير برسق بن برسق مات بعد مدة وجيزة، كمداً وحزناً على ما أصاب المسلمين في هذه المعركة[٢]، وهكذا قدر لهذه الحملة بالفشل الذريع، وقدر لبلاد الشام أن تبقى العوبة بيد الصليبيين وبيد الطامعين من الأمراء.

٤- دور أق سنقر البر سقي الجهادى ضد الصليبيين (٥١٨-٥٢٠هـ/ ١١٢٤-١١٢٦م).

قام السلطان محمود السلجوقي بتوليه أق سنقر البر سقي على الموصل والجزيرة، وعزل جيوشك بك[٣] عنها[٤]، كما أضاف إليه إقطاعا آخر ضم سنجار وجزيرة ابن عمر، وواسط، وطلب من الأمراء الامتثال لرأيه، فسار إلى الموصل سنة ٥١٥هـ/١١٣٢م [٥]، وفي تلك الأثناء قام دبيس بن صدقه أمير الحلة بالهجوم على نواحي بغداد، فأرسل إليه أق سنقر على رأس قوات كبيرة فكبده هزائم متلاحقة[٦]، مما أدى ذلك إلى أن يلتجأ دبيس الى الصليبيين، والتعاون معهم في حصار حلب

---

[١] الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٥٠٩، ابن خلدون : تاريخ، ج٥، ص١٩٧.

[٢] م، ن، ج١٠، ص٥٠٩، م، ن، ج٥، ص١٩٧.

[٣] جاء قرار عزله بعد المواقف التي بدرت منه، منها عندما توفي السلطان محمد حاول جيوشك بك الإيقاع بين أبنائه مسعود ومحمود إذ حسن لمسعود الخروج على أخيه السلطان محمود على اعتبار انه أحق منه في السلطنة، كما قام جيوش بك بتحريض مسعود على أخيه عندما نشب الصراع بين محمود ودبيس أمير الحلة، حيث خلت بغداد من مدا فيعها، وتمكن مسعود وجيوش بك من دخولها ولكن الخليفة استطاع تسوية الخلافات بينهم، فأضاف إلى إقطاع مسعود أذربيجان، وعلى أثر ذلك عاد مسعود وجيوش بك الى بغداد، للمزيد من التفاصيل ينظر : ابن الأثير : الباهر، ص٢٢-٢٣، أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين، ج١، ق١، ص٧٢ .

[٤] ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٥٣٠، أبو شامة : الروضتين، ج١، ق١، ص٧٢، ابن الوردي : تاريخ، ج٢، ص٤٤.

[٥] ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٦٠٦، ابن الوردي : تاريخ، ج٢، ص٤٤، ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢، ص١٩٠، ابن خلدون : تاريخ، ج٥، ص١٩٩.

[٦] ابن الجوزي : المنتظم، ج٩،، ص٢٤٢-٢٤٥، أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص٢٣٦، ابن الوردي : تاريخ، ج٢، ص٤٤، ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢، ص١٩٠.

على أن يحكمها باسمهم أن مكنوه منها[١]، وهكذا اجتمعت القوات الصليبية برفقة قوات دبيس بن صدقة على حلب سنة ٥١٨هـ / ١١٢٤م التي كانت خاضعة وقت ذاك لتمرتاش بن ايلفازى بن أرتق[٢]، ولذلك لجأ أهلها إلى طلب النجدة من اق سنقر البر سقي[٣]، فلم يلبث البر سقي أن لبى نداء الاستغاثة، وجهز قواته وخرج إلى حلب، وانضم معه في هذه الحملة كل من طغتكين صاحب دمشق، وصمام الدولة خير خان صاحب حمص، وسارت الجيوش المتحالفة صوب بالس القريبة من حلب، فوصلتها في الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة ٥١٨هـ / ١١٢٤م[٤]، تشير بعض الروايات إن البر سقي أرسل من على بالس إلى حلب يطلب تسليم القلعة إلى نوابه، كي يؤمن بها ظهره في حالة انسحابه إمام القوات الصليبية المتحالفة، فأجيب على طلبه، وسلمت القلعة إلى نوابه، فما أن اطمأن البر سقي إلى وجود حماية أمنية في حالة انسحابه، حتى بدأ يزحف صوب الصليبيين المحاصرين لحلب[٥]، فما كادت

---

[١] ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٦٠٧، ابن الوردي : تاريخ، ج٢، ص٤٤.

[٢] تمرتاش : وهو حسام الدين تمرتاس بن نجم الدين بن أيلغازي صاحب ديار بكر وماردين، توفي سنة ٥٤٨هـ / ١١٥٣م، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان، ج١، ق١، ص٢١٨-٢١٩، جاء تمرتاش إلى الحكم بعد مقتل صاحب حلب بلك بن بهران بن أتق سنة ٥١٨هـ/١١٢٤م، فكان متساهلاً إزاء مطامع الصليبيين ميالاً إلى المسالمة والترف حتى انه ترك في حلب نائباً عنه وذهب هو إلى ماردين لانه يرى الشام كثيرة الحرب مع الفرنج، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٦٠٦، ويذكر ابن العديم بأن تمرتاش توجه إلى ماردين لطلب النجدة من أخيه سليمان بن ايلغازي، إلا انه وفاة وانشغاله بأملاكه صرفه عن أمر حلب، زبدة الحلب، ج٢، ص٢٢٣-٢٢٥.

[٣] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص٢١١-٢١٢، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٢٨، ابن الوردي : تاريخ، ج٢، ص٤٦، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة، ج٥، ص٢٢٨، ويذكر ابن العديم أن البرسقي كان مريضاً وقال لأهل حلب (ترون ما أنا فيه لأن من المرض، ولكن جعلت لله علي نذراً إن عافاني من مرضي هذا لبذلن جهدي في أمركم، ولذب عن بلدكم، وقتال أعدائكم)، زبدة الحلب، ج٢، ص٢٢٨.

[٤] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص٢١٢، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٢٧، ابن الوردي : ج٢، ص٤٦.

[٥] ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٦٠٧، ابو الفداء : المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص٢٤٩، الغزي : كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى الحلبي (ت ١٢٧١هـ) نهر الذهب من تاريخ حلب، المطبعة المارونية، حلب -١٩٢٦م، ج٣، ص٨٦-٨٧.

القوات الإسلامية أن تقترب من حلب حتى آثر دبيس وحلفائه الصليبيين الانسحاب بدون أي قتال والى ذلك يشر ابن القلانسي قائلاً (فلما وصل إليهم في ذي الحجة من السنة وعرف الفرنج خبره وحصوله قريباً منهم وما هم عليه من قوة وشدة الشوكة أجفلوا مولين ورحلوا منهزمين)[١]، أن البرسقي احتاط من انسحابهم فلم يحاول اللحاق بهم أو مبادرتهم بالقتال خوفاً من ان تكون خطة وضعت له، فرى من الأفضل إعادة تنظيم العساكر، وتنظيم البلد ويؤكد ابن الأثير هذا الاتجاه قائلاً (فلما اشرف عليهم رحل الفرنج عنها وهو يراهم فأراد من مقدم عسكره أن يحمل عليهم فمنعه هو بنفسه وقال قد كفينا شرهم وحفضنا بلدنا منهم والمصلحة تركهم حتى يتقرر أمر حلب وتصلح حالها ونكثر ذخائرها ثم حينئذ نقصدهم ونقاتلهم)[٢]وعلى اثر رحيل الصليبيين خرج الحلبيون إلى خيامهم فنهبوها، بينما خرج القسم الأخر لاستقبال أق سنقر وعسكره، ودخل البرسقي حلب معيداً إليها النظام بعد أن ارتبكت أوضاعها أياما عديدة فقد رفع المظالم والمكوس وألغى المصادرات وحسّن أوضاعهم الاقتصادية[٣]، وهكذا استطاع البرسقي من رفع الحصار الذي فرض على حلب، وان يزيل عنها خطر الصليبيين الذين كادوا أن يجتاحوها، وتوحيدها مع الموصل لأول مرة منذ مقدم الصليبيين، ولتكون باذرة خير في طريق المقاومة ضد الصليبيين لما تمتعت به من مزايا استراتيجية مهمة، وبعد ان رتب البرسقي أوضاع حلب خرج الى القلاع الصليبية يتخطفها، اذ هاجم في سنة ٥١٩هـ /١١٢٥م كفرطاب التي خضعت له[٤]، ثم سار بعد ذلك إلى بلدة زردنا[٥]، ثم توجه إلى قلعة عزاز[٦]، التي كانت

---

[١] ذيل تاريخ دمشق، ح٢١٢.

[٢] الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٦٠٧، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٢٩-٢٣٠ .

[٣] لمزيد من التفاصيل حول إصلاحات البرسقي في حلب ينظر : ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص٢١١-٢١٢، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٢٩-٢٣٠، ابن الوردي، تاريخ، ج٢، ص٤٦.

[٤] ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٦٠٧، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٣١، ابن الوردي : تاريخ، ج٢، ص٤٦.

[٥] زردنا : بلدة من نواحي حلب الغربية، ياقوت : معجم البلدان، ج٣، ص١٣٦.

[٦] عزاز: بلدة تقع شمال حلب، ياقوت : معجم البلدان، ج٤، ص١١٨.

تابعه لجوسلين، الذي بادر إلى طلب النجدة من المواقع الصليبية الأخرى فاجتمعت له قوات كبيرة، تمكن من خلالها إلحاق الهزيمة بقوات البرسقي الذي اغفل راجعاً الى حلب، ثم ترك ابنه مسعود نائباً عنه فيها، وعاد إلى الجزيرة، على أمل متابعة الجهاد في وقت لاحق[١]، يذكر أن البرسقي اضطر إلى عقد هدنة مع الفرنج على اثر هذه المعركة، حيث تم الاتفاق على الخراج المستمد من جبل السماق[٢]، وبعض المناطق التـي تنـازع عليهـا الفـرنج والمسـلمين ويحـتفظ المسـلمون بكفـر طـاب[٣]، غيـر أن الصليبيين كعادتهم، لم يراعوا ما تم الاتفاق عليه، إذ اخذوا يمنعون فلاحي المسلمين من جني ثمارهم ومحاصيلهم، وعلاوة على ذلك قام صاحب طرابلس بونز بمهاجمة رفنية بمساعدة بلدوين الثاني ملك بيت المقدس، فخرج شمس الخواطر طالباً النجدة مـن البرسـقي[٤]، إلا أن الحصـن قد أذعـن للصـليبيين بعد حصـار دام ثمانيـة عشـر يوماً، أضـطر خلالها ابنـه المستخلف على المدينـة إلى تسليمها للصـليبيين[٥]، والـى ذلـك يشـير ابـن العـديم قـائلاً (وخـرج شـمس الخـواطر صـاحبها طالبـاً أق سـنقر مستصرخاً بـه وسلمها اليهم ولده المستخلف فيها في اواخر صفر من سنة عشرين وخمسمائة)[٦]، وبذلك تسنى للصليبيين السيطرة على موقع يكفل لهم سلامه الاتصال بـين إنطاكيـة وبيـت المقدس، فضـلاً عـن إنهـا أصـبحت درعـاً واقيـاً لطـرابلس تجـاه ضربات القوات الإسلامية، غير إن البرسقي لم يقف متفرجاً إمام هذه التطورات، إذ

---

[١] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص٢١٠، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٦٢٨، أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص٢٣٨.

[٢] جبل السماق:هو جبل عظيم من أعمال حلب الغربية يشمل على مدن كثيرة وقرى وقلاع، ياقوت : معجم البلدان، ج٢، ص١٠٢.

[٣] ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٦٢٦، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٣١-٢٣٢، رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص٢٧٧.

[٤] ابـن العـديم : زبـدة الحلـب، ج٢، ص٢٣٢، العرينـي : الشـرق الأوسـط والحـروب الصـليبية، ج٢، ص٤٨٧.

[٥] ابـن العـديم : زبـدة الحلـب، ج٢، ص٢٣٢، رنسـيمان : تـاريخ الحـروب الصـليبية، ج٢، ص٢٧٩، العريني : الشرق الأوسط والحروب الصليبية، ج١، ص٤٨٧.

[٦] زبدة الحلب، ج٢، ص٢٣٢.

حاول استعادة رفنية من خلال ضرب الصليبين في مواقع أخرى، لذلك بادر بمهاجمة حصن الأتارب من أملاك إنطاكية، فهبت قوات بلدوين الثاني بصحبه جوسلين لدفاع عنه[1]، ونتيجة للمضايقة التي تعرض لها الصليبيين من جانب القوات الإسلامية، أرغم بلدوين على مراسلة البرسقي حول إمكانية عقد هدنه بين الطرفين، على ان يرفع المسلمون الحصار عن الاتارب، مقابل إعادة حصن رفنية إلى المسلمين، فتمت الموافقة على ذلك[2]، وعلى اثر ذلك عاد البرسقي ألي مقر إمارته في الموصل على امل مواصلة الجهاد في أوقات لاحقه، غير انه لم يلبث ان سقط شهيداً على اثر عملية اعتقال قام بها أحد الباطنية في يوم الجمعة من شهر ذي القعدة في سنة ٥٢٠هـ/١١٢٦م وهو قائم يصلي في جامع الموصل[3]، وبقتل البرسقي خسرت المقاومة الإسلامية رجلاً قد أفنى نفسه في سبيل الجهاد، أما ما يمكن ملاحظته على المقاومة الإسلامية إنها شهدت تطوراً كبيراً، لاسيما في الوحدة التي تمت بين العراق واغلب مدن الشام، لتكون النوات التي نضجت وتكاملت في عهد زنكي وابنه من بعده.

---

(١) م، ن، ج٢، ص٢٣٣.

(٢) يشر ابن العديم : أن الصليبين نقضوا الاتفاقية وقالوا (ما نصالح إلا على أن تكون إلا أماكن التي ناصفنا فيها في العام الماضي لنادون المسلمين) أي تكون المناطق بين عزاز وحلب مناصفه إلا أن البرسقي لم يقنع فأقام في حلب أياما والرسل تتردد بينهم دون نتيجة، زبدة الحلب، ج٢، ص٢٣٣-٢٣٤.

(٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ٢١٤، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٦٠٦، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص١١٦-١١٧، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٣٤، ابن الوردي : تاريخ، ج٢، ص٤٦، ابن تغرى بردى، ج٥، ص٢٣٠، وقد أفاضت المصادرة في وصف عدله وحسن سياسته، حيث يذكره ابن القلانسي قائلاً (وقد كان هذا الأمير رحمه الله سديد الطريقة جميل الاحفال، حميد الأخلاق مؤثر العدل والأنصاف كثير التدين محمود المقاصد محباً للخير وأهله مكرماً للفقهاء والصالحين فحزن الناس عليه أسفوا لفقده على هذه الحال)ذيل تاريخ دمشق، ص٢١٤، وقال عنه سبط ابن الجوزي (كان شجاعاً عادلاً في الرعية .... وكان الخلفاء والملوك يحترمونه...) مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص١١٦.

٥- جهود عماد الدين زنكي في تكوين الجبهة الإسلامية المتحدة ومقاومة الصليبيين (٥٢١هـ- ٥٤١هـ/ ١١٢٧-١١٤٦م).

استطاع الصليبيون السيطرة على أجزاء واسعة، من بلاد الشام والجزيرة، في فترة لا تزيد على عشرة اعوام (٤٨٩-٤٩٨هـ) اذ تمكنوا خلالها من إنشاء أربع إمارات، الرها، وإنطاكية، بيت المقدس، وطرابلس، التي أصبحت تشكل خطراً كبيراً على بقية المدن في تلك الجهات، نتيجة للضعف الذي أصاب الخلافة العباسية، بسبب التسلط الأجنبي، وظهور الكيانات المستقلة عنها، والتي أخذت تعمل لحسابها الخاص دون النظر في الصالح العام، حتى لو تحالفت مع الغزاة الصليبيين، وقد استغل الأعداء هذه الظروف وسعوا في توسيع رقعة الخلاف، من اجل الاستحواذ على اكبر عدد من المدن العربية، حتى غدت مملكتهم تمتد (من ناحية ماردين وشبختان إلى عريش مصر لم يتخلله من ولاية غير حلب، وحمص، وحماة، ودمشق، وكانت سرايا هم تبلغ من ديار بكر إلى أمد، فلم يبقوا على موحد ولا جاحد، ومن ديار الجزيرة إلى نصيبين ورأس العين، فاستأصلوا ما لأهلها من أثاث وعين، و أما الرقة وحران، فقد كان أهلها معهم في ذل وصغار، واستضعاف واقتسار، كل يوم قد أذاقوهم البوار، ومنعوهم القرار، والصقوا بعم الصغار، فهم ينادون بالويل والثبور، ويودون لو انهم من ساكني القبور، وانقطعت الطرق إلى دمشق إلا على الرحبة، والبر، فكان التجار والمسافرون يلقون من المخاوف، وركوب المفازة تعباً ومشقة ونصباً ...ثم زاد الأمر وعظم الشر، حتى جعلوا على كل بلد جاورهم خراجاً وإتاوة، يأخذونها منهم ليكفوا أيديهم عنهم، ....و أما حلب فإنهم اخذوا مناصفة .... و أما باقي بلاد الشام فكان حالها اشد..)[(١)]، قد يكون هذا النص طويلاً إلا أننا أوردناه هكذا لما فيه من فأدة، في توضيح، ما كانت عليه الأوضاع السياسية والعسكرية في بلاد الشام، التي حتمت على ظهور أمير قوي يتمكن من تكوين جبهة إسلامية موحدة، يكون بمقدورها القضاء على الكيانات الصليبية في المنطقة العربية، وقد قدر لعماد الدين ان يقوم بهذا الدور بعد ان ولاه السلطان محمود حكم الموصل والجزيرة،

[(١)] ابن الأثير : الباهر، ص٣٢-٣٣، أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين، ج١، ق١، ص٧٦-٧٧، ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص٩٣.

وما يفتحه في بلاد الشام[١]، وهنا يمكننا القول أن ظهور عماد الدين زنكي، في ذلك الوقت، جاء عوضاً عما فقدته الجبهة الإسلامية من رجال، حملوا راية الجهاد سنين طويلة، وأعطوا قضية المقاومة ضد الغزاة الصليبيين كل ما استطاعوا من تضحية وفداء، وبتولية زنكي بدأت صفحة جديدة في تاريخ المقاومة الإسلامية .

في الحقيقة أن توليه زنكي لم تكن عن طريق الصدفة، بل جاءت بفعل ما قام به من دور كبير في المقاومة والأحداث السياسية التي سبقت توليته، فعندما ملك كربوقا الموصل بأمر من السلطان بركيا روق سنة ٤٨٩هـ، رحل إليه زنكي بمن معه من ممالك أبيه، وبقى عنده، حتى سنة ٤٩٤هـ[٢]، فقد اشترك زنكي معه وهو لا يزال صبياً في القتال الذي جرى بينه وبين سقمان بن أرتق عند أمد[٣]، ثم دخل زنكي في رعاية الولاة الذين جاءوا بعد كربوقا بوصية من السلطان بركيا روق، واشترك معهم في مقاومة الصليبيين[٤]، لا سيما مع مودود في هجومه على طبرية سنة ٥٠٦هـ / ١١١٢م، إذ أبدى زنكي شجاعة منقطعة النظير، وذلك حسب ما يذكر ابن الأثير انه تقدم وحده نحو طبرية يطارد الفرنج إلى باب المدينة، وهو ينتظر قدوم أصحابه فيملكون البلد[٥]، وقد كافئه السلطان محمود على شجاعته ورجاحة عقله، ثم جعله على شحنكيه البصرة والكوفة سنة ٥١٦هـ[٦]، كما اظهر زنكي بطولة كبيرة في أثناء القتال الذي وقع بين الخليفة المسترشد بالله، وبين دبيس بن صدقة صاحب الحلة[٧]،

---

[١] ابن الأثير : الباهر، ص٣٤، ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج١، ص٤١٧، ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص٣٣، الذهبي : العبر في خبر من غبر، ج٤، ص٤٩.

[٢] أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين، ج١، ق١، ص٦٧، ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص٢٨.

[٣] ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٣٦٩.

[٤] ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٦٠٤، ابن خلكان، ج١، ص٤١٧، ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢، ص١٩٤، ابن خلدون : تاريخ، ج٥، ص٨٩.

[٥] الباهر : ص١٨، ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص١٠٣.

[٦] أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين، ج١، ق١، ص٧٣، ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص٣٠.

[٧] ابن الجوزي : المنتظم، ج٩، ص٢٤٢-٢٤٥، ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص٣٠، أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص٢٣٦، ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢، ص١٨٨.

ما جعله يدرك قوته، كما اخذ زنكي يتطلع بأن يكون واحداً من الأمراء، لا مجرد تابع يقاتل لحساب أمراء عديدين، ويتضح ذلك من خلال قوله (قد ضجرنا مما نحن فيه، كل يوم يملك البلد أمير، ويؤمر بالتصرف على اختياره وأرادته، فتارة نحن بالعراق وتارة بالشام، وتارة بالموصل، وتارة بالجزيرة)[١]، فلم يلبث زنكي أن عين على شحنكية بغداد سنة ٥٢١هـ/١١٢٦م[٢]، حتى غدا يصرف الأمور لا في بغداد وحدها بل كما يقول ابن واصل في سائر جهات العراق[٣]، من الطبيعي أن تكون لهذه المواقف السياسية والعسكرية دور كبير على مستقبل عماد الدين، لا سيما فيما يتعلق بالجهاد ومقاومة الصليبيين في بلاد الشام والجزيرة، واستنادا إلى ذلك اختير زنكي والياً على الموصل والجزيرة، وما يفتحه في بلاد الشام[٤].

لقد أدرك عماد الدين بفضل المواقف السابقة، أن لا سبيل إلى مقاومة الأعداء دون توحيد الجبهة الإسلامية، فبدأ أولاً بتوحيد الإمارات الصغيرة والمقربة من إمارته، والتي غالباً ما تشكل عائقاً بوجه أي عمل وحدوي، بسبب الأطماع الشخصية لدى أمرائها، والمنافسات فيما بينهم[٥]، لذلك اخذ في الاستيلاء على جزيرة ابن عمر وكان

---

[١] ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص٣٠.

[٢] ابن الأثير : الباهر، ص٣١، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول، ص٢٠٣، أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص٢٣٨.

[٣] مفرج الكروب، ج٢، ص٣١.

[٤] بعد وفاة مسعود بن البرسقي أتابك الموصل، توجه الى السلطان وفد من الأعيان يلتمسون تعين زنكي أتابكاً على الموصل، كان من بينهم صلاح الدين الياغسياني، والقاضي بهاء الدين بن شهرزوري، وعند التقاء هذين المبعوثين بوزير السلطان، وهو حينئذ انوشروان بن خالد قالا له : (أن بلاد الجزيرة والشام قد استولى الفرنج عليها وتمكنوا منها وقويت شوكتهم، وقد كان البرسقي يكف بعض عاديتهم، فمذ قتل أزداد طمعهم ... ولا بد للبلاد من شهم شجاع يذب عنها ويحمي حوزتها) ويذكر إن الوزير رفع هذا المعنى إلى السلطان فأستحسن طلبهما واستشارهما فيمن يصلح للولاية (فذكر جماعة فيهم عماد الدين زنكي وعظما محله اكثر من غيره، فمال السلطان الى توليته لما علم من شهامته وكفاية عقله لما تولاء) ابن الأثير : الباهر : ص٣٤-٣٥.

[٥] هذا بعد أن نظم أماره الموصل وأرسا قواعدها حيث جعل نصير الدين جقر على دزدارية القلعة بالموصل وعهد إليه جميع دزداريات القلاع في الجزيرة، وجعل صلاح الدين الياغيسياني حاجباً

بها أحد مماليك البرسقي[١]وانتزع من حسام الدين تمرتاش الأرتقي، نصيبين وحران[٢]، ولكي يتسنى لزنكي الاستيلاء على البلاد الشامية والجزرية، قام بعقد هدنه مؤقتة، مع جوسلين صاحب الرها وكان ذلك في سنة ٥٢١هـ /١١٢٧م[٣]، وبعد ان تمت الهدنة، شرع للسيطرة على حلب، لاتخاذها قاعدة في توسعه على حساب الممالك الصليبية في بلاد الشام، يبدو ان الظروف كانت مهيأة بأن يقوم زنكي بمشروعه الخاص بتوحيد القوى الإسلامية في العراق والشام، لا سيما بعد وفاة الأتابك عز الدين مسعود البرسقي، إذ اصبحت ميداناً للنزاع بين سليمان بن عبد الجبار الأرتقي وابراهيم بن رضوان السلجوقي، هذا فضلاً عن المحاولات التي قام بها كل من جوسلين الثاني أمير الرها، وبوهمند الثاني أمير إنطاكية للاستيلاء عليها[٤]، كما وان أهل حلب قد أرسلوا إلى زنكي مستغيثين، من هول ما يجدونه من عنت واضطهاد على أيدي القوات الصليبية التي اكتسحت حقولهم، وعاثت فيها الفساد لذلك سير عماد الدين من قبله، صلاح الدين الياغسياني، الذي تمكن من دخول قلعتها وترتيب أمورها[٥]، ولم يلبث زنكي ان لحق به، فأستولي في طريقه على بزاعة[٦]، ومنبج[٧]، من الصليبيين[١]، فلم يكد يصل إلى حلب حتى استقبله أهلها

عليها، وبهاء الدين الشهرزوري قاضي قضاة بلاده، ابن الاثير : الكامل، ج١٠، ص٦٤٥، أبو شامة : الروضتين، ج١، ق١، ص٧٦.

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٦٤٣-٦٤٤، ابو الفداء : المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص٢٣٩، ابن قاض شهبة : الكواكب الدرية، ص٩٣.

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٦٤٣-٣٤٦، ابن قاضي سهبه : الكواكب الدرية، ص٩٤.

(٣) ابن الأثير : الباهر، ص٣٧، ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص٣٦، ابن خلدون : تاريخ، ج٥، ص٢٢٤.

(٤) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص٢١٨، أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص٢٣٩، عاشور : الحركة الصليبية، ج١، ص٥٥٠-٥٥١.

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٦٥٠، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٤١ .

(٦) بزاعة:بلدة من أعمال حلب،فيها عيون وأسواق حسنة،ياقوت الحموي:معجم البلدان،ج١، ص٤٠٩.

(٧) منبج : مدينة كبيرة ذات خيرات كثيرة، بينها وبين حلب عشرة فراسخ، وهي إلى الفرات أقرب إذ تبعد ثلاث فراسخ، ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج٥، ص٢٠٥.

استقبالاً رائعاً (وأظهروا من الفرح ما لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى ... ولولا ان الله تعالى منّ على المسلمين بولاية الشهيد، لكان الفرنج قد استولوا على الشام جميعه)[٢]، وبوصول زنكي إلى حلب، أفسد على جميع أولئك الطامعين، ولاسيما وانه كان يحمل تقليداً من السلطان بحكم المدينة، وبهذه الصفة الشرعية استطاع أن يمكن لنفسه في حلب بسهوله، فدخلها سنة ٥٢٢هـ /١١٢٨م[٣]، وهكذا تعود الوحدة بين شمال الشام والجزيرة، لمتابعة حركة المقاومة الإسلامية تحت راية بطل جديد من أبطال المسلمين .

وبعد أن تيسر لزنكي الدخول إلى حلب، قام بأمرين ذات أهمية كبيرة، مما جعل ملكه في المدينة اكثر مشروعية، وإرساءه على قواعد شرعية ثابتة :-

الأول : انه تزوج من خاتون ابنة رضوان، والتي تعتبر وريثة لحقوق الأسرة السلجوقية في حلب، فانتقلت هذه الحقوق إلى الأسرة الزنكية[٤].

أما الأمر الثاني : فيتمثل بالتوجه إلى دار السلطان السلجوقي، في بغداد، الذي آثر دبيس بن صدقة عليه في حكم البلاد إلا أن الخليفة المسترشد بالله رفض ذلك، بسبب مساندة دبيس للفرنج[٥]، و أخيرا رضخ السلطان إلى منح زنكي[١]، تقليداً

---

[١] ابن الأثير : الباهر، ص٣٨، أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين، ج١، ق١، ص٧٧، ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص٣٩، ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢، ص١٩٩.

[٢] ابن الأثير : الباهر، ص٣٨.

[٣] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص٢١٨، ابن الأثير : الباهر، ص٣٨، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٤٢، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول، ص٢٠٣، أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص٢٣٩.

[٤] ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٤٤، أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين، ج١،ق١ص٣١، ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص٤٠.

[٥] كان زنكي منهمكاً في توطيد سلطانه في الموصل، وصلته أخبار تقضى بعزم السلطان محمود السلجوقي على عزله عن الجزيرة، و إقامة دبيس بن صدقة مكانه، وكان ذلك بمشورة والي خراسان السلطان سنجر بن ملكشاه، في أثناء زيارته له، وكان دبيس مقيماً عنده، هارباً من الخليفة المسترشد فعاد السلطان محمود بصحبة دبيس من اجل توليته الجزيرة، إلا انه وجد معارضة شديدة، من قبل الخليفة فتوقف السلطان عن عزل زنكي، ابن الأثير : الكامل، ج١٠، ص٦٥٤، الذهبي : دول الإسلام، ج٢، ص٣٢-٣٣، ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة، ج٥، ص٢٣٤.

بحلب والموصل والرحبة وسائر بلاد الشام، بما في ذلك البلاد التي بيد الفرنج(٢)، ووفقاً لذلك سار عماد الدين إلى ضم ما يمكن ضمه من المناطق تعزيزاً للوحدة الإسلامية، فقد تمكن من إخضاع مدينة حماة سنة ٥٢٣هـ/ ١١٢٨م(٣)، وفي تلك الأثناء، أرسلت أليس زوجة بوهمند الثاني أمير إنطاكية، إلى زنكي بعد مقتل زوجها على يد سلاجقة آسيا الصغرى، عارضة عليه طاعتها، مقابل إقرارها أميرة على إنطاكية وحمايتها من أطماع أبيها، بلدوين الثاني ملك بيت المقدس، إلا ان الرسول الذي بعثت به قد قتل على يد بلدوين، في أثناء شخوصه إلى إنطاكية، وعلى الرغم من إنها حاولت منعه من الدخول إلى المدينة إلا إنها اضطرت للرضوخ إلى طاعته(٤)، وبذلك ضاعت فرصة كبيرة من يد زنكي، لو تسنى له استقلالها لتغير محور المقاومة في الساحة الشمالية بشكل كبير، وعلى أي حال فإن زنكي قد واصل دوره في توحيد الجبهة الإسلامية، إذ تمكن من إخضاع أمراء ديار بكر إلى طاعته،

---

(١) وعندما علم زنكي بما حيك ضده تجهز وسار الى السلطان محمود في بغداد سنة ٥٢٣هـ، محملاً بالهدايا، فعاد عماد الدين بالتواقيع السلطانية إلى مقر ولايته لموصل، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٤٣، ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص٤٠.

(٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ٢٢٧، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٦٥٤، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٤٣-٢٤٤، ابن واصل : ج١، ص٤٠.

(٣) ابن الأثير : الباهر، ص٣٨، أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين، ج١، ق١، ص٧٨، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول، ص٢٠٣، ابن قاضي شهبة : الكواكب الدرية في السيرة النووية، ص٩٤.

(٤) Stevenson ; op. Cit .p. ١٢٩.

يذكر ابن العديم أن النبلاء الآتين المناهضين لحكم الأميرة أليس، قاموا بفتح أحد أبواب إنطاكية (باب القديس بولص) التي أغلقتها أليس في وجه والدها، وعن طريقه دخل الملك بقواته إلى داخل المدينة، فلم يكن أمامها خيار سوى الرضوخ إمام والدها طالبةً الرحمة، فعزلها عن الوصاية وأمر بنفيها إلى اللاذقية، بعيداً عن إنطاكية، ج٢، ص٢٤٧، لمزيد من التفاصيل حول ذلك مراجعة، الجنابي : أمارة إنطاكية، ص٢٤٩-٢٥٢.

والالتفاف حول رايته[١]، وبذلك أصبحت الظروف مهيأة لضرب الوجود الصليبي في المنطقة، لاسيما بعد ان انتهت الهدنة بينه وبين جوسلين[٢]، فبدأ بضرب اقرب المواقع الصليبية من قاعدته حلب، المتمثل بحصن الأثارب[٣]، على ما يبدو ان زنكي أراد بهجومه هذا تجنب مداهمة الفرنج لمركز قاعدة حلب، لا سيما وان هذا الحصن يقع على بعد ١٥ كيلومتر عنها، هذا فضلاً عما اشتهر به من مضايقة لفلاحي المنطقة حيث كان الصليبيون يقاسمون سكان المدينة كافة أعمالها الغربية، حتى على رحى (بظاهر باب الجنان) فعانى منه أهل البلد الكرب والضيق الشديد، لاسيما وان الصليبيين قد جمعوا فيه خيرة فرسانهم، نظراً لأهمية موقعه، ومراعاته لأهدافهم التوسعية في المنطقة[٤]، وعندما علم الصليبيون بمهاجمة زنكي لهذا الحصن، شرعوا للاستعداد له وملاقاته، ويشر ابن الأثير أنهم انقسموا إلى فريقين : فريق يرى اتخاذ أقصى الاستعدادات لملاقاته، أما الآخر : فقد هون أمره[٥]، يبدو أن الفريق الأول قد رجحت كفته وتوجهوا لملاقاته بعد أن حشدوا له قوة كبيرة، فقد أستنفر (جميع الفرسان والأجناد واحضروا من في أطراف البلاد وجمعوا الداني و القاصي واقبلوا في جموعهم المحشودة وعساكرهم المجرورة وأعلامهم المنشورة وصلبانهم وبنودهم وملوكهم وكنوزهم)[٦]، ووفقاً لهذه التطورات جمع عماد الدين قواده واستشارهم حول خطة المعركة، فأشاروا عليه بترك الحصار والانسحاب[٧]، يبدو ان

---

[١] ابن الأثير : الباهر، ص٣٩، يذكر ابن الأثير : أن تمرتاش بن ايلغازى أمير حصن كيفا و أمراء ديار بكر اعدوا جيشاً ضخماً لمواجهة زنكي، إلا انهم تعرضوا الى هزيمة كبيرة في المعركة التي دارت بينهم وبين نصيبين وماردين، الكامل، ج١٠، ص٤٦٧.

[٢] يذكر رنسيمان : أن مدة الهدنة مع جوسلين كانت سنتين، ج٢، ص٢٩١.

[٣] ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٦٦٢، ابو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين، ج١، ق١، ص٧٨.

[٤] ابن الأثير : الباهر، ص٣٩، أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين، ج١، ق١، ص٧٨، أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر، ج٣، ص٣-٤، ابن خلدون : تاريخ، ج٥، ص٢٢٥-٢٢٦، ابن قاضي شهبه : الكواكب الدرية، ص٩٧.

[٥] الباهر، ص٣٩-٤٠.

[٦] ابن الأثير : الباهر، ص٤٠.

[٧] ابن الأثير : الكامل، ج١٠، ص٤٦٦.

جند زنكي و أصحابه تخوفوا من ملاقاة ذلك الجمع من الأعداء في مقامهم هذا، متعللين لـه (أن لقاء الفرنج في بلادهم خطر لا يدري على أي شيء تكون العاقبة)[١]، الواقع ان هذا الرأي له ما يؤيده ذلك لأن القوات الإسلامية في مقامها هذا، يعرضها للخطر من ناحيتين، الأولى من ناحية الحصن، المجموع فيه أعداد كبيرة من الفرسان كما أشرنا، أما الناحية الثانية، فتتمثل بالجموع الصليبية الكبيرة القادمة لنجدة الحصن، وبحكم ذلك تصبح القوات الإسلامية بين فكي رحى قد يعرضها إلى الإبادة .

ووفقاً لذلك تقرر الانسحاب بعيداً عن الحصن لملاقاة العدو، فشرع زنكي باستحثاث همم قواته قائلاً: (هذا أول مطاف عملناه معهم، فلنذقهم من بأسنا، ما يبقي رعبه في قلوبهم، ففعلوا ذلك) ويذكر أيضا بأن (الفرنج متى رئونا قد عدنا من بين أيديهم، طمعوا وساروا في أثرنا، وضربوا بلادنا، ولا بد من لقائهم على كل حال)[٢]، وبهذا الشعور سارت القوات الإسلامية لملاقاة الصليبين، وعلى اثر معركة حامية الوطيس جرت بين الطرفين، تكبد خلالها الغزاة خسارة فادحة، إذ قتل أعداد كبيرة من فرسانهم[٣]، فلم ينج منهم إلا من هرب أثناء الليل أو اختفى بين القتلى[٤]، وعلى اثر هذا الانتصار توجه الجيش الإسلامي إلى الحصن، لإتمام فتحه عنوةً، بعد أن تم قتل وتأسير أفراد حاميته ثم أمر بتخريبه[٥]، بغية عدم انتفاع الصليبيين منه مستقبلاً، مما لا شك فيه ان استيلاء زنكي على حصن الأتارب، قد خفف كثيراً من الضغط الصليبي على حلب، كما جعل أهل المدينة اكثر استقراراً، ومن النتائج

---

[١] م، ن، ج١٠، ص٤٦٦.

[٢] ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٤٦٦-٤٦٧.

[٣] ابن الأثير : الباهر، ص٣٩، أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين، ج١، ق١، ص٧٨، أبو الفداء : المختصر في إخبار البشر، ج٣، ص٣-٤، ابن خلدون : تاريخ، ج٥، ص٢٢٦، ابن قاضي شهبة : الكواكب الدرية، ص٩٧، الغزى : نهر الذهب، ج٣، ص١٨٩.

[٤] ابن الأثير : الباهر، ص٤١.

[٥] ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٥٩، أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين، ج١، ق١، ص٧٨، أبو الفداء المختصر في أخبار البشر، ج٣، ص٤، ابن الوردي، تتمة المختصر، ج٢، ص٣٥، ابن خلدون : تاريخ، ج٥، ص٢٢٦، الغزى : نهر الذهب، ج٣، ص١٨٩.

الهامة المترتبة على هذا الانتصار، هو أدراك الصليبيون، ان عليهم مجابهة قوة جديدة لم تكن لهم بالحسبان مما جعلهم يتقهقرون من الموقف الهجومي إلى الموقف الدفاعي، بعد أن (طمعوا في ملك الجميع)[1]، أضف إلى ذلك فإن ما تحقق من انتصار، رفع الروح المعنوية لدى الجيش الإسلامي وجعله يمضي قدماً لتحرير المدن الإسلامية من الوجود الصليبي، وبعد هذا الانتصار توجه عماد الدين نحو حصن حارم بالقرب من إنطاكية، وضرب عليه الحصار، فهادنه أهلها على نصف دخلهم، ثم رحل عنها[2]، وبعد ذلك رجع زنكي إلى بلاد الجزيرة، لأ تمام مشوار الوحدة، إذ تمكن من إخضاع كل من

---

[1] ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٨، ص٣٣١.

[2] ابن الأثير : الباهر، ص٤١-٤٢.

سرجه[١]، ودارا[٢]، من تلك البلاد[٣]، ثم توجه في سنة ٥٢٨هـ/ ١١٣٣م، إلى إخضاع، الشوش[٤]، والعقر[٥]، وغيرها من قلاع الأكراد الحميدية[٦]، كما اخضع قلاع الأكراد الهكارية وكواشي[٧] [٨]، غير ان زنكي استأنف دوره الجهادي ثانياً ضد المواقع الصليبية في بلاد الشام، ففي سنة ٥٢٩هـ/ ١١٣٤م هاجم بعض الحصون التي كانت غالباً ما تشكل تهديداً للقاعدة في حلب، وتمكن من الاستيلاء عليها وهي حصن زردنا، معر النعمان، تل اغدي[٩]، وكفرطاب[١٠]، وباستيلاء زنكي على هذه المواقع، أصبحت إنطاكية معرضة لضربات القوات الإسلامية على اساس إنها تمثل

---

[١] سرجه : حصن على شاطئ الفرات، على مقربة من سمياط، ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج٣، ص٢٠٧.

[٢] دارا : بلدة من بلاد الجزيرة ذات بساتين ومياه جارية، تقع بين نصيبين وماردين، ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج٢، ص٤١٨.

[٣] ابن الأثير : الباهر، ص٣٩، أبو شامة : الورضتين في أخبار الدولتين، ج١، ق١، ص٧٨.

[٤] الشوش : موضع قرب جزيرة ابن عمر من نواحي الجزيرة، والشوش قلعة عالية من أعمال الموصل قرب عقر الحميدية، ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج٣، ص٣٧٢.

[٥] العقر : قلعة حصينة تقع شرق الموصل، وتعرف بعقر الحميدية، ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج٤، ص١٣٦.

[٦] ابن الأثير : الباهر، ص٤٨، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٥٤، ابو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين، ج١، ق١، ص٧٨، ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص٥٥، ابو الفداء : المختصر في أخبار البشر، ج٣، ص٨، ابن خلدون : تاريخ، ج٥، ص٢٢٩.

[٧] ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠، ص٤٦٤، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٥٤، ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص٥٥، أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر، ج٣، ص٨، ابن خلدون : تاريخ، ج٥، ص٢٢٩.

[٨] كواشي : تسمى قديماً (أردمشت) تقع في الجبال الى الشرق من الموصل، ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج٤، ص٤٨٦.

[٩] تل أغدى : قرية كبيرة ذات بساتين وكروم، من أعمال حلب، ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج٢، ص٣٩.

[١٠] ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٥٩، ابو الفداء : المختصر في أخبار البشر، ج٣، ص١٢، ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص٧٤، الدوداري: كنز الدرر، ج٦، ص٥٢٦، ابن لعماد : شذرات الذهب، ج٤، ص٧٥.

الدرع الواقي لها . كما قام عماد الدين بمباغتة الصليبيين في اللاذقية حيث أرسل قائده سوار إليها في سنة ٥٣٠هـ/ ١١٣٥م على حين غفلة، وتمكن من الإيقاع بهم قتلاً وأسراً، فكان عدد الأسرى سبعة آلاف أسير، ومائة ألف رأس من الدواب، وخربوا المدينة وما جاورها، ثم توجهوا إلى شيزر بما معهم من غنائم عظيمة(١)، لقد أثارت هذه الانتصارات التي حققها زنكي استياء الصليبيين وغضبهم، فقرروا عقد تحالف كبير للوقوف بوجهه، ضم ملك بيت المقدس فولك، وريموند كونت طرابلس، كما انضم إليهم حكام دمشق، وتقدمت هذه القوات الى ضرب الجيش الإسلامي، المنشغل في حصار حمص(٢)، فلما سمع زنكي بهذه الاستعدادات، تجنب الاشتباك معهم في هذا المكان، خوفاً من مداهمة الحصنين له من الخلف(٣)، لذلك شرع زنكي إلى مهاجمة حصن بارين(٤)، على أمل سحبهم إلى هناك، وفي أثناء الطريق داهمته القوات الصليبية، فدارت معركة كبيرة بين الطرفين، أسفرت عن انتصار القوات الإسلامية انتصارا ساحقاً، اذ قتل واسر أعدادا كبيرة منهم، كان من بين الأسرى ريموند كونت طرابلس، بينما نجى فلك بعد هروبه إلى حصن بارين، وكانت هذه الحادثة في أول سنة ٥٣١هـ/ ١١٣٧م(٥)، ثم تقدم زنكي على اثر هذه الواقعة لمحاصرة الصليبيين في بارين (فحصرهم ومنع عنهم كل شيء حتى الأخبار فكان

---

(١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص٢٥٥، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١١، ص٣٢-٣٣، أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر، ج٣، ص١١.

(٢) فقد تعرضت حمص لغارات عساكر زنكي وتضيقه على من بها من العساكر، وذلك أثر تنازل أولاد خيرخان عنها الى أتابك دمشق مقابل الحصون على تدمر، فتقرر جعلها إقطاعا لمعين الدين أنر، فلما رأى زنكي خروج حمص عن قبضته تابع الغارات عليها، وتم الاستيلاء على كثير من أعمالها، حتى استقر الصلح بينهم، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٤٥-٢٤٦، العريني : الشرق الأوسط، ج١، ص٥٠٩.

(٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص٢٥٨-٢٥٩، ابن الأثير : الباهر، ص٥٩-٦١، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٤٦، ابو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين، ج١، ق١، ص٨٧-٨٨.

(٤) بارين : مدينة بين حلب وحماة، ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج١، ص٣٢١.

(٥) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص٢٥٩، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١١،ص٣٣، ابن العديم: زبدة الحلب، ج٢، ص٢٦١-٢٦٢، ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص٧٣، ابو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج٣، ص١٢.

من بـه منهم لا يعلم شيئاً من أخبار بلادهم لشدة ضبط الطرق)[١]، وواصل زنكي تشديد الحصار عليهم، حتى نفذ ما عندهم من مؤن[٢]، غير أن الملك فولك أرسل في طلب النجدة من الإمارات اللاتينية الأخرى، في الوقت الذي اتجه فيه زنكي لمحاصرة الحصن[٣]، كما توجه عدداً من المهزومين في المعركة إلى بيزنطة وأوربا طالبين النجدة[٤]، وموضحين لهم بان الملك وكبار النبلاء محاصرين داخل حصن بارين فإذا استولى زنكي عليه، وعلى من فيه من الفرنج (ملك جميع بلادهم في أسرع وقت لعدم المحامى عنها وقصد المسلمون بيت المقدس)[٥]، وفي مستهل ذلك احتشدت الجيوش الصليبية تحت راية جوسلين أمير الرها وريموند دي بواتيه أمير إنطاكية، وبطريق بيت المقدس لمساعدة فولك، غير أن ما تعرض له الحصن من قذائف المناجيق لمدة عشرة أيام بلياليها ونفاذ الأقوات، يأس الملك من قدوم إمدادات، كل ذلك حمله على مراسلة زنكي يطلب منه أن يعرض ما يشاء من الشروط، ودهش الملك كثيراً، حين لم يطلب زنكي سوى تسليم الحصن، والحصول على مبلغ خمسين ألف دينار، مقابل إطلاق سراحهم[٦]، الواقع أن زنكي لم يحاول الاشتراط في مطالبه، لمعرفته التامة بوصول النجدات الصليبية هذا فضلاً عن اقتراب الجيش البيزنطي بقيادة الملك حنا كومنين، القادم لنجدة الملك[٧]، كما ان لهذا الحصن أهمية كبيرة لما يمتاز به من موقع استراتيجي مهم، فإذا استولى عليه زنكي استطاع من خلاله، أن

---

[١] ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١١، ص٣٣، ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص٧٣.

[٢] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص٢٥٩، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١١، ص٣٣، ابو شامة : الروضتين في اخبار الدولتين، ج١، ق١، ص٨٧–٨٨.

[٣] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص٢٥٩، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١١، ص٣٣، أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين، ج١، ق١، ص٨٧–٨٨.

[٤] ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١١، ص٣٣، ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص٧٣، ابن خلدون : تاريخ، ج٥، ص٢٣٢.

[٥] ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١١، ص٣٣.

[٦] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق:ص٢٥٩، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١١، ص٣٣–٣٤. William of tyre:op.cit.١١.p.٩١-٩٢.

[٧] ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١١، ص٣٤–٣٥، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٦٢، ويشر ابن واصل الى ذلك قائلاً (..فلما سمع (زنكي) بقرب ملك الروم واجتماعه بمن بقى من الفرنج أعطاهم الأمان، وتسلم الحصن) مفرج الكروب، ج١، ص٧٣، ابن خلدون : تاريخ، ج٥، ص٢٣٢.

يبسط سلطانه على كل من حمص وحماة، ناهيك على انه كان مركزاً لشن الغارات الصليبية ما بين حلب وحماة[١]، ووفقاً لذلك استسلم الحصن إلى زنكي الذي اظهر مروءته الإسلامية، تجاه الفرسان الصليبيين[٢]، ومهما يكن من أمر فإن استيلاء زنكي على حصن بارين، يعتبر من بين أهم الأعمال التي أحرزها في مواجه الصليبيين في بلاد الشام، حيث عزز دور المقاومة في تلك الجهات، وباتت القوات الإسلامية تهدد كل من إمارتي إنطاكية وطرابلس، فظلاً عن حماية كل من حمص وحماة[٣]، ويشير بروية إلى هذا النصر قائلاً (كان الاستيلاء على بارين نصراً إسلامياً ذا أهمية كبيرة، لأنه أعاد أراضي زراعية لمدن حماة وحمص، كانت معرضة على الدوام لخطر الهجوم الفرنجي)[٤].

-التحالف الصليبي البيزنطي

ذكرنا ان القوات البيزنطية بقيادة حنا كومنين، جاءت الى بلاد الشام بناءً على طلب النجدة من قبل الصليبيين المحاصرين في بارين، فما ان تحقق فشل هذا الحلف حتى سعى كل من البيزنطيين والصليبيين الى استغلال هذه الفرصة للأستيلاء على المواقع الإسلامية في المناطق الشمالية من بلاد الشام[٥]، لا سيما بعد الأتفاق الذي تم بين ريموند امير انطاكية، والامبراطور البيزنطي حنا كومنين، الذي يقتضي بأن يستولي المتحالفون على حلب والبلاد المجاورة، بالمقابل يتنازل

---

(١) العريني : الشرق الأوسط والحروب الصليبية، ج١، ص٥١٢.

(٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص٢٥٩، ابن الأثير : الكامل في في التاريخ، ج١١، ص٣٣-٣٤، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٦١-٢٦٢، أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين، ج١، ق١، ص٨٧-٨٨، ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص٧٣، أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر، ج٣، ص١٢، ابن خلدون، ج٥، ص٢٣٢.

(٣) رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص٣٢٧.

(٤) J. prewar: op. Cite . t, p , ٣٢٣.

(٥) ابن منقذ : العتبار، ص٢، ابن الأثير : الباهر، ص٦٢، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص١٦٢، ابو شامة : الورضتين في اخبار الدولتين، ج١، ق١، ص٨٩، ابن واصل، مفرج الكروب، ج١، ص٧٧.

ريموند عن انطاكية الى الأمبراطور البيزنطي، ويتخذ لنفسه أماره صليبية جديدة تضم كل من حلب، وشيرز وحماة وحمص[١]، ووفقاً لذلك سار المتحالفان، وعلى ما يبدو ان الامبراطور حاول اخفاء نواياه، إذ ارسل الى زنكي الذي كان معسكراً بين حمص وحماة، يخبره بإنه غير عازم على مهاجمة أمارته[٢]، كما حرص المتحالفان على كتم اخبار هذه الحملة، فأمرا بالقبض على جميع المسافرين القادمين من حلب، والمناطق الغربية منها، خشية وصول انباء تحركاتهم الى زنكي[٣]، من الواضح ان الامبراطور كان مدركاً اهمية حلب، في مقاومة الوجود الصليبي في المنطقة، لا سيما بعد ان اصبحت قاعدة لانطلاق القوات الإسلامية، لذلك حاول جاهداً للاستيلاء عليها، على حين غفلة من زنكي وقواته غير ان الخطة التي سعا اليها الامبراطور وحلفائه، لم يكتب لها النجاح، فبدلاً من مهاجمة حلب الخالية من زنكي وقواته توجهوا الى حصن بزاعة[٤]، ضاربين عليه الحصار لمدة اسبوعين حتى استولوا عليه في الخامس والعشرين من رجب ٥٣٢هـ/١١٣٨م[٥]، ويبدوا ان الوقت الذي ضاع امام بزاعة لم يكن من مصلحة الجيوش المتحالفة، لا سيما بعد ان تمكن بعض الأهالي من الفرار (وانذروا من بحلب بالروم، فتحرز الناس وتحفظوا وكاتبوا

---

(١) رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص٣٤١، العريني : الشرق الاوسط والحروب الصليبية، ج١، ص٥١٣.

Zoe ; op . cit . p .٣٢٨.

(٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص٢٦٢، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٦٣.

(٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص٢٦٤، ابن الجوزي : المنتظم، ج١٠، ص٧٢، الكامل في التاريخ، ج١١، ص٢٣، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٦٣.

(٤) بزاعة : وهي بلدة من أعمال حلب، ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج١، ص ١٩٢.

(٥) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص٢٦٥، ابن ألأثير : الكامل في التاريخ، ج١١، ص٣٦-٣٧، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٦٥، ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص٧٧-٧٨، تشير المصادر ان اهل بزاعة قاوموا القوات الصليبية، إلا انهم اضطروا الى تسليم المدينة بعد ان حاصرها الصليبيون أسبوعين نصب على اهلها المناجيق، وضيق عليهم فسلموا لهم بالأمان إلا انهم غدروا بهم، واسر من بزاعة خمسة الآف وثمانمائة نفس، ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص٦٥، ابن اعديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٦٥، ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص٧٨.

أتابك زنكي بذلك، فوصله الخبر وهو على حمص)[1]، وكان ذلك الأنذار لأهل حلب قبل الهجوم عليهم بيوم واحد[2]، فما ان تحقق زنكي من الامر حتى بادر بأرسال (سيف الدين سوار والرجالة الحلبيين وخمسمائة فارس في اربعة من الأمراء،...فقويت قلوب اهل حلب بهم..)[3]، فما ان وصل سوار حتى اخذ بتوزيع مهمات الدفاع عن المدينة بين رجاله وبين اهل المدينة، كما شحنها بالمؤن والسلاح[4]، يبدو ان عماد الدين كان على اطلاع كبير بحجم قوات عدوه، لذلك نلاحظ انه قد شحن المدينة بالرجال والسلاح والمؤن، خشية تعرضها الى حصار يطول امده، فما ان وصل التحالف الصليبي الى حلب حتى (قاتلهم احداث البلد قتالاً شديداً، فقتل كثير من الروم وجرح كثير فاقاموا ثلاث ايام ورحلوا)[5]، من الواضح ان القوات المتحالفة قد جوبهت بمقاومة عنيفة، اضطرتها الى رفع الحصار عن المدينة، لا سيما تلك الهجمات الخاطفة التي كان يقوم بها الحلبيين، التي احدثت ارباكاً كبيراً في صفوف القوات الصليبية، ووفقاً لذلك اضطرت الجيوش الصليبية الى الانسحاب، فاستولوا في طريقهم على حصن الأثارب، الذي اضرمت حاميته النار فيه على اثر توجه الصليبيين اليه[6]، بغية عدم الانتفاع به، إلا انهم عمروه ووضعوا فيه اسرى وسبايا بزاعة، فتوجه اليهم الأمير سوار الذي كان يتعقب تحركاتهم من حلب، فإنزل بهم هزيمة فادحة، وخلص الأسرى والسبايا الموجودين في الحصن[7]، ثم تابعوا خط

---

[1] ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٦٤-٢٦٥.

[2] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ٢٦٥.

[3] ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٦٥.

[4] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص٢٦٥.

[5] ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٦٥، ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص٧٨.

[6] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص٦٥، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١١، ص٣٧، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٦٦، ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص٧٨، ابو الفداء : المختصر في اخبار البشر، ج٣، ص١٣.

[7] ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١١، ص٣٧، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٦٥، ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص٧٨.

سيرهم الى معره النعمان، فأستولوا عليها[١]، ثم وصلوا بزحفهم الى شيزر وضربوا عليها الحصار[٢]، يشير ابن الأثير ان الفرنج هم الذين اشاروا على الأمبراطور بالتوجه الى شيزر على اعتبار (أنها ليست لأتابك فلا يهتم بحفظها والذب عنها)[٣]، من الواضح ان الصليبيين، يحاولون السيطرة على اكثر عدد من المواقع الإسلامية، من اجل الوقوف بوجه مشاريع زنكي الوحدوية، وعلى اثر مهاجمة الصليبيين لشيزر قام السلطان بن منقذ بالأتصال بزنكي، الذي كا مدركاً لتحركات عدوه[٤]، فسار على الفور لنجدته وعسكر بالقرب من حماه[٥]، واخذ يشن الهجمات على مرأى منهم، اذ (كان يركب كل يوم ويسير الى شيزر هو وعساكره ويقفون، بحيث يراهم ملك الروم، ويرسل السرايا فتأخذ من ظفرت به منهم)[٦]، يبدوا ان زنكي لم يحاول الدخول معهم في حرب مباشرة، وذلك لضخامة عددهم، فقد كانوا (في مائة ألف راكب ومائة ألف راجل ومعهم من الكراع والسلاح ما لا يحصيه إلا الله)[٧]، لا شك في ان زنكي كان على اطلاع بالأمكانيات التعبوية لدى عدوه، لذلك جنح الى السياسة الإعلامية، كان القصد من ورائها، تحطيم الروح المعنوية لدى اعدائه، يتضح ذلك من خلال الرسالة التي بعث بها إليهم قائلاً (إنكم قد تحصنتم بهذه الجبال، فاخرجوا عنها الى الصحراء حتى نلتقي، فإن ظفرتهم اخذتم شيزر وغيرها، وان ظفرت بكم ارحت المسلمين من

---

[١] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص٢٦٥، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٦٦.

[٢] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص٢٦٦، ابن منقذ : الأعتبار، ص٢، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١١، ص٣٧، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٦٧، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص١٦٣.

[٣] ابن الأثير : الباهر، ص٥٥.

[٤] تشير الروايات بأن زنكي قد فارق حمص بعد حصاره لها، وسار الى سليمة فنازلها ثم عبر الفرات الى الرقة واخذ يقطع الميرة عن القوات الصليبية المتحالفة، ابن الأثير : الكامل، ج١١، ص٣٧، ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص٧٨.

[٥] ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١١،، ص٣٨، ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص٧٨، ابو الفداء : المختصر في اخبار البشر، ج٣،ص١٣.

[٦] ابن الأثير : الباهر : ٥٥، ابو شامة : الروضتين في اخبار الدولتين، ج١، ق١، ص٨١، ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص٧٩، ابو الفداء : المختصر في اخبار البشر، ج٣، ص١٣.

[٧] ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٦٧.

شركم)[١]، والواقع انه لم يكن له بهم من قوة أنما يرهبهم بهذا القول واشباهه[٢]، يبدو ان زنكي قد نجح في مسعاه، لا سيما بعد ان رفض الإمبراطور البيزنطي لقائه، معتقداً ان زنكي كان يخفي ورائه قوات ضخمة، وانه لم يظهر منها إلا القليل[٣]، كما ان زنكي قام بتفتيت عرى التحالف بين صليبيي الشام والامبراطور البيزنطي، وذلك من خلال المراسلات التي كان يبعث بها الى كلا الطرفين، اذ كان، (زنكي يرسل الى ملك الروم يوهمه بأن فرنج الشام خائفون منه، فلو فارق مكانه تخلفوا عنه، ويرسل الى فرنج الشام يخوفهم الى ملك الروم ويقول لهم : ان ملك بالشام حصناً واحداً ملك بلادكم جميعاً فاستشعر كل من صاحبه)[٤] .

ففسدت النيات بين الطرفين البيزنطي والفرنجي، وفي تلك الأثناء كان زنكي يرسل الى بغداد لأستنهاض الهمم واستثارة الحماس الديني، والدعوى الى قتال الصليبيين[٥]، كما وافته قوات صاحب حصن كيفا الأرتقي، مع ابنه الأمير داود بن أرتق، ونهوض عساكر دمشق لمساعدة القوات الإسلامية[٦]، هذا فضلاً عن قيام عماد الدين بمراسلة، القوات الإسلامية في آسيا الصغرى، حاثاً اياهم بمهاجمة المواقع البيزنطية، في تلك الجهات، لتحويل اهتمامهم اليها[٧]، وهكذا استطاع زنكي

---

(١) ابن الأثير : الباهر، ص٥٥-٥٦، ابو شامة : الروضتين في اخبار الدولتين، ج١، ق١، ص٨١-٨٢، ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص٨١.

(٢) يذكر ابن واصل ان الفرنج حاولوا حمل الامبراطور البيزنطي على قتال المسلمين إلا انه قال لهم (أتظنون انه ليس له من العسكر إلا ما ترون، إنما يريد انكم تلقونه فيجيء اليه من نجدات المسلمين ما لأحد عليه) مفرج الكروب، ج١، ص٨١.

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١١، ص٣٧، ابو شامة : الروضتين في اخبار الدولتين، ج١، ق١، ص٨١-٨٢.

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١١، ص٣٧-٣٨، ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص٨١.

(٥) يذكر ابن الأثير : ان رسول زنكي قد شرح للسلطان حجم الكارثة في حالة استيلاء الصليبيين على تلك لبلاد قائلاً له : (بينكم بلد يمنعهم عن بغداد، فإذا ملكوا حلب انحدروا مع الفرات الى بغداد) الكامل في التاريخ، ج١١، ص٣٨.

(٦) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص٢٦٦، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١١، ص٣٧-٣٨، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٦٨.

(٧) رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص٣٤٦.

ان يرغم الأمبراطور على ترك حصار شيزر الذي دام ثلاثة وعشرين يوماً، في التاسع من رمضان سنة ٥٣٢هـ/١١٣٨م[١]، وعندئذ شن زنكي هجوماً كبيراً على مؤخرة جيشه، لينال غنائم وفيرة ضمت عدداً كبيراً من آلاته الحربية (ومجانيقه العظام) التي تم نقلها الى حلب[٢]، كما ارسل قواته تتعقب الجيوش المنسحبة لتلحق بها خسائر كبيرة بين فتيل وأسير[٣]، وبهذا الأنتصار الذي تحقق للقوات الإسلامية، اصبح بمقدور زنكي، ان يواصل جهوده في توحيد الجبهة الإسلامية، بضم مناطق اخرى، أعطت الى حركة المقاومة، حيزاً كبيراً عما كانت عليه في السابق، كما انها قلبت موازين القوى في بلاد الشام، لا سيما في المناطق الشمالية، لصالح القوات الإسلامية[٤]، اما من جانب القوات الصليبية فإنها أصبحت متقهقرة في حيز الدفاع بعد ان طمعوا في ملك الجميع، وثبت فشل تحالفها، كما تأزمت العلاقة بين البيزنطيين والصليبين في بلاد الشام، بات وقوفهما صفاً واحداً امراً عسيراً[٥]، وعلى

---

[١] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص٢٦٦، بينما تشير بعض المصادر ان مدة الحصار كانت اربعة وعشرين يوماً، ينظر : ابن الأثير : الباهر، ص٥٦، ابو شامة : الروضتين في اخبار الدولتين، ج١، ق١، ص٨٢، ابو الفداء : المختصر في اخبار البشر، ج٣، ص١٣، ابن قاضي شهبه الكواكب الدرية في السيرة النورية، ص١٠٩ .

[٢] ابن الأثير : الباهر، ص٥٦، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٦٨، ابو شامة : الروضتين في اخبار الدولتين،ج١، ق١، ص٨٢، ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص٨٢، ابن قاضي شهبه: الكواكب الدرية في السيرة النورية، ص١٠٩.

[٣] ابن الأثير :الكامل في التاريخ،ج١١،ص٣٨، ابن العديم:زبدة الحلب، ج٢، ص٢٦٨، ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص٨٢، ابن قاضي شهبه : الكواكب الدرية في السيرة النورية، ص١٠٩ .

[٤] فقد تمكن صلاح الدين الياغسياني حاجب زنكي من الإستيلاء على كفرطاب عقب انسحاب القوات البيزنطية، ينظر : ابن العديم : ج٢، ص٢٦٨، كما تم الأتفاق بين زنكي وبين تابك دمشق شهاب الدين محمود، فتسلم زنكي بموجب هذا الأتفاق حمص، بالمقابل تنازل عن بعرين وحصنين أخرين لشهاب الدين، وتزوج زنكي والدة الأتابك محمود، الذي تزوج من ابنة زنكي، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١١، ص٣٦، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٦٩.

[٥] يشر رنسيمان ان المصالح الشخصية بين الأمراء الصليبيين كان لها دور كبير في افشال هذا التحالف فيذكر (ان ريموند خشي انه اذا شقطت شيزر في ايدي المسيحيين، يصح ان يجبر على ان يقيم بها على الخط الأمامي للعالم المسيحي، وان يتخلى عن مباهج انطاكية والوان الدعة بها اما جوسلين الذي يكن في قراءة نفسه الكراهية لريموند، فإنه لم يود ان يراه مستقراً في شيزر وفي حلب

كل سار زنكي بعد هذا الانتصار الى عدد من المواقع الصليبية، فقد فتح حصن عرقه عنوة، واسر من كان فيه من الصليبيين[1]، ثم توجه في العام التالي ٥٣٣هـ/١١٣٩م الى حصن بزاعة، وفتحة عنوة، بعد ان قتل أغلب مدافعيه من الصليبيين، ثم سار الى حصن الأتارب، واستولى عليه في نفس السنة، ورجع بعد ذلك الى مقر ولايته الموصل[2]، يبدو ان رجوعه، كان لغاية حشد الجهود، والعودة ثانية لمهاجمة الصليبيين، ودليل ذلك ما قام به من نشاطات عسكرية عديدة في الجزيرة[3]، وبعد ان تم لزنكي ما سعى اليه، توجه في اواخر سنة ٥٣٣هـ/١١٣٩م، الى دمشق[4]، وفرض عليها حصاراً شديداً[1] تشير المصادر ان مهاجمة زنكي

فيما بعد، ومارد وجوسلين من شائعات شجع ما اشتهر به ريموند من الميل الى الكسل والخمول وزاد في ارتيابه من البيزنطيين) تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص٣٤٥-٣٤٦.

(١) ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص ٢٦٩.

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٦٩-٢٧٠، ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص٨٣، وبعد هذا الأنتصار ذاع صيت زنكي واشتهر، وكسب منزلة كبيرة لدى المسلمين حتى غدا الشعراء يتغنون بذكره، كان من بينهم الشاعر المسلم بن الحضر بن قسيم الحموي المتوفي سنة ٥٣٤هـ، ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، هامش ص٨٢، حيث مدحه بقصيدة كان مطلعها :

بعزمك أيها الملك العظيم تذل لك الصعاب وتستقم،

ويقول فيها :

ألم تر ان كلب الروم لما	تبين انه الملك الرحيم
فجاء يطبق الفلوات خيلا	كأن الجحفل الليل البهيم
وقد نزل الزمان على رضاه	ودان لخطبة الخطب الجسيم
محين رميته بك في خميس	تيقن ان ذلك لا يدوم

ابن الأثير: الباهر،ص٥٦، ابو شامة : الروضتين في اخبار الدولتين، ج١، ق١، ص٧٨، ابو الفداء : المختصر في اخبار البشر، ج٣، ص١٣.

(٣) حيث تمكن من اخضاع صاحب حصن كيفا حسام الدين تمرتاش واخذ منه دارا ورأس العين، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١١، ص٣٧، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٧١، ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص٨٣.

(٤) حيث لم يكن هذا هو الحصار الأول على دمشق، إذ سبق ان حاصرها عماد الدين في سنة ٥٢٩هـ /١١٣٤م، ينظر : ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص٢٤٥-٢٤٦، ابن الأثير : الكامل في

لدمشق كان بناءً على طلب زوجته التي افزعها مصرع ابنها الأتابك محمود، وتوليه بدلاً عنه أخيه محمد والي بعلبك أتابكاً على دمشق بتدبير من معين الدين أنر [٢]، في الواقع ان زنكي كان حريصاً في الإستيلاء على دمشق وذلك من اجل تحقيق ما كان يصبوا اليه من توحيد الجبهة الإسلامية ضد الغزاة الصليبين، ويذكر ان المدينة كادت ان تذعن له، لولا استنجاد اميرها معين الدين أنر بالصليبيين [٣]، اذ توجهت الى بيت المقدس سفاره برئاسة أسامة بن منقذ، من اجل توقيع معاهدة بين الطرفين الصليبي والدمشقي [٤]، وتذكر المصادر الصليبية بعض الشروط الواردة في المعاهدة منها ان يقوم والي دمشق بدفع ضريبة شهرية تقدر بعشرين ألف قطعة ذهبية لتجهيز جيوشهم، وان

التاريخ، ج١١، ص٢٤-٢٥، ابو شامة : الروضتين في اخبار الدولتين، ج١، ق١، ص٨٧، ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص٥٧-٥٨

(١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص٢٧١.

(٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص٢٧١-٢٧٢، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١١، ص٤٥، ابن العدين : زبدة الحلب، ج٢،ص٢٧٢، ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص٨٥.

(٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص٢٧١-٢٧٢، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١١، ص٤٨، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٧٣، ابو الشامة : الروضتين في اخبار الدولتين، ج١، ق١، ص٨٥، ابو الفداء : المختصر في اخبار البشر، ج٣، ص١٥، ابن خلدون : تاريخ، ج٥، ص٢٣٤.

(٤) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص٢٧٢، ابن منقذ : الأعتبار، ص٨١ .

يحتفظ الصليبيين براهن ضماناً لتنفيذ شروط الأتفاقية[١]، من المعلوم ان هذه الأتفاقية صادفت استحساناً كبيراً لدى الصليبيين بحكم ما يشكله زنكي من تهديد لهم، ومن جهة أخرى فإن هذا التحالف وقف حائلاً تجاه حركة التوحيد الإسلامية بزعامة زنكي، فلم يعد بوسعه ان يقوم بأي تغيير في بلاد الشام، ما دام هذا التحالف قائماً، وعلى أي حال فإن زنكي أضطر الى رفع الحصار عن دمشق وتوجه الى نواحي حوران، لمهاجمة بعض المواقع الصليبية، ثم أنسحب بعد ذلك الى بلعبك[٢] [٣]، ثم رجع زنكي الى الموصل بعد ان يأس من اخذ دمشق[٤]، من المؤكد ان اهتمام زنكي بدمشق يعود الى أهمية موقعها التجاري والعسكري، بين حلب ومملكه بيت المقدس، والطريق المؤدي الى مصر، أضف الى ذلك حرصه الشديد على التخلص من حاكم دمشق وموقفهم المتخاذل من حركة الجهاد الإسلامي، لهذه الأسباب أصر زنكي جاهداً على اخذ دمشق، من اتابكتها فلم يترك فرصة، إلا واتبعها لكنه لم يتمكن من ذلك .

---

[١] william of tyre ; op . cit . ١١ . pp . ١٠٥-١٠٦ , crousset ; op .cit .١١.pp. ١٣١-١٣٢.
يشير ابن القلانسي الى هذا الاتفاق ولكن دون تحديد الأموال المحمولة اليهم، إذ يقول (ووقعت المعاهدة على ذلك بالأيمان المؤكدة...والتمسوا على ذلك مالا معيناً يحمل اليهم ليكون عوناً لهم على ما يحاولونه...واجيبوا الى ذلك وحمل اليهم المال والرهائن...) ذيل تاريخ دمشق، ص٢٧٢.

[٢] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ٢٧٢، ابو شامة : الروضتين في اخبار الدولتين، ج١، ق١، ص٨٥، ابو الفداء : المختصر في اخبار البشر، ج٣، ص١٥، ابن خلدون : تاريخ، ج٥، ص٢٣٤.

[٣] كان قد استولى عليها عماد الدين في أثناء شخوصه الى دمشق، حيث كانت لمعين الدين أنر وزير شهاب الدين محمود، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١١، ص٦٨، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٧٢-٢٧٣.

[٤] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص٢٧٣، الذهبي : العبر في خبر من غبر، ج٤، ص٩٣-٩٤، يذكر ابن العديم ان زنكي قد أتفق مع معين الدين أنر قبل رحيله عن دمشق، على ان يخطب لزنكي في دمشق بعد السلطان السلجوقي ومجير الدين أبق، زبدة الحلب، ج٢، ص٢٧٤.

-الإستيلاء على الرها .

على الرغم من انشغال زنكي بمهاجمة المواقع الصليبية في بلاد الشام، إلا أن ذكر الرها كما يقول ابن القلانسي (جائلاً في خلده وسره، وامرها مائلاً في خاطره وقلبه)[١]، هذا فضلاً عن انها(كانت من الديار الجزرية عينها ومن البلاد الإسلامية حصنها)[٢]، لذلك شرع زنكي في مهاجمتها، فبدأ بالإستيلاء على المواقع الصليبية، والتي تمثل الدرع الواقي لها، إذ توجهت قواته الى قلعة جملين[٣]، والموزر[٤]، وتل موزن[٥]، وغيرها من المواقع المهمة من اقليم شبختان[٦]، وكان نتيجة هذه الانتصارات التي حققها زنكي ان عزل جوسلين أمير الرها عن حلفائه الأراتقة في حصن كيفا، والمنطوين تحت قيادة قرا أرسلان بن داود[٧]، كما توجه للاستيلاء على املاكهم (لآراتقة) في ديار بكر، وستولى على ما بيد جوسلين من بلاد ماردين، وجعل بها من يحفظها من الأجناد[٨]، وهكذا استطاع زنكي أن يهيء كافة الظروف الملائمة، لتحرير المدينة، إلا ان وسائلها الدفاعية وحصانة إسوارها، ووجود جوسلين

---

[١] ذيل تاريخ دمشق، ص٢٧٩، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٧٨ .

[٢] ابن الأثير : الباهر، ص٦٧، كما انها هذه المدينة وقفت امام اهداف زنكي الوحدوية لا سيما بعد ان اتسعت أرضها واشتد خطرها على المناطق المجاورة، بحيث (أصبحت غارات فرسانها تبلغ امد وماردين ونصيبين ورأس عين والرقة) ابن الأثير : الباهر : ص٦٧، ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص٩٣، ابن قاضي شهبه : الكواكب الدرية في السيرة النورية، ص١١٥-١١٦، ابن خلدون : تاريخ، ج٥، ص٢٣٦.

[٣] جملين : وهي قلعة كبيرة لها عمل متسع بين ديار بكر وديار مضر على مسير يوم من حران، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، هامش ص٢٧٧.

[٤] الموزر : كوره تقع في الجزيرة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٦٧٩.

[٥] تل موزن : بلد قديم بين سروج ورأس عين، ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج١، ص٨٢٧.

[٦] شبختان : بلدة من نواحي ديار ربيعة، ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج١، ص٨٦٤.

[٧] كان التحالف معقوداً بين فخر الدين قرا أرسلان بن داود الأرتقي صاحب حصن كيفا وبين جوسلين الثاني، تنازل فيه الأول عن احدى قلاعه بالقرب من كركر، على ان يساعده الأخير ضد زنكي، رنسيمان : تريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص٣٧٩ .

chan: op. Cit.p.٣٦٨.

[٨] ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١١، ص٦٢.

وإعوانه داخلها، لن تتيح لزنكي الاستيلاء عليها[١]، لذلك أرتئى زنكي، الى تدبير خطة، تتيح له أبعاد جوسلين وقواته عن المدينة، اذ اوهمهم بإنه عازم على مهاجمة أمد[٢]، وانها مقصودة دون غيرها، وكما يقول أبن الأثير : (فهو يخطبها وعلى غيرها يحوم، ويطلبها سواها يروم)[٣]، في الوقت نفسه بث عيونه لابلاغه بتحركات جولسين الذي ما أن اطمأن من ناحية زنكي حتى غادر مقر ولايته متجها الى تل باشر[٤]، تاركاً مسؤولية حماية المدينة بيد الأرمن، الذين كان معظمهم من التجار البعيدين عن الحرب وضروبها، بإستثاء القلعة، اذ ترك حمايتها للجند المرتزقة[٥]، وفي مستهل ذلك وصلت تحركات جوسلين الى زنكي، الذي بادر بالتوجه مباشرة الى الرها، مستعيناً (على السرعة بركوب النجائب[٦])[٧]، ويذكر ان زنكي قد دعى جميع مسلمى المنطقة القادرين على حمل السلاح، فجتمعت لديه اعداد كبيرة[٨]، أستعان بهم على محاصرة المدينة من جهاتها الأربع، وتشير بعض المصادر ان زنكي كان

---

[١] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ٢٧٩، ابن الأثير : الباهر، ص٦٧، أبو شامة : الروضتين في اخبار الدولتين، ج١، ق١، ص٩٤، الدوادارى : كنز الدرر، ج٦، ص٥٣٩.

[٢] ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١١، ص٦٢، أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين، ج١، ق١، ص٩٤، أبن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص٩٣ .

[٣] الباهر، ص٦٧.

[٤] ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١١، ص٦٨-٦٩، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٧٩، ابو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين، ج١، ق١، ص٩٤، ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص٩٣.

[٥] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص٣٨٠، كما يجب عدم المبالغة في هذا الجانب، لأن رنسيمان نفسه يذكر في موضع آخر (أن اهل الرها أخذوا حذرهم، وجرى شحن الأستحكامات بالرجال) تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص٣٧٩.

[٦] النجائب : مفردها نجيب وهو القوى من الأبل السريع الخفيف، ابن منظور : لسان العرب، ج١، ص٧٤٨.

[٧] ابن الأثير : الباهر، ص٦٨.

[٨] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص٢٧٩، ابو شامة : الروضتين، ج١، ق١، ص٩٤، ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص٩٣.

أول من شن الهجوم على الصليبيين[1]، الذين آثروا الانسحاب الى داخل المدينة، وعندئذ ضرب عليهم الحصار[2]، وحاول في بادىء الأمر، ان يتسلم المدينة بالامان، دون اراقة دماء، إلا ان ذلك لم يتسنى له[3]، وحينئذ وجد نفسه مضطراً الى تشديد الحصار عليها، مستخدماً ما لديه من آلات الحصار الثقيلة[4]، وعندئذ ظهرت براعة المجاهدين، حيث قاموا بحفر الخنادق داخل الأسوار، ووضعوا فيها العوارض الخشبية، لتسهيل انهيارها بعد أيقاد النار فيها[5]، ثم امر زنكي باشعال العوارض الخشبية التي ادت الى انهيار جزء كبير من السور، سمح للمسلمين بالتسلل الى داخل المدينة وامتلاكها عنوة في السادس والعشرين في جمادى الأخر، سنة ٥٣٩هـ / ١١٤٤م[6]، بعد حصار دام ثمانية وعشرين يوماً[7]، كما استسلمت القلعة بعد

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١١، ص٦٩، ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص٩٣.

(٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص٢٧٩، ابن العديم : زبدة الحلب : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٧٩.

(٣) يشير الى ذلك ابن الأثير قائلاً : (فراسل أهله يبذل لهم الأمان والأمن ليسلموه سليماً من اخراب أسواره واخلاء دياره ظناً منه على مثله ان يصبح خاوياً على عرشه ولم يلتحق سماؤه بفرشه فأبوا قبول الأمان، وامتنعوا عن الأذعان) الباهر، ص٦٨-٦٩.

(٤) ويذكر ان الحصار بلغ من شدته حسب ما يذكر ابن القلانسي ان (الطائر لا يكاد يقرب منها خوفاً على نفسه من صوائب سهام منازليها ويقظة المضيقين عليها) ذيل تاريخ دمشق، ص٢٧٩.

(٥) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص٢٧٩، ابن الجوزي : المنتظم، ج١٠، ص١١٢، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١١، ص٦٥، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٧٩، ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص٩٤.

(٦) الفارقي : تاريخ، ص١٧٩، ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص٢٧٩، ابن الجوزي : المنتظم، ج١٠، ص١١٢، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١١، ص٦٨، البنداري : تاريخ دولة السلجوقي، ص١٨٦، سبط ابن الجوزي : ذيل مرآة الزمان، ج٨، ق٢، ص١٨٩، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٧٩، ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج١، ص٢٤١، ابو شامة : الروضتين في اخبار الدولتين، ج١، ق١، ص٩٤.

(٧) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١١، ص٦٨، ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص٩٤.

يـومين مـن دخـول القـوات الإسـلامية [١]، وفـي عضـون ذلـك قـام القس اليعقـوبي برصوما، بإجراءات تسليم المدينة[٢]، وهنا تتجلى عظمة الإسلام في سماحته وعفوه عند المقدرة، علما أن المدينة تم اجتياحها عنوة إلا ان عماد الدين، أصدر تعليماته الى جندة، بإيقاف إعمال القتل والأسر، واعادة ما تم الاستيلاء عليه من غنائم وسبي فتم ذلك (ولم يفقد منها إلا الشاذ النادر)[٣]، كما قام بترتيب امورها، واصلاح ما فسد منها خلال فترة حصاره لها، ووعد اهلها بالمعاملة الحسنة، وجعل عليها من (رآه أهلاً لتدبير أمرها، وحفظها والاجتهاد في مصالحها)[٤]، اما جوسلين صاحب الرها فما ان توالت اليه اخبار المدينة حتى بادر الى طلب النجدة العاجلة من الأمارات الصليبية[٥]، فلم يستجب له، سوى الأميرة (ميلزاند) الوصية على بيت المقدس، إلا انها وصلت متأخرة، بعد فوات الأوان[٦]، من المناسب هنا ان نبين الأسباب التي يزعمها بعض الباحثين عن هذا الانتصار الذي تحقق للقوات الإسلامية بقيادة عماد الدين زنكي، وتكاد تكون محصورة بين ما هو خاص بأوضاع الصليبيين في بلاد الشام وبين ما هو خاص بالظروف التي كانت تعيشها امارة الرها نفسها .

---

[١] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص٣٨١، العريني : الشرق الاوسط والحروب الصليبية، ج١، ص٥٢٦، نيكتا يليسف : الشرق الإسلامي في العصر الوسيط، ترجمة : منصور ابو الحسن، مؤسسة دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص٤٠٠.

[٢] رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص٣٨١، العريني : الشرق الأوسط والحروب الصليبية، ج١، ص٥٢٦.

[٣] ابن الأثير : الباهر، ص٦٩، ابو شامة : الروضتين في اخبار الدولتين، ج١، ق١، ص٩٤، ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص٩٤.

[٤] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص٢٨٠، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١١، ص٩٧، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٧٩، ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة : ج٥، ص٢٧٥، ابو شامة : الروضتين في اخبار الدولتين، ج١، ق١، ص٩٤.

[٥] يشر ابن القلانسي ان قوات كبيرة من الجيش الصليبي قد جاءت لنجدة الرها إلا ان عماد الدين أرسل اليهم قوة إسلامية هاجمتهم على حين غفلة، فستولت على ما بأيديهم من متاعودواب، ذيل تاريخ دمشق، ص٢٨٠.

[٦] عاشور : الحركة الصليبية، ج١، ص٦٠٥-٦٠٦.

فاما ما يخص الشق الأول : فيذكر ان اوضاع الصليبيين، لا سيما بعد الصراع الذي استحكمت اواصره، بين جوسلين الثاني امير الرها، وبين ريموند أمير انطاكية، الذي اسفر عن عدم مساعدة احدهما للآخر، في حالة تعرض احدهما، لأي اعتداء خارجي[١]، ومما زاد احوال الصليبيين سوءً، مجيء بلدوين الثالث حديث السن[٢]، الى عرش مملكة بيت المقدس، الذي لم يتمكن من اخضاع الأمارات الصليبية تحت زعامته، كما عرف عن ملوك بيت المقدس[٣]، اما مليزاند الوصية فلم تكن من القوة والدراية، في امور السياسة، بل اتصفت بتقلب الاهواء، ونسج المؤامرات[٤]، اما ما يخص اوضاع امارة الرها، فيذكر ان جوسلين صاحبها كان ميالاً الى اللهو والراحة، فلم يكن كأبيه في بسالته واقدامه، بل ساءت سمعته، لانغماسه باللهو والفجور[٥]، هذا فضلاً عن ان المدينة التي عانت بسببه صعوبات كبيرة، نتيجة لسوء تصرفاته[٦]، في الواقع ان هذه الإسباب لا يمكن اغفالها، ولكن هل ان هذه الصراعات حول المطامع الخاصة بين الامراء الصليبين، تحدث لأول مرة، بديهياً لا أنها كانت مستمرة منذ دخولهم الى البلاد الإسلامية، فلا سبيل الى حصرها في هذا المقام، ولكن ما يمكن قوله، ان المقاومة الإسلامية، أخذت طابعاً جديداً في تصديها للغزاة، لا سيما بوادر الوحدة، التي ظهرت على يد عماد الدين

---

(١) العريني : الشرق الأوسط والحروب الصليبية، ج١، ص٥٢١، عاشور : الحركة الصليبية، ج١، ص٣-٦، الجنزوري : امارة الرها الصليبية، ص٢٩٦ -٢٩٧.

(٢) يشير رنسيمان انه كان في الثالثة عشر من عمره، تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص٣٧٦.

(٣) رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص٣٧٦-٣٧٧، عاشور : الحركة الصليبية، ج١، ص٦٠٣-٦٠٤، العريني : الشرق الأوسط والحروب الصليبية، ج١، ص٥٢١.

(٤) عاشور : الحركة الصليبية، ج٢، ص٦٠٤، العريني : الشرق الأوسط والحروب الصليبية، ج١، ص٥٢١.

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص٩٣، العريني : الشرق الأوسط والحروب الصليبية، ج١، ص٥٢٤، الشيخ : الجهاد المقدس، ص٣٦٩.

(٦) لمزيد من التفاصيل حول سوء سياسة جوسلين في الرها، ينظر : الجنزوري : امارة الرها الصليبية، ص٢٩٦-٢٩٧.

زنكي، والصحوة الجماهيرية التي شهدتها الساحة العربية، فكان هذا هو السبب الرئيسي للانتصار الذي تحقق.

وعلى أي حال فإن هذا الانتصار الذي تحقق للقوات الإسلامية، كان له أثر كبير على كلا الجانبين، الإسلامي والصليبي، فإما الجانب الإسلامي، فقد كان هذا النصر باعث امل للمسلمين، وحث الخطا للسير على طريق المقاومة، لتحرير ما تبقى من المعاقل الصليبية، لا سيما بعد سقوط الحاجز الذي كان حائلاً امام أي عمل وحدوي يقوم بين المسلمين في بلاد الشام والعراق، فقد زال عنهم كرباً شديداً[١]، ولم (ينتفع المسلمون بمثله، وطار في الأفاق ذكره، وطاب بها نشره، وسارت به الرفاق، وامتلأت به المحافل في الأفاق..)[٢]كما عزز زنكي كثيراً من موقفه الشخصي تجاه الخليفة الذي لقبه بعدد من الألقاب منها الملك المظفر المنصور، قاهر الكفرة والمتمردين قامع الملحدين والمشركين، زعيم جيوش المسلمين[٣]، وغيرها من الألقاب التي يستحقها.

اما ما يخص الجانب الصليبي، فقد اصبح سقوط الرها، بمثابة نذير لسقوط باقي المعاقل الصليبية في بلاد الشام، لذلك سعوا الى القيام بحملة صليبية ثانية، والتي وصلت الى بلاد الشام بعد استشهاد زنكي، فتولى زمام المبادرة في ومقاومتها ابنه محمود من بعده[٤]، وقد استغل زنكي هذا الانتصار الباهر، وشرع في مهاجمة القوات الصليبية المتمركزة في المواقع التابعة للرها، فاستولى بسهولة ويسر، على سروج في سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م بعد ان هربت حاميتها، وعلى غيرها من الحصون المجاورة[٥]، يبدو ان الصليبيين قد انهارت قواهم، فآثروا الهروب على المقاومة، والى ذلك يشير ابن القلانسي قائلاً (وجعل لا يمر بعمل من اعمالها ولا معقل من معاقلها

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢، ص٢١٩.

(٢) ابن الأثير : الباهر، ص٦٩، ابن قاضي شهبه : الكواكب الدرية، ص١١٦ .

(٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص٢٨٤.

(٤) سيتم شرح ذلك في الفصل القادم ان شاء الله.

(٥) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص٤٨٠، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١١، ص٦٦، ابن العديم:زبدة الحلب، ج٢، ص٢٨٠، ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص٩٤، ابن قاضي شهبه : الكواكب الدرية، ص١١٦.

فينزل عليه إلا سلم إليه في الحال)[1]، ووفقاً لذلك لم يبق امام زنكي سوى البيرة، التي تعدّ من الحصون المنيعة لاستحواذها على مؤن وذخائر كثيرة، وحامية ضخمة، وشدد زنكي عليها الحصار، حتى أوشكت على الإستسلام إلا انه رفع الحصار عنها، بعد ان بلغه مقتل نائبه[2]، في الموصل[3]، على ما يبدو ان صليبي الحصن شعروا بحراجة موقفهم، بعد ان تيقنوا ان هذه المنطقة اصبحت هدفاً لمشاريع زنكي الوحدوية، مما ادى بهم الامر الى مراسلة حسام الدين تمرتاش الأرتقي،للتنازل عن هذا الحصن، خشية سقوطه بيد زنكي[4]، من الواضح ان الصليبين، حاولوا ايجاد قوة رادعة لزنكي، تحد من توسعه، لا سيما بعد ان انتابهم الضعف وعجزهم من الوقوف بوجهه، ومن خلال ذلك اصبحت القوات الإسلامية مسيطرة على جميع الحصون الصليبية، شرقي

---

(1) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص٢٨٠.

(2) كان نائبه في الموصل هو نصير الدين جقر بن يعقوب الهمذاني، قتل في التاسع من ذي القعدة سنة ٥٣٩هـ/١١٤٤م، ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج١، ص٣٦٤ –٣٦٦، يذكر ان الذي قتله هو الملك فرخشاه الملقب بالخفاجي بن السلطان محمود، حيث دفعه بعض اصحابه على قتل جقر نائب زنكي في الموصل، بغية الأستغلال فيه، إلا ان زنكي استطاع بعد عودته من اخماد الفتنة، وقتل الخفاجي، وتعين زين الدين على كوجك والياً على الموصل، ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص٢٨١، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٨١، ابو شامة : الروضتين في اخبار الدولتين، ج١، ق١، ص١٠٣، بينما تشير بعض المصادر الى ان الذي قام بهذه المؤامرة هو البب أرسلان بن السلطان محمود، حيث كان الأثنان تحت رعاية زنكي بتكليف من السلطان محمود السلجوقي، البندادي : تاريخ دولة ال سلجوق، ص١٨٨–١٨٩، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١١، ص٦٧، ابو الفداء : المختصر في اخبار البشر، ج٣، ص١٧.

(3) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص٢٨٠، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١١، ص٦٦–٦٧، البنداري : تاريخ دولة ال سلجوق، ص١٨٦–١٨٧، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٨١، ابو شامة : الروضتين في اخبار الدولتين، ج١، ق١، ص١٠٣، ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص٩٦، ابن خلدون : تاريخ، ج٥، ص٢٣٦.

(4) ابن الأثير : الباهر، ٧٠–٧١، ابو شامة : الروضتين في اخبار الدولتين، ج١، ق١، ص١٠٣.

الفرات[1]، وبعد ان تمكن من توطيد الأمن في الموصل توجه الى مناهضة الوجود الصليبي في المنطقة، إلا انه لم يتمكن من اكمال مشروعه الجهادي، حيث تعرض الى حادثة اغتيال في اثناء حصاره لقلعة جعبر[2]، على يد احد غلمانه يدعى يرنقش في شهر ربيع الاخرة سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م[3]، وعلى اثر ذلك استقر سيف الدين غازي في الموصل، بينما استقر نور الدين محمود في حلب[4]، وبذلك تنطوي صفحة مشرقة من تاريخ المقاومة الإسلامية ضد الغزاة الصليبيين، فقد أدى عماد الدين دوراً بطولياً فيها، فهو الرائد الأول في توحيد الجهود وجمع الكلمة، كما انه كان مثالاً للمجاهد الصادق، الذي دافع عن دينه ومبادئه الإسلامية، وهذا نلمسه بشكل واضح من خلال ردود افعال العامة عندما بلغهم خبر مقتله، فقد نادوا القاتل قائلين : (أذهب الى لعنة الله، فقد قتلت المسلمين كلهم بقتله)[5].

---

[1] ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص٩٦، فقد تحدثت المصادر عما كان يتجلى به زنكي من تقوى ومخافة الله، فيذكر انه إذا قلد قاضياً يوصيه، قائلاً (هذا الأمر قد نزعته من عنقي وقلدتك إياه، فينبقي ان تتقي الله) ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٧٤-٢٧٥، كما انه كان يستفتي الفقهاء والقضاة قبل اقدامه على أي عمل من اعماله، ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص٤١-٤٢، وكان رحمه الله يتصدق في كل يوم جمعة بمائة دينار جهراً، ويتصدق فيما عداها من الإيام سراً، ابن الأثير : الباهر، ص٨١، فقد كان رحمه الله مقيماً للحدود الشرعية في جميع انحاء بلاده، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٨٤.

[2] جعبر : قلعة على الفرات، بالقرب من صفين، بين بالس والرقة، كان يملكها رجل يميني يسمى جعبر بن مالك وسميت به، ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج٢، ص١٤٢.

[3] ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق، ص٢٨٤، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١١، ص٧١-٧٢، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص١٩٠-١٩١، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٨١-٢٨٢، أبو شامة، الروضتين في اخبار الدولتين، ج١، ق١، ص١٠٧، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول، ص٢٠٦، الذهبي : العبر في خبر من غبر، ج٤، ص١١١، ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة، ج٥، ص٢٧٩.

[4] ابن الأثير ك الكامل في التاريخ، ج١١، ص٧٤، البنداري : تاريخ دولة ال سلجوق، ص١٩٠-١٩١، أبن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٨٥، ابو الفداء : المختصر في اخبار البشر، ج٢، ص١٩.

[5] ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٢٨٢، وقد قيل عنه رحمه الله (بإنه كان قطباً يدور عليه فلك الإسلام) النبداري : تاريخ دولة ال سلجوق، ص١٨٥.

الفصل الرابع
وحدة بلاد الشام والعراق ومصر والحجاز في المقاومة العربية

١-دور نور الدين في بناء الوحدة الإسلامية ومقاومة الصليبيين.

قبل البدء بتوضيح الدور الذي أداه نور الدين محمود في توحيد الجهود ومقاومة الصليبيين لابد لنا من تبيان البيئة التي تربى بها هذا المجاهد الصادق ولو بشكل بسيط، لأن من المعلوم أن البيئة التي يتربى بها الفرد لها أثر كبير في شخصيته.

ولد نور الدين محمود يوم الأحد السابع عشر من شوال سنة ٥١١هـ/شباط ١١١٨م بمدينة حلب(١)، والواقع أن المصادر التأريخية لم تزودنا بمعلومات وافية عن نشأته. وهذا أمراً ليس غريباً، لأن أغلب توريخ النشأة الأولى لزعماءالإسلام وقواده وأبطاله فيها هذا الشيء، لاسيما أننا نكتب تأريخ رجال أو نقرأ عنهم، فإنهم حين يولدون يكونون قوماً عاديين لاشأن لهم، ومن هنا لا يهتم الناس بأخبارهم ولا بالسنوات الأولى من حياتهم المغمورة، فإذا ما بدأ نجمهم يظهر وإذا ما بدأت أعمالهم العظيمة، عند ذاك يهتم الناس بهم وبأخبارهم. وهذا يعني أن هناك مرحلتين من مراحل تأريخ العضماء.

المرحلة الأولى من حياتهم: أخبارهم غير كافية ولا شافية .

المرحلة الثانية من حياتهم: ظهورهم واشتهارهم وأخبارها موقع الاهتمام بهاوالتعليق عليها والتقديم لها حتى لا تضيع.

ووفقاً لذلك فإن المصادر أكدت أنه تربى تحت رعاية والده، وأنه كان مقدماً على أخوته، لما يرى فيه من معاني الرجولة(٢) وعندما أصبح شاباً لزم والده حتى مقتله في قلعة جعبر سنة ٥٤١هـ/١٠٤٧م(٣)، ومن خلال ذلك يتضح لنا أن نور

---

(١) ابن الأثير: الباهر،ص٢٠ . ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢،ص٢٩٧ . ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية في السيرة النورية،ص١٥.

(٢) ابن الأثير: الباهر،ص٢٠. ابن كثير : البداية والنهاية،ج٢،ص٢٩٧.

(٣) ابن القلانسي : ذيل تأريخ دمشق، ص٢٨٥.ابن الجوزي: ج١٠،ص١١٩ . ابن العبري: تأريخ مختصر الدول،٢٠٧. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة،

الدين تربى في بيئة كانت حافلة بالأحداث السياسية والعسكرية . فمن الطبيعي أنها صقلت مواهبه، وأكسبته خبرة كبيرة كان لها الأثر البالغ في تكوين شخصيته وتعامله مع الأحداث اللاحقة.

وعلى أي حال فإننا ذكرنا سابقاً أن سيف الدين غازي استقر في الموصل، بينما استقرنور الدين محمود في حلب[١] ووفقاً لهذا انقسمت عرى الوحدة التي أقامها عماد الدين الى قسمين :

القسم الغربي: تحت زعامة نور الدين محمود، ويشمل حلب وما يتبعها من بلاد الشام.

والقسم الشرقي: ويشمل الموصل والجزيرة، تحت زعامة سيف الدين غازي الابن الأكبر لعماد الدين[٢] مما لا يخفى أثره أن هذا الانقسام قد يؤثركثيراً على الوحدة الاسلامية في مقاومة الصليبيين لأن من المعلوم ان الموصل تعتبر القوة الأساسية التي ارتكز عليها زنكي في حروبه، فان عدم مشاركتها يؤدي الى اضعاف حلب، غير أن ما أبداه الأخوين من تعاون واتفاق خفف كثيراً من اختلال التوازن بين القوى المتصارعة، وهذا ما ستبينه الأحداث على امتداد حكم آل زنكي.[٣]

---

[١] علماً أن عماد الدين قد خلف أربعة أولاد وهم:سيف الدين غازي صاحب الوصل، ونور الدين محمود، وقطب الدين مودود، ونصير الدين أمير اميران، ولم يعقب سوى قطب الدين. سبط ابن الجوزي:مرآة الزمان،ج٨،ق١/ص٢٨٢. ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية في السيرة النورية، ص١٢١-١٢٢.

[٢] ابن الأثي: الباهر، ص٨٤-٨٥ . ابن العديم: زبدةالحلب، ج٢،ص٢٨٥. ابن واصل: مفرج الكروب،ج١،ص١٠٧ .

[٣] كان لجمال الدين الأصفهاني وصلاح الدين الياغسياني دوراً كبيراً في حفظ الحكم في بيت ال زنكي، ولاسيما ضد أطماع الب أرسلان بن السلطان محمود السلجوقي الذي حاول السيطرة على الموصل حيث تمكنا من إقناعه عن طريق إيهامه بأنها في جانبه، وبادروا بالإتصال بالأمير زين الدين علي بن بتكين نائب زنكي في الموصل وأخبراه بمقتل عماد الدين وطلبا منه استدعاءولده سيف الدين غازي الى الموصل بعد أن كان مقيماً في شهرزور، فلما طلبهما أرسل من يحضرسيف الدين، وفعلاً قد تسلم الموصل. ابن الأثير: الباهر،ص٨٢-٨٥. البنداري: دولة ال سلجوق،ص١٩٠-١٩١. ابن واصل: مفرج الكروب، ج١،ص١٠٧. ابن خلكان: وفيات الأعيان،ج٣،ص١٧٦-١٧٧. أما نور الدين فيذكر أن أسد الدين شيركوه لما بلغه وفاة زنكي ركب وقصد خيمة السلطان نور الدين محمود

فبعد مقتل عماد الدين تلقى أعدائه الخبربغبطة كبيرة[١]، وحاول كل واحد منهم استعادة ما فقده من أملاك، اذ هاجم انراتاباك دمشق بعلبك وأرغم حاكمها نجم الدين أيوب من قبل زنكي التنازل عنها وعوضه عن ذلك اقطاعاً ومالاً في دمشق[٢]، كما بادر جولسين أمير الرها السابق الذي كان يتحين الفرص لاستعادة إمارته المفقودة، وذلك بعد اتصاله بالأرمن من سكان المدينة، ثم توجه بقواته إليها فدخلها بفعل المساعدات التي تلقاها منهم، إلا انه لم يتمكن من اجتياح قلعتها التي تحصنت بها حاميتها الاسلامية[٣]وفي غضون ذلك توجه نورالدين بقواته إليها، بعد أن وافته الأنباء بما حدث، فتمكن من استرجاعها وكبد الجيش الصليبي خسائر فادحة علىأثر معركة عنيفة دارت بين الطرفين، وقع خلالها اعداداً كبيرة من الأسرى والسبي في أيدي المسلمين، فضلاً عن ضخامة الغنائم[٤]، ولقي مصرعه في هذه المعركة من الأمراء بلدوين صاحب مرعش[٥]، أما جولسين فإنه تمكن من الهرب ليلاً بعد ان أصيب بجروح بالغة في رقبته[٦]، وهكذا استطاع نور الدين أن يعيد هذه المدينة الى أملاك المسلمين، واستطاع بذلك سد الثغرة التي يمكن أن يحدثها استمرارغتصاب

وأشار إليه أن يتوجه الى حلب ونادى بالعسكر فاجتمعت حوله وسار إليها . ابن قاضي شهبه: الكواكب الدرية في السيرة النورية،ص١٥ . وتشير المصادر أن صلاح الدين الياغسياني التحق بخدمةنور الدين لتدبير امور دولته. ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق،ص٢٨٥ . ابن الأثير: الكامل في التأريخ،ج١١،ص١١٣. ابن العديم: زبدة حلب،ج٢،ص٢٨٥-٢٨٦. ابن واصل : مفرج الكروب،ج١،ص١٠٧.

(١) رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية،ج٢،ص٣٨٦.

(٢) ابن القلانس: ذيل تأريخ دمشق،ص٢٨٧-٢٨٨. ابن الأثير: الكامل فيالتأريخ،ج١١،ص٨٧.

(٣) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق،ص٢٨٨. ابن الأثير: الباهر، ص٨٦. ابن العديم: زبدةالحلب، ج٢،ص٢٩٠. ابن قاضي شهبة:الكواكب الدرية،ص١٢٣.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التأريخ،ج١١٤،١١ . ابن العديم:زبدة الحلب، ج٢،ص٢٩٠.

(٥) رنسيمان: تأريخ الحروب الصليبية، ج٢،ص٣٨٦. العريني: الشرق الأوسط والحروب الصليبية، ج١،ص٥٣٦.

(٦) ابن القلانسي: ذيل تأريخ دمشق،ص٨٨. رنسيمان: تأريخ الحروب الصليبية،ج٢،ص٣٨٦.

الرها من قبل الصليبيين[١] وبعد هذه الأحداث قام نور الدين بإجلاء الصليبيين الموجودين فيها ومعاقبة مرتكبيها[٢]، يبدو أن نور الدين أراد من خلال استخدامه هذه التدابير المشددة أن يجعلها درساً لمن أراد استقلال الظروف التي تمر بها البلاد الإسلامية عقب وفاة عماد الدين. وعلى كلٍّ فإن ما حققه نور الدين من انتصار في استرجاعه الرها، يعد انتصاراً لجميع المسلمين. أما علىالصعيد الصليبي فإنه يعدّ خيبة أمل لهم، واصبحوا على يقين بأن نور الدين لا يقل خطورة عن والده، لاسيما وأنه تمكن أيضاً من مد الهجوم الذي قام به أميرانطاكية ريموند علىحماه وحلب، وتكبيد قوات أنطاكية خسائر كبيرة[٣]، وفي عام ٥٤١هـ/١١٤٧م توجه نور الدين الى دمشق بعد الاستنجاد الذي بلغه من واليها معين الدين انر، على أثر التهديدات التي تعرضت لها دمشق من قبل حاكم بيت المقدس، الذي وصلت قواته الى حوران، فتمكن نور الدين من إلحاق الهزيمة بالقوات الصليبية [٤]واستناداً الى روح التعاون هذه أصبحت العلاقة بين حلب ودمشق أكثر استقراراً من ذي قبل، ولاسيما بعد أن تكللت بزواج نور الدين من ابنة معين الدين، كما تم إعادة حماة التي استولى عليها معين الدين بعد مقتل زنكي الى نور الدين[٥]، وحرص نور الدين على إعادة جميع المواقع التي استولى عليها الصليبيين القريبة من حلب أمثال أرتاح وكفرطاب وغيرها[٦]، يبدو ان نور الدين اتبع سياسة أبيه في إبعاد القوات الصليبية عن قاعدة

---

[١] كلود كاهين: تأريخ العرب والشعوبالإسلامية، ترجمة: بدرالدين قاسم، دار الطباعةوالنشر- بيروت،ط١،١٩٧٣، م١،ص٣٦١ .

[٢] ابن القلانسي: ذيل تأريخ دمشق، ص٢٨٨. ابن الأثير: الباهر، ص٨٦-٨٨. ابن العديم: زبدة الحلب،ج٢،ص٢٩٠. ابن واصل: مفرج الكروب،ج١،ص١١٠-١١١ . ابن قاضي شهبة : الكواكب الدرية في السيرة النورية،ص١٢٣ .

[٣] أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين، ج١،ق١،ص٤٨ .

[٤] رنسيمان : تأريخ الحروب الصليبية،ج٢،ص٣٨٩-٣٩٠ .

[٥] ابن القلانسي: ذيل تأريخ دمشق،ص٢٨٩. ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية في اليرة النورية،ص١٢٤ .

[٦] ابن الأثير: الكامل في التأريخ،ج١١،ص١٢٢ . ابن العديم:زبدة الحلب، ج٢،ص٢٩١ .

حلب، إذ شن العديد من الغارات على إمارة انطاكية فتم من خلالها استرجاع العديد من الحصون التابعة لحلب، الواقعة شرق نهر العاصي[١].

أ- دور نور الدين في مقاومة الحملة الصليبية الثانية:

كان لسقوط الرها تأثير كبير في الغرب الأوربي، فما أن، توالت الأنباء الى مسامعهم حتى بادر البابا بوجنيوس الثالث، بالإرسال إلى كل من امبراطور ألمانيا كنراد الثالث والى ملك فرنسا لويس السابع، يحثهما بالإسراع لنجدة الصليبيين في الشرق[٢]، ويبدو أن القوات الألمانية كانت أسرع استجابة من غيرها، حيث عبرت مضيق البسفور قبل القوات الفرنسية بعدة أيام، وعندما بلغت مدينة دورليوم، فوجئت بهجوم عنيف من قبل القوات الإسلامية، أبيد خلاله معظم الجيش الصليبي[٣]، ويشير رنسيمان إلى حجم الخسائر التي لحقت بالجيش الألماني قائلاً (والواقع أنها لم تكن إلا مذبحة لا معركة وحاول كنراد عبثاً أن يجمع شتات رجاله، غير أنه لم يحل المساء حتى أمعن في الفرار مع من تبقى من رجاله عائدين إلى نيقيه، وفقد كنراد تسعة أعشار جيشه، فضلاً عن كل محتويات معسكره وما وقع في أيدي ((المسلمين)) المظفرين من غنيمة، باعوها في كافة أسواق الشرق الإسلامي حتنفارس)[٤]، ويذكر ابن القلانسي حجم ما غنمه المسلمون قائلاً (وظلت الغنائم تباع في أسواق المدن الإسلامية عدة شهور)[٥]، أما القوات الفرنسية فأنها أكملت طريقها، وعند مدينة أوديسا[٦] تعرضت إلى هزيمة فادحة من قبل القوات الإسلامية

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التأريخ،ج١١،ص١٢٢ . ابن العديم : زبدة الحلب،ج٢،ص٢٩١ . رنسيمان: تأريخ الحروب الصليبية،ج٢،ص٣٩٢ .

(٢) ابن الأثير: الكامل في التأريخ،ج٢،ص١٢٢ . ابن العديم: زبدة الحلب،ج٢،ص٢٩١ . يذكر رنسيمان أن البابا كلف أحد رجاله وهو برنارد رئيس ديرليرفو في فرنسا بالدعوة للحرب ضد المسلمين . تأريخ الحروب الصليبية،ج٢،ص٤٠٦-٤٠٧ .

(٣) ابن القلانسي: ذيل تأريخ دمشق،ص٢٩٧. حسين مؤنس: نورالدين محمود،٢٠٧-٢٠٨ .

(٤) تأريخ الحروب الصليبية، ج٢،ص٤٣١-٤٣٢ .

(٥) ابن القلانسي: ذيل تأريخ دمشق،ص٢٩٧ .

(٦) أوديسا: مدينة تقع على نهر اليكوس. مايرهانز ابرهارد: تأريخ الحروب الصليبية، ترجمه عن الألمانية. د.عماد الدين غانم، منشورات مجمع الفاتح للجامعات، ليبيا،١٩٩١، ص١٥٥ .

المرابطة هناك[١]، وواصلت القوات الفرنسية مسيرها عبر طريق وعر وشاق، حتى وصلوا إلى اضاليا[٢]، حيث استقل الملك وكبار رجاله وفرسانه عدد من السفن أقلتهم بحراً إلى أنطاكية، بينما أكمل بقية الجيش طريقه براً، فلم يصل منهم إلى أنطاكية إلا القليل بسبب المقاومة التي واجهتهم خلال خط سيرهم[٣]، وعند وصول الويس إلى أنطاكية استقبله ريموند بحفاوة بالغة أملاً منه في توسيع أملاك إمارته علىحساب قوة نور الدين الذي بات يهدد الوجود الصليبي في المنطقة، إلا أن الويس غادر أنطاكية مع رجاله إلى بيت المقدس[٤]، وعلى أي حال التقى كل من الأمبراطور الألماني والملك الفرنسي في بيت المقدس مع الملك بلدوين الثالث وكبار رجال الدين والقادة، وعقدوا مجلساً استشارياً حول هدف هذه الحملة[٥]، فتقرر توجيهها إلى دمشق[٦]، وعندما علم معين الدين انر ما عزمت عليه الجيوش الصليبية، استعد واتخذ الاجراءات اللازمة للدفاع عن مدينته، كما طلب النجدة من نور الدين محمود وسيف الدين غازي[٧]، وفي ربيع الأول سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م توجهت القوات الصليبية إلى

---

(١) ماير: تأريخ الحروب الصليبية،ص١٥٥ .

(٢) اضاليا: بلدة كبيرة من بلاد الروم تقع على البحر الأبيض المتوسط وتنتهي إلى خليج القسطنطينية، الحموي: معجم البلدان،ج١،ص٤١٦ .

(٣) ابن القلانسي: ذيل تأريخ دمشق،ص٢٩٧ .

(٤) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان،ج٨،ق١،ص١٩٧. رنسيمان: تأريخ الحروب الصليبية،ج٢،ص٤٤٨-٤٤٩.

(٥) لقد اختلفت الآراء حول توجيه هذه الحملة طبقاً لأختلاف أطماعهم، إذ حاول ريموند أمير انطاكية توجيهها الى حلب لضرب نور الدين، أما جوسلين صاحب الرها السابق حاول توجيهها إلى الرها لاستعادة إمارته المفقودة، كما حاول ريموند أمير طرابلس تسخير هذه الحملة لاستعادة حصن بارين، بينما نجد مليزاند الوصية على بلدوين الثالث، تحاول استغلال هذه الحملة لاحتلال دمشق على اعتبارها تشكل خطراً كبيراً على بيت المقدس. رنسيمان: تأريخ الحروب الصليبية:ج٢،ص٤٤٨-٤٤٩. عاشور الحركة الصليبية، ج٢،ص٦٢٨-٦٢٩. العريني: الشرق الأوسط والحروب الصليبية،ج١،ص٥٦٤. ويشير ابن القلانسي الى اختلاف أطماعهم قائلاً (واختلفت الآراء بينهم فيما يقصدون منازلته من البلاد الاسلامية والعمال الشامية الى أن استقرت الحال فيهم على منازلة دمشق). ذيل تأريخ دمشق،ص٢٩٨.

(٦) ابن القلانسي: ذيل تأريخ دمشق،ص٢٩٨. ابن الأثير: الباهر،ص٨٨ . ابو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين، ج١،ق١،٥٢. ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية في السيرة النورية، ص١٢٦ .

(٧) ابن الأثير: الباهر، ص٨٨ . ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية في السيرة النورية،ص١٢٧. يذكر سبط ابن الجوزي أن معين الدين قد أرسل الى سيف الدين (يستصرخ به ويخبره بشدة بأس الفرنج ويقول أدركنا). مرآة الزمان، ج٨،ق١،ص١٩٧-١٩٨.

دمشق[١]، وضربت عليها الحصار عدة أيام[٢] استبسل خلالهاأهالي دمشق في الدفاع عن مدينتهم، إذ اشتبكوا معهم مرات عديدة[٣] لاسيما بعد أن شق الجيش الصليبي طريقه الى الربوة[٤]، تحت أسوار المدينة، وترائى لأهل المدينة أن كل شيء ضاع، وشرعوافي إقامة المتاريس في الشوارع استعداداً للقيام بالنضال الأخير، إلا أن هذا الزحف لم يلبث أن ارتد في اليوم الثالث على أثر الإمدادات التي توالت على المدينة من الأبواب الشمالية، مما عزز صمود أهل المدينة الذين بادروا بهجوم مضاد ردوا به القوات الصليبية عن الأسوار[٥]، كما قام أهل دمشق بمهاجمة الصليبيين خارج الأسوار، وإلى ذلك يشير ابن الأثير قائلاً (فخرج إليهم أهل البلد والعساكر فقاتلوهم وصبروا لهم)[٦]وبلغت من شدة المقاومة أن اضطرت القوات الصليبية الجلاء عن المكان، إلى مكان اكثر أماناً[٧] علهم أن يتمكنوا من رصد تحركات القوات الاسلامية التي ألحقت بهم الضرر، لذلك تحركوا من البساتين الواقعة جنوب المدينة الى المنطقة الشرقية منها[٨]، وفي تلك الأثناء وصلت قوات الموصل

---

(١) يذكرأن عدد القوات الصليبية المتحالفة بلغت ستين ألأف راجل وعشرة آلاف فارس. سبط ابن الجوزي:مرآة الزمان،ج٨،ق١،ص١٩٧. ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية،ص١٢٦ .

(٢) كان مدة الحصار خمسة أيام، أبو شامة: الورضتين في أخبار الدولتين،ج١،ق١،ص٥٢.

(٣) ابن القلانسي: ذيل تأريخ دمشق، ص٢٩٨-٢٩٩ . ابن الأثير: الباهر،ص٨٨-٨٩ . ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية في السيرة النورية،ص١٢٧-١٢٨ .

(٤) الربوة: وهي ما علا من الأرض، والمقصودة هنا الربوة الواقعة تحت أسوار المدينة. ياقوت : معجم البلدان، ج٣، ص٢٣ .

(٥) ابن القلانسي: ذيل تأريخ دمشق، ص٢٩٩ .

(٦) الكامل في التأريخ، ج١١،ص١٢٩. ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية في السيرة النورية،ص١٢٧. وكان بين المجاهدين العابد عبد الرحمن بن عبد الله الجعدي الخمي وصاحبه يوسف المغربي وكانا شيخين كبيرين إذ حاول معين الدين أنر منعهما من الجهاد لكبر سنهما، فرفضا وأبيا إلا الجهاد وتقدما واستشهدا في ظاهر دمشق. ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية في السيرة النورية،ص١٢٦ .

(٧) يذكر رنسيمان أن هجمات المجاهدين بلغت من (الخطورة على المعسكر ((الصليبي)) ما دعا كنراد ولويس وبلدوين الىالاجتماع معاً، وقرروا الجلاء عن البساتين بجنوب المدينة والتحرك صوب الشرق، وإقامة معسكرهم في بقعة لا يتهيأ فيها للعدو هذا الستار) تأريخ الحروب الصليبية،ج٢،ص٤٥٤ .

(٨) ابن القلانسي: ذيل تأريخ دمشق،ص٢٩٩ .

بقيادة سيف الدين غازي، وصحبه نور الدين محمود إلى حمص[١]، وقبل أن يتحرك سيف الدين الى دمشق أرسل الى معين الدين، للتنسيق فيما بينهما ضد الصليبيين قائلاً له (قد حضرت ومعي كل من يطيق حمل السلاح من بلادي، فإن إنا جئت إليك ولقينا الفرنج وليست دمشق بيد نوابي وأصحابي وكانت الهزيمة علينا لا يسلم منا أحد لبعد بلادنا عنا وحينئذٍ يملك الفرنج دمشق وغيرها، فإن أردت أن ألقاهم وأقاتلهم فتسلم البلد إلى من أثق اليه وأنا أحلف لك ان كانت النصرة لنا علىالفرنج انني لا آخذ دمشق ولا أقيم فيها إلا مقدار ما يرحل العدو عنها وأعود إلى بلادي)[٢]، الواقع أن سيف الدين كان محقاً في موقفه هذا من معين الدين لاسيما أن الأخير كان معروفاً بمحالفاته وارتباطاته مع الصليبيين حفاظاً على نفوذه في دمشق، كما وأن الصليبيين ينظرون إليه بأنه الحليف الوحيد الذي يستطيع مساعدتهم فيوقف تقدم نور الدين محمود[٣]، لذلك نلاحظ إصرار سيف الدين على تسلم دمشق خوفاً على قواته من غدر معين الدين الذي لا يبالي بالتماس المساعدة من قبل الصليبيين ضد القوات الاسلامية، فأراد سيف الدين أن يقطع عليه أي محاولة تعرض قواته للخطر، لاسيما وأن معين الدين على اطلاع وافي بكراهية أهل دمشق له وتطلعهم الىالخلاص منه، فعمل جاهداً للخروج من هذا المأزق دون أن يضطر إلى الاستعانة بقوات سيف الدين حيث أخذ بمماطلته لينظر ما يكون من أمر الصليبيين[٤]، يبدوا أن معين الدين كان متخوفاً من سيف الدين ونور الدين إذا دخلا دمشق، لذلك أخذ بمماطلتهما، وكان في الوقت نفسه يهدد الصليبيين بتسليم المدينة الى سيف الدين إذا

---

[١] ابن الأثير: الباهر، ص٨٩. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨،ق١،ص١٩٨. ابن العديم: زبدة الحلب،ج٢،ص٢٩١ . ابن واصل: مفرج الكروب،ج١،ص١١٢ . ابو الفداء: المختصرفي أخبار البشر،ج٣،ص٢٠.

[٢] ابن الأثير: الباهر،ص٨٩. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان،ج٨،ق١،ص١٩٨. ابن واصل : مفرج الكروب،ج١،ص١١٣. ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية في السيرة النورية،ص١٢٧.

[٣] باركر: الحروب الصليبية،ص٩٥ .

[٤] ابن الأثير: الباهر،ص٨٩. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان،ج٨،ق١،ص١٩٨. أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين،ج١،ق١٣٨،١ .

حاولوا اقتحامها.[1] كما حاول معين الدين التماس الحلفاء من داخل المعسكر الصليبي، فيذكر أنه أرسل الى بلدوين الثالث يوعده بتسليم حصن بانياس إذا تمكن من إقناع بقية الأمراء الصليبيين برفع الحصار عن المدينة[2]، كما ان معين الدين استفاد كثيراً من تهديدات سيف الدين للصليبيين[3] فاعتمدها سلاحا أرغم فيه القوات الصليبية على الرحيل، وفي ظل ذلك أخذت الامدادات تتوالى على أهالي دمشق الذين أخذوا يجاهدون الصليبيين (والمسارعة الى استئصالهم فأيقنوا بالهلاك والبوار)[4]، ووفقاً لذلك اضطرت القوات الصليبية الى رفع الحصار عن دمشق[5] منسحبة الى فلسطين ومن هناك غادر الامبراطور كنراد عن طريق البحر الى القسطنطينية في طريق عودته الى بلاده [6].اما الملك لويس فأنه تأخر عدة شهور ،ثم عاد الى فرنسا [7] وهكذا استطاع اهالي دمشق مقاومة الغزاة، درء الخطر المحدق بمدينتهم، بفعل تضافر الجمهود وتوحيد الكلمة،ويفعل ما قامت به القوات

---

[1] يذكرابن الأثير أن معين الدين قال لهم(قد حضر ملك الشرق ومعه العساكر ما لا طاقة لكم به فان أنتم رحلتم عنا وإلا سلمت البلد إليه حينئذٍ لاتطمعون في السلامة منه). الباهر،ص٨٩ . ابن واصل: مفرج الكروب،ج١،ص١١٣ .

[2] ابن القلانسي: ذيل تأريخ دمشق،ص٢٩٩-٣٠٠. ابن الأثير: الكامل في التأريخ،ج١١،ص١٣٠ . ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية في السيرة النورية،ص١٢٧-١٢٨ .

[3] يذكرابن الأثير أن سيف الدين (أرسل الىالفرنج الغرباء يتهددهم، ويعلمهم أنه على قصدهم إن لم يرحلوا)الباهر،ص٨٩.

[4] ابن القلانسي :ذيل تأريخ دمشق، ص٢٩٩ .

[5] سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان،ج٨،ق١،ص١٩٨. ابن العديم: زبدة الحلب،ج٢،ص٢٩١ . ابن واصل: مفرج الكروب،ج١،ص١١٣ . ابو الفداء: المختصر في أخبار البشر،ج٣،ص٢٠ . ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية في السيرة النورية، ص١٢٨ .

[6] رنسيمان:تأريخ الحروب الصليبية ج٢ ص ٤٥٧-٤٥٨ .حسين مؤنس :نور الدين محمود ص ٢٢٣.

[7] يذكر ان سبب تاخره انه توجه الى طرابلس طامعا في الاستيلاء عليها،فاقتحم احد الحصون التابعة لطرابلس وتحصن فيه وعندئذ استنجد ريموند امير طرابلس بنور الدين ومعين الدين بعد ان يئس من نجدة الامراء الصليبيين فبادر كل من نور الدين ومعين الدين لنجدته وتمكنا من الاستيلاء على الحصن واسروا كل من كان فيه ثم دمر الحصن ورجع كل واحد منهم الى مدينته .ابن القلانسي :ذيل تاريخ دمشق،ص٣٠٠.ابن الاثير :الباهر،ص٩٠

الاسلامية القادمة لنجدتهم من دور كبير في شد أرهم . ومن النتائج المترتبة على فشل هذه العملة، انها قضت على هيبة الصليبين قضاءاً مبرماً، وتحقق فشل الأسطور القائلة بأن قوتهم لا تقهر هذا من جهة، ومن جهة اخرى أدرك قادة المقاومة لا سيما نور الدين محمود على اهمية دمشق وبشكل كبير في مقاومة الصليبيين، وذلك بعد أن إطلع وبشكل وافي على امكنياتها التعبوية سواء كانت من الناحية البشرية ام الاقتصادية، هذا فضلاً عن موقعها الجغرافي الذي جعلها نداً في مواجهة أكبر الامارات الصليبية وأقواها شكيمة (مملكة بيت المقدس) واستناداً إلى ذلك أصبحت دمشق هدفاً رئيسيا لمشروعه الوحدوي.

وبعد هذا الانتصار الذي تحقق للقوات الاسلامية في دمشق، توجه نور الدين الى مهاجمة بعض الحصون والقرى التابعة لأمارة أنطاكية، حيث تم تحرير حصن فاميا وباسوطا ووهاب[١] ثم توجه الى حصن بارين بعد أن وافته أنباء تفضي بتوجه الصليبيين إليه، والتقى معهم هناك في معركة حامية الوطيس، استطاع خلالها من تحقيق النصر عليهم، وتم الاستيلاء على غنائم كثيرة، أرسل منها إلى أخيه سيف الدين والى الخليفة العباسي[٢]، يبدو أن هذه الانتصارات التي حققها نور الدين أثارت استياء الصليبيين في أنطاكية فعقدوا العزم على مهاجمة حلب، فما أن بلغت هذه الاستعدادات الى نور الدين، حتى بادر بطلب النجدة من معين الدين انر،فلبى نجدته وتوجه الحليفان في مستهل سنة ٥٤٣هـ،١١٤٩م الى انطاكية،لمباغتة القوات الصليبية هناك [٣]وعند حصن انب دارت رحى معركة عنيفة بين الطرفين،ابيد خلالها معظم الجيش الصليبي،بما فيهم ريموند امير انطاكية، ورينالد امير مرعش[٤] وعلى أثر هذه المعركة توجه نور الدين الى انطاكية، إلا أن حصانة المدينة أحالت

---

[١] ابن القلانسي: ذيل تأريخ دمشق، ص٣٠٢-٣٠٣. ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية،ص١٢٩.

[٢] ابن الأثير: الباهر،ص٩٨-٩٩ . ابن العديم :زبدةالحلب،ج٢،ص٢٩٢. ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية،ص١٣٠-١٣١ .

[٣] ابن القلانسي:ذيل تأريخ دمشق،ص٣٠٤-٣٠٥.ابن العديم:زبدة الحلب،ج٢ص٢٩٢.ابن واصل :مفرج الكروب،ج١،ص١٢٠-١٢١.

[٤] ابن القلانسي:ذيل تاريخ دمشق،ص٣٠٤-٣٠٥.

دون دخولها[1]، كما وان أهلها بعثوا بطلب النجدات من الممالك الصليبية فتوجهت نجدة بيت المقدس لنصرتهم، وفي الوقت نفسه قام جوسلين بمهاجمة مرعش[2]فاضطر نورالدين الى رفع الحصار عن انطاكية، والشخوص الى الرها لمراقبة القوات الصليبية هناك[3]من الواضح أن نور الدين لم يحاول تشديد الحصار على أنطاكية مستغلاً الظروف الصعبة التي كانت تمر بها المدينة، بعد مقتل أميرها، ومردود ذلك حسب اعتقادنا الى الأوضاع المرتبكة في الجبهة الاسلامية، لاسيما فيما يخص الموصل[4] ودمشق[5]، كما ان استيلاءه علىانطاكية سيؤدي إلى تآلب القوى الأوربية والبيزنطية ضده، فلم يشأ نور الدين الدخول معهم في صراع بهذا الدور المتقدم من المقاومة.

ب- ضم دمشق الى الوحدة الإسلامية:

لقد ذكرنا سابقاً أن دمشق أصبحت هدفاً اساسياً لنور الدين، إلا ان الاستيلاء عليها عنوة بات أمراً عسيراً لاسيما وأنه كان على اطلاع وافي باستحكاماتها الدفاعية، ففي سنة ٤٨٩هـ/ ١٠٩٢م تصدت دمشق لرضوان بن تنتش، حينما حاول الاستيلاء عليها [6]ووقفت حائلا امام هجمات نور الدين عام ٥٢٩ هـ وعام ٥٣٤هـ

---

[1] ابن الأثير: الباهر،ص٩٨-٩٩. ابن العديم: زبدة الحلب،ج٢،ص٢٩٣ .

[2] ابن القلانسي:ذيل تأريخ دمشق، ص٣٠٥-٣٠٦. ابن الأثير: الكامل في التأريخ، ج١١، ص١٤٤.

[3] ابن الأثير: الباهر،ص٩٨-٩٩ . ابن العديم: زبدة الحلب،ج٢،٢٩٣ . ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية في السيرة النورية، ص١٣١ .

[4] ففي سنة٥٤٤هـ/١١٤٩م توفي سيف الدين غازي أمير الموصل، وتولى بعده أخيه قطب الدين مودود بترتيب من الوزير جمال الدين الأصفهاني، ومقدم الجيش زين الدين، فمال بعض القادة الى نور الدين على اعتباره أكبر منه وأكفأ فراسل والي سنجارنور الدين يطلب حضوره ليتسلم سنجار، فتوجه نور الدين الى سنجار وتسلمها، فأثار ذلك غضب قطب الدين الذي أرسل إلى نور الدين يطلب منه ترك سنجار فتم الاتفاق بينهما على ان يترك نور الدين سنجار ويأخذ حمص، وعاد بعد ذلك الى حلب. ابن الأثير: الكامل في التأريخ، ج١١،ص١٣٨-١٣٩. ابن قاضي شعبة الكواكب الدرية، ص١٣١-١٣٤ . ابن خلدون: تأريخ، ج٥،ص٢٤٠.

[5] سيتضح ذلك من خلال تسلسل الأحداث.

[6] ابن القلانسي:ذيل تاريخ دمشق،ص١٣٢.ابن العديم :زبدة الحلب ج٢، ص١٢٢-١٢٥.

لذلك نلاحظ ان نور الدين يحاول ضم المدينة الى الوحدة الاسلامية بالطرق السلمية .الواقع ان هذا التوجه في سياسة نور الدين نابعا من اسلاميته وحسن عقيدته حيث كان محافظا على دماء المسلمين ووحدتهم،يتضح هذا من خلال قوله (اني ارفه المسلمين بذل نفوسهم في مجاهدة اعدائهم)[1] إلا ان الحوادث لم تلبث أن حفزت نور الدين الى التعجيل بالاستيلاء على دمشق منها: استيلاء الفرنج على عسقلان سنة٥٤٨هـ/١١٥٣م، ووقوع دمشق في الطريق ما بين حلب وعسقلان، فلا سبيل الى استرجاعها إلا عن طريق الاستيلاء على دمشق[2] ويضيف سبط ابن الجوزي سبباً آخردفع نور الدين على ضم المدينة هو(ان مجير الدين أظهر من التعسف والظلم وسير الى الفرنج يطمعهم في البلاد وطمعوا فيه)[3]هذا فضلاً عن ان بقاء دمشق خارج سيطرته تشكل العقبة الأولى أمام وحدة الشام، كما ويشير السيوطي أن الخليفة العباسي منح نور الدين تقليداً

---

[1] ابن الاثير :الباهر،ص١٠٧.وبذكر ابن القلانسي النص بقوله (لاحاجة الى مقتل المسلمين بأيدي بعضهم بعضا،والى انه يدخرهم كيما يبذل نفوسهم في مجاهدة المشركين)ذيل تاريخ دمشق،ص٣١٥-٣١٦.

[2] ابن الأثير: الكامل في التأريخ،ج١١،ص١٣٠ . أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين،ج١،ق١،ص٢٣٨ . ابن الكثير: البداية والنهاية، ج١٢،ص٢٣٢ .

[3] مرآة الزمان، ج٨،ق١،ص٢٢٠ .

بولاية مصر والشام قائلاً (وكتب الخليفة المقتفي عهداً للملك نور الدين بن زنكي على البلاد الشامية والمصرية وأرسله إليه فسار حتى أتى دمشق فحاصرها وانتزعها من يد مجير الدين ابن طغتكين وشرع في فتح بلاد الشام)[١]ومهما اختلفت الأسباب، فإن نور الدين كان محقاً في ضم دمشق، نظراً لما تتطلبه المرحلة التأريخية الراهنة من جهة، وحسب ما يقتضيه التقليد الشرعي الذي منحه الخليفة من جهة اخرى. ولهذا حاول نور الدين التماس كل الطرق التي تحقق له مراده . فسار بقواته اليها في سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م على أثر الأنباء التي وصلت إليه، بأن الصليبيين هاجموا مناطق حوران التابعة لدمشق وعاثوا فيها الفساد دون أن يردعهم أحد[٢] وعندما اقترب نور الدين من المدينة أرسل إلى حاكمها مجير الدين يخبره أنه جاء لدفع الصليبيين عن حوران، لا من أجل احتلال المدينة، ويتضح ذلك من خلال قوله(إنني ما قصدت بنزولي هنا طلباً لمحاربتكم، وأنما دعاني لهذا الأمر كثرة شكاية أهل حوران، لأن الفلاحين أخذت أموالهم وسبيت نساؤهم وأطفالهم بيد الفرنج، وعدم الناصر لهم، ولا يسعني مع ما أعطاني الله وله الحمد من الاقتدار على نصر المسلمين وجهاد المشركين وكثرة المال والرجال، أن أقعد عنهم ولا انتصر لهم مع معرفتي بعجزكم عن حفظ أعمالكم والذب عنها والتقصير الذي دعاكم الى الاستصراخ بالفرنج على محاربتي، وبذل لهم أموال الضعفاء والمساكين من الرعية ظلماً لهم وتعدياً عليهم وهذا ما لا يرضي الله ولا أحداً من المسلمين)[٣] كما طلب نور الدين منه بأن يمدهُ بالرجال للجهاد، إذ يقول(ولابد من المعونة بألف فارس تجرد

---

[١] حسن المحاضرة،ج٢،ص٣ . االيافعي: مرآة الجنان وعبر اليقضان، ج٣،ص٢٩٥ .

[٢] ابن القلانسي: ذيل تأريخ دمشق، ص٣٠٨-٣٠٩ . ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية،ص١٣٤-١٣٥. يشير ابن الأثير قائلا(استضعفوا مجير الدين وتابعوا الغارات على أعماله، وكثروا القتل بها والنهب والسبي وزاد الأمر بالمسلمين بها إلى أن جعل الفرنج على أهل المدينة قطيعة كل سنة، فكان رسولهم يجيء إلى دمشق ويجبيها من أهل البلد ثم اشتد البلاء على أهلها حتى أرسل الفرنج واستعرضوا عبيدهم وإمائهم ممن أخذ من سائر البلاد النصرانية وخيروهم بين المقام عند مواليهم أو العودة إلى أوطانهم فمن أحب المقام تركوه، ومن أحب وطنه سار إليه) الكامل في التأريخ،ج١١،ص١٣٠ . ابن واصل: مفرج الكروب، ج١،ص١٢٦ .

[٣] ابن القلانسي: ذيل تأريخ دمشق، ص٣٠٩ .

مـــــــــــع مــــــــــــن يوثــــــــــــق بشـــــــــــجاعته مــــــــــــن المقدمين ..)[١]غيرأن مجير الدين رفض ذلك وافصح عن سياسته العدائية قائلاً(ليس بيننا وبينك إلا السيف، وسيوفنا مع الفرنج ما يعيننا على دفعك إن قصدتنا ونزلت علينا)[٢] ولما اتضح لنور الدين موقف حكام دمشق، قرر عدم مهاجمة المدينة حقناً لدماء المسلمين[٣]، وبالرغم من الموقف المتخاذل الذي أبدوه، إلا أن نور الدين كسب ميول أهلها معه [٤]، وعندما شعر حكام دمشق بتصميم نورالدين على ضم المدينة وميول سكانها معه جنحوا إلى مسالمته والانطواء تحت رايته، وذكروا أسمه في الخطبة بعد الخليفة والسلطان، وطبع أسمه على السكة، رمزاً لتبعيتهم له، وتم هذا مع مطلع عام ٥٤٥هـ/١١٥٠م[٥]، يبدو أن نور الدين لم يرض بهذه الاجراءات التي اتخذها حكام دمشق، وعدها محاولة منهم لصرفه عن المدينة، وهذا ما حدث فعلاً، فإن مجير الدين لم يقطع مراسلاته ببلدوين حاكم بيت المقدس، لذلك توجه نور الدين الى دمشق مع مطلع عام ٥٤٦هـ/١١٥١ وراسل صاحبها قائلاً(... فقد صح عندي أنكم ظاهرتم الفرنج، وما قصدي إلا الجهاد فإن رجعتم عن الفرنج واعطيتموني عساكركم أجاهد في سبيل الله رجعت عنكم)[٦] فما كان من مجير الدين إلا أن

---

[١] ابن القلانسي: ذيل تأريخ دمشق، ص٣٠٩ .

[٢] ابن القلانسي: ذيل تأريخ دمشق، ص٣٠٩ . ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية في السيرة النورية،ص١٣٥.

[٣] المصادر نفسها .

[٤] ابن الأثير: الباهر،ص١٠٨ . سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان،ج٨،ق١،ص٢٢٢ . ابن واصل: مفرج الكروب،ج١،ص١٢٧ .

[٥] ابن القلانسي: ذيل تأريخ دمشق،ص٣١٢-٣١٣. ابن الأثير: الكامل في التأريخ،ج١١،ص١٦٣. ابن العديم: زبدة الحلب،ج٢،ص٣٠٥ . ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة،ج٥،ص٢٩٨ .

[٦] ابن القلانسي: ذيل تأريخ دمشق، ص٣١٢-٣١٣. ابن الأثير: الكامل في التأريخ:ج١١،ص١٦٣. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان،ج٨،ق١،ص٢٢١. ابن العديم: زبدة الحلب،ج٢،ص٣٠٤. ابن واصل : مفرج الكروب، ج١،ص١٢٦. ابن كثير: البداية والنهاية،ج١٢،ص٢٣٢.

يتصل بالصليبيين تأكيداً لتضامنهم ضد نور الدين[1]، ووفقاً لذلك رفع نور الدين الحصار عن المدينة خشية سقوطها بيد الفرنج[2]، غير أن هذا لا يعني أن نور الدين قد عدل عن سياسته في ضم المدينة الى الوحدة الاسلامية، بل اننا نجده يتبع سياسة مغايرة اذ شرع بمراسلة مجير الدين وأخذ يشككه بمن حوله من رجال دولته وأعوانه ففسد النيات بينهم حتى قام بطرد العديد منهم[3]ونتيجة لهذه الأوضاع المتردية سئم الناس من سياسته، كما رافق ذلك تدخل الصليبيين بشكل كبير في المدينة حتى أخذ العلماء وكبار الناس يكتبون الى نورالدين طالبين حضوره لأنقاذهم من هذه الأوضاع السيئة[4]، وفعلاً توجه نور الدين الى دمشق في صفر سنة٥٤٩هـ/١١٥٤م، وتمكن من دخولها بمساعدة أهلها الذين اسنقبلوه بأبهى مظاهر الفرح والسرور[5]، أما مجير الدين فإنه اعتصم بقلعتها، فأعطاه نور الدين الأمان ووعده بأقطاعه حمص فاستلم ووفى له نور الدين[6]، أما أهالي المدينة فوعدهم نورالدين بإجمال السيرة ونشرالعدل، ويشير ابن الأثير الى ذلك قائلاً(ولما استقر نور الدين في البلد عمل مع أهله مكرمة عظيمة وأظهر فيها عدلاً عاماً .... والقى

---

[1] يذكر ان مجير الدين خرج من دمشق بصحبة وزيره مؤيد الدين، والتقيا ببلدوين ملك بيت المقدس واتفقا على دفع نور الدين عن المدينة. ابن القلانسي: ذيل تأريخ دمشق،ص٣١٢-٣١٦ . ابن العديم: زبدة الحلب، ج٢،ص٣٠٥ . ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية،ص١٣٧-١٣٨ .

[2] ابن الأثير: الكامل في التأريخ، ج١١،ص١٦٣ . ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية،ص١٣٧-١٣٨ .

[3] ابن القلانسي: ذيل تأريخ دمشق، ص٣١٨ . ابن الأثير:الباهر،ص١٠٦-١٠٨ .سبط ابن الجوزي:مرآة الزمان، ج٨،ق١،ص٢٢٠-٢٢١. ابن واصل:مفرج الكروب،ج١،ص١٢٧-١٢٨ .

[4] ابن القلانسي: ذيل تأريخ دمشق،ص٣٢٨-٣٢٩. ابن العديم: زبدة الحلب،ج٢،ص٣٠٥ . ابن كثير: البداية والنهاية،١٢،ص٢٣٢ .

[5] ابن القلانسي: ذيل تأريخ دمشق،ص٣٣٩ . ابن الأثير: الباهر،ص١٠٨ . ابن العديم: زبدة الحلب،ج٢،ص٣٠٥. ابن واصل: مفرج الكروب، ج١،ص١٢٧ . ابن كثير: البداية والنهاية،ج١٢،ص٢٣٢ . ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية،ص١٤٥-١٤٦ .

[6] ابن الأثير: الباهر،ص١٠٨. ابن العديم: زبدة الحلب،ج٢،ص٣٠٥ . ابن واصل: مفرج الكروب،ج١،ص١٢٧ . غير أنه لجأ الى بغداد على اثر المآمرة التي قام بها في دمشق. ابن الأثير: الباهر،ص١٠٨ .

الاسلام بدمشق جرانه، وثبت أوتاده وأيقن الكفار بالبوار، ووهنوا واستكانوا، فعاد جميع ما بالشام من البلاد الإسلامية بيد نور الدين)[١] كان لأنضمام دمشق الى الوحدة الاسلامية أهمية استراتيجية كبيرة، فقد زادت من القدرة الهجومية لدى المسلمين ضد الصليبيين، كما فتحت المجال لنور الدين لضم مصرالى الوحدة[٢] فضلاً عن انها أوجدت نوعاً من التوازن بين قوى المسلمين وقوى الصليبيين في بلاد الشام [٣]، وأخيراً فأن خضوع دمشق لنور الدين زاد كثيراً من نشر الثقافة الاسلامية وازدهارها وكانت تجربة سياسية كشفت عن قدرة نور الدين في قيادة المقاومة الاسلامية ضد الغزاة الصليبيين .وبعد أن أرسا نور الدين حكمه في المدينة، توجه لمناهضة الصليبيين في أنطاكية، إذ توجه في سنة ٥٥١هـ/١١٥٦م الى قلعة حارم، وضرب عليها الحصارحتى اضطر أمير أنطاكية الى اعطاء نور الدين نصف وارداتها[٤]وتوجه إلى بانياس وحاصرها ثم تركها وخرج الى طبرية لملاقات القوات الصليبية القادمة لنجدة بانياس، فهزمهم وقتل أعداد كبيرة منهم[٥] ولم ينجو بلدوين من الموت إلا بالهرب إذ لم تقطع المصادر العربية بمصير الملك من أنه لقي مصرعه أو لجا الى الهرب، اذ أشارت انه لم يعرف خبره[٦]وفي سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م أصاب نورالدين مرض شديد ألزمه الفراش أياماً معدودة حتى يأس الناس من شفائه، واغتنم الصليبيون الفرصة فهاجموا عددا من الحصون في بلاد الشام، من بينها حارم

---

[١] الباهر: ص١٠٧-١٠٨ . سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان،ج٨،ق١،ص٢٢٣ . ابن كثير: البداية والنهاية،ج١٢،ص٢٣٢ .

[٢] عبد المنعم ماجد: العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى،ص١٦٠. حسين مؤس: نور الدين محمود،ص٢٤٧ .

[٣] عاشور: الحركة الصليبية،ج٢،ص٦٦٥ .

[٤] ابن الثير: الباهر،ص١٠٩. ابن العديم: زبدة الحلب،ج٢،ص٣٠٥-٣٠٦. ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية،ص١٤٩ .

[٥] ابن القلانسي: ذيل تأريخ دمشق،ص٣٣٧. ابن الأثير: الباهر،ص١١٠ .

[٦] ابن القلانسي: ذيل تأريخ دمشق،ص٣٤١ . أبو شامة: الورضتين في أخبار الدولتين،ج١،ق١،ص٢٥٣ .

وشبزر وحوران[١]ثم تعافا بعد ذلك وعاد إلى إكمال دوره الجهادي[٢]، ومع مطلع عام ٥٥٤هـ/١١٥٩م زحف الامبراطور البيزنطي عمانويل كومنين الى الشام على أثرالمكاتبات التي جرت بينه وبين امراء الفرنج[٣] اذ حاول الصليبيون فتح جبهة جديدة على نور الدين من خلال إطماع الامبراطور في حلب، إلا أن نور الدين تمكن من عقد اتفاقية معه تم بموجبها اطلاق سراح عدداً من مقدمي الفرنج كانوا مقيمين في حبس نور الدين فقابلة الامبراطور بهدايا قيمة من الخيل الجبلية وخيمة من الديباج والجواهرالنفيسةوأثواباً فاخرة، وعلى أثرها عاد الى بلاده[٤] وبعد أن تمكن نور الدين من تفتيت التحالف بين الصليبيين والامبراطور البيزنطي، توجه الى مهاجمة المواقع الصليبية، اذ هاجم حارم وكان الصليبيون قد استولوا عليها خلال مرضه[٥] وبعد تشديد الحصار عليها،رضخ الصليبيون الى مطالبه[٦] ثم سار نور الدين بجيشه لجهاد الفرنج في طرابلس ونواحيها،ونزل على حصن الاكراد،[٧]الا انه انسحب الى مدينة حمص بعد ان تعرض عسكره الى هجوم شنته القوات الصليبيه على حين غرة.[٨]

---

[١] ابن واصل:مفرج الكروب،ج١،١٣٠-١٣١. ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية في السيرة النورية،ص١٤٧.

[٢] ابن القلانسي: ذيل تأريخ دمشق،ص٣٥٠-٣٥٢ . ابن واصل: مفرج الكروب،ج١،ص١٣١ . ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية،ص١٤٧ .

[٣] ابن القلانسي: ذيل تأريخ دمشق،ص٣٥٠-٣٥٢ .سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان،ج٨،ق١،ص٢٥٢ .

[٤] ابو شامة: الروضتين في اخبار الدولتين،ج١،ق١،ص١٢٣ .

[٥] ابن الاثير:الكامل في التأريخ،ج١١،ص٢٥٨.ابن العديم:زبدة الحلب،ج٢،ص٣١٢.ابن واصل:مفرج الكروب،ج١١،ص١٣١.

[٦] ابن العديم:زبدة الحلب،ج٢،ص٣١٢.ابن قلضي شهبه:الكواكب الدرية،ص١٦٠.

[٧] حصن الاكراد:حصن منيع يقع مابين بعلبك وحمص على جبل الجيل.ياقوت الحموي:معجم البلدان،ج٢،ص٢٧٦.

[٨] ابن الاثير:الكامل في التاريخ،ج١١،ص٢٩٤-٢٩٥.ابن العديم:زبدة الحلب،ج٢،ص٣١٣.ابن كثير: البداية والنهاية،ج١٢،ص٢٤٦.ابن خلدون:تاريخ،ج٦،ص٢٤٥.ابن قاضي شهبة:الكواكب الدرية،ص١٦٠-١٦١.

ج- معركة حارم :

وبعد هذه الحادثة استعد نور الدين لمحاربة الصليبيين، كما ارسل الى طلب النجدة من اخيه قطب الدين مودود في الموصل، وقرا ارسلان بن داود صاحب حصن كيفا، ونجم الدين الب ارسلان صاحب ماردين والى غيرهم من الامراء يدعوهم الى مساعدته على الجهاد ضد الصليبيين[١] فسارت القوات الاسلامية الى حارم في مستهل سنة ٥٥٩هـ/١١٦٤م[٢] وكان السبب الرئيسي في قيام نور الدين بهذا الهجوم على الصليبين في هذه المرة هو انشغال الصليبيين عن مساعدة ملك بيت المقدس (عمورى الاول) وارغامه على ترك مصر والتخفيف الضغط على قائده اسد الدين شيركوه، الذي تم ارساله في تلك الفترة[٣] واستناداً لذلك قام الصليبيون بجمع قواتهم فسارع كل من بوهمند الثالث صاحب أنطاكية وريموند الثالث صاحب طرابلس وثوروس الأرمني، وقسطنطين كولمان البيزنطي فضلاً عن أمير حارم سانت فاليري وجوسلين الثالث دي كورنتاي[٤]، ويشير سبط ابن الجوزي أن ضخامة القوات الصليبية بلغت ثلاثين الف[٥]، فلما شاهد نور الدين حجم قواتهم(رحل عن حارم الى أرتاح طمعاً أن يتبعوه فيتمكن منهم ببعدهم عن بلادهم)[٦]، غير ان القوات المتحالفة

---

[١] ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج١١/ ص ٣٠١ – ٣٠٤ . سبط ابن الجوزي : مرآت الزمان، ج٨، ق١، ص٢٤٧ . ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص ٣١٨، ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص١٤٣ . ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢، ص٢٦٤

[٢] سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان، ج٨ ق١، ص١٤٧ . ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٣١٨ . ابن خلدون : تاريخ، ج٥، ص٢٤٥ .

[٣] ابن الاثير: الباهر،ج٥،ص١١٩- ١٢٢ . ابن العديم:زبدة الحلب،ج٢، ص٣١٨ . ابن واصل: مفرج الكروب، ج١، ص١٤٣ .

[٤] ابن الاثير: الكامل في التأريخ،ج١١،ص٣٠١-٣٠٤ . سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان،ج٨،ق١،ص٢٤٧. ابن العديم : زبدة الحلب،ج٢،ص٣١٩ . ابن واصل:مفرج الكروب،ج١،ص١٤٤ . ابن كثير: البداية والنهاية،ج١٢،ص٢٦٦. ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية،ص١٦٠-١٦١ .

[٥] مرآة الزمان،ج٨،ص١،ص٢٤٧ . ابن قاضي شهبة:الكواكب الدرية،ص١٦٦ .

[٦] ابن الأثير:الكامل في التأريخ،ج١١،ص٣٠٢-٣٠٣ . ابن العديم: زبدة الحلب: ج٢،ص٣٢٠ . ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية، ص١٦٧ .

لم تتبعه وعادت الى حارم فتبعهم نور الدين في عساكره لقتالهم[١] يبدو أن الصليبيون تهيبوا من لقاء نور الدين على الرغم من كثرة قواتهم، ولعل هذا ما يشير إلى حسن إعداد نور الدين لهذه المعركة. وعلىأي حال فإنه عندما إصطف الفريقان حملت القوات الصليبية على ميمنة القوات الاسلامية وكان فيها عسكر حلب وعسكر حصن كيفا فتراجع المسلمون[٢].

يتضح لنا من خلال ما أشار إليه ابن العديم أن القوة التي هاجمت الميمنة كانت تحت قيادة قسطنطين كولمان، إذ ذكر بإسم (الدوقس الرومي) وأنه كان أشدهم على المسلمين[٣]، إلا أن الموقف لم يلبث أن تحول لصالح القوات الاسلامية عندما انقضت قوات الموصل على القوات الصليبية فأنزلت فيها هزيمة فادحة[٤] يبدو ان انسحاب ميمنة الجيش الاسلامي كان استناداً لى خطة مدبرة وهذا ما أشار إليه ابن الاثير (فبدأ الفرنج بالحملة على ميمنة المسلمين وفيها عسكر حلب وصاحب الحصن فانهزم المسلمون فيها وتبعهم الفرنج فقيل كانت تلك الهزيمة من الميمنة على اتفاق ورأي دبروه وهو ان يتبعهم الفرنج فيبعدوا عن راجلهم فيميل عليهم من بقي من المسلمين بالسيوف فإذا عاد فرسانهم لم يلقوا رجلا يلجؤن إليه ولا وزيراً يعتمدون عليه...)[٥]، وفعلاً نجحت الخطة (فكان الامر على ما دبره فإن الفرنج لما تتبعوا المنهزمين عطف عليهم زين الدين علي في عسكر الموصل على راجل الفرنج فأفناهم قتلاً وأسراً وعادت خيالتهم ولم يمنعوا من الطلب خوفاً على راجلهم فعاد المنهزمون في آثارهم فلما وصل الفرنج رأوا رجالهم قتلى واسرى فسقط من أيديهم

---

[١] ابن الأثير: الباهر،ص١٢٤ . ابو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين،ج١،ق١،ص٢٧٩-٢٨٠ . ابن واصل: مفرج الكروب،ج١،ص١٤٥ .

[٢] ابن الاثير:الكامل في التأريخ،ج١١،ص٣٠٢-٣٠٣ . ابن العديم:زبدة الحلب،ج٢،ص٣٢٠ . ابن واصل: مفرج الكروب،ج١،ص١٤٥ .ابن قاضي شهبة : الكواكب الدرية،ص١٦٧ .

[٣] زبدة الحلب، ج٢،ص٣١٣.

[٤] ابن الاثير: الكامل في التأريخ،ج١١،ص٣٠٢-٣٠٣ . سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان،ج٨،ق١،

[٥] الكامل في التاريخ،ج١١،ص٣٠-٣٠ . سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان،ج٨،ق١،ص٢٤٧ . ابو شامة: الروضتين في اخبار الدولتين:ج١،ق١،ص٣٧٩-٣٨٠ . ابن العديم:زبدة الحلب،ج٢،ص٣٢٠ .

ورأوا أنهم قد هلكوا بقوا في الوسط قد أحدق بهم المسلمون من كل جانب)[١]وهكذا استطاعت القوات الاسلامية ان تحقق انتصاراً كبيراً في حارم وأبيد عدد كبير من القوات الصليبية قدرته بعض المصادر بعشرة آلاف فارس وراجل[٢]، ووقع في الاسر كل من بوهمند أمير انطاكية، وريموند أمير طرابلس، وجوسلين وهيو أف لوزجنان قسطنطين كولمان[٣] قيد جميع هؤلاء بالسلاسل واقتيدوا مع الاسرى الذين بلغ عددهم ستة آلاف الى حلب[٤]وكان من نتائج هذه المعركة ان القوات الاسلامية تمكنت من الاستيلاء على حارم في الحادي والعشرين من رمضان سنة٥٥٩هـ/الثاني عشر من آب١١٦٤م[٥]، كما شجع هذا النصر القوات الاسلامية على مهاجمة مدينة بانياس، وكان لهذا الهجوم دور كبير في ارغام القوات الصليبية المهاجمة لمصر تحت قيادة عموري الى الانسحاب من مصر، والعودة الى بلاد الشام لانقاذ المدينة الا انه وصل بعد دخول القوات الاسلامية اليها [٦] وبهذا يكون نور الدين قد نجح في الاستيلاء

---

[١] ابن الاثير: الكامل في التاريخ،ج١،ص٣٠٢-٣٠٣. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان،ج٨،ق١،ص٢٤٧ . ابن واصل: مفرج الكروب،ج١،ص١٤٥ . ابن قاضي شهبة:الكواكب الدرية،ص١٦٧ .

[٢] سبط ابن الجوزي:مرآة الزمان،ج٨،ق١،ص٧. ابن العديم: زبدة الحلب،ج٢،ص٢٠. ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية،ص١٦٧ . بينما ذكر ابن العماد أن عدد القتلى عشرين ألف، شذرات الذهب،ج٦،ص٣١١.

[٣] ابن الاثير: الكامل في التاريخ،ج١،ص٣٠٢-٣٠٣. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان،٨،ق١،ص٢٧. ابو شامة: الروضتين،ج١،ق١،ص٣٧٩-٣٨٠. ابن العديم: زبدة الحلب، ج٢،ص٣٢٠. ابن واصل : مفر الكروب،ج١،ص١٥. الذهبي: دول الاسلام،ج٢،ص٧٤. ابن كثير: البداية والنهاية،ج١٢،ص٢٦٦ . ابن خلدون: تأريخ،ج٥،ص٢٤٢-٢٤٣ .

[٤] سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان،٨،ق١،ص٢٤٧. ابن قاضي شهبة : الكواكب الدرية، ص٦٧. ولم يسلم من الأسر سوى ثوروس الثاني واخيه مليم بن لاون. ابن العديم: زبدة الحلب،ج٢،ص٣٢٠. يشير سبط ابن الجوزي الى ان حلب قد امتلآت من الأسرى بحيث بيع الأسير بدينار واحد. مرآة الزمان،ج٨،ق١،ص٢٧-٢٤٨. ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية،ص١٦٧.

[٥] ابن الاثير: الكامل في التأريخ،ج١١،ص٣٠٣ .سبط ابن الجوزي:مرآة الزمان،ج١،١،ص٤٨. ابن العديم: زبدة الحلب،ج٢،ص٢٠-٣١. ابن واصل : مفرج الكروب،ج١،ص١٤٥.

[٦] ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج١١، ص٣٠٤ .

علـى حـارم وبانيـاس وسـاعده فـي تخفيـف الضـغط عن قائـده اسد الـدين شـركوه فـي مصر بعد انسحاب القوات الصليبية منها . وكان لهذا الانتصار الذي حققه الجيش الاسلامي اثر بعيد المدى اذ ارتفعت معنوياتهم واشتدت عزائمهم بالمقابل مع عدوهم الذي وهنت عزائمه وقلت شكيمته حتى ايقن بالهلاك وهنا تبرز لنا مسألة في غاية الاهمية هي عدم مهاجمة نور الدين لانطاكية على الرغم من الحاح القاده بضرورة التوجه اليها لاسيما وان الطريق اصبح مفتوحا امامه بعد ان قضى على جيشها واسر اميرها الا انه خالفهم قائلا (فاما المدينة فامرها سهل واما القلعة التي لها فهي منيعة لا تؤخذ الا بعد حصار طويل واذا ضيقنا عليهم ارسلو الى صاحب القسطنطينية وملكوه اياها ومجاورة بوهمند احب الي من مجاورة ملك الروم)[1] يبدو لنا ان نور الدين كان محقا في هذا الرأي ذلك لبعد نظره وحسن ادراكه للظروف المحيطة به لان من المعلوم ان الامبراطور البيزنطي لا يتخلى عن انطاكيه ويتركها تقع بيد نور الدين دون نجدتها وبهذا يكون قد فتح على نفسه جبهة جديدة قد يكون لها تاثير كبير على مسيرته الجهادية.

أما أسرى هذه المعركة، فقد استفتى نور الدين العلماء فيهم، فأشاروا عليه بأخذ الفدية، استكمالاً لضرورات المقاومة فحصل على ستمائة ألف دينار، أنفق جميعها في بناء المدارس والاوقاف والربط[2]، وعلى أثر هذه المعركة عادت جيوش الموصل والجزيرة الى بلادها[3].

د- ضم مصر الى الوحدة الاسلامية:

أولا:الحملة النورية الاولى على مصر:

كان نور الدين مدركاً للأطماع الصليبية في مصر، لاسيما بعد التهديدات التي قام بها الملك بلدوين الثالث ملك بيت المقدس، واجبر من خلالها حكام مصر على

---

(1) ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج١١ / ص٣٠٣ . ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص١٤٥ . ابن قاضي شهبة : الكواكب الدرية، ص١٦٧ .

(2) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان،ج٨،ق١،ص٢٤٨. ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية،ص١٦٧-١٦٨.

(3) ابن الاثير: الباهر،ص١٢٥ . ابن العديم: زبدة الحلب،ج٢،ص٣٢١.

دفع ضريبة سنوية قدرها مائة وستون ألف دينار، وعندما امتنعوا عن دفعها خرج الملك عموري ملك بيت المقدس بحملة لغزو مصر في سنة٥٥٨هـ/١١٦٣م حاصر خلالها مدينة الفرما الواقعة على الساحل الشمالي الشرقي لمصر، وحاول عبور النيل، إلا أن فيضان النهر أعاقه فعاد الى القدس[١]ثم لم تلبث ظروف مصر ان تهيء لنور الدين فرصة الدخول إليها، وذلك عندما جاء الوزير شاور مستنجداً به في سنة ٥٥٨هـ/١١٦٣م[٢]على اثر الصراع الذي دار بينه وبين الوزير ضرغام، وتمكن الاخير من الانتصار عليه فقدم شاور الى نور الدين يطلب مساعدته، مقابل ان يدفع ثلث خراج مصر سنوياً الى نور الدين، كما انه يتحمل تكاليف الحملة منذ خروجها من الشام الى عودتها[٣]، الواقع أن نور الدين لم يكن بحاجة الى إغراءات شاور لمعرفته التامة بأهمية مصر الى الوحدة الاسلامية، غير انه ينازعه أمران.

الأول: الرغبة في مد السلطان، وما يترتب على ذلك من تدعيم المركز وزيادة القوة بما يجعله يقوى على الصليبيين الذي جعل همه جهادهم،

الأمر الثاني: الخوف على العساكر من خطر الطريق بسبب توسط الفرنج بينه وبين الديار المصرية.

وطبقاً لمقتضى الحال جمع نور الدين قادته وشاورهم في الأمر، فتقرر ارسال حملة الى مصر، أنيطت قيادتها الى شركوه وصحبه صلاح الدين المقدم لعسكره[٤]،

---

[١] رنسيمان : تأريخ الحروب الصليبية،ج٢،ص٥٩٢.

[٢] ابن منقذ: الاعتبار،ص٢١. ابن الاثير: الباهر،ص١٢٠. ابن شداد: النوادر السلطانية، ص٣٦. ابن خلكان:وفيات الاعيان، ج٤،ص١٥٦-١٦٠. ابن واصل: مفرج الكروب،ج١،ص١٣٩-١٤٠. ابن كثير: البداية والنهاية،ج١٢،ص٢٦٦ . ابن خلدون: تأريخ،ج٥،ص٢٤٦. ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية،١٦٣-١٦٤.

[٣] ابن الاثير: الكامل في التأريخ، ج١١،ص٣٩٨. ابو شامة: الروضتين في اخبار الدولتين،ج١،ق١،ص٣٣١-٣٣٢. ابن واصل: مفرج الكروب،ج١،ص١٣٧-١٣٨. ابن قاضي شهبة:الكواكب الدرية،ص١٦٤. ابن العماد: شذرات الذهب،ج٦،ص٣١١.

[٤] البنداري: سنا البرق الشامي،ج١،ص١٩ . ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية،ص٣٦. ابن خلكان: وفيات الأعيان،ج٢،ص٧٨. ابن واصل: مفرج الكروب،ج١،ص١٣٩ . ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة:ج٥،ص٣٤٧ . ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية،ص١٦٥.

ويبدو أن الهدف من ارسال هذه الحملة هو تطلعاً للبلاد والوقوف على مجريات الأمر فيها، ويتضح ذلك من خلال ما قاله نور الدين الى قائده أسد الدين شيركوه عند تجهيزه إليها قائلا(قضاء للحق الوافد المستصرخ، وحبساً للبلاد، وتطلعاً على أحوالها)[١]، وعلى أي حال سلكت القوات الاسلامية الطريق شرقي الكرك والشوبل ومن ثم الشخوص الى القاهرة[٢] وهناك تحت أسوارالقاهرة حدثت المعركة الفاصلة فحلت الهزيمة بقوات ضرغام وقتله، وتم إرجاع شاور الى وزارته، وبقى أسد الدين منتظراً خارج أسوار القاهرة، بغية اتمام الاتفاق المعقود بينه وبين شاور، غير أن الأخير نقض الاتفاق وطلب من أسد الدين مغادرة مصر[٣]، وعلى أثر ذلك توجه أسد الدين الى بلبيس فتسلمها، وصار يحكم الأقاليم الشرقية من البلاد[٤] وحاول شاوردفعه إلا أنه لم يتمكن، فقام بمراسلة ملك بيت المقدس عموري طالباً مساعدته لإخراج القوات الاسلامية من البلاد[٥]طبيعياً أن يصادف هذا الطلب استحساناً من الصليبيين لأن من المعلوم أن سيطرة نور الدين على مصر يعرض الوجود الصليبي لخطر كبير من جهة، وأملاً في السيطرة على مصر من جهة أخرى. لذلك أسرعت القوات الصليبية بقيادة عموري ملك بيت المقدس الى مصر، فالتقى بقوات شاور شرقي القاهرة وتعاون الاثنان ضد الجيش الاسلامي بقيادة أسد الدين الذي اعتصم

---

[١] ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية،ص٣٦ . ابو شامة: الروضتين في اخبار الدولتين، ج١،ق٢،ص٣٣٢.

[٢] ابن واصل : مفرج الكروب،ج١،ص١٣٨. ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية في السيرة النورية،ص١٦٥.

[٣] عمارة اليمني: نجم الدين أبو محمد(ت٥٦٩هـ/١١٧٣م) النكت العصرية في أخبار الوزارة المصرية، تصحيح هرتويغ درنبرغ(شالون،١٨٩٧م)ص٧٨-٧٩. ابن الاثير: الكامل في التأريخ،ج١١،ص٣٠٠ . البنداري: سنا البرق الشامي،ج١،ص١٩ . ابن العديم:زبدة الحلب،ج٢ص٣٢١-٣٢٢.

[٤] ابن الاثير: الكامل في التأريخ،ج١١،ص٣٠٠ . ابن واصل:مفرج الكروب،ج١،ص١٣٩ . ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة،ج٥،ص٤٧. ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية،ص١٦٥.

[٥] ابن الاثير: الكامل في التأريخ،ج١١،ص٣٢٦-٣٢٧، البنداري: سنا البرق الشامي،ج١،ص١٩ .ابو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين،ج١،ق٢،ص٣٣٥ . ابن واصل : مفرج الكروب،ج١،ص١٣٩ . ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة،ج٥،ص٣٤٧ .

ببلبيس، فضربوا عليه الحصار ثلاثة أشهر دون تحقيق أي مكسب[١]، وفي مستهل ذلك وصلت انباء انتصارات نور الدين في حارم وبانياس الى الملك عموري الذي اضطر الى مراسلة أسد الدين والاتفاق معه على الصلح، فخرج الاثنان من مصر[٢]، مصر[٢]، وعلى الرغم من أن حملة شركوه عانت المصاعب من جراء خيانة شاور وغدره، إلا أنها كانت في غاية الأهمية حيث أنها مكنت القيادة الاسلامية من التعرف علىأوضاع مصر، وما تعانيه البلاد من دسائس وفتن من جهة. ومن جهة أخرى أن هذه الحملة أصبحت أساساً يعتمد عليه في التخطيط المقبل للحملات القادمة.

ثانيا: الحملة النورية الثانية:

بعد الكارثة التي ألمت بالقوات الصليبية على يد نور الدين في موقع حارم، توجه عموري الى طرابلس على أثر عودته من حملته الفاشلة على مصر، ليعلن

---

[١] ابن الاثير: الكامل في التأريخ،ج١١،ص٣٢٤-٣٢٥،. البنداري: سنا البرق الشامي،ج١،ص١٩. ابن واصل: مفرج الكروب،ج١،ص١٤٠ . ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة،ج٥،ص٣٤٧ . ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية،ص١٦٦.

[٢] ابن الاثير: الباهر،ج١١،ص١٢١-١٢٢. ابو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين،ج١،ق٢،ص٣٣٦ . ابن واصل: مفرج الكروب،ج١،ص١٤٠ . ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة،ج٥،ص٣٤٨ .

وصايته عليها[١]،ثم توجه الى انطاكيةالتي خسرت جيشها واميرها في الموقعة المذكورة،وحال وصوله طلب التفاوض مع نور الدين فكانت نتيجة المفاوضات اطلاق سراح بوهمند الثالث امير انطاكية[٢]غير ان وجود الملك عموري في انطاكية قد ازعج الامبراطور البيزنطي الذي ارسل يطلب منه مغادرتها[٣] مما ادى الى قيام الملك عموري بأرسال وفد الى القسطنطينية يطلب من الامبراطور مساعدته للاستيلاء على مصر[٤]وفي مستهل ذلك أرسل العاضد يستنجد بنور الدين،من ظلم شاور وأستبداده[٥] اذ يذكر انه بعد خروج الحملة النورية الاولى من مصر،استغل شاور خروجها وأقام على عادته يقتل ويظلم ويصادر أموال الناس، لم يبقى للعاضد معه أمراً ولا نهي[٦]، واستناداً الى ذلك استجاب نور الدين لطلب العاضد وجهز حمله ثانية في عام٥٦٢هـ/١١٦٧م اسندت قيادتها الى اسد الدين شكروه، وعدداً من الامراء من بينهم ابن اخيه صلاح الدين[٧]، يبدو ان نور الدين كانت لديه رغبة كبيرة في ضم مصر الى الوحدة الاسلامية، ولاسيما بعد اطلاعه بشكل وافي على احوال البلاد من جهة، وما أبداه شاور في حملته الاولى من ظلم وغدر من جهة اخرى، ومن أجل صرف أنظار القوات الصليبية عن حملته الموجهة الى مصر، فعل نور الدين مثلما فعل في الحملة الاولى، إذ أرسل الى اتابك الموصل قطب الدين

---

[١] ذلك لان اميرها أسر في موقعة حارم،وقد أشرنا الى هذا سابقا.

[٢] العريني:الشرق الاوسط والحروب الصليبية،ج١،ص٦٧٣.

[٣] رنسيمان:تاريخ الحروب الصليبية،ج٢،ص٥٩٨.

[٤] يذكر حسين مؤنس ان(الامبراطور تجهم لأموري واستنكر حضوره الى انطاكية،وهي تابعة للامبراطور اسما وقد خاف أموري مما عسى ان يدبره له مانويل،فأرسل سفاره الى القسطنطينية...ولتعقد معه للتأزر في الاستيلاء على مصر)نور الدين محمود،ص٢٩٧.

[٥] بسيط ابن الجوزي:مرآة الزمان،ج٨، ،ص٢٦٨.ابن تعزي:بردى النجوم الزاهرة،ج٥،ص٣٤٧-٣٤٨.

[٦] ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة،ج٥،ص٣٤٧-٣٤٨.

[٧] ابن الاثير: الكامل في التأريخ،ج١١،ص٣٢٤-٣٢٦، البنداري: سنا البرق الشامي،ج١،ص٠. ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية،ص٣٧. ابو شامة: الروضتين في اخبار الدولتين،ج١،ق٢،ص٣٦٣. ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية،ص١٦٩ .

لمساندته، وبدئا بشن الغارات على املاك الصليبيين[١]، وما أن علم شاور بتقدم القوات الاسلامية إليه حتى أسرع في طلب النجدة من عموري ملك بيت المقدس الذي حشد جيشاً كبيراً وسار به إلى مصر[٢] وحمله على ذلك امران (احدهما الطمع في تملك الديار المصرية، الثاني الخوف من تملك العساكر النورية لها، وعلموا أنه إن ملكها نور الدين رحمه الله واستضافها الى البلاد الشامية لم يبقى لهم بالبيت المقدس والشام مقام وأنه يستأصلهم وتصيير بلادهم في وسط بلاده ..)[٣] وعلى أي حال فأن القوات الاسلامية تمكنت من عبور النيل الى الضفة الغربية، قبل وصول النجدة الصليبية التي التقت بعد وصولها مع قوات شاور، فسار الاثنان نحو القوات الاسلامية[٤]، يبدو أن شيركوه شعر بحراجة موقفه في مقامه هذا، لذلك انحدر جنوباً الى الصعيد، وعند البابين دارت رحى معركة ضارية انتصرت فيها القوات الاسلامية انتصاراً كبيراً[٥]، إذ لقى أغلب الفرسان الصليبيين مصرعهم، ووقع في الاسر الكثير من قواتهم، وكان بين الاسرى هيو صاحب قيسارية، فتراجع الملك عموري وشاور بمن تبقى من قواتهم الى القاهرة[٦]، ويشير ابو شامة الى هذه المعركة بشيئاً من التفصيل، اذ يذكر بأن شيركوه قسم جيشه على قسمين، جعل القسم الاول تحت زعامته، بينما جعل القسم الثاني تحت قيادة صلاح الدين الايوبي وهو القلب،

---

[١] ابن الاثير: الكامل في التاريخ،ج١١،ص٣٢٤-٣٢٦. ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية،ص٣٨.

[٢] ابن الاثير: الكامل في التاريخ،ج١١،ص٣٢٥-٣٢٦ . البنداري: سنا البرق الشامي،ج١،ص٢٠. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان،ج٨،ق١،ص٢٦٨. ابن العديم: زبدة الحلب،ج٢،ص٣٢٣ . ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة،ج٥،ص٣٢٨.

[٣] ابن واصل: مفرج الكروب، ج١،ص١٤٩ .

[٤] ابن الاثير: الباهر: ص١٣٢. البنداري: سنا البرق الشامي،ج١،ص٢٠ . ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية،ص١٦٩.

[٥] ابن الاثير: الكامل في التاريخ،ج١١،ص٢١٤. ابن شداد: النوادر السلطانية،ص٣٨. ابن واصل: مفرج الكروب،ج١،ص١٥٠. ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية،ص١٦٩.

[٦] ابن الاثير: الباهر،ص١٣٢-١٣٣ . البنداري: سنا البرق الشامي،ج١،ص٢٠. ابو شامة: الروضتين في اخبار الدولتين، ج١،ق٢،ص٣٦٥. ابن واصل: مفرج الكروب،ج١،ص١٥٠-١٥١. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة،ص٣٤٩ .

فتعرض القسم الاخير الى هجوم عنيف من قبل الصليبيين، فانسحب أمامهم صلاح الدين طبقاً للخطة المتفق عليها(فحينئذٍ حمل أسد الدين فيمن معه على من تخلف عن الفرنج الذين حملوا على المسلمين فهزموهم ووضع السيف فيهم، فأثخن وأكثر القتل والاسر انهزم الباقون فلما عاد الفرنج.. رأوا مكان من أصحابهم بلقعا ليس بها منهم ديار، فانهزموا أيضاً)[١] بعد أن قتل منهم ألوفاً وأسر سبعين فارساً[٢]، وعلى أثر ذلك توجهت القوات الاسلامية الى الاسكندرية فدخلوها بدون قتال، فترك شيركوه فيها صلاح الدين وسار هو لى الصعيد لجمع الخراج[٣]، ومما يجدر مناقشته هنا هو توجه القوات الاسلامية الى الاسكندرية دون غيرها من المدن المصرية.

من الممكن الاجابة على هذا التسائل من خلال تسليط الضوء على الحقبة الأخيرة من تاريخ هذه المدينة، وذلك عندما رفعت هذه المدينة لواء المعارضة للحكومة المركزية في القاهرة، لاسيما في العهد الاخير من الحكم الفاطمي[٤]، كما وقد نشأت في هذه المدينة أول مدرسة شافعية في عهد وزارة ابن السلار[٥] وخطب فيها الخليفة العباسي القائم بامر الله (٤٢٢-٤٦٧هـ/١٠٧٤م)[٦]، كما كان في الاسكندرية الشريف الادريسي الذي حمل رسالة من اهل البلد الى شيركوه، فحواها أن السلاح الذي طلبه منهم سيصلهُ، وفعلاً وصله بعد يومين[٧]وعلى أي حال فإن الأمر

---

(١) الروضتين في اخبار الدولتين،ج١،ق٢،ص٣٦٥. ابن واصل: مفرج الكروب،ج١،ص١٥١. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة،ج٥،ص٣٤٩.

(٢) ابن الاثير: الباهر،ص١٣٣. البنداري: سنا البرق الشامي،ج١،ص٢٠ . ابن شداد: النوادر السلطانية،ص٣٨ . ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة،ج٥،ص٣٤٩.

Lane Poole: Saladin. P.٨٨-٨٩.

(٣) ابن الاثير: الكامل في التاريخ،ج١١،ص٣٢٦. ابن واصل: مفرج الكروب،ج١،ص١٥١ . ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥،ص٣٤٩. ابن قاضي شهبة : الكواكب الدرية ص١٧١.

(٤) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق،ص١٢٨ . ابن خلكان: وفيات الاعيان،ج١،ص٥٨ .

(٥) وقام بالتدريس فيها الفقيه الشافعي السلفي سنة(٥٤٦هـ/١١٥١م). ابن خلكان: وفيات الاعيان،ج١،ص٣٧. حسن ابراهيم حسن:تأريخ الدولة الفاطمية،ص١٨٤ .

(٦) المقريزي: خطط، ج٢،ص١٤٠ .

(٧) ابو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين،ج١،ق٢،ص٤٢٦.

لم يقتصر على انظمام المدينة الى شيركوه بل انضمت إليه بعض القبائل العربية[١]، اما شاور وحلفاءه فإنهم توجهوا الى الاسكندرية بعد استعادة تنظيم قواتهم لمحاصرة القوات الاسلامية فيها[٢]، وما أن علم صلاح الدين ما عزم عليه الاعداءأرسل في طلب شيركوه الذي عاد مسرعاً بعد أن إنضم إليه عدداً كبيراً من المتطوعين من أبناء المنطقة[٣]، يبدوا أن شاور وحلفاءه شعروا بحراجة موقفهم فراسلوا شيركوه يطلبون الصلح على أن يغادر كل من القوات الاسلامية والقوات الصليبية مصر، وان يدفع شاور خمسين ألف دينار الى شيركوه، فتم الاتفاق وعاد الطرفان[٤]، غير أن الصليبين اتفقوا سراً مع شاور، على ابقاء حامية صليبية تتولى حراسة أبواب القاهرة لمنع نور الدين من انفاذ عسكر إليهم، وممثل لهم في بلاط شاور مقابل أن يقوم الاخير بدفع ضريبة سنوياً قدرها مائة ألف دينار[٥]، ووفقاً لهذا عاد كل من شيركوه وعموري مصر للمرة الثانية، وبات في ضمير كل واحد منهما بأن يعود إليها مرة ثالثة، بعد أن أيقن الاثنين من ضعفها وأهميتها في وقت واحد، وبعد أن درسا خلال الحملتين السابقتين كل ما يريدانه عنها، كما وقد أفاد صلاح الدين كثيراً من تلك الحملة، إذ خبر فنون الحرب والادارة خبرة عملية في البابين والاسكندرية، كما أتيح له أن يدرس مصر دراسة عملية خلال تلك الحملة مما ساعده على السير بخطى ناجحة فيما بعد.

---

(١) ابو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين،ج١،ق٢،ص٤٢٦.

(٢) ابن الاثير: الكامل في التأريخ،ج١١،ص٣٢٦ . البنداري: سنا البرق الشامي،ج١،ص٢٠-٢١. ابن واصل: مفرج الكروب،ج١،ص١٥١. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة،ج٥،ص٣٤٩.

(٣) ابن الاثير: الباهر،ص١٣٣. ابو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين،ج٢،ق١،ص٣٦٦. ابن واصل: مفرج الكروب،ج١،ص١٥١. ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة،ج٥،ص٣٤٩. ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية،ص١٧٢.

(٤) ابن الاثير: الكامل في التأريخ،ج١١،ص٣٢٦-٣٢٧ . ابو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين،ج١،ق٢، ص٣٧٠. ابن واصل: مفرج الكروب،ج١،ص١٥٢ . ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥،ص٣٤٩. ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية،ص١٧٢.

(٥) ابن الاثير: الكامل في التأريخ،ج١١،ص٣٢٧ . ابن واصل: مفرج الكروب،ج١،ص١٥٢. ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية،ص١٧٢.

ثالثا- الحملة النورية الثالثة:

بالرغم من الاتفاق المخزي الذي أبرم بين شاور والصليبيين، إلا أنهم طمعوا بأكثر من ذلك، حيث جهزوا جيوش كبيرة في سنة ٥٦٤هـ/١١٧٠م لغزو مصر، إذ توجه الملك عموري بقسم من قواته مظهراً العزم على مهاجمة حمص، إيهاماً للمسلمين عن هدفه الأساسي، حيث كانت أغلب قواته تستعد للسير الى مصر[١]، وعندما علم شاور بمسير الصليبيين إليه حاول تذكيرهم بالاتفاقية المعقودة بين الطرفين، واسترضائهم بالاموال إلا أن هذا لم يحيدهم عن هدفهم، فاستولوا على بلبيس، بعد مضي ثلاثة ايام من المقاومة العنيفة التي راح ضحيتها عدد كبير من السكان[٢]، ويذكر أن الصليبيين لم يفرقوا في تلك المذبحة بين الرجال والنساء والأطفال والشيوخ، وخربوا عمارتها وأغاروا على ريفها فأسروا وقتلوا من صادفهم، زاعمين ان بامتلاك بلبيس خضعت لهم مصر[٣]، مكث الصليبيون في المدينة بضعة أيام لتنظيم قواتهم وحشدوها بالرجال والعتاد واتخذوا منها قاعدة في عملياتهم العسكرية القادمة[٤] يبدو أن القائد الصليبي عموري توقع مقاومة كبيرة من المصريين، إذا حاول التقدم مباشرة لاسيما وانه لمسها من أهل بلبيس، لذلك نلاحظ أنه يتمهل في المسير، وفعلاً فإن ما حل بأهل بلبيس من القتل والتنكيل أثار الخوف في نفوس المصريين، فحملهم خوفهم من هذا المصير على المضي في المقاومة، وبذل ما بوسعهم في حفظ القاهرة والتصميم على ألا يدخلها الصليبيون إلا وأهلها

---

[١] ابن الاثير: الكامل في التأريخ،ج١١،ص٢٣٥ . ابن واصل: مفرج الكروب،ج١،ص١٥٦. ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية،ص١٧٥.

[٢] ابن الاثير: الباهر،ص١٣٨ . ابو شامة:الروضتين في أخبار الدولتين،ج١،ق٢، ص٣٩٠. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥،ص٣٥٠.

[٣] ابو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين،ج١،ق٢، ص٣٩٠. ابن واصل: مفرج الكروب،ج١،ص١٥٧ . ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥،ص٣٥٠. ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية،ص١٧٥.

[٤] ابو شامة:الروضتين في أخبار الدولتين،ج١،ق٢، ص٣٩٠.

جثثث هامدة[١]، وبعد أن أدرك شاور عزم الصليبيون على احتلال القاهرة قام بحرق الفسطاط بغية عدم الانتفاع منها[٢]، يبدو أن شاور حاول التركيز في الدفاع عن مدينة القاهرة، إذ لم يكن بوسعه الدفاع عن المدينتين، فقام بإشعال النيران في الفسطاط بعد أن أمر أهلها بالانتقال الى القاهرة[٣]، كما وأرسل الى الملك عموري حول امكانية التفاوض، فطلب الاخير مائة ألف ألف دينار، يدفع نصفها فوراً، اما القسم الآخر فيمكن الاتفاق على دفعه في وقت لاحق فوافق شاور على هذا المطلب الكبير، وأرسل مائة ألف دينار تعبيراً عن قبوله، فتريث عموري عن احتلال القاهرة وارتحل الى مكان قريب[٤] وعندما علم نور الدين بغزو الصليبيون لمصر أمر قائده أسد الدين شيركوه بالتهيؤ للمسير إليها[٥]، وفي مستهل ذلك وصلت رسل الوالي الفاطمي العاضد طالباً النجدة[٦] باذلاً له ثلث خراج البلاد وان يقيم عنده شيركوه في

---

[١] ابن الاثير: الباهر،ص١٣٨ . ابو شامة:الروضتين في أخبار الدولتين،ج١،ق٢، ص٣٩٠.

[٢] ابن الاثير: الكامل في التأريخ،ج١١،ص٢٢١ . سبط ابن الجوزي: ذيل مرآة الزمان،ج٨،ق١،ص٢٧٥. ابو شامة:الروضتين في أخبار الدولتين،ج١،ق٢، ص٣٩١. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة،ج٥،ص٣٥٠.

[٣] سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان،ج٨،ق١،ص٢٧٥. يذكر ان النيران ظلت مستعرة فيها لمدة أربعة وخمسين يوماً. ابو شامة:الروضتين في أخبار الدولتين،ج١،ق٢،ص٣٩١. ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة،ج٥، ص٣٥٠.

[٤] ابن الاثير: الكامل في التأريخ،ج١١،ص٢٢٢. ابو شامة:الروضتين في أخبار الدولتين،ج١،ق٢، ص٣٩١. ابن واصل: مفرج الكروب،ج١،ص١٥٨. يشير رنسيمان: أن شاور دفع للفرنج مائةألف دينار كفدية لإبنه الذي أسر في بلبيس. تأريخ الحروب الصليبية،ج٢،ص١٦. حسين مؤنس: نور الدين محمود،ص٣٠٨ .

[٥] ابن شداد: النوادر السلطانية،ص٣٨ . سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان،ج٨،ق١،ص٢٧٥. ابن العديم: زبدة الحلب،ج٢،ص٣٢٦.

[٦] تشير الروايات أن العاضد سير الى نور الدين يستغيث به(وسير شعر نسائه في الكتب، فوصله الرسول وهو بحلب) ابن العديم: زبدة الحلب،ج٢،ص٣٢٦. ويذكرابو شامة أن العاضد أرسل الى نور الدين في الكتب شعور النساء وقال له(هذه شعور نسائي من قصري يستغثن بك لتنقذهن من الفرنج. فقام نور الدين لذلك وقعد وشرع في تجهيز العساكر الى مصر) الروضتين في اخبار الدولتين،ج١،ق٢،ص٣٩١. ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية،ص١٧٦.

عسكره وله اقطاعاً خارجاً عن الثلث الذي لنور الدين[1]، الواقع ان نور الدين لم يكن بحاجة الى هذه العروض، لأن استيلاء الصليبيون على مصر يعرض الجبهة الاسلامية الى خطر كبير، نلمس هذا جلياً من خلال ما صرح به نور الدين قائلاً (اننا إذا أهملنا أمرها ملكها الفرنج، ولا يبقى معهم مقام بالشام ولا غيره)[2] لذلك نلاحظ أن استعدادات نور الدين في هذه الحملة أكثر بكثير مما سبق، إذ زودها بستة آلاف فارس ومئتي ألف دينار[3]، كما أعطى لكل فارس عشرين ديناراً معونة، وحرص على أن يصحب شيركوه معه صلاح الدين[4]، يبدوا ان، صلاح الدين أصبح قائداً لا يمكن الاستغناء عنه، لاسيما بعد ما بدر منه من شجاعة ورجاحة عقل في موقعة البابين وحصار الاسكندرية، وعلى أي حال توجهت القوات الاسلامية الى مصر في سنة٥٦٤هـ/١١٦٨م[5]، ولما علم الصليبيون بقدومها رحلوا عن مصر خائبين تاركين القوات الاسلامية تدخل القاهرة وسط مظاهر الفرح والسرور من الأهالي، كما حفلوا بترحاب الوالي الفاطمي العاضد الذي أجرى للعساكر (الجرايات الكثيرة والاقامات الوافرة)[6]، أما شاور فإنه تظاهر بالفرح لقدوم أسد الدين شيركوه وقواته لأنه لم يكن بوسعه أن يمنع ما أغدقه العاضد على شيركوه من العطايا

---

(١) ابن الاثير: الكامل في التأريخ،ج١١،ص٢٢٣. ابن العديم: زبدة الحلب،ج٢،ص٣٢٦. ابو شامة:الروضتين في أخبار الدولتين،ج١،ق٢، ص٣٩١. ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية، ص١٧٦.

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب، ج١،ص١٥٩-١٦٠ .

(٣) ابن الاثير: الكامل في التأريخ،ج١١،ص٢٢٣. البنداري: سنا البرق الشامي،ج١،ص٣٩-٤٠ . ابن العديم: زبدة الحلب،ج٢،ص٣٢٦ .

(٤) ابن الاثير: الكامل في التأريخ،ج١١،ص٢٢٣. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان،ج٨،ق٢٧٦،١. ابن العديم: زبدة الحلب،ج٢،ص٣٢٦. ابن واصل: مفرج الكروب،ج١،ص١٥٨-١٥٩ .

(٥) ابن الشداد : النوادر السلطانية،ص٣٨-٣٩ . ابو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين،ج١،ق٢،ص٣٩٦. ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية،ص١٧٦ .

(٦) ابن الاثير: الكامل في التأريخ،ج١١،ص٢٢٣. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان،ج٨،ق٢٧٦،١. ابن العديم: زبدة الحلب،ج٢،ص٣٢٧. ابو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين،ج١،ق٢،ص٣٩٦. ابن واصل: مفرج الكروب،ج١،ص١٦١ .

والمنح، لوجود العساكر الكثيرة في ظاهر البلد(وان هوى العاضد معهم)[1]إلا أن شاور قد كشف عن وجهه وأخذ يماطل بما وعد به العاضد في رسالته لنور الدين[2]، مما دفع بصلاح الدين وبعض القادة في جيش أسد الدين الى تدبير خطة في القبض عليه وقتله، وقد تم ذلك في سنة٥٦٤هـ/١١٦٨م[3]، وهكذا انتهت حياة هذا الخائن الذي لعب أدواراً انتهازية مفضلاً مصلحته الشخصية على مصلحة الأمة الاسلامية. وأسند العاضد الوزارة من بعده الى أسد الدين شيركوه ولقبه بالملك المنصور[4] وأظهر شيركوه من السياسة والعدل ما أكسبه محبة المصريين والتفاف الناس حوله، لأن سياسة الارهاب التي اتبعها الوزراء الفاطميون في مصر، والمطاليب المالية

---

[1] أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين،ج١،ق٢،ص٩٦. ابن واصل: مفرج الكروب،ج١،ص١٦١ .ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة،ج٥،ص٣٥١. ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية،ص١٧٦ .

[2] ابن الاثير: الكامل في التأريخ،ج١١،ص٢٢٣. ابن الشداد : النوادر السلطانية،ص٣٩. ابو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين،ج١،ق٢،ص٣٩٦.

[3] ابن الاثير: الكامل في التأريخ،ج١١،ص٢٢٤. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان،ج٨،ق١،٢٧٦. ابن العديم: زبدة الحلب،ج٢،ص٣٢٧. ابن واص ل: مفرج الكروب،ج١،ص١٦١-١٦٢ . يشير ابو شامة الى حادثة قتل شاور قائلاً(اتفق ان أسد الدين سار بعض الأيام إلى زيارة قبر الامام الشافعي رضي الله عنه وقصد شاور عسكره على عادته للأجتماع به، فلقيه صلاح الدين وعز الدين جرديك ومعهما جمع من العسكر فخدعوه واعلموه أن أسد الدين في الزيارة فقام إليه فسار وهما معه قليلاً ثم ساوروه وألقوه عن فرسه فهرب أصحابه وأخذ أسيراً ولم يمكنهم قتله بغير أمر أسد الدين.. فعلم أسد الدين الحال فعاد مسرعاً ولم يمكنه إلا إتمام ما عملوه. وأرسل العاضد لدين الله صاحب مصر في نفس الوقت لى أسد الدين يطلب منه رأس شاور ويحثه على قتله وتابع لرسل بذلك فقتل شاور في يومه) الروضتين في أخبار الدولتين،ج١،ق٢،ص٣٩٧. ويذكرابن واصل أن من الأسباب التي دعت الى قتل شاور هي وقوف أسد الدين على مؤامرة أُحيكت ضده حيث يقول(كان شاور قد عزم على أن يعمل دعوة لأسد الدين ومن معه من الأمراء ويقبض عليهم فيها ...)مفرج الكروب،ج١،ص١٦١.

[4] ابن الاثير: الكامل في التأريخ،ج١١،ص٢٢٤. ابن الشداد: النوادر السلطانية،ص٤٠ .سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان،ج٨،ق١،ص٢٧٦. ابن العديم: زبدة الحلب،ج٢،ص٣٢٨. ابو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين، ج١،ق٢،ص٤٠٢. ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية،ص١٧٩ .

الكثيرة التي أرهقوا بها الشعب، كانت هي النتيجة في ترحيب الناس للخلاص من الظلم[١] وقد مدحه العماد الكاتب بقصيدة جاء فيها:

لقد رفعنا الى الرحمن ايدينا   في شكرنا ما به الاسلام منك حبر
شكا إليك بنو الاسلام يتمهم   فقمت فيهم مقام الوالد الحدب
في كل دار من الافرنج نادبة   بما دهاهم، فقد باتوا على ندب
من شر شاور انقذت العباد فكم   وكم قضيت لحزب الله من أرب[٢]

غير أن شيركوه لم يدم به العمر طويلاً بعد تسلم الوزارة، إذ توفاه الله في يوم السبت الثاني والعشرين من جماد الأخرة سنة٥٦٤هـ/١١٧٠[٣]، وعلى الرغم من قصر مد ة وزارته التي لم تزد على شهرين وخمسة أيام[٤]، إلا أن ما قام به من حملات لمقاومة التدخل الاجنبي في مصر وحمايتها من الغزو الصليبي أكسبته محبة الناس وتقديرهم لبطولته، فكانت هذه الاعمال كفيلة في زيادة هيبته واحترامه، ومع أن شهرته في التأريخ طغى عليها ما كان لنور الدين وصلاح الدين من الصيت، إلا أنه كان أول من أدرك أن الاستيلاء على مصر يعدّ من أهم الخطوات لاسترداد فلسطين، فلم يكف شيركوه عن العمل لتحقيق هذا الغرض، برغم ما حدث من تردد نور الدين.

---

(١) ابن الاثير: الكامل في التأريخ،ج١١،ص٢٢٥. ابن شداد: النوادر السلطانية،ص٣٩-٤٠ .ابن العديم: زبدة الحلب،ج٢،ص٣٢٧-٣٢٨. ابو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين، ج١،ق٢،ص٣٩٦-٤٠١. ابو الفداء: المختصر في أخبار البشر،ج٣،ص٤٥-٤٦ . ابن الوردي: تأريخ،ج٢،ص١٠٦ .

(٢) ابو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين، ج١،ق٢،ص٤٠٤ .

(٣) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان،ج٨،ق١،ص٢٧٨. ابن العديم: زبدة الحلب،ج٢،ص٣٢٨. ابن الوردي: تأريخ، ج٢،ص١٠٨ .

(٤) ابن الاثير: الباهر،ص١٤١. ابن شداد: النوادر السلطانية،ص٤٠-٤١ .البنداري: سنا البرق الشامي، ج١،ص٤٢-٤٣. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان،ج٨،ق١،ص٢٧٨. ابن العديم: زبدة الحلب،ج٢،ص٣٢٨. ابو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين، ج١،ق٢،ص٤٠٥.

وعلى أي حال فإن العاضد اختار بدلاً عنه في الوزارة صلاح الدين[1]، ويشير ابن الاثير الى سبب هذا الاختيار قائلاً (وكان الذي حمله على ذلك أن أصحابه قالوا له: ليس في الجماعة أضعف ولا أصغر سناً من يوسف والرأي أن يولى فإنه لا يخرج من تحت حكمنا، ثم نضع من يستميلهم إلينا، فيصير عندنا من الجنود من نمنع بهم البلاد ثم نأخذ يوسف أو نخرجه)[2] ويذكر البنداري سببا آخر اذ يقول(فاجتمعت الامراء النورية على كلمة واحدة وأيدٍ متساعدة وعقدوا لصلاح الدين)[3] أما ابن تغري بردي فيشير بأن شيركوه قد أوصى لصلاح الدين بالوزارة من بعده[4] غير أننا نجد السبب الأكثر قبولاً من غيره هو ما ذهب إليه سبط ابن الجوزي إذ يقول(فبادر العاضد واستدعى صلاح الدين وخلع عليه في الايوان خلعة الوزارة وكتب عهده كما فعل بأسد الدين ولقبه الملك الناصر..)[5] .

رابعا- اسقاط الحكم الفاطمي:

بعد التطور الكبير الذي حصل في مصر، أصبح لزاماً على نور الدين احداث تغيير جوهري في جميع مؤسساتها مما يتفق مع متطلبات المرحلة الجهادية، وتوجهاته الوحدوية في ضم جميع البلاد وتكوين الجبهة الاسلامية المتحدة، لذلك أوعز نور الدين الى قائده صلاح الدين تنفيذ هذا التوجه تدريجياً بدون إراقة دماء، غير أن اختلاف الاهداف بين طرفي الحكم في مصر كان غالباً ما يؤدي إلى

---

(1) ابن الاثير: الباهر،ص١٤٢. ابن شداد: النوادر السلطانية،ص٤٠.البنداري: سنا البرق الشامي، ج١،ص٤٢. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان،ج٨،ق١،ص٢٧٨. ابن العديم: زبدة الحلب،ج٢،ص٣٢٨. ابو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين، ج١،ق٢،ص٤٠٥.

(2) الكامل في التأريخ، ج١١،ص٢٢٦-٢٧. ابن خلكان: وفيات الاعيان، ج٢،ص٣٨٢.

(3) سنا البرق الشامي،ج١،ص٤٢ .

(4) النجوم الزاهرة، ج٥،٣٥٣ .

(5) مرآة الزمان، ج٨،ق١،ص٢٧٨-٢٧٩ . ابن العديم: زبدة الحلب،ج٢،ص٣٢٨ . ابو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين،ج١،ق٢،ص٤٠٧.

استخدام القوة، وهذا ما حصل بالفعل، إذ اتصل مؤتمن الخلافة جوهر لطوشي[١] بـالقوات الصـليبية والاتفـاق معهـم للقضـاء علـى صلاح الدين[٢] إلا أن هذه المؤامرة قد كشفت قبل حدوثها وقبض عليه وقتل[٣]، فغضب السودان لمقتل جوهر، وهاجموا معسكر صلاح الدين فجرت معركة كبيرة بين الطرفين، تمكن خلالها صلاح الدين من الانتصار عليهم واستتباب الأمن في البلاد[٤]، غير أن هذه الانتصارات التي تحققت للقوات الاسلامية في مصر أثارت استياء الصليبيين وغضبهم، فشرعوا في طلب النجدة من أوربا[٥] وفي ذلك يقول ابن الاثير أن (فرنج الساحل قد ايقنوا بالهلاك، لما ملك أسد الدين مصر، فكاتبوا الفرنج الذين بصقلية والاندلس وغيرهما يستمدونهم ويعرفونهم ما تجدد من ملك مصر، وانهم خائفون على البيت المقدس من المسلمين وأرسلوا جماعة من القسسه والرهبان

---

[١] مؤتمن الخلافة: خصي أسود كان المتحكم في قصر العاضد خطط للقضاء على صلاح الدين بالتعاون مع الصليبيين، إلا أن هذه المؤامرة كشفها صلاح الدين قبل وقوعها.ابن الاثير:الكامل في التاريخ،ج١١، ص٢٤٥-٢٤٦. البنداري: سنا البرق الشامي،ج١،ص٤٣. ابو شامة:الروضتين في أخبار الدولتين،ج١،ق٢، ص٤٥٠-٤٥١ .ابن واصل: مفرج الكروب،ج١،ص١٧٤-١٧٥.ابن كثير: البداية النهاية،ج١٢،ص٢٧٦-٢٧٧ .

[٢] ابن الاثير: الكامل في التاريخ،ج١١،ص٢٤٦. البنداري: سنا البرق الشامي،ج١،ص٤٣ . ابو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين،ج١،ق٢،ص٤٥٢. ابن واصل:مفرج الكروب،ج١،ص١٧٦.الحنبلي: شفاء القلوب،ص٧١-٧٢ .

[٣] البنداري: سنا البرق الشامي،ج١،ص٤٣ . ابو شامة:الروضتين في أخبار الدولتين،ج١،ق٢،ص٤٥-٤٥١. ابن واصل: مفرج الكروب،ج١،ص١٧٤-١٧٥ . ابن كثير: البداية والنهاية،ج١٢،ص٢٧٦ .

[٤] ابن الاثير: الكامل في التاريخ،ج١١،ص٢٤٦. البنداري: سنا البرق الشامي،ج١،ص٤٣ . ابو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين،ج١،ق٢،ص٤٥٢. ابن واصل:مفرج الكروب،ج١،ص١٧٥.ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية في السيرة النورية،ص١٨٤. يذكر أن عدد السودان الذين تمردوا على صلاح الدين خمسين الفاً فقاتلهم صلاح الدين لمدة يومين حيث قتل أعداد كبيرة منهم . ابو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين، ج١،ق٢،ص٥١-٤٥٢. ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية،ص١٨٤ .

[٥] يشير رنسيمان ان البابا استقبل رسل الفرنج وزودهم بكتب الى ملك فرنسا فلم يتجاوب وكان الخلاف بين البابا وامبراطور ألمانيا مانعاً في إرسال الرسل. تاريخ الحروب الصليبية،ج٢،ص٦٣٤-٦٣٥.

يحرضون الناس على الحركة)[١]، كما طلبوا النجدة من القسطنطينية، فبادر الامبراطور البيزنطي بتلبية النجدة والاسراع في تجهيز حملة بحرية والتوجه إلى مصر[٢]، أما الملك عموري ملك بيت المقدس فقد توجه بقواته البرية الى هناك لتلتقي مع القوات البيزنطية عند دمياط[٣] فيضرب عليها الاثنان حصاراً شديداً من البر والبحر[٤]، يبدوا أن صلاح الدين كان على اطلاع بتحركات القوات المتحالفة حيث قام بإرسال التعزيزات الدفاعية الى كل من بلبيس ودمياط، المتوقع مهاجمتهما، كما قام بإرسال الرسل الى نور الدين طالباً النجدة قائلاً اني (إن تأخرت عن دمياط ملكها الفرنج، وإن سرت إليها خلفني المصريون في أهلها وأموالها بالشر وخرجوا عن طاعتي وساروا في أثري والفرنج من أمامي فلا يبقى لنا باقية)[٥]، واستناداً الى ذلك قام نور الدين بإرسال قوة عسكرية كبيرة أسند قيادتها الى قطب الدين خسرو الهذباني[٦] لنجدة صلاح الدين[٧]، كما قام نور الدين بمهاجمة القلاع والحصون

---

[١] ابن الاثير: الباهر،ص١٤٣ . ابو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين،ج١،ق٢،ص٤٥٦ . ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية،ص١٨٥-١٨٦ .

[٢] ابن الاثير: الباهر،ص١٤٣-١٤٤ .ابن شداد: النوادر السلطانية،ص٤١. ابو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين،ج١،ق٢،ص٤٥٦ . ابن خلكان: وفيات الاعيان،ج٦،ص١٥٢. ابن واصل: مفرج الكروب،ج١،ص١٨٠.

[٣] دمياط: مدينة قديمة بين تسنيس ومصر، على زاوية بين بحر الروم والملح والنيل وهي ثغر من ثغور الاسلام، ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج٢،ص٦٠٢ .

[٤] ابن الاثير: الكامل في التاريخ،ج١١،ص٢٣١. البنداري: سنا البرق الشامي،ج١،ص٤٥. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان،ج٨،ق١،ص٢٧٩. ابو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين،ج١،ق٢،ص٤٥٦.

[٥] ابن الاثير: الباهر،ص١٤٣ . ابو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين،ج١،ق٢،ص٤٥٦-٤٥٧ . ابن كثير: البداية والنهاية،ج١٢،ص٢٧٩. ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية،ص١٨٦ .

[٦] قطب الدين خسرو الهذباني: ذكره ابو شامة بقوله أنه كان مقداماً مقدما وهماماً معلماً وأمره أن يسير بالمعسكر . الروضتين في أخبار الدولتين،ج١،ق٢،ص٤٥٩.

[٧] ابن الاثير: الكامل في التاريخ،ج١١،ص٢٣١-٢٣٢. البنداري: سنا البرق الشامي،ج١،ص٤٥ . سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان،ج٨،ق١،ص٢٧٩. ابو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين،ج١،ق٢،ص٤٥٦ .ابن واصل: مفرج الكروب،ج١،ص١٨١. ابن كثير: البداية والنهاية،ج١٢،ص٢٧٩. ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية،ص١٨٦ .

الصليبية لإثارة الرعب والخوف في قلوب الصليبيين وتخفيف الضغط عن صلاح الدين[1]، يبدو أن ما قام به نور الدين من هجمات وما نجم عنها من خسائر قد وصلت الى القوات الصليبية الغازية، فاستبد بهم الخوف، فضلاً عن المقاومة العنيفة التي وجدوها في دمياط، وكل هذه الاسباب أدت بالصليبيين الى رفع الحصار عن المدينة والعودة الى بلادهم بعد حصار دام خمسين يوماً[2]، يعتبر فشل الحملة الصليبية على مصر نقطة تحول في تأريخ المقاومة العربية، إذ استطاع نور الدين من مواصلة سياسته الرامية الى توحيد الجبهة الاسلامية ضد الغزاة الصليبيين، وبعد أن استتب الأمر لصلاح الدين طلب من نور الدين إرسال والده أيوب إليه في مصر، فاستغل نور الدين هذا المطلب وحمله رسالة الى صلاح الدين يأمره بإلغاء الحكم الفاطمي في مصر، وإعلان الخلافة العباسية[3]، ويذكر أن الخليفة العباسي المستنجد بالله[4](٥٥٥-٥٦٦هـ/١١٦٠-١١٧٠م) أرسل إلى نور الدين يحثه على

---

(١) ابن الاثير: الكامل في التاريخ،ج١١،ص٢٣١-٢٣٢. الباهر،ص١٤٤ . ابن شداد: النوادر السلطانية،ص٤٢-٤٣. ابو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين،ج١،ق٢،ص٤٥٨.ابن خلكان:وفيات الاعيان،ج٦،ص١٥٢. ابن واصل:مفرج الكروب، ج١،ص١٨١. ابن كثير: البداية والنهاية،ج١٢،ص٢٧٩.

(٢) البنداري: سنا البرق الشامي،ج١،ص٤٥. ابو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين،ج١،ق٢،ص٤٥٨. ابن كثير: البداية والنهاية،ج١٢،ص٢٧٩. ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية،ص١٨٦-١٨٧ .

(٣) ابن الاثير: الكامل في التأريخ،ج١١،ص٢٣٢. الباهر،ص١٤٤. ابن شداد: النوادر السلطانية،ص٤٤. البنداري: سنا البرق الشامي،ج١،ص٤٦-٤٧ .ابو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين،ج١،ق٢،ص٤٦٥. يذكر أبو شامة أن نور الدين هو الذي ألزم نجم الدين أيوب بالسفر الى مصر. الروضتين في اخبار الدولتين، ج١،ق٢،ص٤٦٥-٤٦٦ .

(٤) لقد تميز عهد المستنجد بالله باستقرار الاوضاع الداخلية في بغداد وغيرها من المناطق في العراق وذلك لما عرف عنه من سياسة حازمة في الضرب على أيدي المعتدين، كما شهد عهده إلغاء الكثير من الضرائب التي كانت مفروضة على ابناء الشعب من قبل السلاطين السلاجقة ونوابهم في العراق. ابن الجوزي: المنتظم، ج١٠، ص٢٢٠. ابو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين،ج١،ق٢،ص٤٨٤.

إقامة الدعوة له بمصر[١]واستناداً الى ذلك سار نجم الدين أيوب في قافلة تضم عدداً كبيراً من التجار وأصحاب الحرف، فخشي عليها نور الدين من مداهمة الصليبيين لها، فقام بمهاجمة حصن الكرك لمشاغلتهم لحين اجتياز القافلة ثم عاد الى دمشق[٢]، وفي سنة٥٦٦هـ/١١٧١م توجه نور الدين الى الموصل على أثروفاة أخيه قطب الدين مودود خشية وقوع الفتنة[٣] وحاول سيف الدين[٤] اغلاق أبواب المدينة للحيلولة دون دخولها، إلا انه لم يتمكن لميول كبار الامراء وسكان المدينة مع نور الدين[٥]، وبعد دخوله قام بعدد من الاجراءات منها رفع الضرائب، والمكوس، وتعيين سعد الدين كمشتكين أحد مماليكه والياً لقلعتها، وامر ابن اخيه سيف الدين بأن يستشيره ولا يخالفه، ثم عاد الى حلب[٦]، أما صلاح الدين فكان يتحين الفرص لأسقاط الحكم الفاطمي، وكان غالباً ما يتردد في اتخاذ هذه الخطوة خشية وقوع الفتنة التي تؤدي الى سفك الدماء[٧] وفي تلك الأثناء كانت مراسلات نور الدين قد توالت

---

[١] السيوطي: حسن المحاضرة،ج٣،ص١٩.

[٢] ابن الاثير: الكامل في التأريخ،ج١١،ص٢٣٢. الباهر،ص١٤٤. ابن شداد: النوادر السلطانية،ص٤٤. البنداري: سنا البرق الشامي،ج١،ص٤٦-٤٧ . ابن واصل: مفرج الكروب،ج١،ص١٨٥. ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية، ص١٨٧-١٨٨.

[٣] ابن شداد: النوادر السلطانية،ص٤٤. البنداري: سنا البرق الشامي،ج١،ص٤٣. ابن العديم: زبدة الحلب،ج٢،ص٣٣١.

[٤] سيف الدين: وهو سيف الدين بن قطب الدين، جاء الى الحكم بتدبير كل من والدته خاتون ابنة حسام الدين تمرتاش بن ايلغازي وفخر الملك عبد المسيح، حيث اتفقا على تنحية عماد الدين بن قطب الدين بعد أن أوصى له والده بالحكم. فرحل عماد الدين الى عمه نور الدين مستنجداً به فسار نور الدين لذلك. البنداري: سنا البرق الشامي،ج٢،ص٤٩-٥٠. ابن العديم: زبدة الحلب،ج٢،ص٣٣١.

[٥] ابن الاثير: الكامل في التأريخ،ج١١،ص٢٣٢-٢٣٣. ابن شداد: النوادر السلطانية،ص٤٤. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان،ج٨،ق١،ص٢٨٢. ابن العديم: زبدة الحلب،ج٢،ص٣٣١-٣٣٢.

[٦] ابن الاثير:الباهر،ص١٥٤. البنداري: سنا البرق الشامي،ج١،ص٥١ .ابن العديم: زبدة الحلب،ج٢،ص٣٣٢. ابو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين،ج١،ق٢،ص٤٧٧ . ابن كثير: البداية والنهاية: ج١٢،ص٢٨١. ابن خلدون : تأريخ،ج٥،ص٢٤٩-٢٥٠ .

[٧] ابن الاثير:الباهر،ص١٥٦-١٥٧.ابو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين،ج١،ق٢،ص٤٩٢-٤٩٣ . ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية،ص١٩٦.

علـى صـلاح الـدين بضـرورة قطـع الخطبـة الفاطميـة واعـلان الخلافـة العباسـية(١)، والواقـع ان هـذه المراسـلات تـدل دلالـة واضـحة علـى حـرص نـور الـدين فـي توحيد الجبهة الاسلامية للوقوف بوجه الخطر الصليبي، ولكن هذا لا يعني أن صلاح الدين لـم يكـن حريصـاً علـى اتمـام هـذا العمـل الوحـدوي بـل أن صـلاح الـدين كـان يتحـين الفـرص فـي سـبيل ذلـك، غيـر ان الاخـتلاف فـي وجهـات النظـر فيمـا بيـنهم هـو أن صـلاح الـدين كـان أعلـم مـن غيـره فـي أوضـاع مصـر، اذ أراد القيـام بهـذا العمـل دون إراقـة دمـاء، وهـذا مـا نلمسـه فـي سياسـته، فقـد قـام بعقـد مجلـس استشـاري ضـم والـده وكبـار قادتـه واستشـارهم فـي كيفيـة اتمـام هـذا الأمـر، فتقـرر البـدء بالعمـل دون اعـلام الوالي الفاطمي العاضد، إذ أمر خطباء المساجد في مصر بإعلان الخطبة للخليفة العباسـي المستضـيء بـالله(٥٥٦-٥٧٥هـ(١١٧٠-١١٧٩م) فتهيبـوا مـن ذلـك، ولـم يجرؤ أحد منهم على هذا العمل(٢)وفي الأول من محرم سنة ٥٦٧هـ/١١٧٢م ارتقى المنبر رجل(٣) متصوف قدم من الموصل فذكر اسم الخليفة العباسي دون اسم الوالي الفاطمي، فلم يعترض أحد، وعلى أثر هذا تشجع خطباء المساجد في الجمع التالية بجميع مدن مصر، فأسقطوا اسم العاضد وأعلنوا اسم الخليفة العباسـي المستضـيء

---

(١) البنداري: سنا البرق الشامي،ج١،ص٥١ .ابو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين،ج١،ق٢،ص٤٩٣ . ابن خلكان: وفيات الاعيان،ج٦،ص١٥٦ . ابن واصل : مفرج الكروب،ج١،ص٢٠١. ابن كثير: البداية والنهاية،ج١٢،ص٣٨٣.

(٢) ابن الاثير:الباهر،ص١٥٦. ابو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين،ج١،ق٢،ص٤٩٣ . ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية،ص١٩٧.

(٣) نجم الدين لخبوشاني الصوفي: هو محمد بن موفق بن سعد بن علي بن الحسن بن عبد الله الشافعي ولد سنة ٥١٠هـ، ومات سنة ٥٨٧هـ، المقريزي: المقفى الكبير، ج٧،ص٢٢٦ . وقد مهد صلاح الدين لقطع الخطبة العديد من الاجراءات منها عزل قضاة مصر واستناب على سائر البلاد بقضاة شافعية وعين العالم الشافعي صدر الدين ابن عبد الملك بن درباس قاضياً للقضاة الشافعية ووزيراً للديار المصرية .ابن الأثير: الكامل في التاريخ،ج١١،ص٢٤٦ . ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢، ص٣٦٣ . كما قام صلاح الدين بالاجهاز على القوة العسكرية الموالية للفاطميين، وقضى على امراء القصر والجند السودان، ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج١١، ص ٢٤٦ . البندادي : سنا البرق الشامي ج١، ص ٤٣ . ابو شامة : الروضتين في اخبار الدولتين، ج١، ف٢، ص٤٥٢ . ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص١٧٥ .

فلم يحدث شيء[١]، وفي مستهل ذلك توفي العاضد فأصبح صلاح الدبن مديراً للديار المصرية، فأرسل بالبشرى الى نور الدين في حلب والى الخليفة العباسي[٢]، الذي أرسل بدوره الخلع والهدايا الى كل من نور الدين وصلاح الدين مباركاً جهودهما في اتمام الوحدة الاسلامية[٣]وهكذا استطاع نور الدين وقائده صلاح الدين من تحقيق هدفهم الوحدوي، ليكون أساساً للهدف الاستراتيجي الكبير، وهو تحرير بيت المقدس وطرد الغزاة من الديار الاسلامية. وفي سبيل ذلك أرسل نور الدين الى صلاح الدين يأمره بالمسير الى محاصرة قلعة الكرك، فسار صلاح الدين تنفيذاً لهذا الأمر فحاصر قلعة الشوبك الواقعة الى الجنوب من الكرك[٤]، إلا أن هذا اللقاء لم يتم بسبب اضطراب الأوضاع في مصر، على أثره عاد صلاح الدين لضبط الامور فيها، بعد أن، أرسل الى نور الدين يعلمه بذلك على أمل اللقاء معه في العام القادم[٥]وتنفيذا لما تم الاتفاق عليه في العام السابق خرج صلاح الدين في سنة

---

[١] ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج١١، ص٢٤٢ . الباهر، ص١٥٧ . ابن شداد : النوادر السلطانية، ص٤٥ . البنداري : سنا البرق الشامي، ج١، ٥٨ . سبط ابن الجوزي : مرآت الزمان، ج٨، ق٢، ص٤٩٣ . ابن العديم : زبدة الحلب، ج٢، ص٣٣٣ . ابو شامة : الروضتين في اخبار الدولتين، ج١، ق٢، ص٤٩٣ . ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص٢٠١ . ابن تفري بردي : النجوم الزاهرة، ج٥، ص ٣٥٥-٣٥٦ .

[٢] جاء في الكتاب الذي وجهه صلاح الدين الايوبي الى دار الخلافة ببغداد (كتب الخادم هذه الخدمة من مستقره ودين الولاء مشروع، وعلم الجهاد مرفوع، وسؤدد السواد متبوع، وحكم السداد بين الامة موضوع وسبب الفساد مقطوع ممنوع ......) ابو شامة : الروضتين في اخبار الدولتين، ج١، ق٢، ص٤٩٦ . ابن تفري بردى : النجوم الزاهرة، ج٥، ص ٣٤٣ – ٣٤٤ .

[٣] ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج١١،ص٢٤٢. البنداري: سنا البرق الشامي،ج١،ص٥٨ . المقريزي: خطط،ج١،ص٤٥. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة،ج٥،ص٣٥٥-٣٥٦.

[٤] الكامل في التاريخ، ج١١،ص٢٤٤. ابو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين، ج١،ق٢،ص٥١٨. ابن واصل: مفرج الكروب،ج١،ص٢٢١.

[٥] ابن الاثير : الباهر،ص١٥٨. البنداري: سنا البرق الشامي،ج١،ص٦٥. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥،ص٢١-٢٢. ابن قاضي شهبة : الكواكب الدرية،ص٢١٢.

٥٦٨هـ/١١٧٣م للقاء نور الدين، إلا انه تلقى رسالة من مصر بأن والده يحتضر[1] فأرسل الى نور الدين يخبره بالأمر، واسرع بالرجوع الى مصر، خشية حدوث الفتنة، واستغلال انصار الفاطميين الوضع ويستولوا على البلاد[2]، الواقع أن نور الدين أيد صلاح الدين في كلا المرتين لأنه كان مدركاً لحجم الكارثةالتي تحل في حالة ضياع مصر من يده، وما تسببه من عرقلة للوحدة الاسلامية، ويتضح ذلك من خلال ما صرح به نور الدين قائلاً (إن حفظ مصر أهم عندنا من غيره)[3] كما تشير الدلائل التأريخية الى سعي نور الدين لدعم مركز صلاح الدين في مصر لمواجهة ما يتهدده من أخطار، ويمكن اعتبار إرساله لأخيه توران شاه، ومن بعده والده نجم الدين أيوب في إطار هذا العمل. والحق أن ما قام به صلاح الدين لم يكن ليخدم غرضاً شخصياً ضيقاً بل أن سياسته كانت مستوحات من التجارب التي تعرض لها منها ما حدث من التسابق بين اللاتينيين والبيزنطيين للإستيلاء على دمياط، كما مر ذكره وما وقف عليه من أمر المفاوضات بين عموري والامبراطور البيزنطي مانويل لاعداد حملة لمهاجمة مصر[4]، كل هذه الأحداث باتت سبباً مقنعاً بأن مصر أصبحت أكثر البلاد تعرضاً للخطر الصليبي، وعلى أي حال فإن ما سعى إليه نور الدين لم يتحقق في حياته هو تحرير بيت المقدس من دنس الاعداء إذ توفاه الله بعد فترة مرض قصيره يوم الأربعاء الحادي عشر من شوال سنة٥٦٩هـ/١١٧٤م وهو في

---

(١) علما أنه قد وجد أباه قد توفى . ابن شداد : النوادر السلطانية،ص٤٦. المقريزي: السلوك،ج١،ص٥١. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة،ج٥،ص٢٣ .

(٢) ابن الاثير : الباهر،ص١٥٨. ابن شداد : النوادر السلطانية،ص٤٦. البنداري: سنا البرق الشامي، ج١،ص٦٨. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨،ق١،ص٢٩٥. ابن العديم: زبدة الحلب،ج٢،ص٢٤٠. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥،ص٦٧-٦٨. ابن قاضي شهبة : الكواكب الدرية،ص٢١٣-٢١٤.

(٣) ابن الاثير: الكامل في التاريخ،ج١١،ص٢٥٩-٢٦٠.

(٤) ويشير رنسيمان الى هذه المفاوضات قائلاً(فانعقدت بينهما وتم التوقيع عليها غير أن شروطها لم يتم تسجيلها ويبدو أن الملك اعترف في صور غامضة بسيادة الامبراطور على المسيحيين الوطنيين وان الامبراطور مانويل وعد ببذل مساعدة بحرية ومالية فتقرر وضع خطة لتوجيه حملة اخرى الى مصر). تأريخ الحروب الصليبية،ج٢،ص٦٣٢.

دمشق[١]،وهكذا انطوت صفحة حياة هذا المجاهد الذي وهب نفسه في سبيل بناء الوحدة الاسلامية . فكانت سيرته منهلاً ترتوي منه الاجيال على مر العصور.وما قيل في حقه كثير وسنوجز قسماً منها على سبيل التذكير لا الحصر. فقد قال عنه ابن الأثير واصفاً شجاعته (فإليها النهاية وكان في الحرب يأخذ قوسين وتركثين ليقاتل بها فقال له القطب النيسابوري الفقيه–بالله عليك لا تخاطر بنفسك– فقال نور الدين –ومن محمود حتى يقال له هذا؟ من قبلي من حفظ البلاد والاسلام ذلك الله الذي لا إله إلا الله)[٢]، وقال عنه ابن شداد في معرض حديثه عن معركة حطين(فرحم الله الملك الناصر صلاح الدين وقدس روحه فلم يؤيد الاسلام بعد الصحابة رضي الله عنهم–برجل مثله ومثل نور الدين محمود زنكي رحمه الله عليهما– فهما جددا الاسلام بعد دروسه وشيدا البنيان التوحيدي بعد طموسه...)[٣]. وذكر ابن العبري قائلا (لم يكن في سيرة الملوك أحسن من سيرته ولا أكثر تحريا للعدل منه وكان لا يأكل ولا يلبس ولا يتصرف بالذي يخصه إلا من ملكٍ كان له قد اشتراه من سهمه من الغنيمة...)[٤]. وقال عنه أبو شامة هو سهم للدولة سديد، وركن للخلافة شديد، وأمير زاهد وملك مجاهد ...)[٥]

(١) ابن الاثير: الكامل في التأريخ،ج١١،ص٢٦٧. الباهر، ص١٦١. ابن شداد: النوادر السلطانية، ص٤٧. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان،ج٨،ق١،ص٣٢١ . ابن العديم : زبدة الحلب،ج٢،ص٧١ . ابو شامة: اللاوضتين في أخبار الدولتين، ج١،ق٢،ص٥٨١–٥٨٢. العليمي : الأنس الجليل،ج١،ص٣١٥ .

(٢) الكامل في التأريخ، ج١١،ص٢٦٣–٢٦٤.

(٣) ابن واصل: مفرج الكروب، ج٢،ص١٩٢ .

(٤) تأريخ مختصر الدول، ص٢١٥–٢١٦ .

(٥) الروضتين في أخبار الدولتين،ج١،ق٢،ص٥٨٤ .

٢- دور صلاح الدين في استكمال الوحدة الاسلامية ومحاربة الصليبيين:

كان لوفاة نور الدين محمودسنة٥٦٩هـ/١١٧٣م أثر كبير في انهيار الوحدة الاسلامية التي أفنى حياته في اقامتها لاسيما وأنه لم يخلف من الابناء سوى طفلاً في الحادية عشر من عمره، وهو الملك الصالح اسماعيل[١]، اما الاخوين سيف الدين غازي امير الموصل وعماد الدين زنكي أمير سنجار[٢] شغلتهم مصالحهم الخاصة فلم يكن من المتوقع أن يحتل أحدهما مكان عمه، ولم يعبأ بأمور الجهاد[٣] كما طالت شدة الانقسامات بقية القادة في بلاد الشام ودخلوا صراعات مع بعضهم وعلى وصاية ابنه الصغير الصالح اسماعيل[٤]، وهكذا خلت الجبهة الاسلامية في بلاد الشام، من قائد يشار إليه بأنه يصلح أن يكون خلفاً لنور الدين في استكمال دوره الجهادي في بناء الوحدة الاسلامية للوقوف بوجه الغزاة. وفي تلك الظروف

---

[١] وابنة صغيرة ووزجة هي عصمة الدين خاتون ابنة معين الدين انر. ابن الجوزي: المنتظم،ج١٠،ص٢٤٨-٢٤٩. ابن الاثير: الباهر،ص١٦١-١٦٢ . ابن شداد: النوادر السلطانية،ص٤٧. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان،ج٨،ق١،ص٣٢٤. المقريزي: السلوك،ج١،ص٥٥-٥٦. ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢،٣٢٩. ابن خلكان : وفيات الاعيان،ج٢،ص٢٩ .

[٢] سيف الدين وعماد الدين هما ابنا قطب الدين بن مودود بن زنكي ابني أخي نور الدين محمود توفي الاول٥٧٦هـ، وتوفي الثاني٥٩٤هـ. للمزيد ينظر ابن الاثير:الكامل في التأريخ،ج١١،ص٤٠٦،٣٦٢،٣٥٥.

[٣] البنداري: سنا البرق الشامي،ج١،ص٧٤-٧٥ . سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان،ج٨،ق١،ص٣٢٤-٣٢٥. ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية،ص٢٢٩-٢٣٠ .

[٤] حدث تنافس شديد بين قائد حلب شمس الدين علي بن الداية وبين ابي الفضل بن الخشاب أحد المقدمين في حلب، مما زاد في اضطراب الوضع فيها، كما وكان ابن لداية يخشى تقدم سيف الدين غازي صاحب الموصل الى حلب وانتزاعها منه، لذلك اجتمع بسعد الدين كمشتكين الذي لجأ الى حلب بعد هروبه من سيف الدين غازي واستقر الرأي على ان يسير سعد الدين في عسكر حلب حيث يقيم الملك الصالح ويحضره الى حلب بقصد المحافظة عليها وحمايتها من صاحب الموصل، وتمكن سعد الدين من اصطحاب الملك الصالح الى حلب غير أنه قبض على ابن الداية واودعه السجن واستبد بالامور في حلب. للمزيد ينظر ابن الاثير: الكامل في التاريخ،ج١١،ص٤١٥. ابو شامة الروضتين في اخبار الدولتين،ج١،ق٢،ص٥٩٢-٥٩٣. ابن واصل: مفرج الكروب،ج٢،ص١٠ .

العصيبة زاد الخطر الصليبي في المنطقة، مستغلين ما آلت إليه من تفكك سياسي، فهجموا على بانياس وحاصروها في شوال سنة ٥٦٩هـ/١١٧٤م فخرج اليهم ابن المقدم[١] وهادنهم على ان يؤدي إليهم مبلغاً ضخماً وان يطلق سراح أسراهم[٢]، ويشير ابن الاثير الى تلك المراسلة قائلا(فجمع شمس الدين محمد بن المقدم العسكر عنده بدمشق فخرج عنها فراسلهم ولاطفهم، ثم أغلظ لهم في القول وقال لهم إن أنتم صالحتمونا وعدتم عن بانياس فنحن على ما كنا عليه وإلا فنرسل الى سيف الدين صاحب الموصل ونعلمه ونصالحه ونستنجده ونرسل الى صلاح الدين في مصر فنستنجده ونقصده ونقصد بلادكم من جهاتها كلها ولا تقومون لنا)[٣] وفقاً الى اسلوب الترغيب والترهيب جنح الملك عموري الى عقد الصلح ورفع الحصار عن المدينة وعاد الى القدس[٤]، يبدو ان صلاح الدين كان على اطلاع بما تم الاتفاق عليه، لذلك أرسل الى امراء الشام موبخاً ضعفهم وخضوعهم لقبولهم مثل هذه المعاهدات المهينة[٥]، كما انه أرسل الى قاضي دمشق ابن ابي عصرون[٦] معاتباً وطالباً منه انكار المعاهدة قائلا (لما بلغني المرحوم خرجت من مصر لقصد الجهاد وتطهير

---

[١] ابن المقدم: محمد بن عبد الله بن عبد الملك، كان من كبار امراء الملك نور الدين،مات سنة٥٨٣هـ/١١٨٧م. ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢،ص٣٥٠ . ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة،ج٦، ص١٠٥.

[٢] سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان،ج٨،ق١،ص٣٢٤. ابن العديم: زبدة الحلب،ج٣،ص١٢. ابو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين،ج١،ق٢،ص٥٨٩.

[٣] ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج١١،ص٤١٥. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان،ج٨،ق١،ص٣٢٤. ابن واصل: مفرج الكروب، ج٢،ص٧ .

[٤] سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان،ج٨،ق١،ص٣٢٤. ابو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين، ج١،ق٢، ص٥٨٩.

[٥] ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج١١،ص٤١٥. ابن العديم: زبدة الحلب،ج٣،ص١٢. ابو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين،ج١،ق٢،ص٥٨٩. ابن واصل: مفرج الكروب، ج٢،ص٧ . ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة،ج٦،ص١٠٩ .

[٦] ابن ابي عصرون: عبد الله بن محمد بن هبة الله المطهر بن علي ابو السعود بن ابي السري التميمي، كان اماماً فاضلاً عالما توفي ٥٨٥هـ/١١٨٩م. ابن كثير: البداية والنهاية،ج١٢،ص٣٥٥-٣٥٦. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة،ج٦،ص١٠٩ .

البلاد من أهل الكفر والعناد فبلغني حديث الهدنة المؤذنة بذل الاسلام وشين شريعة المصطفى ﷺ وسيدنا الشيخ أولى من جرد لسانه من انكار هذا الامر فإنه بلسانه تغمد السيوف وتتجرد الحقوق)[١] من الواضح ان لتخاذل هؤلاء القادة وانقسامهم كان له أثر كبير في توجه صلاح الدين الى بلاد الشام، وتكشف لنا الروايات بأن صلاح الدين قد اعرب عن ذلك من خلال كلمته التي ألقاها لقواته (أنا أحق برعي العهود والسعي المحمود، فإنه إن استمرت ولاية هؤلاء تفرقت الكلمة المجتمعة،... وانفردت مصر عن الشام، وطمع أهل الكفر في بلاد الاسلام)[٢] كان يرى صلاح الدين ان من واجبه إعادة بناء الوحدة الاسلامية، فعزم على الخروج من مصر الى الشام وحسم الامور هناك، وفي مستهل ذلك وصلت مكاتبات أهل دمشق مستغيثين به من خشية وقوع المدينة فريسة بين الامراء المتنفذين والقوات الصليبية[٣]، وعلى أثر ذلك توجه صلاح الدين على رأس قواته الى بلاد الشام مع مطلع عام ٥٧٠هـ/١١٧٤م[٤] بعد ان استخلف على مصر أخيه العادل[٥]، ووصل دمشق في ربيع الاخرة من نفس السنة المذكورة، واستقبل بأبهى مظاهر الفرح والسرور من قبل الأهالي[٦]، وحال وصوله كشف صلاح الدين لأهل المدينة عن سياسته الرامية الى توحيد البلاد لطرد الغزاة وتربية الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين الذي اصبح مطمعاً لعدد من

---

[١] سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان،ج٨،ق١،ص٣٢٤-٣٢٥. ابو شامة:الروضتين في أخبار الدولتين،ج١،ق٢، ص٥٨٩.

[٢] ابو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين،ج١،ق٢،ص٥٨٧. ابن واصل: مفرج الكروب،ج٢،ص١٨.

[٣] ابن الاثير: الكامل في التاريخ،ج١١،ص٤١٦. ابن شداد: النوادر السلطانية،ص٥٠. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨،ق١،ص٣٢٤. ابن العديم: زبدة الحلب، ج٣،ص١٠-١٢. ابن كثير:البداية والنهاية، جذ١٢،ص٣٠٨.

[٤] ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج١١،ص٤١٦. البنداري: سنا البرق الشامي،ج١،ص٨١ . سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان،ج٨،ق١،٣٢٦. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة،ج٦،ص٧٣ . الحنبلي : احمد بن ابراهيم (٧٨٦هـ / ١٤٧١م)، شفاء القلوب في مناقب بني ايوب، تحقيق : ناظم رشيد، دار الحرية للطباعة، ط١، ١٩٧٨، ص٨٤.

[٥] ابن كثير : الدباية والنهاية، ج١٢، ص٣٨٠. المقريزي : السلوك، ج١، ص٦١.

[٦] ابن شداد، نوادر السلطانية، ص٥٠. البنداري: سنا البرق الشامي، ج١، ص٨١. سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان، ج٨، ق١، ص٣٢٦. ابن العديم، زبدة الحلب، ج٣، ص١٩-٢٠.ابن العبري : تاريخ مختصر الدول، ص٢١٦. ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ج٥، ص٧٦. ابن العماد : شذرات الذهب، ج٤، ص٢٣٦.

المتنفذين والقادة، اذ افصح عن ذلك قائلاً : (انه قدم الشام لاصلاح الامور وحفظ الثغر وخدمة ابن نور الدين وكفالته وتخليصه من قوم يأكلون الدنيا باسمه ويبالغون في ظلمه)[١] ومنها قوله ايضاُ : (انا لا تؤثر الاسلام واهله الا ما جمع شملهم وآلف كلمتهم)[٢]. ويقول لامب : (ان صلاح الدين لم يمتط صهوة جواده قط ليحارب المسلمين، لكنه لم يتوانا عن امتشاق الحسام اذا ما خابت الوسائل الاخرى . وقد اوصى صلاح الدين ابنه مرة في احدى رسائله اليه : لاتسفك دماً لا ضرورة لسفكه، فالدم لا ينام ابداً بل اعمل دائما على كسب محبة رعاياك)[٣] وهكذا بدأ صلاح الدين العملية الجهادية بتوحيد الجهود الاسلامية ومن ثم التقدم لضرب القوات الصليبية في معاقلها، كما ان صلاح الدين بعث الى الخليفة العباسي المستضيء بالله (٥٥٦-٥٧٥هـ / ١١٧٠-١١٧٩م) موضحاً سياسته وسبب مقدمه الى الشام. قائلاً : (وعرفنا ان البيت المقدس ان لم تتيسر الاسباب لفتحه وامر الكفر ان لم نجرد العزم لقلعه ولا نبتت عروقه واتسعت على المسلمين حروقه وكانت الحجة لله قائمة، وهمم القادرين بالقعود آثمة وانا لانتمكن بمصر منهم مع بعد المسافة وانقطاع العمارة وكلال الدواب التي بها على الجهاد قوة،وإذا جاورناه كانت المصلحة بادية والمنفعة جامعة واليد قادرة والبلاد قريبة والغزوة ممكنة والميرة متسعة والخيل مستريحة والعساكر كثيرة)[٤]. وبعد ان تيسر لصلاح الدين دخول دمشق جعل اخاه سيف الدين طغتكين والياً عليها،وسار الى

---

[١] ابن واصل : مفرج الكروب، ج٢، ص٢٩.

[٢] ابو شامة : الروضتين في اخبار الدولتين، ج١،ق٢، ص٥٩٧.

[٣] هارود لامب : شعلة الاسلا م (قصة الحروب الصليبية) ترجمة محمود عبد الله يعقوب مراجعة الدكتور جمال الدين الشيال، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٦٧، ص٦٧.

[٤] ابن واصل : مفرج الكروب، ج٢، ص٢٨.

مدينة حمص فتمكن من دخولها ماعدا قلعتها، فترك قوة صغيرة لمحاصرتها[١] وتوجه الى مدينة حماه ودخلها في جمادى الآخرة سنة ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م[٢]، وبعد ذلك سار الى مدينة حلب فرفض حكامها الدخول في طاعته[٣]، كما وارسلوا الى ريموند الثالث امير طرابلس طالبين العون والنجدة،[٤]وفقاً لذلك توجه ريموند الى مهاجمة مدينة حمص بقصد رفع الحصار عن مدينة حلب فلم يسع صلاح الدين الا رفع الحصار عن المدينة واستخلاص حمص من قبضة ريموند[٥] ولم يلبث صلاح الدين ان سا رالى بعلبك وصالح اهلها وتسلم قلعتها في الرابع عشر من شهر رمضان عام ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م[٦]، وفي أثنا ءذلك واجه صلاح الدين تحالفاً خطيراً قام به كل من امراء حلب والموصل وفعلاً حدثت معركة كبيرة بين حمص وحماه،

---

[١] ابن الاثير: الكامل في التاريخ،ج١١،ص٤١٧. ابن شداد: النوادر السلطانية،ص٥٠. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨،ق١،ص٣٢٨. ابن العديم: زبدة الحلب، ج٣،ص ٢٠-٢١، ابن واصل : مفرج الكروب، ج٢،ص٢٢، ابن الوردي : تاريخ، ج٢،١٢٠، المقريزي : السلوك، ج١، ص٥٩، ابن خلدون : تاريخ، ج٥، ص٥٨٩.

[٢] ابن شداد:النوادر السلطانية،ص٥١. سبط ابن الجوزي:مرآة الزمان، ج٨،ق١،ص٣٢٨.ابن الوردي:تاريخ، ج٢ ص١٢٠،المقريزي:السلوك،ج١،ص٥٩، ابن خلدون:تاريخ، ج٥، ص٥٩٠.

[٣] ابن الاثير: الكامل في التاريخ،ج١١،ص٤١٨. ابن العديم: زبدة الحلب، ج٣،ص ٢١، ابو شامة : الروضتين في اخبارالدولتين، ج١، ق٢، ص٦٠٥، ابن واصل : مفرج الكروب، ج٢،ص٢٣،ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢، ص٢٨٩، المقريزي : السلوك، ج١، ص٥٩، العليمي : الانس الجليل، ج١، ص٣١٥.

[٤] ابن العديم: زبدة الحلب، ج٣،ص ٢٢، ابو شامة : الروضتين في اخبارالدولتين، ج١، ق٢، ص٦١١، ابن واصل : مفرج الكروب، ج٢،ص٢٤. ويذكر انهم ارسلوا ايضاً الى الاسماعيلية وبذلوا لهم اموالاً كثيرة مقابل قتل صلاح الدين وفعلاً تم ارسال عدد من الفدائيين الا ان هذه المؤامرة كشفت وتم قتلهم جميعاً. ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج١١، ص ٤١٨، ابن العديم : زبدة الحلب، ج٣، ص ٢٢، ابن الوردي : تاريخ، ج٢، ص١٢٣، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، ج٦، ص٧٦.

[٥] ابن العديم : زبد ة الحلب، ج٣، ص٢٢. ابو شامة : الروضتين في اخبارالدولتين، ج١، ق٢، ص٦١١، ابن كثير: البداية والنهاية،ج١٢،ص٢٨٩. المقريزي :السلوك .،ج١،ص٥٩.

[٦] ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج١١، ص٤٢١-٤٢٢. البنداري : سنا البرق الشامي، ج١،ص٨٤. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج١، ق١، ص٣٢٨، علماً ان بعلبك كانت بيد يمن الريماني احد مماليك نور الدين . سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج١، ق١، ص٣٢٨.

استطاع خلالها صلاح الدين من تحقيق النصر عليهم [١] كان لهذا الانتصار الذي تحقق اثر كبير من ناحيتين : الاول : يتعلق بمستقبل صلاح الدين السياسي في المنطقة، اذ حظى باعتراف الخليفة العباسي كسلطان شرعي في تلك البلاد[٢]. وثانياً : اصبحت أغلب مدن الشام تدين له بالطاعة والولاء،وهذا ما له من اهمية كبيرة في السير على طريق الوحدة والمقاومة . وبعد هذا حث صلاح الدين الخطى بمهاجمة حلب الا انه عدل عن ذلك بعد ان تم عقد الصلح بينه وبين الملك الصالح اسماعيل الذي تقررت بموجبه الابقاء على ما بأيديهم من البلاد ومضيفين الى صلاح الدين المعرة وكفر طاب وبارين[٣] الا ان امرا ء الموصل وحلب نقضوا الاتفاق وعادوا الى محاربته وعند تل السلطان[٤]في العاشر من شوال عام ٥٧١هـ/ ١١٧٥م، هزمهم صلاح الدين وحاز على مابأيديهم من ذخائر[٥]وكان لهذا الانتصار اثر كبير في تشجيع صلاح الدين في توحيد عدد من المواقع المهمة مثل بزاغة ومنبج في سنة

---

[١] ابن الاثير: الكامل في التاريخ،ج١١،ص٤٢١-٤٢٢. ابن شداد: النوادر السلطانية،ص٥٠-٥١. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨،ق١،ص٣٢٨. ابو شامة : الروضتين في اخبار الدولتين، ج١، ق٢، ص٦٣٧-٦٣٨. ابن واصل : مفرج الكروب، ج٢، ص٣٢. ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢، ص٩٢. المقريزي : السلوك، ج١،ص ٥٩.

[٢] وصلت رسل الخليفة المستضيء بالله لتقليده السلطنة على بلاد الشام ومصر عند حماه . ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج١١، ص٤٢٢. ابن شداد : النوادر السلطانية، ص٥١. ابن شامية : الروضتين في اخبار الدولتين ج١، ص٦٣٩. ابن خلكان: وفيات الاعيان، ص٩٤.

[٣] ابن شداد : النوادر السلطانية، ص٥١. ابن العديم : زبدة الحلب، ج٣،ص٢٤. ابن واصل : مفرج الكروب،ج٢،ص٣٣-٣٤.

[٤] تل السلطان موضع بقرب من حلب وفيه خان ومنزل للقوافل وهو معروف بالفندق . ياقوت الحموي :معجم البلدان، ج٢،ص٤٠٥.

[٥] ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج١٢،ص٤٢٨. ابن شداد: النوادر السلطانية،ص٥٢. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨،ق١،ص٣٣٤. ابو شامة : الروضتين في اخبار الدولتين، ج١، ق٢، ص٦٥٠. ابن العديم : زبدة الحلب، ج٣، ص٢٦-٢٧. ابن واصل : مفرج الكروب، ج٢، ص٣٨-٤٢. ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢، ص٩٢. المقريزي : السلوك، ج١، ص٦١.

٥٧١هـ/١١٧٥م[١]ثم سار الى قلعة عزاز[٢]وبعد حصار دام ثمانية وثلاثين يوماً طلب اهلها الامان تسلمها صلاح الدين في ذي الحجة من السنة نفسها[٣]وهكذا استطاع صلاح الدين ضم أغلب مدن الشام الى الوحدة الاسلامية ولم يبقى أمامه سوى مدينة حلب فتوجه إليها في أواخر سنة ٥٧١هـ/١١٧٦م وبعد حصار قصير جنح امرائها الى طلب الصلح وتم ذلك في مستهل سنة٥٧٢هـ/١١٧٦م[٤]، وشمل هذا الصلح امراء الموصل الذين كانوا متحالفين مع الحلبيين ضد صلاح الدين وتم بموجبه بأن يكونوا يداً واحدة على من ينقض هذا الاتفاق المبرم[٥]، إلا أن صلاح الدين (بلغه أن رسل الموصل وصلوا الى الفرنج يحثونهم على قتال المسلمين فعلم أنهم نكثوا اليمين وعقد العزم على قصدهم لجمع كلمة العساكر الاسلامية على عدو الله فأخذ في التأهب لذلك)[٦] غير أن هذا لم يكن الدافع الوحيد الذي أدى الى محاصرة المدينة، بل أن التطورات

---

[١] ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج١١،ص٤٢٨. ابن شداد: النوادر السلطانية،ص٥٢. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨،ق١،ص٣٣٥. ابن العديم : زبدة الحلب، ج٣، ص٢٧–٢٨. ابن واصل : مفرج الكروب، ج٢، ص٤٢.

[٢] عزاز: بليدة فيها قلعة شمال حلب بينهما مسير يوم واحد. ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج٧،ص١١٨–١١٩.

[٣] ابن شداد: النوادر السلطانية،ص٥٢. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨،ق١،ص٣٣٥. ابن العديم : زبدة الحلب، ج٣، ص٢٧–٢٨. ابو شامة: الروضتين في اخبار الدولتين،ج١،ق٢،ص٦٥٧. المقريزي : السلوك، ج١،ص٦١ . الحنبلي: شفاء القلوب،ص٩١.

[٤] ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج١١،ص٤٣٤.سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨،ق١،ص٣٣٥. ابن العديم : زبدة الحلب، ج٣، ص٢٩. ابو شامة: الروضتين في اخبار الدولتين،ج١،ق٢،ص٦٦٩. ابن الوردي: تأريخ، ج٢، ص١٢٣.

[٥] ابو شامة: الروضتين في اخبار الدولتين،ج١،ق٢،ص٦٦٩. ابن واصل : مفرج الكروب، ج٢،ص٤٦ .

[٦] ابن شداد: النوادر السلطانية،ص٥٢.

التي حدثت في الموصل ما بين ٥٧٦-٥٨١هـ/١١٨٠-١١٨٥م)[١]، وكان لها أثراً كبيرا في توجه صلاح الدين إليها ثلاث مرات[٢]، أحدث هذا التطور تحولاً كبيراً في سياسة صلاح الدين، لذلك نلاحظ أنه يقوم بمحالفة امراء الاطراف والجزيرة الفراتية لاسيما بعد أن تمكن في سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م من اخضاع البيرة والرقة[٣] والرها وسنجار [٤] وحران[٥] والخابور [٦] ونصيبين[٧]،[٨]فضلاً عن دخول الارانقة في طاعته[٩]، فلم يبقى امام صلاح الدين الا مدينة حلب، وقد فرض سيطرته عليها في

---

[١] حدث أن توفى سيف الدين غازي صاحب الموصل وعهد بالحكم الى أخيه عز الدين مسعود وكان هذا سنة ٥٧٦هـ. ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج١١،ص٤٦٣. سبط ابن الجوزي:مرآة الزمان،ج٨،ق١، ص٣٦٤. ابن العبري : تأريخ مختصر الدول،ص٢١٨ .كما وتوفي في سنة ٥٧٧هـ/ الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين وعهد بالحكم الى ابن عمه عز الدين مسعود إلا أنه تنازل عنها لأخيه عماد الدين مقابل سنجار. ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٥٥-٥٦. ابن العديم: زبدة الحلب، ج٣،ص٤١-٤٧. ابن واصل: مفرج الكروب،ج٢،ص١٠٦.

[٢] كان الحصار الاول في رجب سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م. والثاني في ربيعه الاول سنة٥٨١هـ/١١٨٥م . وكان الثالث في شعبان في السنة نفسها. ابن الاثير: الكامل في التاريخ،ج١١،ص٤٧٣-٤٨٣. ابن شداد: النوادر السلطانية،ص٥٧،٦٧-٧٠ . ابن واصل: مفرج الكروب،ج٢،ص١١٨-١٦٧،١٢٣-١٦٨، ١٧٠-١٧١

[٣] الرقة: مدين ةمشهورة علىالفرات بينها وبين حران مسير ثلاثة ايام . ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج٣،ص٥٩.

[٤] سنجار: مدينة مشهورة في نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاث أيام. ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج٣،ص٢٦٢

[٥] حران: من مدن الجزيرة في ديار بكر ملتقى طريق الموصل والشام والروم. ياقوت الحموي،ج٥،٢٣٥،٢

[٦]الخابور: بلدة مشسهورة من أرض الجزيرة تحتوي على عدة قرى سميت باسم أكبر روافد نهر الفرات. ياقوت الحموي : معجحم البلدان،ج٢،ص٢٤.

[٧] نصيبين: مدينة في بلاد الجزيرة بلين الموصل والشام. ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج٥،ص٢٨٨.

[٨] ابن شاهنشا الأيوبي: مظمار الحقائق،ص١٠٣ . ابن شداد : النوادر السلطانية، ص٥٧. ابن العديم: زبدة الحلب، ج٣،ص٥٧-٥٨ .ابن واصل: مفرج الكروب،ج٢،١١٦-١١٧. ابو الفداء :المختصر في اخبار البشر، ج٥،ص٨٧.ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢،ص٣٣٢.

[٩] ابن شاهنشا الايوبي :مضمار الحقائق، ص١٠٣-١٠٤.ابن العديم : زبدة الحلب،ج٣،ص٥٧. ابن واصل :مفرج الكروب،ج٢،ص١١٦. ابن الوردي:التاريخ، ج٢،ص١٣١

عام ٥٧٩هم١١٨٣م[١]، كان لإخضاع المدينة في زعزعة القوات الصليبية في بلاد الشام، ويشير عاشور الى ذلك قائلا (أن ذلك كان أسوأ حدث يمكن أن يحدث للفرنجة)[٢]ما يقول رنسيمان ان صلاح الدين (لم يتبق له سوى ان يقهر الدخلاء الذين صاروا وصمة عار في جبين الاسلام لتملكهم فلسطين وساحل الشام)[٣] ولم يحاول صلاح الدين الدخول مع الغزاة في معركة فاصلة بل سعى الى توحيد ما تبقى من المدن الاسلامية لذلك توجه الى ميافارقين وتسنى له اخضاعها في سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م[٤] واستنادا لذلك لم يبق امامه سوى مدينة الموصل التي تعدّ من اهم المدن الاسلا مية لما تمتلكه من موارد طبيعية وبشرية تساعد وبشكل كبير في تحريك عجلة المقاومة وقد افصح صلاح الدين عن اهمية هذه المدينة في الرسالة التي ارسلها الى الخليفة العباسي والتي جاء فيها (ان حكام الموصل لو تحركوا اليوم متحرك لكانوا له كنانة ولكانت بلادهم لهم خزانه وانه يرجو وبالموصل ان تكون الموصل الى القدس وسواحله)[٥] وفقاً لذلك توجه صلاح الدين الى مدينة الموصل في سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م وتم ضمها الى الوحدة الاسلامية بعد ان تقرر الصلح بين حاكمها عز الدين مسعود الذي تعهد بان تكون عساكره تحت امرة صلاح الدين وان يخطب له على المنبر وضرب اسمه في سكة مقابل اعتراف الاخير بحكومة الموصل[٦] والتزم كل من صلاح الدين وعز الدين مسعود بقواعد الصلح وجرى

---

[١]ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج١١،ص٤٩٧. ابن شداد: النوادر السلطانية،ص٥٩-٦٠. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨،ق١،ص٣٧٥-٣٧٦. ابن العديم : زبدة الحلب، ج٣، ص٦٥-٦٦. البداية والنهاية، ج١٢،ص٣٣٤. المقريزي : السلوك، ج١،ص٨١.

[٢] الحركة الصليبية، ج٢، ص ٧٨٠.

[٣] تاريخ الحروب الصليبية، ج٢،ص٧٠٤.

[٤] ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج١١،ص٥٠٤. ابن شداد: النوادر السلطانية،ص٦٩. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨،ق١،ص٣٨٣-٣٨٤. ابن العديم : زبدة الحلب، ج٣، ص٨٢.

[٥] ابو شامة : الروضتين في اخبار الدولتين، ج٢، ص٤٢.

[٦] ابن الاثير : الكامل في التاريخ، ج١١،ص٥١٧. ابن شداد: النوادر السلطانية،ص٧٠. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨،ق١،ص٣٨٤. ابن العديم : زبدة الحلب، ج٣، ص٨١.ابن خلكان :وفيات الاعيان، ج٢،ص٥٩. ابن واصل : مفرج الكروب،ج٢،ص١٧١-١٧٢. ابو الفداء : المختصر في

تبادل الهدايا بينهما وتجهزت جيوش الموصل للجهاد، وبهذا تحقق لصلاح الدين امله الكبير بتوحيد القوى الاسلامية تحت زعامته ولم يعد امامه الا ان يواصل القتال ضد الصليبيين والعمل على استئصال شأفتهم[١].

أ- معركة حطين

بعد أن تمكن صلاح الدين من إقامة الوحدة الإسلامية ما بين مصر وبلاد الشام والجزيرة الفراتية اصبح بإمكانه ضرب القوات الصليبية غير انه لم يحاول انتهاك الهدنة المعقودة بينه وبين الصليبيين[٢] فكان لزاماً عليه أن يبقى منتظراً لحين تهيئة الظروف المناسبة إلا أن انتظاره لم يستمر وقتا طويلا فمع مستهل عام ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م قام أمير الكرك ارناط[٣] بنقض الهدنة المبرمة بين الجانبين وذلك بالإغارة على قافلة تجارية قادمة من مصر وسلب أموالها واسر رجالها [٤] كما ان صلاح الدين لم يكن في عجلة من أمره ، إذ حال مع ارناط إعادة ما تم الاستيلاء

اخبار البشر، ج٥، ص٩٣. ابن الوردي :تاريخ،ج٢، ص١٣٥. ابن خلدون : التاريخ، ج٥،ص٣٠٤.

[١] ابن واصل : مفرج الكروب،ج٢،ص٦٥.

[٢] كانت الهدنة معقودة بين صلاح الدين ومملكة بيت المقدس منذ عام ٥٨١هـ/١١٨٥م تأمنت الطرق وترددت القوافل مابين مصر والشام. ابن الاثير : الكامل في التاريخ ،ج١١،ص٣٤٨. ابو شامة: الروضتين، ج٢، ص٧٥.

[٣] وهو ريجنالد شاتون ، صاحب الكرك ، كان مشهوراً بغدره وخيانته، قام بغزو الأماكن المقدسة في الحجاز ، غير ان حملته باءت بالفشل ، حيث أرسل الملك العادل أخي صلاح الدين ونائبه في مصر . حسام الدين لؤلؤ وتم القضاء على قوات أرناط بأكملها. المقريزي : السلوك،ج١ ، ص٧٨-٧٩. رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢،ص٧٠٦-٧٠٨.

[٤] ابن الاثير : الكامل في التاريخ ،ج١١،ص٣٤٨. ابن شداد : النوادر السلطانية، ص٧٤-٧٥. ابن العديم : زبدة الحلب ،ج٣،ص٩٦. سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ،ج٨،ق١، ص٣٩٤. ابو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، ج٣، ص٧١. ابن الكثير : البداية والنهاية ، ج١٢، ص٣٣٧. ابن خلدون : تاريخ ، ج٥،ص٣٠٥. العليمي: الا نس الجليل،ج١،ص٣١٣. الدويهي:تاريخ الازمنة ، ص٨٧-٨٨.

عليه، إلا انه تمادى في غيه وظلمه ، ورفض استقبال رسل صلاح الدين[١]وبلغ من صلفه وإصراره على الإساءة للمسلمين إن رد على رسل صلاح الدين بقوله (قولوا لمحمد يخلصكم)[٢] أغضب هذا الرد صلاح الدين كثيراً ، فطلب من ملك بيت المقدس أن يتدخل في إطلاق سراح الأسرى والأموال ؛لكن أرناط أعرض عن ذلك ، عندئذ لم يتبق أمامه سوى خيار الحرب ، لتأديب أرناط فأهدر دمه واقسم إن ظفر به ليقتله بنفسه[٣] وبدأ صلاح الدين يستعد للقيام بعمل عسكري ، و أعلن الجهاد ، فكتب إلى جميع البلاد يستنفرهم فأرسل إلى الموصل والجزيرة الفراتية ومصر وجميع ولايات الشام يحثهم بالتجهز للجهاد[٤] وبعد أن أكمل استعداداته خرج من دمشق في محرم سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م على رأس قوات كبيرة اتجه بها جنوباً حتى وصل منطقة راس الماء إلى الشمال الغربي من حوران[٥] عندئذ ترك ابنه الأفضل مقيماً فيها ، لتجميع ما بقيه من الإمدادات العسكرية التي أرسل في طلبها[٦] وسار هو إلى بصرى[٧] لحماية قافلة الحجاج من غدر أرناط[١] وبعد أن اطمأن على سلامة القافلة

---

[١] العماد الاصفهاني : الفتح القسي بالفتح القدسي، ص٨٠. ابن الاثير :الكامل في التاريخ ،ج١١،ص٣٤٨. ابن شداد: النوادر السلطانية ،ص٧٤-٧٥. ابو شامة : الروضتين في اخبار الدولتين، ج٢،ص٧٩. ابن واصل :مفرج الكروب، ج٢،١٨٥. ابن كثير :البداية والنهاية ،ج١٢،ص٣٣٧. ابن خلدون :تاريخ ،ج٥،ص٣٥٥.

[٢] ابن واصل : مفرج الكروب ،ج٢،ص١٩٤.

[٣] العماد الاصفهاني : الفتح القسي بالفتح القدسي ، ص٨٠. ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص٥. ابن واصل : مفرج الكروب ،ج٢،ص١٤٩. ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٢،ص٣٣٧.

[٤] ابن الاثير : الكامل في التاريخ ،ج١١، ص٣٤٩. سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج٨، ق١، ص٣٩٢-٣٩٣. العليمي : الانس الجليل، ج١،ص٣١٩.

[٥] ابن العماد الاصفهاني : الفتح القسي بالفتح القدسي، ص٥٩. ابن الاثير : الكامل في التاريخ ،ج١١،ص٣٤٩. سبط ابن الجوزي :مرآة الزمان ، ج٨،ق١،ص٣٩٢. ابو شامة : الروضتين في اخبار الدولتين ، ج٢،ص٧٥. ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٢،ص٣٤١.

[٦] سبط ابن الجوزي :مرآة الزمان ، ج٨، ق١، ص٣٩٢. ابن واصل: مفرج الكروب ، ج٢، ص١٧٥. ابن العديم : زبدة الحلب ،ج٣،ص٩٢. ابن خلدون :تاريخ ، ج٥،ص٣٠٥.

[٧] بصرى : من اعمال دمشق وهي قصبة حوران. ياقوت الحموي : معجم البلدان ،ج١،ص٦٥٤.

، شرع في مهاجمة الكرك ، فاخذ يحرق ويسلب وأرناط محصوراً فيها لا يستطيع فعل شيء[٢] ثم سار إلى الشوبك فرعى زرعها وقطع أشجارها[٣] كما أرسل صلاح الدين إلى ولده الأفضل يأمره بإرسال قسماً من قواته للإغارة على صفورية[٤] وانهت المجموعة[٥] مهمتها على اكمل وجه بعد أن كبدت القوات الصليبية خسائر كبيرة [٦] يبدو أن هدف صلاح الدين من هذه الأعمال هو إدخال الرعب في قلوب الصليبيين، والكشف عن قوة تحصيناتهم من جهة ، وإشعارهم بقوته وقدرته على مهاجمتهم في أي وقت يختاره من جهة أخرى ، فضلاً عن إعداد قواته نفسيا ومعنويا للمعركة الفاصلة من جهة ثالثة ، وفعلاً كانت لهذه المعركة آثار واضحة لرفع الروح المعنوية لدى

---

[١] العماد الاصفهاني : الفتح القسي بالفتح القدسي، ص ٥٨-٥٠. ابن الاثير : الكامل ، ج١١، ص٣٤٩. ابن العديم : زدة الحلب ، ج٣،ص٩٢. ابن الوردي : تاريخ ،ج٢،ص١٣٨. الحنبلي : شفاء القلوب ، ص١١٨-١١٩. العليمي : الانس الجليل ، ج١،ص٣١٩.

[٢] العماد الاصفهاني : الفتح القسي بالفتح القدسي، ص٥٩. ابن الاثير: الكامل في التاريخ ، ج١١،ص٣٤٩. سبط ابن الجوزي : مرة الزمان ، ج٨،ق١،ص٣٢٩. ابن العديم : زبدة الحلب ،ج٣،ص٩٣. ابن كثير : البداية والنهاية ،ج١٢،ص٣٣٦.

[٣] ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٣، ص٩٢. ابن خلدون : تاريخ ، ج٥،ص٣٠٥. العليمي : الانس الجليل، ج١،ص٣١٩.

[٤] صفورية : بلدة من نواحي الاردن قرب طبرية . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٣،ص٤١٤.

[٥] تم انتخاب افراد هذه الفرقة تحت قيادة مظفر الدين كوكبرى صاحب حران، وبدر الدين دلدرم بن باروق امير عسكر حلب ، وصارم الدين قايماز النجمي امير عسكر دمشق . العماد الاصفهاني : الفتح القسي بالفتح القدسي ، ص٦٠-٦١. ابن العديم : زبدة الحلب ،ج٣، ص٩٣، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج٢،ص١٨٧.

[٦] ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج١١، ص٥٣١. ابن العديم : زبدة الحلب ،ج٣،ص٩٣. ابو شامة : الروضتين، ج٢، ص٧٥-٧٦. ابو الفداء : المختصر في اخبار البشر ، ج٣،ص٧١. العليمي : الانس الجليل، ج١،ص٣١٩.

القوات الإسلامية واستبشروا بها حتى قال عنها أحد المؤرخين (بأن هذه الغارة مقدمة الفتوح)[١]، بالمقابل مع قوات عدوهم حيث كانت بمثابة انذار لزوال سلطانهم ، فبدءوا يتكتلون في صعيد واحد بالرغم من أن البعض منهم كان مرتبطاً مع صلاح الدين بعهود ومواثيق[٢]، فاجتمعت الجيوش الصليبية التي بلغ تعدادها خمسين ألف مقاتل بصفورية تحت قيادة الملك جاي لوزجنان لحرب المسلمين[٣]، أما صلاح الدين فإنه سار من نواحي الكرك إلى عشترا[٤]وهناك اجتمعت لديه العساكر التي بلغ تعدادها اثنى عشر ألف مقاتل[٥] واخذ باستشارة المسلمين وقادتهم في الأمر فأجمعوا على مواجهة الصليبيين[٦]، وهنا بدأ التخطيط الفعلي للمعركة ، فقام بتعيين مواقف الأمراء وطلب أن لا يبرح كل جيش مكانه ولا يتزحزح جندي عن موضعه وقال(إذا دخلنا أرض العدو فهذا هو ترتيب جنودنا وهذه هي مواضع قواتنا)[٧]، وبعد ذلك سار صلاح الدين بقواتهم في السابع عشر من عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م إلى الاقحوانة[٨]

---

[١] ابن واصل: مفرج الكروب،ج٢،ص١٧٨ .

[٢] كان ريموند الثالث أمير طرابلس مرتبطاً مع صلاح الدين بهدنة ، فنقضها وانطوى تحت راية بيت المقدس. العماد الاصفهاني: الفتح القسي بالفتح القدسي،ص٦٥. ابن الاثير: الكامل في التاريخ،ج١١،ص٥٣٣.

[٣] العماد الاصفهاني : الفتح القسي بالفتح القدسي، ص٧٤. ابو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين،ج٢،ص٧٦. ابن واصل: مفرج الكروب،ج٢،ص١٨٩. ابن كثير : البداية والنهاية ،ج١٢،ص٣٤٢. المقريزي: السلوك،ج١،ص٩٣ .

[٤] عشترا: موضع بحوران من أعمال دمشق. ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج٤،ص١٢٥.

[٥] ابن الاثير: الكامل في التاريخ ، ج١١،ص٥٣٣. ابن العديم: زبدة الحلب ، ج٣ ، ص٩٢. ابن واصل : مفرج الكروب ، ج٢، ص ١٨٧. ابن كثير: البداية والنهاية ، ج١٢، ص٣٤١.المقريزي:السلوك،ج١،ص٩٣.

[٦] ابن الاثير: الكامل في التاريخ ج١١، ص ٥٣٣ – ٥٣٤ .

[٧] ابن الاثير: الكامل في التاريخ ، ج١١ ، ص٥٣٣ . ابن شداد : النوادر الصلطانية ، ص٧٥ .

[٨] الاقحوانه : موضع بالاردن على ساحل بحيرة طبرية . الياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج١ ، ص٣٣٤ .

فعسكر بها خمسة ايام تم خلالها استكمال الاستعدادات الاخيرة للمعركة[١] اتبع صلاح الدين خطة عسكرية استهدفت سحب الصليبيين إلى المكان الذي اختاره لمواجهتهم فيه فزحف بقواته إلى طبرية ، واقتحم المدينة وأحرقها باستثناء قلعتها، التي اعتصم فيها، أشيفا زوجة ريموند الثالث أمير طرابلس[٢] أدى هجوم صلاح الدين على طبرية إثارة الامراء الصليبيين وقادتهم فعقدوا مجلساً للحرب في صفورية لبحث الموقف وانقسم الحاضرون بين مؤيد ومعارض حول الزحف لانقاذ طبرية من قبضة صلاح الدين وكان على راس المعارضين ريموند الثالث صاحب طبرية الذي أدرك خطورة الطريق وصعوبته فوصفه بعض الامراء بالجبن[٣] فكان الرأي الراجح في هذا الاجتماع هو المسير لمواجهة القوات الاسلامية[٤] ، وبهذه السياسة الرشيدة استطاع صلاح الدين سحب الصليبيين عن موقعهم في صفورية ليعانوا مشاق السفر والتعب[٥] مستبشراً بذلك قائلاً (وقد حصل المطلوب وكمل المخطوب

---

(١) العماد الاصفهاني : الفتح القسي بالفتح القدسي ، ص٧٢ .ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج١١، ص٥٣٣. ابن شداد النوادر الصلطانية ، ص٧٥ – ٧٦ . ابن واصل : مفرج الكروب ، ج٢ ، ص١٨٨ . الحنبلي : شفاء القلوب ص١١٩ . ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج٥ ، ص٣٢ .

(٢) العماد الاصفهاني : الفتح القسي بالفتح القدسي، ص٧٦. ابن الاثير: الكامل في التاريخ،ج١١،ص٥٣٣ . ابن شداد : النوادر السلطانية،ص٧٦ . سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ،ج٨،ق١،ص٣٩٢-٣٩٣ . ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٣،ص٩٣ . ابن واصل: مفرج الكروب،ج٢،ص١٨٨. ابن الوردي: تاريخ،ج٢،ص١٣٨ .ابن كثير : البداية والنهاية ،ج١٢،ص٣٤٢. الحنبلي: شفاء القلوب، ص١١٩. رنسيمان : تأريخ الحروب الصليبية ،ج٢،ص٧٣٥.

(٣) ابن الاثير: الكامل في التاريخ،ج١١،ص٥٣٣ رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ،ج٢،ص٧٣٥-٧٣٦.

(٤) العماد الاصفهاني: الفتح القسي بالفتح القدسي،ص٧٧ . ابو شامة : الروضتين في اخبار الدولتين،ج٢، ص٧٦.

(٥) ابن الاثير: الكامل في التاريخ،ج١١،ص٥٣٣ . ابن شداد : النوادر السلطانية،ص٧٦ . سبط ابن الجوزي: ابن العديم : زبدة الحلب ، ج٣،ص٩٣ . ابن واصل: مفرج الكروب،ج٢،ص١٨٩. العليمي: الانس الجليل،ج١، ص٣٢٠ .

وجاءنا ما نريد)[١] واسترسل قائلا (ونحن أُولوا بأس شديد وإذا صحت كسرتهم فطبرية وجميع الساحل ما دونه مانع ولا عن فتحه وازع)[٢] كما لجأ صلاح الدين إلى خطة اخرى تقضي بحرمان الصليبيين من الوصول إلى الماء فترك قوة صغيرة لمحاصرة قلعة طبرية وسار بقواته إلى حطين[٣]،[٤] وعمد أيضاً إلى تسميم جميع الآبار الموجودة في المنطقة بغية عدم انتفاع الصليبيين منها[٥]، وفي يوم الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م وصل الصليبيون إلى حطين التي اتخذوها معسكراً لقواتهم بعد أن أنهكهم التعب والعطش[٦] وحاولوا البحث عن المياه في الآبار القريبة فوجدوها مسممة وتطلع قسما من قواتهم الى مياه طبرية فمنعتهم القوات الاسلامية المرابطة حيالهم[٧] كما قام صلاح الدين بمهاجمتهم هنا وهناك، بقصد اضعافهم ومشاغلتهم حتى سقطت أعداد كبيرة منهم بين قتيل وجريح[٨] وما أن حل الليل حتى كان الصليبيون في أسوأ حال فأمضوا ليلتهم يئنون من ألم الجراح[٩]، أما صلاح الدين فقد رتب قواته

---

[١] العماد الاصفهاني : الفتح القسي بالفتح القدسي، ص٧٧. ابن واصل: مفرج الكروب،ج٢،ص١٨٦.

[٢] ابو شامة : الروضتين في اخبار الدولتين،ج٢، ص٧٦.

[٣] حطين: قرية بين أرسوف وقنسارية. ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج٢،ص٢٧٣ .

[٤] سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ،ج٢،ق١،ص٣٩٢. ابن شداد : النوادر السلطانية،ص٧٦ . ابن واصل : مفرج الكروب ،ج٢،ص١٨٦ .

[٥] ابن الاثير: الكامل في التاريخ،ج١١،ص٥٣٣ .

[٦] سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ،ج٢،ق١،ص٣٩٢-٣٩٣. ابن العديم : زبدة الحلب، ج٣،ص٩٣-٩٤. ابو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين،ج٢،ص٧٧ . ابن واصل : مفرج الكروب ،ج٢،ص١٨٦. ابن الوردي: تاريخ، ج٢،ص١٣٨. ابن كثير : البداية والنهاية،ج١٢،ص٣٤٢. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥،ص٣٢ .

[٧] ابن الاثير: الكامل في التاريخ،ج١١،ص٥٣٣. البنداري: سنا البرق الشامي،ج١،ص٢٩٥ . ابو شامة : الروضتين في اخبار الدولتين، ج٢،ص٧٦.

[٨] ابن الاثير:الكامل في التاريخ،ج١١،ص٥٣٣. ابن شداد: النوادر السلطانية ،ص٧٦. ابن العديم: زبدة الحلب، ج٢،ص٩٤ .

[٩] العماد الاصفهاني: الفتح القسي بالفتح القدسي، ص٧٩-٨٠ . ابن واصل: مفرج الكروب،ج٢،ص١٩٠. ابن كثير: البداية والنهاية،ج١٢،ص٣٢٤ .

بأن جعل على الميمينة تقي الدين عمر[١]، وفي الميسرة مظفر الدين كوكبوري[٢]، وكان هو في القلب[٣]، كما وأصدر أوامره بمحاصرة العدو من جميع الجهات فأحاطت بهم القوات الاسلامية (كإحاطة الدائرة بقطرها)[٤] وبات صلاح الدين ليلته متنقلاً بين اجناده يأمرهم بملء الجعاب وكنائنها بالنبال، حتى أنه فرق من النشاب أربعمائة حمل، وعين سبعين موضعاً ملأها بالنشاب، ليقصدها من خلت جعابه[٥] وبدأت المعركة في صبيحة اليوم التالي، السبت الخامس والعشرون من ربيع الثاني سنة ٥٨٣هـ/ الرابع من تموز ١١٨٧م، فنقض المسلمون على عدوهم بكل شجاعة ، وقاتلوا قتال الابطال وانهزمت طائفة من الجيش الصليبي فلحق بها عددا من الفرسان المسلمون وطاردوهم حتى لم يبقوا واحدا منهم وقام المسلمون بأشعال النار في الاعشاب التي كانت تكسو هضبة حطين فاجتمع عليهم حر الزمان وحر النار وحر القتال[٦] وشدد المسلمين عليهم الخناق من كل جانب واستمر الحال على ذلك حتى أخذ الصليبيون يستسلمون فرادى وجماعات واستولى الصليبيون على صليبهم الاكبر صليب الصلبوت[٧] فلم ينج من هول هذه المعركة إلا امير طرابلس ريموند الثالث مع قلة من اصحابه بعد ان ادرك بان المعركة ليس من صالحهم[٨] أما بقية

---

[١] تقي الدين عمر: هو الملك المظفر عمرين شاهنشاه بن ايوب كان مقدما شجاعاً توفى سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان،ج٨،ق١،ص٤١٣.

[٢] مظفر الدين كوكبوري: زين الدين بن علي كوجك بن بكتكين والي أربل توفي سنة ٦٣٩هـ/١٢٤١م. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة،ج٦،ص٢٨٢.

[٣] ابو شامة: الروضتين في اخبار الدولتين،ج٢،ص٨١ .

[٤] ابن الاثير: الكامل في التاريخ،ج١١،ص٥٣٦. البنداري: سنا البرق الشامي،ج١،ص٢٩٥.

[٥] ابو شامة: الروضتين في اخبار الدولتين،ج٢،ص٧٦ .

[٦] ابن الاثير: الكامل في التاريخ ، ج١١، ص٣٥٦. ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص٧٧. ابن العديم : زبدة الحلب، ج٣،ص٩٤. ابن كثير: البداية والنهاية،ج١٢،ص٣٤٢. المقريزي: السلوك،ج١،ص٩٣ . العليمي: الانس الجليل،ج١،ص٣٢٠-٣٢٣ .

[٧] العماد الاصفهاني: الفتح القسي بالفتح القدسي،ص٨٤ . ابو شامة:الروضتين في اخبار الدولتين،ج٢،ص٧٤. ابن كثير: البداية والنهاية،ج١٢،ص٣٤٢ .

[٨] يتحدث ابن الاثير عن ذلك قائلا (فلما رأى القمص شدة الأمر على انه لا طاقة لهم بالمسلمين فاتفق هو وجماعته وحملوا على من يليهم وكان المقدم من المسلمين في تلك الناحية تقي الدين عمر ابن

القوات الصليبية فتركت في ساحة المعركة تواجه مصيرها المؤلم والتجأ من ظن انه ناج إلى جبل حطين آملاً في الخلاص من سهام المسلمين التي كانت تطاردهم[١] وعلى الرغم من ان بشائر النصر اخذت تلوح بالافق الا اننا نجد القائد صلاح الدين مستمراً في تحريض قواته على مواصلة القتال (ويأمرهم بما يصلحهم وينهاهم عما يضرهم والناس يأتمرون بقوله ويقفون عند نهيه)[٢] وفي ذلك يقول الملك : الافضل عن والده صلاح الدين(اني كنت إلى جانب ابي في ذلك المطاف... فلما رأيت الفرنج قد عادوا والمسلمين يدفعونهم صحت من فرحتي هزمناهم... فالتفت اليّ والدي فقال: اسكت ما نهزمهم حتى تسقط تلك الخيمة يعني خيمة الملك)[٣] واستناداً إلى ذلك استمر المسلمون إلى ضرب القوات الصليبية حتى تمكنوا من اسقاط خيمة الملك جاي لوزجنان وتم اسره هو ومن معه من الفرسان الذين لم يبقى منهم سوى مائة وخمسين فارساً[٤] كما تم اسر بقية القادة امثال أرناط وابن الهنفري صاحب تبنين[٥] وانب صاحب طبرية ومقدم الدواوية جيراردي ردفورد وهيو صاحب جبيل

اخي صلاح الدين ، فلما رأى حملة الفرنج مكروب علم انه لا سبب للوقوف في وجوههم فأمروا أصحابه ان يفتحوا لهم طريقاً يخرجون منه) ابن الاثير: الكامل في التاريخ،ج١١،ص٥٣٦ . ابن شداد: النوادر السلطانية،ص٧٧ .

[١] ابن الاثير: الكامل في التاريخ ،ج١١، ص٣٥٣. ابو شامة:الروضتين في اخبار الدولتين،ج٢،ص٧٧. ابن واصل: مفرج الكروب،ج٢،ص١٩٠-١٩١. ابن خلدون: تأريخ،ج٥،ص٣٥٧ .

[٢] ابن الاثير: الكامل في التاريخ ،ج١١، ص٣٥٣. يذكر أن صلاح الدين كان يجوب في المعركة مكبراً بأعلى صوته ويحرض المسلمين على القتال فإذا توانى أحد من عسكره عن القتال صاح(كذب الشيطان فإن الهزيمة من الشيطان). ابن واصل: مفرج الكروب،ج٢،ص١٩٠-١٩١. ابن كثير: البداية والنهاية،ج١٢،ص٣٤٢ .

[٣] ابن الاثير: الكامل في التاريخ ،ج١١، ص٣٥٦. ابن واصل: مفرج الكروب،ج٢،ص١٩١.

[٤] ابو شامة:الروضتين في اخبار الدولتين،ج٢،ص٧٧. ابن واصل: مفرج الكروب،ج٢،ص١٩١-١٩٢.

[٥] تبنين: حصن منيع بينه وبين مدينة بانياس ثلاثة فراسخ. ابن جبير: رحلة ابن جبير،ص٢٩١.

ومقدم السبتارية[١] فكانت معركة حطين معركة مشهودة من المعارك التي خاضها المسلمون ضد الغزاة ووصفها المؤرخون واسهبوا في وصفها فيذكر ابن الاثير حجم خسارة القوات الصليبية قائلاً (كثر القتل والاسر فيهم فكان من يرى القتلى لا يظن انه اسروا واحداً ومن يرى الأسرى لا يظن انهم قتلوا واحداً)[٢]. وبعد انتهاء المعركة عامل صلاح الدين الاسرى معاملة طيبة بما فيهم الملك جاي لوزجنان[٣] إذ استقبله صلاح الدين استقبالا حسنا واجلسه بقربه وقدم له ماء مثلج فشرب منه وأعطى ما تبقى منه لأرناط فغضب صلاح الدين وقال(أن هذا الملعون لم يشرب الماء بإذني فينال أماني)[٤] ثم التفت صلاح الدين إلى أرناط وأخذ يذكره بجرائمه وغدره بالمسلمين وقتلهم دون ذنب ثم قتله بنفسه وفاء بنذره[٥] وهكذا استطاع صلاح الدين ان يحقق النصر على الاعداء الغزاة بفعل توحيد المسلمين وجمع كلمتهم وبفعل الخطط العسكرية الجيدة والسياسة الحكيمة الرشيدة التي اتبعها في جميع معاركه فلم تكن خسارة الصليبين عن ضعف قواتهم من عدد او تسليح بل كان الجيش الصليبي يفوق القوات الاسلامية عدة وعدداً حتى ان المقاتل الصليبي كان مدججاً بمختلف الاسلحة ووسائل الحماية من ضربات المسلمين وسهامهم إذ كانت الوسيلة الوحيدة لقتله هي اسقاطه عن حصانه[٦] كل هذا التطور في التقنية العسكرية لم تقف حائلاً

---

[١] العماد الاصفهاني: الفتح القسي بالفتح القدسي،ص٨٠ . ابن الاثير: الكامل في التاريخ ، ج١١، ص٣٥٣. ابن شداد: النوادر السلطانية، ص٧٧. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان،ج٨،ق١،ص٣٩٣. المقريزي: السلوك، ج١،ص٩٣ . الحنبلي: شفاء القلوب،ص١٢٠ .

[٢] ابن الاثير: الكامل في التاريخ ،ج١١، ص٣٥٣. ابن واصل: مفرج الكروب،ج٢،ص١٩٣.

[٣] العماد الاصفهاني: الفتح القسي بالفتح القدسي،ص٨٠-٨١ . ابن شداد: النوادر السلطانية، ص٧٨-٧٩. ابن العديم: زبدة الحلب،ج٣،ص٩٥. ابن واصل : مفرج الكروب،ج٢،ص١٩٥. ابن خلدون: تاريخ،ج٥،ص٣٥٨.

[٤] ابن العديم: زبدة الحلب،ج٣،ص٩٦. ابن واصل : مفرج الكروب،ج٢،ص١٩٤.

[٥] العماد الاصفهاني: الفتح القسي بالفتح القدسي،ص٨١ . سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان،ج٨،ق١،ص٣٩٤. ابن العديم: زبدة الحلب،ج٣،ص٩٦. ابن واصل : مفرج الكروب،ج٢،ص١٩٤.

[٦] Rosenbault, op.cit.,p. ١٨٥. نقلاً عن دريد عبد القادر:سياسة صلاح الدين الأيوبي،ص٢٩٣-٢٩٤.

أمام القوات الاسلامية التي تم اعدادها اعداداً اسلامياً صحيحاً مبنياً على حب الجهاد والدفاع عن الوطن . وعلى أي حال فان من اهم النتائج التي ترتبت على انتصار المسلمين في معركة حطين تحرير بيت المقدس الذي طال انتظار المسلمون عودته فتم ذلك في يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب عام ٥٨٣هـ/ الثاني عشر تشرين اول عام ١١٨٧م[١] وهكذا رسمت المقاومة طريق الخلاص من الاستعمار الصليبي للبلاد العربية الاسلامية وهيئت له ظروف حياة جديدة لإعادة البناء الاسلامي وتوحيد البلاد الاسلامية بعد التشرذم الذي أصابها. (فرحم الله الملك الناصر صلاح الدين وقدس روحه ، فلم يؤيد الاسلام بعد الصحابة -رضي الله عنهم- برجل مثله ومثل نور الدين محمود زنكي -رحمة الله عليهما- فهما جددا الاسلام وشيدوا بنيان التوحيد بعد طموسه)[٢].

---

[١] لمزيد من التفاصيل حول فتح بيت المقدس على يد صلاح الدين ينظر. ابن الاثير:الكامل في التاريخ،ج١١، ص٣٦١. ابن شداد: النوادر السلطانية، ص٦٥. البنداري: سنا البرق الشامي،ص٣١٣-٣١٧. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨،ق١،ص٣٩٧. ابن العديم: زبدة الحلب،ج٣،ص٩٨-٩٩ . ابو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين،ج٢،ص٩٢-٩٣ . ابن واصل : مفرج الكروب،ج٢،ص٢١٢. المقريزي: السلوك،ج١، ص٩٦-٩٧.

[٢] ابن واصل: مفرج الكروب، ج٢،ص١٩٣ .

الخاتمة

في اثر دعوة وجهها البابا أربان الثاني شن الغرب الاوربي حملة صليبية تحت شعار الصليب لتحرير بيت المقدس من أيدي المسلمين، وكان اعلان هذه الدعوة في مجمع كلرمونت جنوب فرنسا ١٠٩٥م، ويعد هذا الاجتماع نقطة البداسية لانطلاق تلك الحروب الاستعمارية التي عانى منها الوطن العربي قرابة قرنين من الزمن (١٠٩٦م-١٢٩١م) استهدفت خلالها القضاء على وجود الامة العربية الاسلامية، فاتخذه من الدين ستارا لها واخفى دعاتها ورائها اطماع استعمارية في الغزو والسلب اضافة لرغبتهم في حل مشكلات اجتماعية واقتصادية وسياسية عانى منها المجتمع الاوربي منذ أواخر القرن العاشر الميلادي، واتضح لنا هذا التضليل من خلال التسمية التي عرفت بها هذه الحروب في الكتابات الحديثة والتي هي أبعد ما تكون عن الصليب وجوهره وعن الدين المسيحي وقيمته، وقد جاء الصليبيون غزاة مستعمرين خلفوا ورائهم أعمال التدمير والنهب والقتل وزرع العداء والتعصب العمى،ومن النتائج المهمة التي توصلت إليها الدراسة هي:

١-تمكن الصليبيون من الوصول الى قلب العالم الاسلامي والسيطرة على مقدرات الامة واستغلال خيراتها على امتداد حقبة من الزمان، وكونوا خلالها أربعة امارات صليبية إلا أنهم لم يستطيعوا المحافظة عليها بالرغم من الحروب الكثيرة التي خسروا خلالها الكثير من المال والرجال.

٢-شاركت أوربا جميعها في الحرب ضد المسلمين عبر حملات استهدفت الوجود العربي الاسلامي.

٣-كان السبب الرئيسي في نجاح الصليبيين يرجع بالدرجة الاولى الى ما آلت إليه أوضاع العالم الاسلامي في القرن الخامس الهجري-الحادي عشر الميلادي، الذي بات موزعاً في ولائه السياسي بين محورين، الخلافة العباسية والدولة الفاطمية، وكان النزاع السمة البارزة في تحديد طبيعة العلاقة بينهما، فضلاً عن سوء أحوالهما الداخلية المرتبكة بالقدر الذي جعل بلاد الشام المجال الحيوي الذي تنازعت القوتان السيادة عليه .

٤-كان بلاد الشام موزعاً بين عدة امارات صغيرة مستقلة بحد ذاتها منطوية تحت حكم حاكم عربي او من الاتراك السلاجقة الذين لم يكفوا عن القتال فيما بينهم.

٥-عدم تمكن امراء الشام من الوقوف في وجه الغزاة الصليبيين في بداية الامر لفقدان التنسيق فيما بينهم، بل وحتى لم يتوان بعضهم من إلتماس المساعدة من القوات الغازية ضد الآخر حتى أصبحت المقاومة تقع على جهود البعض من الامراء العرب المسلمين .

٦-وقوع الخلافة العباسية تحت نير التسلط ألا جنبي ردحاً من الزمن حتى أدى ذلك الى انفصال العديد من الولايات الأمر الذي حجب الكثير من قدراتها وما توفره من سلطة روحية ودينية بالنسبة لجميع المسلمين .

٧-ان الأصل في وجود الأمة الإسلامية هو حمل رسالة الإسلام إلى الناس جميعا، ولكن حين تقاعس الناس عن ذلك امتلأت الارض بالفتنة والفساد، فكان نتيجة ذلك أن أصبح المسلمون ضحية لهذا.

٨-ان النجاح الذي حققه الصليبيون في البلاد الإسلامية لا ترجع الى قوتهم وكثرة الإعداد والسلاح بكثر ما كان الامر متعلقاً بحالة التمزق والصراع التي كانت تحكم البلاد العربية الإسلامية .

٩- كانت من بين أهم الصعوبات التي واجهت قادة الجهاد الإسلامي في المقاومة الإسلامية هي قيام الوحدة الإسلامية التي كانت من نتائجها تحرير البلاد العربية وطرد الغزاة.

١٠-منذ بداية حركة المقاومة ضد الغزو الصليبي شعر قادة الجهاد بخطورة الانقسامات التي حولت الوطن الواحد الى مجموعة دويلات متناحرة فبدأت تحركاتهم تسير بهذا الاتجاه منذ بدايتها حتى صار لحركة الجهاد أثراً كبير على كثير من أحوال الناس، فلم يعد هناك مجال للهو، إذ أخذ الناس بالتوجه للعبادة والاهتمام بأمور الدين والحضور في مجالس العلم، وكان الأمراء والقادة هم القدوة في كل ذلك.

١١-لم تكن حركة التغير هذه التي حدثت في المجتمع الإسلامي أمرا عارضاً أو معجزة وقعت بين عشية وضحاها ولكنها حركة لها جذورها ومنهجها، فالأمة

الإسلامية مرت بأزمات عصيبة وقعت خلالها تحت نير الاجنبي حتى يظن أعدائها بأنهم قضوا عليها قضاءاً مبرماً، فلم يلبثوا ان فوجئوا أنها تنهض من جديد مصارعة لهم بكل قوة واقتدار محررة نفسها من ظلمهم وجبروتهم .

١٢-يشكل العراق القاعدة الارتكازية في جميع العمليات الجهادية لمقاومة الغزاة.

ثبت المصادر والمراجع

١- المخطوطات:

- الذهبي: ابو عبد الله محمد بن احمد (٧٤٨هـ/١٣٤٨م) .

❁ تأريخ الإسلام، مخطوط، المجمع العلمي العراقي، تحت رقم (١٧٠٩).

-مؤلف مجهول.

❁ مخطوطة الدر المكنون في المآثر الماضية من القرون، نسخة مصورة في المجمع العلمي العراقي منقولة من نسخة المكتبة الوطنية بباريس، تحت رقم ٧٣٨ – ق١، الورقة ١٦٢ .

٢- المصادر الاصلية المطبوعة:

القرآن الكريم .

- ابن أعثم: أبو محمد أحمد الكوفي (ت٣١٤هـ/٩٢٦م) .

❁ الفتوح، دار المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند،ط١،(لا–ت).

- ابن الأثير أبو الحسن بن أبي الكرم علي بن محمد (ت٣٦٠هـ /) .

❁ لكامل في التاريخ، مطبعة دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الرابعة، ١٩٦٧ .

❁ الباهر في تاريخ الدولة الاتابكية (الموصل) تحقيق عبد القادر احمد طليمات، دار الكتب الحديثة القاهرة، ١٩٦٣ . اللباب في تهذيب الانساب، بغداد، (لا–ت) .

- ابن الاثير: ضياء الدين (٦٣٧هـ/١٢٣٩م).

❁ رسائل ابن الاثير، تحقيق: سامي الدهان، بيروت، ١٩٥٩م.

- ابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) .

❁ المنتظم في تاريخ الملوك والامم، حيدر آباد الدكن، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الاولى، ١٣٥٩هـ .

❁ فضائل القدس، تحقيق: جبرائيل سليمان جبور، دار الافاق الحديثة، بيروت (لا–ت)   ٢٠–تلبيس ابليس، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٦٨ هـ .

– ابن الشحنة: ابو الفضل محمد (ت٨٩٠هـ/١٤٨٥م).

❁ الدر المنتخب في تأريخ مملكة حلب، مطبعة الاباء اليسوعي، بيروت،١٩٠٩م.

– ابن العبري: غريغوريوس بن هارون الملطي (٦٨٥هـ/١٢٦٨).

❁ تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثولوكية، بيروت ١٩٨٥ .

– ابن العديم: كمال الدين ابو القاسم عمر بن احمد (٦٦٠هـ/١٢٦٢م).

❁ زبدة الحلب من تأريخ حلب، تحقيق: سامي الدهان، المعهد العربي، دمشق، ١٩٥٤م.

– ابن العماد: ابو الفلاح عبد الحي (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م).

❁ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، بيروت،(لا –ت).

– ابن العميد: جرجس ابق الياسر (ت٦٧٢هـ / ١٢٧٣ م) .

❁ تاريخ المسلمين، ليدن، ١٦٢٥ م .

– ابن القلانسي: ابو يعلى حمزة بن أسد بن علي بن محمد(٥٥٥هـ/١١٦٠م).

❁ ذيل تاريخ دمشق ، مطبعة الاباء اليسوعيين ، بيروت، ١٩٠٨ .

– ابن خلكان: أحمد بن محمد(٦٨١هـ/١٢٨٢م).

❁ وفيات الاعيان وانباء وابناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، دارالثقافة، بيروت،١٩٧٢م.

– ابن الوردي: ابن حفص بن زين الدين عمر بن المظفر (٧٤٩هـ/١٣٤٩م).

❁ تاريخ ابن الوردي، المطبعة الحيدرية، النجف،١٩٦٩م.

– ابن اياس: محمد بن احمد الحنفي (ت٩٣٠هـ/١٥٢٣م).

❁ بدائع الزهور في وقائع الدهور، مكتبة الشرق الجديد، بغداد، ١٩٨٤م.

– ابن تغري بردي: جمال الدين ابو المحاسن يوسف (٨٧٤هـ/١٤٦٩م).

❁ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية للطباعة، مصر،١٩٧٢م.

- ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (٨٠٨هـ/١٤٠٦م).
۞ العبر وديوان المبتدأ والخبر، في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، منشورات مؤسسة الاعلمي، بيروت-لبنان، ١٩٧١م.
- ابن خياط: ابو عمر خليفة العصفري (٢٤٠هـ/٨٥٤م).
۞ التأريخ، تحقيق: أكرم ضياء العمري، النجف، ١٩٦٧م.
- ابن شاكر الكتبي ، (٧٦٤هـ/١٣٦٢م).
۞ عيون التواريخ ، تحقيق: فيصل السامر، ونبيل عبد المنعم ، دارالريبة للطباعة ، ١٩٧٧م.
- ابن شداد: ابو المحاسن بهاء الدين يوسف بن رافع ألا سدي (ت ٦٣٢ هـ/١٢٣٤م).
۞ النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: جمال الدين الشيال، الدار المصرية للتأليف والترجمة، الطبعة الأولى، ١٩٦٤ .
- ابن شداد: عز الدين محمد بن علي بن ابراهيم (٦٨٤هـ/١٢٨٥م).
۞ الاعلاق الاخيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة، تحقيق: سامي دهان، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٦٢م.
- ابن ظافر: جمال الدين علي (٦٢٣هـ/١٢٣٦م).
۞ اخبار الدول المنقطعة، تحقيق: الفرديه فريه، القاهرة، ١٩٧٢.
- ابن قاضي شهبة : بدر الدين محمد بن تقي الدين(٨٧٤هـ/١٤٦٩م).
۞ الكواكب الدرية في السيرة النبوية، تحقيق: محمود زايد، دارالكتاب الجديد، بيروت ، ط١، ١٩٩٧.
- ابن كثير: ابو الفداء الحافظ الدمشقي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م).
۞ البداية والنهاية، تحقيق: أحمد ابو مسلم وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٨٧م.
- ابن منظور :
۞ لسان العرب، دار صادر ، بيروت، ١٩٥٥م.
- ابن منقذ: مؤيد الدولة ابو المظفر أسامة بن مرشد (٥٨٤هـ/١١٨٨م)

❁ كتاب الاعتبار، حرره فليب حتي، برنستون، ١٩٣٠م.

- ابن ميسر: محمد بن علي بن يوسف(٦٧٣هـ/).

❁ أخبار مصر، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، مصر،١٩١٩م.

- ابن واصل: جمال الدين محمد بن سالم (٦٩٧هـ/١٢٩٨م).

❁ مفرج الكروب في أخباربني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال، دار الثقافة العامة، مصر،١٩٥٣م.

- ابو الفداء: عماد الدين اسماعيل (٧٣٢هـ/١٣٣١م).

❁ المختصر في اخبار البشر، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان (لا-ت).

❁ تقويم البلدان، باعتناء: رينود والبارون مان كوكين، دارالطباعة السلطانية، ١٨٤٠م.

- ابو شامة: شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل (٦٦٥هـ/١٢٦٧م) .

❁ الروضتين في أخبارالدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: محمد حلمي ومحمد أحمد، مراجعة مصطفى زيادة، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٦٢م.

- الابيوردي: ابو المظفرمحمد بن احمد بن اسحاق (٥٠٧هـ/١١١٣م).

❁ ديوان الابيوردي، تحقيق: عمر الاسعد، دمشق

- الاصطخري: إبراهيم بن محمد (عاش في القرن الرابع الهجري).

❁ مسالك الممالك، تحقيق: محمد صابر، ج ع م، ١٩٦١.

- بدر الدين ابو محمد محمود بن أحمد بن موسى (٨٥٥هـ/١٤٥١م).

❁ منتخبات من عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان، مجموع مؤرخي الحروب الصليبية.

- البدليسي : الامير شر فخان (ت١٠٠٥م) .

❁ الشرف نامه في تاريخ الدول والامارات الكردية ، ترجمة : جميل بندي روزبياني، مطبعة النجاح ، بغداد، ١٩٥٣م.

- البغدادي: صفي الدين (ت٧٣٩هـ).
۞ مراصد الاطلاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت، ط١٩٥٤،١.
- البلاذري: ابو الحسن احمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢ م) .
۞ فتوح البلدان، تحقيق عبد الله انيس الطباع، مؤسسة المعارف بيروت، ١٩٨٧ .
- البنداري: الفتح بن علي بن محمد الاصفهاني(ت٦٤٢هـ/١٢٤٥م) .
۞ تاريخ دولة آل سلجوق، مطبعة الموسوعات، مصر،١٩٠٠م.
- بنيامين: الربي بن يونة التطلي (ت٦٩١هـ/١١٧٧م).
۞ رحلة بنيامين، ترجمة عن العبرية، عزراء حداد، بغداد، ١٩٤٥ .
- الحسيني: علي بن ناصر (ت ٦٢٢هـ/١٢٢٥م).
۞ اخبار الدولة السلجوقية، اعتنى بتصحيحه: محمد اقبال، نشر كلية فنجان، لاهور، ١٩٣٣م.
- الخطيب البغدادي: احمد بن علي (ت٤٦٣هـ / ١٠٧٠م).
۞ تاريخ بغداد مدينة السلام، دار الكتاب العربي، (لا – ت) .
- الدويهي: البطريك اسطفانوك (ت ١٧٠٤م) .
۞ تأريخ الازمنة، ١٠٩٥هـ/١٦٩٩م، نشر الاب فردينال تول اليسوعي، مجلة المشرق، بيروت، ١٩٥١م.
- الذهبي: ابو عبد الله محمد بن احمد (٧٤٨هـ/١٣٤٨م) .
۞ دولة الاسلام، تحقيق: فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى ابراهيم، الهيئة المصرية العامة، للكتاب ١٩٧٤م. تذكرة الحفاظ، بيروت (لا –ت).
۞ العبر في خبر من غبر، تحقيق: فؤاد شيش، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٦٧م.
- الراوندي: محمد بن علي بن سليمان (٥٩٩هـ/١٠١٩م) .
۞ راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، ترجمة ابراهيم أمين الشواربي وآخرون، دارالقلم، القاهرة، ١٩٦٠م.
- سبط ابن الجوزي: شمس الدين ابو المظفر يوسف (ت٦٥٤هـ/١٢٦٢م).
۞ مرآة الزمان في تاريخ الاعيان، دار المعارف العثمانية، حيد آباد، الهند، الطبعة الاولى، ١٩٥١م.

- السبكي: ابو نصر عبد الوهاب بن علي (ت٧٧١هـ/١٣٦٩م).

❁ طبقات الشافعية الكبرى، بيروت،ط١، (لا–ت).

- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن (٩١١هـ/١٥٠٥م).

❁ تـأريخ الخلفـاء، تحقيـق محمـد محـي الـدين عبـد الحميـد، مطبعـة السـعادة، مصر،١٩٥٢م. حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، مطبعة الموسوعات، مصر (لا –ت).

- الشهرستاني : محمد بن عبد الكريم بن ابي بكر (٥٤٨هـ/١١٥٣م).

❁ الملل والنحل ، تصحيح: أحمد فهمي محمد، القاهرة ، ١٩٤٨م.

- الصدفي: صلاح الدين بن أيبك (٧٤٦هـ/١٣٤٥م).

❁ الوافي بالوفيات، تحقيق: احسان عباس ، بيروت ، ط٢، ١٩٨٣م.

- الصيرفي: ابن منجب (ت / م).

❁ الاشارة الى من نال الوزارة، تحقيق: عبد الله مخلص، القاهرة،١٩٢٤م.

- الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠ هـ / ٩٢٢م) .

❁ تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد ابو الفضل إبراهيم، دار المعارف القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٦٥ .

- العليمي: أبو اليمين القاضي مجيد الدين(٩٢٨هـ/١٥٢١م).

❁ الانس الجليل بتـأريخ القدس والخليل، قدمـه محمـد بحرالعلوم، منشورات المكتبـة الحيدرية، النجف،الأشرف، ١٩٦٨م.

- العماد الأصفهاني: محمد بن محمد بن حامد الكاتب (٥٩٧ هـ / ١٢٠٠م)

.

❁ الفتح القسي بالفتح القدسي، تحقيق: محمد محمود صبيح، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥ .

- الغزي : كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى (ت ١٣٧١).

❁ نهر الذهب من تاريخ حلب، المطبعة المارونية ، حلب ، ١٩٢٦م.

- الفارقي: احمد بن يوسف بن علي الازرق (ت٥٧٢هـ/ م).

❁ تاريخ الفارقي، تحقيق: بدري عبد اللطيف عوض، دارالكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثانية،١٩٧٤م.

- فوشيه دي شارتري:

❁ تأريخ الحملة الى القدس، ترجمة: زياد العسلي، دار المشرق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الاولى، ١٩٩٠.

- القفطي: جمال الدين علي بن يوسف (ت٦٤٦هـ).

❁ تأريخ الحكماء، مختصر الزوزئي المسمى بالمنتخبات والملتقطات من كتاب (أخبار العلماء بأخبار الحكماء)، برلين، ١٩٠٣م .

- القلقشندي: ابو العباس أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م).

❁ صبح الاعشى في صناعة الانشاء، المطبعة الاميرية، القاهرة، ١٩٦٣ .

❁ نهاية الارب في معرفة انساب العرب، تحقيق: علي الخاقاني، دارالبيان، بغداد، ١٩٥٨م.

- الكندي: عمر بن محمد بن يوسف (٣٥٠هـ).

❁ فضائل القدس، تحقيق: ابراهيم أحمد العدوي، وعلي محمد عمر ، دار الفكر ، بيروت،ط١، ١٩٧١م.

- مؤرخ مجهول .

❁ أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة حسن حبشي، دارالفكر العربي، مصر، ١٩٥٨م.

- المسعودي: ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م).

❁ مروج الذهب ومعادن الجوهر، تدقيق يوسف أسعد داقر، دار الاندلس، بيروت،ط٢،١٩٧٣م.

- مسكويه: أحمد بن محمد (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م).

❁ تجارب الأمم،باعتناء، هـ-ق،امدروز، مطبعة شركة التمدن الصناعية، ١٩١٤.

- المقريزي: تقي الدين احمد بم احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤٢م) .

❁ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مكتبة الثقافة العربية، القاهرة، ١٢٧٠م .

❁ اتعاظ الحنفاء بذكر الأمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: جمال الدن الشيال، مؤسسة دار البحرين، القاهرة، ١٩٦٧ .

❁ إغاثة الأمة بكشف الغمة، دار الهلال، (لارت).

❁ المقفى الكبير، تحقيق محمد البعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، الطليعة الأولى، ١٩٩١.

- النويري: احمد بن عبد الوهاب (٧٣٣هـ / ١٣٣٢م) .

❁ نهاية الارب في فنون الادب، تحقيق: محمد فوزي، محمد طه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥ .

- الواقدي: محمد بن عمر (٢٠٧هـ/٨٢٢م) .

❁ فتوح الشام، القاهرة، ١٨٨٥م.

- اليافعي: ابو محمد عبد الله بن سعد (٧٦٨هـ/١٣٦٦م).

❁ مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٧٠م.

- ياقوت الحموي: شهاب الدين بن عبد الله البغدادي (٦٢٦هـ/١٢٢٨م).

❁ معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٥٥م .

- اليعقوبي: أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب (٢٨٤هـ/٨٩٧م).

❁ تأريخ اليعقوبي، دارصادر، بيروت، ١٩٦٠.

٣- المراجع العربية والمعربة:

- ابراهيم شوقي.

۞ تاريخ القرون الوسطى في الشرق والغرب، نشر المعهد التربوي الوطني، الجزائر، ١٩٦٨م.

- ابو بدر شاكر احمد .

۞ الحروب الصليبية والاسرة الزنكية ، الجامعة اللبنانية ، ١٩٧٢.

- احمد رضا بك .

۞ الخيبة الادبية للسياسة الغربية في الشرق، ترجمة أحمد ابو رقيبة ، محمد صادق الزلمي، تقديم : محمد العروسي المطوي، دار بو سلامة للطباعة ، تونس ، ط٢، ١٩٧٧م.

- ارشد يوسف.

۞ سلاجقة الشام والجزيرة العربية في الفترة ما بين (٤٣٥-٥٧٠هـ) ، مؤسسة الصحيفة الادرنية ، عمان ، ١٩٨٨.

- انتوني وست .

۞ الحروب الصليبية ، ترجمة : شكري محمد نديم، شركة النبراس، فرانكلن ، بغداد ، ١٩٦٧م.

- ايلن بور.

۞ نماذج بشرية من العصور الوسطى، ترجمة: محمد توفيق حسين، منشورات دارالثقافة ، بيروت،١٩٥٧.

- بارتولد .

۞ تاريخ الترك في آسيا الوسطى، أحمد سعيد سليمان ، مراجعة: ابراهيم صبري، مكتبة الانجلوا المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٨.

- باركر ، ارنست .

۞ الحروب الصليبية ، نقله الى العربية ، السيد الباز العريني، مكتبة نهضة مصر، القاهرة ، ١٩٦٠م.

– تدمري : عمر عبد السلام.

❁ تأريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور، مطابع دار البلاد ، لبنان ، ط١٩٧٨،١.

– الجنزوري: علية عبد السميع .

❁ إمارة الرها الصليبية ، مطابع سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٧٤.

– جوزيف نسيم يوسف . (الدكتور) .

❁ العرب والروم واللاتين في الحروب الصليبية الاولى ، دار النهضة العربية ، بيروت، ط٣، ١٩٨١م.

– حسن ابراهيم حسن .

❁ تاريخ الاسلام السياسي والديني والثافي والاجتماعي، القاهرة ،ط١، ١٩٦٧.

تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب، مكتبة النهضة العصرية، ط٣، ١٩٦٤.

– حسن حبشي . (الدكتور) .

❁ الحرب الصليبية الاولى ، دارالفكر العربي، القاهرة ، ط١، ١٩٧٤.

– حسين مؤنس.

❁ نور الدين زنكي سيرة مجاهد صداق، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط١٩٥٩،١.

– الحميدة : سالم محمد .

❁ الحروب الصليبية ، ٣ أجزاء ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد، ط١، ١٩٩٠–١٩٩٣م.

– خاشع المعاضيدي وآخرون (دكتور) .

❁ الاوضاع السياسية في بلاد الشام في العصر الفاطمي .

❁ تاريخ الوطن العربي والحروب الصليبية، دارالكتب للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٨١.

– الخالدي : فاضل عبد اللطيف.

❁ الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق خلال القرن الخامس الهجري، مطبعة الامام الاعظم،بغداد،ط١٩٦٩،١.

- ديوارنت ول .

❁ قصة الحضارة ، ترجمة: محمد بدران، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، ط٢، ١٩٦٧.

- رشيد الجميلي (الدكتور).

❁ إمارة الموصل في العهد السلجوقي (٤٨٩-٥٢١هـ) طبعة الاوفست ، ط١، ١٩٨٠ .

- رنسيمان: استيفن .

❁ تاريخ الحروب الصليبية ، نقله الى العربية، السيد الباز العريني، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان، ط١، ١٩٦٧.

❁ المدينة البيزنطية ، ترجمة: صالح احمد العلي ، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٦م.

- زابورف : ميخائيل .

❁ الصليبيون في الشرق، ترجمة ألياس شاهين ، منشورات دار التقدم ، ١٩٨٦م.

- زكي النقاش .

❁ العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والافرنج ، خلال الحروب الصليبية ، بيروت ، ١٩٥٨.

- زمباور .

❁ معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ، ترجمة : د. محمد حسن وآخرون، القاهرة ، ١٩٥١.

- سميل: ر-س.

❁ الحروب الصليبية ، ترجمة : سامي الدهان ، المؤسسة الدينية للدراسات والنشر ، بيروت، ط١، ١٩٨٠.

- الشيخ : محمد مرسي.

❁ الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها، ١٠٩٧-١١٤٤م ، دار النقر، الاسكندرية ، ١٩٧٤.

- شيني : ل – ج .

❁ تاريخ العالم العربي، ترجمة: مجد الدين حقي ناصف ، دار النهضة المصرية ، القاهرة، (لا–ت).

- صابر محمد ذياب .

❁ الدولة الاسلامية في حوض البحر المتوسط من اوائل القرن الثاني الهجري حتى نهاية العصر الفاطمي.

- ظفر الاسلام خان .

❁ تاريخ فلسطين القديم، بيروت ، ط٦،١٩٩٢.

- عارف العارف.

❁ تاريخ القدس ، مصر (لا–ت).

- عاشور: سعيد عبد الفتاح .

❁ الحركة الصليبية ، صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى ، مكتبة لانجلو ، مصر ، ط٣، ١٩٧٥م.

❁ حضارة ونظم أوربا في العصور الوسطى، دار النهضة ، بيروت، ١٩٧٦.

❁ تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصورالوسطى، دارالنهضة العربية ، بيروت، ١٩٧٢.

- عبد القادر أحمد اليوسف ، (الدكتور).
❁ العصور الوسطى الأوربية، المكتبة العصرية ، صيدا،بيروت،١٩٦٧.
❁ تأريخ العلاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٩٦٩.
- عبد المنعم ماجد .
❁ ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر، دار المعارف، الاسكندرية ، ١٩٦٨.
- العدوي: ابراهيم أحمد (الدكتور).
❁ المجتمع الاوربي في العصور الوسطى، دار المعرفة ، القاهرة، ط١، ١٩٦١.
- العريني: السيد الباز .
❁ الشرق الاوسط والحروب الصليبية ، مطبعة التاليف والترجمة والنشر، القاهرة ، ١٩٦٣م.
❁ الحضارة والنظم الاوربية في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت ، لبنان، ط٢، ١٩٦٨م.
- عصام عبد الرزاق .
❁ بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٩٧٥.
- فليب حتي .
❁ تأريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ترجمة : كمال البازجي، بيروت ، ١٩٧٢ .
❁ تاريخ العرب (مطول) ، مطابع الغندور ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٥٨.
- فهمي توفيق مقبل .
❁ الفاطميون والصليبيون ، دار الجامعية للطباعة ، بيروت ، ١٩٨٠.
- قاسم عبدة قاسم .
❁ ماهية الحروب الصليبية ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٩٠.
- قلعجي: قدري.
❁ صلاح الدين الايوبي، دار الكتاب العربي، بيروت ، ١٩٦٦.

- كمال الدين حلمي.

۞ السلاجقة في التاريخ والحضارة ، الكويت ، عام ١٩٧٥.

- كوبلاند ، ج–ر .

۞ الاقطاع والعصور الوسطى بغرب أوربا، ترجمة: محمد مصطفى زيادة،القاهرة، ١٩٤٦.

- لوبون غوستاف.

۞ حضارة العرب ، ترجمة: عادل زعيتر ، القاهرة ، ١٩٥٦.

– ماجد عرسان الكيلاني.
❁هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، الدار السعودية للنشر ، جدة ، ط١ ، ١٩٨٥.
– محمد جمال الدين سرور .
❁ سياسة الفاطميين الخارجية ، القاهرة ، ١٩٧٦.
– المشهداني: محمد جاسم حمادي.
❁ تأريخ امارة بني منقذ العربية (٤٧٤-٥٥٢هـ/١٠٨٠-١١٥٨م) بغداد، ١٩٨٥.
– المطوي: محمد العروسي .
❁ الحروب الصليبية في الشرق والغرب، دار الكتب الشرقية ، تونس، ط١، ١٩٥٤م.
– مونتجمري: فليد مارشال.
❁ الحرب عبر التاريخ، تعريب: فتحي عبد الله النوري، القاهرة ، (لا-ت).
– ميشو .
❁ وثائق عن الحروب الصليبية ، ترجمة: برقيبة ومحمد صادق الزمرلي، دار بوسلامة، ط٣، تونس، ١٩٧٧.
– نعيم فروخ . (الدكتور).
❁ الحضارة الاوربية في العصور الوسطى، منشورات جامعة دمشق، ١٩٩١.

البحوث والدراسات في الدوريات.

- الجميلي : رشيد عبد الله (الدكتور) .

❂ الامير مودود صاحب الموصل والحروب الصليبية، ٥٠٢-٥٠٧هـ، مجلة كلية الاداب ، جامعة بغداد، العدد ٤، ١٩٧١.

❂ كربوغا صاحب الموصل والصليبيين ، المجلة التاريخية ، العدد ٢، ١٩٧٢.

❂ دور العراق الجهادي في التصدي للغزو الصليبي ، مجلة صدى التاريخ ،صادر عن اتحاد المؤرخين العراقيين-لا -ع .

- الحديثي: صلاح ياسين داود.

❂ دور الوحدة في التحرير في عهد صلاح الدين الايوبي ، آداب الرافدين ، جامعة الموصل، العدد٢٠ ، سنة ١٩٨٩.

- دريد عبد القادر نوري.

❂ الفكر العسكري للقائد صلاح الدين الايوبي، آفاق عربية ، العدد ٤ ، ١٩٨٧ .

- عبد العزيز حميد صالح.

❂ الحرم الشريف في ظل الغزو الفرنجي، مجلة المورد ، العدد٤ ، بغداد، ١٩٨٧ .

- نيقولا زيادة (الدكتور).

❂ سوريا في زمن الصليبيين ، مجلة المقتطف، العدد ٨٧، القاهؤة ، ١٩٣٥ .

٥- الرسائل الجامعية :

- ثورة خطاب علي.

❁ موقف بيزنطة من الغزو الصليبي ،(٤٨٩-٦٠١هـ/١٠٩٥-١٢٠٤م) رسالة ماجستير، بإشراف الدكتور طلب صبار الجنابي ، مطبوعة على الآلة الكاتبة (الحاسوب) مقدمة الى كلية التربية جامعة تكريت ، ٢٠٠٢م.

- الجنابي: طلب صبار محل (الدكتور) .

❁ امارة انطاكية دراسة في علاقاتها السياسية بالقوى الاسلامية (٤٩١-٦٦٦هـ/١٠٩٨-١٢٦٨م) ، رسالة دكتوراه ، بإشراف د. خاشع المعاضيدي، مطبوعة على آلة الكاتبة ، كلية التربية ، جامعة بغداد، ١٩٩٦ .

- راغب حامد عبد الله (الدكتور).

❁ الحروب الصليبية بدايات الاستعمار الصليبي، رسالة ماجستير ، بإشراف عبد المنعم رشاد، مطبوعة على الآلة الكاتبة ، جامعة الموصل، ١٩٨٣م.

- سلمان جبر سلطان .

❁ الدور السياسي للعلماء المسلمين أبان الحروب الصليبية (٤٩٠-٦٩٠هـ/١٠٩٦-١٢٩١م) رسالة ماجستير، د. عماد الدين خليل ، مطبوعة على الآلة الكاتبة ، جامعة الموصل، ١٩٩٩م.

المصادر والمراجع الاجنبية:

- Albert Daix .
  - ❖ Christiance expeditions proepeycption emundatione . Etrestitutione scnctae hierosoly mitanae Ecc- lesae .
- Bridge (J-A).
  - ❖ the crossed – prin , ceton . ١٩٥٨.
  - ❖ hanry : traale the crusaders . (NewYork , ١٩٦٢) .
- Cahen . (c)
  - ❖ Lesyiadv Nord a l'epoque des croisades et La principauter praque D'antioche , Paris , ١٩٤٠.
- Cipp-
  - ❖ The ciliphate and state (in setton : history of crusades).
- conder (C-R).
  - ❖ the latine kingdom al jerusalem , London , ١٩٦٧.
- Crousset.
  - ❖ Histoire des croisades et du royame france de Jerusalem (paris . ١٩٣٤).
- dunaf – f.
  - ❖ The pabe's plan for the first crusade (the crucades other hisorical essage persented to dana munro) New York .
- fulher of chartres.
  - ❖ A history of the expenditions to Jerusalem (trans by France ritaryan ١٩٦٩)
- Haswell , d.H.
  - ❖ an introduction to the holy land (London – ١٩٦٩).
- Ker, Anthony J.C.
  - ❖ The crusades (great Britain in ١٩٦٦).
- Lane pool .
  - ❖ saladin . and the fall of king jetusalem lom\ndon ١٨٩٨.
- Mayer (H-E)
  - ❖ The crusades : (trans by jone cillingham , oxford – university ١٩٧٢).
- Michauj Joseph Francis .
  - ❖ history of crusades , translated from fanch by W, robsoh first edition (New york ١٩٧٣).
- Pernoud (R.)
  - ❖ The crusades (London ١٩٦٣).

- Runciman.
- ❖ The First crusades, concedes, contoninpole to Antioch in setton history of the crusades.
- setton (K.M).
- ❖ a history of the crusades (London ١٩٦٩).
- stevenson (W.B.)
- ❖ the cruseders in the east , cambrifge university (London ١٩٥٨).
- willam of ture.
- ❖ A history deeds done begand the sea . ltraus, by babcock krey (New York, ١٩٤٣).
- Yedale (R.B.)
- ❖ Bhemond (١) prince or antoch (princeton ١٩٢٤).
- Zoe :
- ❖ olden bourg the crusades (new york) ١٩٦٥.

The reaction of muslims was in the form of great resistence against this usurped enemy.
Because of resistence, all the false leaderships collapsed and faithful leaders adopted Al-jihad (the struggle) against the
enemies .
They unified the countries and they were faithful to their religion .
They stood against the greedy invadors till they were able to achieve victory in the great battle, Hitten, under the leadership of saladdin Al-Ayubi who liberated Al-Quds and expelled the invaders from the Islamic territories.
The unity of muslims and their adherence to their religion were the unique remedy which removed the fragmentation, treason, and submission which we can't get rid of unless sticking to the same remedy.
The present study is divided into preface, four chapters and cmclusian.
Each part is concerned with an aspect of the history of resistence as follows: The first chapter is about the first Islamic trials to defeat the crusade invasim.
The second chapter is concerned with the resistence in Al-Quds and Tripoli.
The third chapter is about the beginning of the political unity of the Islamic front.
The fourth chapter deals with the unity of Arabic resistence in Al-sham countries, Iraq, Egypt and Al-Hujaz.

Abstract

The Arabic Islamic countries exposed to fierce crusade invasian in the late years of the fifth century (A.H.) / the eleventh century (A.D.) Which enabled the crusaders to occupy most Arabic cities in Al-sham countries and Al-Jazira Al-Furatiya . Their pervasion of Al-kuds in ٤٩٢(A.H.) / ١٠٩٩(A.D.) was considered as the biggest dissaster that the Islamic countries were exposed to.

The circumstances were suitable for the crusaders and they made use of the conflicts found in the Arabic-Islamic region , namely ,the one between the Abbasid caliphate and Al-fatimiya state .

As a result, the Islamic world became two divisions in its loyalty, i.e, the Abbasid caliphate and Al-fatimiya State.

The first, its prestige weakened and the caliph became inactive since the real authority was in the hand of the sultans of Al-salajika.

Concerning Al-fatimiya state, it sufferred from the ministers who were dictators.

The conflicts prevailed among them and they fought each other.

What increaced the Islamic countries ordeal was their subdivision in to minor states which their princes asked for help from the crusaders to fight each other.

This helped in con solidating the bases of the latin Emirates with a certain degree of forwardness and this led to the weakness of the efforts of certain Islamic units in their resistence to this movement early.

Thus, this resiastence was of little influence and inactive so the invaders achieved their aims.

The crusaders committed terrible massacres with muslims and they caused harm to them in any place they reached.

As a result, the Muslim were alert after the heavy shock they got became of the invasion.

University of Baghdad

The Arabi - Islamic Resistence to the Crusade Invasion Until Hiteen Battle.

A Thesis Submitted by

Mahmood Fayadh Hassan Al-Zawbai

to the Council of the college of Education /Ibn Rushd – Baghdad University in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Ph.D. in Islamic History.

Supervised by Prof.Dr.

Ajmi Mahmood Hataab Al-Janabi

June, ٢٠٠٣ **Rabii Al-thani , ١٤٢٣ H .**

٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٨ ٣٠٩ ٣١٠

٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٨ ٣٠٩ ٣١٠

٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٨ ٣٠٩ ٣١٠

٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٨ ٣٠٩ ٣١٠

٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٨ ٣٠٩ ٣١٠

٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٨ ٣٠٩ ٣١٠

٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٨ ٣٠٩ ٣١٠

٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٨ ٣٠٩ ٣١٠

٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٨ ٣٠٩ ٣١٠

٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٨ ٣٠٩ ٣١٠